تاريخ دول الاسلام

تأليف

رزق الله منقريوس الصدفي

بالمنيا

الجزء الثالث

« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ ما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديقَ الذي بين يديه وتفصيلَ كلِّ شيءٍ وهُدىً ورحمةً لقوم يؤمنون » (قرآن شريف)

طبع بمطبعة الهلال بالفجاله بمصر سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

فهرس الجزء الثالث

٥٥١ ـ الدولة النصرية الاحمرية بالاندلس

(تمهيد) لما فشلت ريح الموحدين وضعف امرهم بالمغرب استبد محمد بن هود الثائر بالاندلس بها واخرج منها الموحدين ولم تطل مدته فيها لأن محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ثار عليه ونازعه السلطة واستمد الافرنج عليه . فانتهز الاسبانيون هذه الفرصة المناسبة وامدوا محمد بن يوسف المذكور بجيوشهم الجرارة بعد ان اشترطوا عليه ان ينزل لهم عن جميع بسائط الاندلس وعلى هذا حاربوا معه ابن هود الى ان انقرض امره واستتب الامر لابن الاحمر وانحصرت مملكته في مقاطعة غرناطة ونزل عن جميع مدن الاندلس للاسبانيين كاتفاقه معهم كما ستراه ان شاء الله تعالى

واصل بني الاحمر من ارجونة من حصون قرطبة وكان لهم فيها سلف في ابناء الجند يعرفون ببني نصر . وكان ابتداء امر محمد بن يوسف بن نصر رأس دولتهم المعروف بالشيخ سنة ٦٢٩ ﻫ

٥٥٢ — الشيخ محمد بن يوسف بن نصر

من سنة ٦٢٩ — ٦٧١ ﻫ او من سنة ١٢٣١ — ١٢٧٢ م

هو محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ويعرف بالشيخ بويع له سنة ٦٢٩ ﻫ وكان يدعو اولاً لابي زكريا الحفصي صاحب تونس واستظهر على امره اولاً بقرابته من بني نصر واصهاره بني اشقيلولة . ولما رأى استفحال امر ابن هود بايع له سنة ٦٣١ ﻫ ثم ثار باشبيلية ابو مروان الباجي فاتحد معه ابن الاحمر وقطع خطبة ابن هود واستولى على اشبيلية سنة ٦٣٢ ﻫ ثم فتك بابن باجي وقتله . وبعد شهر راجع اهل اشبيلية دعوة ابن هود وثاروا بابن الاحمر واخرجوه من مدينتهم

ورأى ابن الاحمر ان امره لا يتم الا بتلاشاة ابن هود واذ لم يكن في ذلك الوقت قادرًا على ذلك اتفق مع الاسبانيين ان يمدوه بجيش لقتال ابن هود على ان ينزل لهم عن بسائط الاندلس اذا استتب امره . ورأى الاسبانيون هذه الفرصة مناسبة فامدوه بما اراد وبمساعدتهم استولى على غرناطة سنة ٦٣٥ ﻫ ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء ثم تغلب على مالقة والمرية وغيرهما . ولما رسخت قدمه بمقاطعة غرناطة اتحد مع الاسبانيين على حصار ابن هود باشبيلية سنة ٦٤٣ ﻫ حتى استولوا عليها ولم يزل يساعدهم على فتح المدائن التي بيد ابن هود حتى التهم الاسبانيون في هذه المدة الاندلس كورة كورة وثغرًا ثغرًا وانحصر المسلمون في مقاطعة غرناطة التي تمتد ما بين رندة في المغرب الى البيرة في شرق الاندلس ثم شعر ابن الاحمر بغلطه وعلم ان الاسبانيين لم يساعدوه الا لفائدتهم الشخصية

وانهم اتخذوه آلة في ايديهم لاتمام مقاصدهم فنقض العهد الذي كان قد عقده معهم وعزم على حربهم واستخلاص الجزيرة منهم و بعد ان حاربهم مرارًا لم يظفر بشيء وتلاحق بالاندلس الغزاة من بني مرين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة الاف منهم فاجازوا في حدود الستين وستمائة وتقبل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم في نحر عدوهم ورجعوا . ثم تهافتوا اليه من بعد ذلك من كل بيت من بيوت بني مرين ومعظمهم الاعياص من بني عبد الحق لما تزاحمهم مناكب السلطان في قومهم وتغض بهم الدولة فينزعون الى الاندلس مغتنمين بها من بأسهم وشوكتهم في المدافعة عن المسلمين و يخلصون من ذلك على حظ من الدولة بمكان ولم يزل الشأن هذا الى ان توفي محمد بن يوسف ابن نصر الشيخ سنة ٦٧١ ه

٥٥٣ — محمد الفقيه بن محمد الشيخ

من سنة ٦٧١ — ٧٠١ ه او من سنة ١٢٧٢ — ١٣٠١ م

ولما توفي محمد الشيخ بن يوسف بن نصر قام بالامر بعده ابنه محمد المعروف بالفقيه (لقب بالفقيه لانتحاله طلب العلم في صغره) . وكان ابوه قد اوصاه قبل موته اذا انابه امر من العدو او وصل اليه مكروه ان يستنصر عليه بني مرين سلاطين المغرب و يجعلهم وقاية بين العدو و بين المسلمين فلما تكالب الاسبانيون على الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل باشارة والده واوفد مشيخة الاندلس كافة على السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني صاحب مراكش سنة ٦٧٢ ه وكان قد تم استيلاؤه على بلاد المغرب وتغلبه على مراكش فاجاب صريخه واجاز عساكر المسلمين من بني مرين وغيرهم الى الجهاد مع ابنه منديل ثم جاء هو على أثرهم وامكنه ابن هشام من الجزيرة الخضراء كان ثائرًا بها فتسلمها منه ونزل بها وجعلها ركابًا لجهاده و ينزل بها جيش الغزو . ولما اجاز سنة ٦٧٢ ه حارب الاسبانيين وهزمهم

ثم حذره ابن الاحمر على ملكه فداخل الاسبانيين في الاتحاد معهم ثم حــذر الاسبانيين فراجعه وهو مع ذلك يده في نحره بشوكة الاعياص الذين نزعوا اليه من بني مرين ومرض في طاعة قرابته من بني اشقيلولة كان عبد الله منهم بمالقة وعلي بوادي آش وابراهيم بحصن قمارش فثاروا عليه وداخلوا يعقوب بن عبد الحق في المظاهرة عليه فكان لهم معه فتنة وامكنوا يعقوب المذكور من الثغور التي بايديهم مالقة ووادي آش ثم استخلصها محمد الفقيه هذا بعد ذلك وسار بنو اشقيلولة الى المغرب ونزلوا على يعقوب بن عبد الحق فاكرم مثواهم . واستبد الفقيه ابن الاحمر بملك ما بقي من الاندلس . وكانت اجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق اليــه اربع مرات هزم فيها الاسبانيين مرارًا حتى الزمهم بعقد هدنة مع المسلمين سكان الاندلس الى اجل مسمى ثم توفي السلطان يعقوب المذكور سنة ٦٨٥ هـ وتولى بعده ابنــه يوسف فنقض الاسبانيون عقد الهدنة واغاروا على بلاد المسلمين واذاقوهم الامرين فارسل الفقيه الى السلطان يوسف بن يعقوب يستنجده وكان مشغولاً بفتنة آل زيان اصحاب تلمسان فاوعز السلطان الى قائد المسالح بالاندلس علي بن يوسف بن يزكاتن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الاسبانيين فنهض لذلك في ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ وجاس خلالها وتوغل في اقطارها وابلغ في النكاية . ثم سار السلطان يوسف في اثره في جمادى الاولى من السنة المذكورة واحتل قصر مصمودة وهو قصر المجاز واستنفر اهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع في اجازتهم البحر . فبعث الاسبانيون اساطيلهم الى الزقاق (البوغاز) حجزًا لهم دون الاجازة فاوعز السلطان يوسف الى قواد اساطيله بالسواحل بمقابلة العــدو ففعلوا وقدمت والتقت مع اساطيل العدو ببحر الزقاق في شعبان من السنة فاقتتلوا وانكشف المسلمون وقتل قواد الاساطيل فامر السلطان يوسف باستئناف العمارة ثم اغزاهم ثانية فخامت اساطيل الاسبانيين عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فملكته اساطيل السلطان فاجاز اخريات رمضان من السنة واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا وبث السرايا في ارض العدو وردد الغارات حتى قضى وطره ثم هجم

فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فرجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة ٦٩١هـ . ولما قفل السلطان يوسف من الاندلس وقد ابلغ في النكاية عظم على الاسبانيين امره وثقلت عليهم وطأته فشرعوا في اعمال الحيلة بينه وبين ابن الاحمر . وكان السلطان محمد الفقيه ابن الاحمر يتخوف من السلطان يوسف ان يغلبه على بلاده فاتحد مع الاسبانيين على منازلة طريف واستخلاصها من يد عمال السلطان يوسف المريني ليتعذر على السلطان يوسف الجواز الى الاندلس اذ لا يجد مرفأ ترسو به اساطيله فنازلوا طريفاً والحوا عليها القتال وحاصروها براً وبحراً حتى انقطع المدد والميرة عن اهلها ودام الحصار اربعة اشهر حتى اصاب اهل طريف الجهد فراسلوا الاسبانيين في الصلح والنزول عن البلد فصالحوهم وملكوها اخر يوم من شوال سنة ٦٩١ هـ . وكان ابن الاحمر قد اشترط على الاسبانيين ان تكون طريف له فلما استولوا عليها لم ينزلوا له عنها كاتفاقهم فبذل لهم ستة حصون عوضاً عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكان حاله في ذلك كحال صاحب النعامة المضروب بها المثل عند العرب

ولما رأى محمد الفقيه ابن الاحمر تلاعب الاسبانيين به ندم على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف بن يعقوب المريني فاوفد عليه ابن عمه الرئيس ابا سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر في وفد من اهل حاضرته لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف فوافوه بمكانه من حصار تازوطا كما قدمنا فأبرموا العقد واحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ٦٩٢هـ فوقع ذلك منه اجمل موقع واجمع الرحلة الى السلطان يوسف لاحكام العقد فتهيأ لذلك وعبر البحر في ذي القعدة سنة ٦٩٢ هـ . ولما علم السلطان يوسف بقدومه خرج من فاس للقائه فوافاه بطنجة فقدم ابن الاحمر بين يديه هدية ثمينة كان من احسنها موقعاً لديه المصحف الكبير الذي يقال انه مصحف امير المؤمنين عثمان بن عفان (رضه) كان بنوامية يتوارثونه بقرطبة ثم خلص الى ابن الاحمر فاتحف به السلطان يوسف في هذه المرة . فقبل السلطان يوسف ذلك وكافاه باضعافه وبالغ

في تكريمه واسعفه بجميع مطالبه . واراد ابن الاحمر ان يبسط العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان يوسف عن سماع ذلك واضرب عن ذكره صفحاً ونزل لابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربيـة وعشرين حصناً من ثغور الاندلس كانت قبل في ملكته وملكة ابيه وعاد ابن الاحمر الى الاندلس اخر سنة ٦٩٢هـ وعبرت معه عساكر السلطان يوسف لحصار طريف ومنازلته وعقد على حربهـا لوزيره الشهير الذكر عمر بن السعود بن خرباش الحشمي فنازلها مدةً فامتنعت عليه وافرج عنها . وفي سنة ٧٠١ هـ توفي محمد الفقيه بن الشيخ محمد بن يوسف

٥٥٤ ـ محمد المخلوع بن محمد الفقيه

من سنة ٧٠١ ـ ٧٠٨ هـ او من سنة ١٣٠١ ـ ١٣٠٨ م

ولما توفي محمد الفقيه بن محمد الشيخ تولى بعده ابنه محمد المعروف بالمخـلوع واستبد عليه كاتبه ابوعبد الله محمد بن الحكيم الرندى . واول مافعله محمد المخلوع المبادرة الى احكام عقد الموالاة بينه وبين السلطان يوسف بن يعقوب المريني فاوفد اليه من قام مقامه في تادية هذا الواجب وقابل السلطان يوسف وفده بالاكرام وانقلبوا الى مرساهم خير منقلب وطلب السلطان منه ان يمده بالرجال من عسكر الاندلس فامده بما طلب . ثم فسد الحال بين السلطان محمد المخلوع والسلطان يوسف المريني وانتقض ابن الاحمر وعاد لسنة سلفه من موالاة الاسبانيين وممالاتهم على المسلمين اهل المغرب . ثم اوعز ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس ابي سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة في اعمال الحيلة في الغدر باهل سبتة ففعل وداخل في ذلك بعض عمال بني العزفي بها فامكنه من البلد فاقتحمها باساطيله وجنده على حين غفلة من اهلها وتقبض على بني العزفي وعلى حاشيتهم واركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة . واستبد الرئيس ابوسعيد بامر سبتة وثقف أطرافها وسد ثغورها وحاول السلطان ارجاعها فردد اليها العساكر فلم يتمكن من ذلك

وكان بنو الاحمر قد ملوا استبداد ابي عبد الله بن الحكيم كاتب محمد المخلوع فداخلوا اخاه ابا الجيوش نصراً في العصيان على اخيه محمد والبيعة له فوافقهم وثاروا سنة ٧٠٨ هـ وقبضوا على ابي عبد الله بن الحكيم وقتلوه واعتقلوا محمداً المخلوع و بايعوا لاخيه ابي الجيوش نصر

٥٥٥ - ابو الجيوش نصر بن محمد الفقيه

من سنة ٧٠٨ — ٧١٧ هـ او من سنة ١٣٠٨ — ١٣١٧ م

و بعد ان خلع اهل غرناطة سلطانهم محمداً المخلوع لاستبداد كاتبه عليه كما ذكرنا ولوا بعده اخاه ابا الجيوش نصر بن محمد الفقيه . وفي سنة ٧٠٩ هـ خرجت سبتة من يد بني الاحمر لان عمالهم كانوا قد اساؤا السيرة في أهلها فثاروا عليهم وكاتبوا السلطان ابا الربيع سليمان صاحب فاس في القدوم اليهم لتسليم المدينة فارسل اليهم بعض ثقاته في عسكر وتسلم المدينة وعم الفرح اهل المغرب لرجوع سبتة لدولتهم كما كانت . واتصل الخبر بابي الجيوش نصر بن الاحمر فضاق ذرعه وخشي عادية بني مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وملكوها فجنح الى السلم واوفد رسله على السلطان ابي الربيع راغبين في السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيباً للسلطان ابي الربيع في الجهاد فقبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما اراد وخطب منه اخته فانكحه ابن الاحمر اياها . وكان ابو الجيوش نصر سيء السيرة قليل الدراية ليس اهلاً للملك واستبدت عليه بطانته لانشغاله عن امور المملكة باللهو واللعب . وكان من ضمن الذين اجازوا الى الاندلس من بني مرين عثمان بن ابي العلاء وكان بطلاً شجاعاً وله في الاندلس مواقف مشهورة ومواقع كثيرة وكان شديد الغيرة على صالح المسلمين بالاندلس فلما راى ضعف السلطان ابي الجيوش وعدم مقدرته المدافعة عن ملكه داخل ابن عمه ابا الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس صاحب مالقة

في انتزاع الامر من ابي الجيوش والبيعة للاخير فقبل ابو الوليد ذلك وثار بمالقة سنة ٧١٧ هـ وزحف الى غرناطة فهزموا عساكر ابي الجيوش وثارت به الدهماء من اهل المدينة واحيط به وصالحهم على الخروج الى وادي آش فلحق بها ملكاً الى ان توفي سنة ٧٢٢ هـ

٥٥٦ ـ ابو الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس

من سنة ٧١٧ — ٧٢٧ هـ او من سنة ١٣١٧ — ١٣٢٧ م

هو ابو الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر بن الاحمر قام بامر مالقة بعد وفاة ابيه ابي السعيد الرئيس ثم داخله عثمان بن ابي العلاء المريني في الثورة على ابي الجيوش نصر ابن عمه واستخلاص الامر منه لضعفه عن القيام به فكان ما قدمنا من انتصاره على عساكر ابي الجيوش بظاهر غرناطة وخروج ابي الجيوش عنها الى وادي آش فدخل ابو الوليد غرناطة واستبد بملكها واستتب امره فيها

وكان ملك اسبانيا في ذلك الوقت بطرس الاول ابن الفونس الحادي عشر فلما رأى الفتنة قائمة بين مسلمي غرناطة طمع في الاستيلاء عليها واخراج المسلمين منها فجمع جيشاً جراراً وسار حتى اناخ بظاهر غرناطة وحاصرها حصاراً شديداً . ولما رأى اهل الاندلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان ابي سعيد عثمان المريني صاحب المغرب ليمدهم بجيوشه ويفرج كربتهم ولأن عثمان بن ابي العلاء المريني شيخ الغزاة بالاندلس وبطل الاسلام فيها كان نازعاً على ابي سعيد المذكور وثائراً عليه فشرط عليهم السلطان ابو سعيد ان يمكنوه منه ليتاتى له العبور الى الاندلس فاستصعب اهل الاندلس هذا الشرط فاخفق سعيهم ورجعوا منكسرين . واطالت الفرنج المقام على غرناطة وطمعوا في التهامها . ولما رأى عثمان بن ابي العلاء شيخ الغزاة المذكور شدة ما هم فيه من الضيق انتخب بعض شجعانه وهجم على الفرنج على حين غفلة منهم فاختل مصافهم وهربت شجعانهم واثخن المسلمون فيهم وكان نصراً مبيناً وعدت هذه الواقعة من اغرب الوقائع وغنم المسلمون منهم ما لا يقدر وذلك سنة ٧١٩ هـ . فلما تمت الهزيمة على الفرنج طلبوا عقد هدنة مع المسلمين فأُجيبوا الى ذلك

وعظم امر ابي الوليد وبلغت دولته من العز والشوكة شأوًا بعيدًا الى ان غدر به بعض قرابته من بني نصر سنة ٧٢٧ هـ طعنه غدرًا فتوفي لوقته

٥٥٧ — محمد بن ابي الوليد

من سنة ٧٢٧ — ٧٣٣ هـ او من سنة ١٣٢٧ — ١٣٣٢ م

لما قتل ابو الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس تولى بعده ابنه محمد وكان صغيرًا فاستبد عليه وزيره ابن المحروق ٠ ولما ادرك السلطان معنى الملك والاستبداد انف من استبداد وزيره عليه فقتله بداره غدرًا سنة ٧٢٩ هـ استدعاه للحديث على لسان عمته المتغلبة عليه مع ابن المحروق وتناوله مع مماليكه طعنًا بالخناجر الى ان مات وقام السلطان باعباء ملكه ٠ اما عثمان بن ابي العلاء المريني شيخ الغزاة بالاندلس فرجع الى مكانه من يعسوبية الغزاة وزناتة حتى توفي سنة ٧٣٠ هـ فتولى مشيخة الغزاة بعده ابنه ابو ثابت وعظم امر بني ابي العلاء بالاندلس حتى خافهم السلطان محمد على نفسه ؛ وكان الاسبانيون قد ضايقوه من جهة اخرى حتى ضاق به الامر فاجاز الى المغرب صريخًا للسلطان ابي الحسن علي المريني صاحب المغرب فقدم عليه بدار ملكه بفاس سنة ٧٣٢هـ فاكبر السلطان ابو الحسن موصله واركب الناس للقائه وانزله بروض المصارة لصق داره واستبلغ في اكرامه ٠ وفاوضه ابن الاحمر في امر المسلمين بالاندلس وما اهمهم من عدوهم وشكى اليه امر بني عثمان بن ابي العلاء لاستطالتهم عليه ٠ وكان السلطان ابو الحسن في ذلك الوقت مشغولاً بفتنة اخيه ومع ذلك فقد امده بخمسة الاف من عساكر بني مرين بقيادة ابنه ابي مالك وانفذهم مع ابن الاحمر لمنازلة جبل الفتح الذي كان الفرنج قد استولوا عليه سنة ٧٠٧ هـ فنازلوه واستولوا عليه واخرجوا الفرنج منه ٠ ولم يحسن الاتفاق الذي عقد بين السلطان محمد بن الاحمر وبين السلطان ابي الحسن المريني في اعين بني عثمان بن ابي العلاء لانهم خافوا ان يعود هذا الاتفاق عليهم بالضرر فتشاوروا فيما بينهم وفتكوا بابن الاحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا اخاه ابا الحجاج يوسف

٥٥٨ ـ ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد

من سنة ٧٣٣ — ٧٥٥ ﻫ او من سنة ١٣٣٢ — ١٣٥٤ م

ولما بويع ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد شمر للاخذ بثار اخيه فاحتال على بني ابي العلاء حتى قبض عليهم واودعهم السجون ثم غربهم الى تونس وقدم على الغزاة مكان ابي ثابت بن عثمان بن ابي العلاء يحيى بن عمر بن رحو فقام بامرهم وطالت رئاسته . وعاد الاسبانيون الى مضايقة المسلمين في بلادهم بترديد السلب والنهب حتى بلغ خوف المسلمين منهم مبلغاً عظيماً ولم يقدر ابو الحجاج يوسف المذكور على منع الاسبانيين من مهاجمة بلاده فارسل الى السلطان ابي الحسن علي المريني يستنجده . وكان ابو الحسن كلفاً بالجهاد الا انه كان مشغولاً بقتال بني زيان اصحاب تلمسان فلما انتصر عليهم واستولى على تلمسان عزم على الجواز الى الاندلس برسم الجهاد وقدم ابنه ابا مالك في عساكر بني مرين واجازهم سنة ٧٤٠ ﻫ فشخص ابو مالك غازياً وتوغل في بلاد الفرنج واكتسحها وخرج منها بالسبي والغنائم واهتم الاسبانيون لهذا الامر واتحدوا معاً بعد ان كانت الفتنة قد اشتغلت بينهم زمناً طويلاً وجمعوا عساكرهم وقاتلوا المسلمين وانتصروا عليهم وقتلوا ابا مالك بن السلطان ابي الحسن المريني . واتصل الخبر بالسلطان ابي الحسن فتفجع لقتل ابنه فجمع عساكره وعزم على الجواز بنفسه الى الاندلس لاخذ ثار ابنه وكانت اساطيل الاسبانيين واقفة لعساكره بالمرصاد فاعاقت حركاتهم كثيراً فاوعز السلطان ابو الحسن لقواد اساطيله بمقاتلة اساطيل الاسبانيين فكانت بينهم موقعة بحرية هائلة انتصر فيها المسلمون انتصاراً مبيناً فتمكن السلطان ابو الحسن من اجازة عساكره بلا معارض ولما تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو ٦٠ الفاً اجازهو في اسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة ٧٤٠ ﻫ . وكان الاسبانيون عقب انهزام اساطيلهم في المعركة البحرية التي تقدم ذكرها قد حصنوا ميناء طريف وشحنوه بالاقوات والسلاح واستعدوا للقاء المسلمين استعداداً كبيراً ولما اجاز السلطان ابو الحسن نزل بساحة طريف واناخ عليها وذلك في ٣ محرم سنة ٧٤١ ﻫ وشرع في منازلتها ووافاه السلطان ابو الحجاج يوسف صاحب الاندلس في عساكره واتحدوا معاً على حصار طريف وبعد اخذ ورد كثير بين هجم الاسبانيون على المسلمين على غرة منهم فاختل مصافهم وانهزموا هزيمة مرة حتى وصل عسكر الفرنج الى خيمة السلطان ابي الحسن وسبوا حرمه وغنموا

امواله وعظم الخطب على المسلمين وذلك يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ٧٤١ هـ ٠ فرجع السلطان ابو الحسن مع من سلم من عسكره الى المغرب وابن الاحمر الى غرناطة

وقوي الاسبانيون على المسلمين بعد هذا الانتصار وطمعوا في الاستيلاء على ما بقي في يدهم فنازلوا الجزيرة الخضراء واستولوا عليها سنة ٧٤٣ هـ ٠ ولم يزل ابو الحجاج في سلطانه الى ان توفي سنة ٧٥٥ هـ طعنه في سجوده في صلاة العيد وغد من صفاعقة البلد كان مجتمعاً

٥٥٩ — الغني بالله محمد بن ابي الحجاج

من سنة ٧٥٥ — ٧٦٠ هـ او من سنة ١٣٥٤ — ١٣٥٩ م

ولما توفي ابو الحجاج يوسف تولى بعده ابنه محمد وتلقب الغني بالله وقام بامر دولته مولاه رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم ٠ واستوزر لسان الدين بن الخطيب الشهير الذكر وجعله رديفاً لرضوان في امره وتشاركا في الاستبداد معاً وكان للسلطان الغني بالله اخ اسمه اسمعيل فجعله الغني بالله في بعض القصور من حمراء غرناطة احتفاظاً به الى ان كان رمضان سنة ٧٦٠ هـ فخرج الغني بالله الى بعض منتزهاته خارج القصبة ولما كانت ليلة ٢٧ من رمضان المذكور تسوّر جماعة من شيعة اسمعيل المحبوس عليه القصبة ليلا واخرجوه من محبسه واعلنوا بدعوته ثم اقتحموا على حاجبه رضوان داره فقتلوه على فراشه وبين نسائه وضبطوا القصبة واعلنوا بالدعوة ٠ وسمع الغني بالله قرع الطبول بالقصبة في جوف الليل فاستكشف الخبر وأسمع فعلم بما تم عليه من خلعه وتولية اخيه فركب فرسه وخاض الليل الى وادي آش فاستولي عليها وضبطها وبايعه اهلها على الموت ٠ ثم عمد شيعة اسمعيل الثائر الى الوزير ابن الخطيب فاودعوه السجن واكتسحوا داره واصطلموا نعمته واتلفوا موجوده ٠ واتصل الخبر بالسلطان ابي سالم المريني صاحب تونس وكانت له مصافاة مع الغني بالله فكتب الى اسمعيل الثائر وشيعته يامرهم بتخلية طريق الغني بالله للقدوم عليه ويشفع في تسريح ابن الخطيب وتخلية سبيله فاجابوه الى ذلك فسار السلطان الغني بالله ووزيره ابن الخطيب الى السلطان ابي سالم في محرم سنة ٧٦١ هـ فاكرم السلطان ابو سالم قدومه وبقي عنده الي ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالي

٥٦٠ – اسماعيل بن ابي الحجاج

من سنة ٧٦٠ – ٧٦١ ﻫ او من سنة ١٣٥٩ – ١٣٦٠ م

كان الغني بالله قد حبس اخاه هذا اسماعيل بن ابي الحجاج ببعض قصور قلعة الحمراء بغرناطة كما تقدم وكانت له ذمة وصهر من ابي يحيي محمد بن عبد الله ابن اسماعيل بن محمد بن الرئيس ابي سعيد بما كان ابوه انكحه شقيقة اسماعيل المذكور وكان ابو يحيي هذا يدعى بالرئيس . فداخل محمد الرئيس هذا بعض الزعانفة من الغوغاء وبيت حصن الحمراء وتسوره وولج على الحاجب رضوان في داره فقتله كما تقدم ذكر ذلك واخرج صهره اسماعيل ونصبه للملك ليلة ٢٧ رمضان سنة ٧٦٠ ﻫ . وقام الرئيس بامر اسماعيل ودبر ملكه ثم ترددت السعايات ونذر الرئيس بالنكبة فغدر باسماعيل وقتله واخوته جميعاً سنة ٧٦١ ﻫ

٥٦١ – الرئيس محمد بن عبد الله

من سنة ٧٦١ – ٧٦٣ ﻫ او من سنة ١٣٦٠ – ١٣٦١ م

هو ابو يحيي محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن محمد ابن الرئيس ابي سعيد فرج ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر بن الاحمر فلما غدر بصهره اسماعيل بن ابي الحجاج كما تقدم استبد بملك الاندلس ونبذ العهود التي كان قد عقدها سلفه مع الاسبانيين ومنع ما كان سلفه يعطونه من الجزية على بلاد المسلمين . فجهز الاسبانيون اليه العساكر فاوقع بهم بوادي آش واثخن فيهم . وفي هذه الاثناء ارسل ملك المغرب الى الاسبانيين في شان السلطان محمد الغني بالله المخلوع ورده الى ملكه فاجابوه الى مساعدته فاركبه الاساطيل واجازه الى الاندلس فالتقاه الاسبانيون ووعدوه المظاهرة على امره فحارب محمداً الرئيس هذا واقتحم عليه غرناطة وقتل حاجبه وهرب

الرئيس محمد الى بلاد الفرنج ودخل الغني بالله غرناطة واستولى عليها وذلك سنة ٧٦٣ ﻫ

٥٦٢ – الغني بالله محمد بن ابي الحجاج ثانية

من سنة ٧٦٣ – ٧٩٣ ﻫ او من سنة ١٣٦١ – ١٣٩١ م

ولما دخل الغني بالله غرناطة وثبت قدمه بها بعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد وكان القائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم ابن الخطيب وكان مقيماً بسلا وبعثهم الى نظره فسر السلطان ابن الاحمر بمقدمه ورده الى منزلته ودفع اليه تدبير المملكة . وتملأ هذا السلطان الغني بالله المخلوع اريكة ملكه بالحزم ممتنعاً بالظهور والشرف والعزة على الاسبانيين وملوك المغرب بالعدوة . اما على الاسبانيين فان الملك بطرس الاول الذي تولى بعد ابيه الفونس الحادي عشر فكان ملكا غشوماً ظالما بهذا المقدار حتى انه قام على امرأته الملكة بلانش البربونية وقتلها ثم جار على اخيه هنري بالظلم والعدوان حتى الزمه ان يعاديه ويتقي ضرره . فذهب هنري الى كارلوس الخامس ملك فرنسا واستجار به فاجاره لانه كان يريد ان ينتقم من بطرس المذكور لقتله بلانش وانجده بجيش من العساكر الفرنساوية فحاربوا بطرس وخلعوه عن سرير ملكه . ففر هاربا واستجار بادوارد الملقب بالامير الاسود وكان يومئذ متولياً امارة الانكليز في اكيتين من اعمال فرنسا فاجاره مراعاة لقوانين الشرف واراد ان يختصم له من اعدائه فخرج في قوم من جنده الى اسبانيا وبطش بالفرنساويين والكاستيليين وكسرهم كسرة هائلة واخذ قائدهم اسيرًا وارجع بطرس الاول الى سرير ملكه . ولكنه بحال رجوعه رجع بطرس الى ما كان عليه من السيئات والمظالم فاهمله الامير الاسود ولم يشأ ان يساعده بعد . وكان شارل الخامس قد افتدى قائد جيشه الذي اسره الامير الاسود فارجعه اذ ذاك لنجدة هنري فحارب كلاهما بطرس الاول واضطرا عليه

في وقعة عظيمة و بعد ان قبضا عليه وقتلاه صعد هنري على تخت المملكة تحت اسم هنري الثاني سنة ١٣٦٩ م . فاغتنم السلطان محمد الغني بالله صاحب غرناطة شغلهم بهذه الفتنة فاعتز عليهم ومنع الجزية التي كانوا يأخذونها من المسلمين من عهد سلفه . اما على ملوك المغرب المرينيين فكان قد نالهم الهرم الذى ينال الدول وضعف امرهم واستبد الوزراء والحجاب على الملوك منهم ولما توفي السلطان ابو الحسن اخر العظماء من ملوكهم تولى بعده ابنه عبد العزيز بن ابى الحسن ثم توفي سنة ٧٧٤ هـ فتولى بعده ابنه السلطان السعيد بالله ابو زيان محمد بن عبد العزيز وكان صغيراً لم يناهز الحلم فطمع السلطان محمد الغني بالله في وضع يده على المغرب وكان عنده من بني مرين عبد الرحمن بن يفلوسن فسرحه من الاندلس للاتحاد مع ابى العباس احمد بن ابى سالم اطالب ملك المغرب . واستولى ابو العباس احمد بظاهرة عبد الرحمن بن يفلوسن على فاس وخلع السعيد بالله سنة ٧٧٦ هـ واستقل بملك المغرب واستحكمت المودة بينه و بين ابن الاحمر وجعل اليه المرجع في نقضهم وابرامهم فصار له بذلك تحكم في الدولة المرينية واصبح المغرب كانه من بعض اعمال الاندلس وذلك بما كان لابن الاحمر من اعانة السلطان ابي العباس على ملك المغرب حتي تم له وبما كان تحت يده من ابناء الملوك المرشحين للامر فكان ابو العباس وحاشيته يصانعونه لاجل ذلك

ولم يزل الحال على ذلك حتى سعى بعض سماسرة الفساد ما بين السلطان الغني بالله والسلطان ابي العباس حتى حملوا الغني بالله على نقض دولة السلطان ابي العباس ببعض الاعياص الذين عنده فاختار من اولئك الفتية موسى بن ابي عنان واستوزر له مسعود بن ماسي فلما كانت سنة ٧٨٥ هـ خرج ابو العباس من فاس قاصداً تلمسان للاستيلاء عليها فانتهز ابن الاحمر فرصة غيابه واجاز موسى ابن ابي عنان ووزيره وامدهم بالعساكر . فنزل موسى بن ابي عنان سبتة فاستولى عليها وسلمها لابن الاحمر فدخلت في طاعته ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها . واتصل الخبر بالسلطان ابي العباس وهو بتلمسان فجاء مبادراً

ونزل بتازا فاقام بها اربعاً ثم تقدم الى الموضع المعروف بالركن فانتقض عليه رؤساء جيشه وتسللوا عنه الى موسى طوائف وافراداً ولما رأى ما نزل به رجع الى تازا بعد ان انتهب معسكره واضرمت النار في خيامه وذلك يوم الاحد ٣٠ ربيع الاول سنة ٧٨٦ هـ ثم بعث موسى بن ابي عنان من اتاه بالسلطان ابي العباس في الامان فقدم عليه وقيده و بعثه الى ابن الاحمر فبقى عنده محتاطاً عليه . واستولى السلطان موسى على المغرب واستبد عليه وزيره مسعود بن ماسي وطالب ابن الاحمر بالنزول عن سبتة فامتنع ونشأت بينهما فتنة . ودس ابن ماسي لاهل بيته بالثورة على حامية السلطان ابن الاحمر عندهم فثاروا عليهم وامتنعوا بالقصبة حتى جاءهم المدد في اساطيل ابن الاحمر فسكن اهل بيته واطمانت الحال . ونزع الى السلطان الغني بالله ابن الاحمر جماعة من اهل الدولة وسألوه ان يبعث لهم ملكاً من الاعياص الذين عنده فبعث اليهم الواثق محمد بن الامير ابي الفضل ابن السلطان ابي الحسن وشيعه في الاسطول الى سبتة وخرج الى غمارة فبلغ الخبر الى مسعود ابن ماسي فخرج اليه في العسكر وحاصره بتلك الجبال ثم جاءه الخبر بموت سلطانه موسى بن ابي عنان بفاس فارتحل راجعاً ولما وصل الى دار الملك نصب على الكرسي صبياً من ولد السلطان ابي العباس كان تركه بفاس . وجاء السلطان ابو عنان ابن الامير ابي الفضل ونزل بجبل زرهون قبالة فاس وخرج ابن ماسي في العساكر فنزل قبالته وكان متولي امره احمد بن يعقوب الصبيحي وقد غص به اصحابه فذبوا عليه وقتلوه امام خيمة السلطان وامتعض السلطان لذلك ووقعت المراسلة بينه و بين ابن ماسي على ان يبايع له بشرط الاستبداد عليه واتفقا على ذلك ولحق السلطان بابن ماسي ورجع به الى دار الملك فبايع له واخذله البيعة من الناس وكانت معه حصة من جند السلطان ابن الاحمر مع مولى من مواليهم فحبسهم جميعاً وامتعض لذلك السلطان ابن الاحمر فاركب ابا العباس احمد المعتقل عنده البحر وجاء معه بنفسه الى سبتة فدخلها وعساكر ابن ماسي عليها يحاصرونها فبايعوا جميعاً للسلطان ابي العباس ورجع ابن الاحمر الى غرناطة وسار السلطان ابو العباس الى

فاس واعترضه ابن ماسي في العساكر فحاصره بالصفيحة من جبل غمارة وتحدث اهل عسكره في اللحاق بالسلطان ابي العباس فنزعوا اليه وهرب ابن ماسي وحاصره السلطان شهرا حتى نزلوا على حكمه فقطع ابن ماسي بعد ان قتله ومثل به وقتل سلطانه واستلم سائر بني ماسي بالتنكيل والقتل والعذاب واستولى على المغرب وافرج السلطان ابن الاحمر عن سبتة واعادها اليه واتصلت الولاة بينهما . واستمر السلطان ابن الاحمر عزيز الجانب عظيم الهيبة قوي السلطان الى ان توفي سنة ٧٩٣ هـ وهو اعظم ملوك هذه الدولة الاحمرية بلا مراء ولم يسود صحيفة تاريخه البيضاء الاساءته الوشاية في وزيره لسان الدين بن الخطيب ونكبته اياه

٥٦٣ ــ ابو الحجاج يوسف بن محمد الغني بالله

من سنة ٧٩٣ — ٧٩٤ هـ او من سنة ١٣٩١ — ١٣٩٢م

ولما توفي الغني بالله محمد بن ابي الحجاج تولى بعده ابنه ابو الحجاج وبايعه الناس وقام بامره خالد مولى ابيه وتقبض على اخوته سعد ومحمد ونصر فكان آخر العهد بهم ولم يوقف لهم بعد على خبر • ثم سعي عنده في خالد القائم بدولته وانه اعد السم لقتله وان يحيى بن الصائغ الطبيب اليهودى طبيب دارهم قد داخله في ذلك ففتك بخالد وحبس الطبيب المذكور فذبح في محبسه ثم توفي ابو الحجاج بن الغني بالله سنة ٧٩٤ هـ لسنتين او نحوهما من ولايته

٥٦٤ ــ بقية اخبار الدولة الاحمرية

من سنة ٧٩٤ — ٨٩٧ هـ او من سنة ١٣٩٢ — ١٤٩٢ م

لما توفي ابو الحجاج بن الغني بالله تولى بعده ابنه، محمد بن يوسف وقام بامره القائد ابو عبد الله محمد الخصاصي من صنائع ابيه • ولم يزل الملك له حتى توفي وتولى بعده غيره من بني الاحمر الى ان كانت دولة السلطان ابي الحسن علي بن السلطان سعد ابن الامير علي بن السلطان يوسف بن الغني بالله فنازعه اخوه ابو عبد الله محمد بن

سعد المدعو بالزغل وبويع بمالقة وبقي بها مدة وعظم الخطب واشتدت الفتن وشرق المسلمون بداء الخلاف الواقع بين هذين الاخوين وتكالب العدو عليهم ووجد السبيل الى تفريق كلمهم والتمكن من فسخ عقدهم وذمتهم وذلك اعوام الثمانين وثمانماية ثم انقاد ابو عبد الله لاخيه ابي الحسن فسكنت احوال الاندلس بعض الشيء . وكان السلطان ابو الحسن متزوجاً (غير زوجته الشرعية السيدة زريدة وهي ابنة عمه) حظية رومية وكان له منها اولاد وكان شغفاً بهذه الرومية جداً حتى قدم احداولادها لولاية العهد من بعده وجار على زوجته وابنة عمه السيدة زريدة جوراً عنيفاًفهربت من القصر هي واولادها . فلما رأى الشعب حالها وما افترى به زوجها عليها اغتاظوا جداً وبادروا حالاً الى خلع ابي الحسن عن كرسي الملك وأقاموا مكانه ابنه اباعبدالله من زوجته زريدة المذكورة وهرب ابو الحسن الى ملقا فقبلوه هناك بترحاب واحتفال وبايعوه على الموت وهكذا انقسمت المملكة على ذاتها وحصلت بينهما حروب وفتن كثيرة يطول شرحها . ولما استتب الامر للسلطان ابي اعبدالله بن ابي الحسن بغرناطة جهز عسكرًا وخرج غازياً في بلاد الاسبانيين وحصلت بين الفريقين مواقع كثيرة أسر في آخرها السلطان ابو عبدالله فاعتقله الاسبانيون عندهم . ولما أسر السلطان ابو عبدالله اجتمع كبراء غرناطة واعيان الاندلس وذهبوا للقاء السلطان ابي الحسن واحضروه الى غرناطة وبايعوه ولانه كان قد ذهب بصره خلع نفسه وقدم اخاه ابا عبد الله بن سعد المعروف بالزغل للامر فاستبد بالملك . وكان ابو عبد الله الزغل هذا شجاعاً حارب الاسبانيين وانتصر عليهم فلما تحققوا شجاعته وقوته اتبعوا طريقة سلفهم في اعمال الحيلة لاثارة الفتن بين المسلمين حتى يضعفوا عن مقاومتهم فاخرجوا السلطان ابا عبدالله المأسور عندهم وامدوه بالعساكر لطلب الملك لنفسه وطالت الفتنة بين العم وابن الاخ حتى استولى ابن الاخ على غرناطة بعد خروج العم عنها الى الجهاد ففت ذلك في عضده وعطف الى وادي آش وتحصن بها

وفي ذلك الوقت الذي ضعف فيه امر المسلمين بالاندلس بتوالي الفتن كانت مملكة اسبانيا في تقدم . ومما زاد اسبانيا سطوة انضمام اقسامها الى مملكتين قويتين

وهما مملكة كستيلة (قشتالة) ومملكة اراغون اللتان انحصرتا فيما بعد في عائلة واحدة بتزوج فرديناند ملك اراغون بايزابلة ملكة كستيلة سنة ١٤٦٩ م . فلما اقترن هذان الشخصان اتفقا على ضم الممالك الاسبانيولية الى واحدة وطرد المسلمين من غرناطة . فانتهزوا حصول هذه الفتن بين المسلمين واقاموا عليهم حرباً عواناً . ونجح الاسبانيون في هذه الحرب اذ كانوا تحت قيادة بطلين عظيمين اي فرديناند وايزابلة . فان فرديناند كان في مقدمة الجيش يقودهم بحسن تدبيره وجودة رأيه ويشجعهم على الثبات والهجوم . اما ايزابلة فتولجت مصاريف الحرب وخدمة العسكر وتدبير المرضى والمجروحين كالام الحنون فكانت تجول في الحرب من مكان الى آخر وعندما كانت قلوب العساكر تسقط وتهبط كانت تشجعهم وتطيب قلوبهم بالفاظها العذبة فتقلع منها الخوف والرعب وتمكن فيها الفراسة والحماسة فيهجمون على اعدائهم هجمة الاسود الكواسر فينتصرون ويظفرون فكانت بالحقيقة هي روح تلك الحرب وعلة قوتها . وبعد عدة وقائع انهزم المسلمون ودارت الدائرة على جموعهم فاستولى الاسبانيون على مملكة غرناطة وطردوا جميع المسلمين من تلك الاطراف بعد حروب تذكر وكان ذلك سنة ٨٩٧ هـ او سنة ١٤٩٢م وهي ذات السنة التي اكتشف فيها كولمبوس الشهير قارة اميركا باسعاف وامداد الملكة ايزابلة هذه . وقد حصر بعض المؤرخين عدد الوقائع التي جرت بين الاسبانيين والمسلمين منذ دخولهم الى وقت خروجهم فبلغت ٣٧٠٠

ولما استولى الاسبانيون على غرناطة اجاز السلطان ابو عبد الله بن ابي الحسن الذي اخذت غرناطة من يده الى المغرب ونزل بفاس على السلطان محمد الشيخ لوطاسي وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس وأقام هناك الى ان توفي سنة ٩٤٠هـ (قال ابو عبد الله المقري في نفح الطيب) وعهدي بذريته بفاس الى الآن (سنة ١٠٣٧ هـ) يأخذون من اوقاف الفقراء والمساكين ويعدون من جملة الشحاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم . والملك لله يؤتيه من يشاء وهو العزيز الحكيم

٥٦٥ — الدولة الزيانية بتلمسان

(تمهيد) ذكرنا في فصل (٥٢٢) ان فيلسوف المؤرخين ابن خلدون قسم جيل زناتة الى طبقتين الطبقة الاولى التي كان منها مغراوة ملوك فاس وقد تقدم الكلام عنهم والطبقة الثانية كان منها بنو مرين ملوك فاس وبنو عبد الواد ملوك تلمسان . وقد ذكرنا تاريخ الدولة المرينية بفاس وبقي علينا ان نذكر اخبار بني عبد الواد بتلمسان فنقول وعلى الله الاتكال

كانت تلمسان في ذلك الوقت قاعدة المغرب الاوسط (الجزائر) ولما ظهرت دولة الموحدين وقتل الخليفة عبد المومن بن علي تاشفين بن علي المرابطي بوهران (راجع فصل ٤٢٣) خربها وخرب تلمسان بعد ان قتل الموحدون عامة اهلها وذلك اعوام ٥٤٠ ﻫ ثم راجع رأيه فيها وندب الناس الى عمرانها وجمع الايدي على رمّ ما تثلم من اسوارها وعقد عليها لسليمان بن وانودين من مشائخ هنتانة واخاير الموحدين وسبب هذا الحيء من بني عبد الواد بما بلى من طاعتهم وانحياشهم . ولم يزل آل عبد المؤمن من بعد ذلك يستعملون عليها من قرابتهم واهل بيتهم ويرجعون اليه امر المغرب كله اهتماماً بامره واستعظاماً لعمله وكان هذا الحيء من زناتة بنو عبد الواد قد غلبوا على ضواحي تلمسان والمغرب الاوسط وملكوها وتقلبوا في بسائطها واجتازوا باقطاع الدولة الكثير من ارضها والطيب من بلادها والوافر للجباية . واقام بنو عبد الواد بضواحي المغرب الاوسط حتى فشل ريح الموحدين وانتزى يحيى بن غانية على جهات قابس وطرابلس وردد الغزو والغارات على بسائط افريقية والمغرب الاوسط فاكتسحها وعاث فيها وكبس الامصار فاقتحمها بالغارة وافساد السابلة وانتساف الزرع وحطم النعم الى ان خربت وعفا رسمها اعوام سنة ٦٣ ﻫ وكانت تلمسان نزلاً للعامية ومناخاً للسيد من القرابة الذي يضم نشرها ويذب عن نحائها . وكان المأمون قد استعمل اخاه السيد ابا سعيد على تلمسان وكان مغفلاً ضعيف التدبير وغلب عليه الحسن بن حيون من مشيخة قومه وكان

عاملاً على الوطن وكانت في نفسه ضغائن من بني عبد الواد فأغرى السيد ابا سعيد بجماعة مشيخة منهم وفدوا عليه فتقبض عليهم واعتقلهم . وكان في حامية تلمسان جماعة من بقايا لمتونة تجافت الدولة عنهم وأثبتهم عبد المؤمن في الديوان وجعلهم مع الحامية وكان زعيمهم لذلك العهد ابراهيم بن اسمعيل بن علان فشفع عندهم في المشيخة المعتقلين من بني عبد الواد فردوه فغضب وارغى وازبد واجمع الإنتقاض والقيام بدعوة ابن غانية مجدد ملك المرابطين من قومه بقاصية المشرق واغتال الحسن بن حيون لحينه وتقبض على السيد ابي سعيد واطلق المشيخة من بني عبد الواد ونقض طاعة المأمون وذلك سنة ٦٢٤ هـ وطير الخبر الى ابن غانية فاجد اليه السير . ثم بدا له في امر بني عبد الواد وانه لا يستتب له أمر الا بالتغلب عليهم فحدث نفسه بالفتك بمشيختهم ومكر بهم في دعوة واعدهم لها وفطن لتدبيره ذلك جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد فواعده اللقاء وضمر له الغدر فلما كان اليوم الموعود خرج ابراهيم بن اسماعيل بن علان الى لقائه ففتك به جابر ودخل تلمسان وكشف لاهلها القناع عن مكر ابن علان فحمدوا رأيه وشكروه على صنيعه وملكوه وبعثوا الى المأمون خليفة الموحدين بالمغرب الاقصى ان يوليه عليهم فاجابهم الى ذلك وبعث المأمون لجابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد المذكور بالخلع والعهد وعقد له على تلمسان وسائر المغرب الاقصى ثم انتقض عليه اهل اربونة بعد ذلك فنازلهم وهلك في حصارها سنة ٦٢٩هـ وقام بالامر بعده ابنه الحسن وجدد له المأمون عهده بالولاية ثم ضعف عن الامر وتخلى عنه لستة اشهر من ولايته وتولى بعده عمه عثمان بن يوسف وكان سيء السيرة كثير العسف والجور فثارت به الرعايا بتلمسان فاخرجوه سنة ٦٣١ هـ وارتضوا مكانه ابن عمه زكراز ابن زيان بن ثابت الملقب بابي عزة فاستدعوه وولوه على أنفسهم وكان عاقلاً شجاعاً فخضعت لهيبته البلاد وأطاعته العباد فلما استتب أمره حسده بنو مطهر من زناتة وثاروا عليه وكانت بينه وبينهم حرب سجال هلك في بعض ايامها سنة ٦٣٣ هـ وقام بالامر بعده أخوه يغمراسن ابن زيان وكتب له خليفة الموحدين الرشيد بن المأمون

بالعهد على عمله فكان له ذلك سلماً الى الملك الذي اورثه بنيه من بعده مدة طويلة كما ستراه أن شاء الله تعالى

٥٦٦ — يغمراسن بن زيان

من سنة ٦٣٣ — ٦٨١ هـ او من سنة ١٢٣٥ — ١٢٨٣ م

هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله ابن على بن القاسم بن عبد الواد تولى على تلمسان بعد وفاة اخيه زكراز بن زيان ولم يكن متوليًا عليها على سبيل الاستبداد بل كان عاملاً للموحدين اصحاب المغرب الاقصى عليها فقط . وكان يغمراسن هذا عالي الهمة صادق العزيمة حسن السيرة فقام باعباء هذا الامر احسن قيام ولما ضعف امر الموحدين بالمغرب استبد يغمراسن بتلمسان ورتب بها الجند والوزراء والكتاب ولبس شارة الملك ومحا اثار الدولة المؤمنية وعطل من الامر والنهي دستها ولم يترك من رسوم دولتهم والقاب ملكهم الا الدعاء لهم على منابره للخليفة بمراكش . ولما رأت قبائل زناتة استبداد يغمراسن بالملك وظهوره بالترف والعز حسدوه فنابذوه العهد وشقوا الطاعة وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة فشمر لحربهم ونازلهم في ديارهم واحجرهم في امصارهم وكانت له عليهم ايام مشهورة ووقائع معروفة وكان متولي كبر هـذه الثورة عبد القوي بن عباس شيخ بني توجين والعباس بن منديل واخوته امراء مغراوة

وكان ابو زكريا بن ابى حفص قد استقل بتونس منذ سنة ٦٢٥ هـ كما ذكرناه وطمع في الاستيلاء على المغرب فراسل يغمراسن ليقربه اليه ليستعين به وقت الحاجة فعقدت بينهما شروط بذلك وكان يغمراسن منذ استبد بتلمسان قد اقام الدعوة الحفصية بعمله وتحيز اليهم سلماً لوليهم وحرباً على عدوهم . فلما ثار على يغمراسن من ذكرنا من قبائل زناتة ونازلهم في ديارهم واثخن فيهم لحق عبد القوي بن عباس والعباس بن منديل بتونس مستصرخين ابا زكريا الحفصي على يغمراسن وسهلوا له

امره وسولوا له الاستيلاء على تلمسان فاجابهم الى ذلك وجهز عساكره وسار الى تلمسان سنة ٦٣٩ هـ في عساكر ضخمة وجيوش وافرة فدافع يغمراسن عن تلمسان بقدر ما في امكانه واذ راى ان لا مقدرة له على دفعهم هرب من تلمسان ولحق بالصحراء واستولى الحفصيون على تلمسان ولم يجد ابو زكريا الحفصي من يوليه على تلمسان لان الجميع قد خاموا ذلك لعلمهم بشدة وشجاعة يغمراسن وان الذي يتولاها لا يأمن على نفسه منه . وفي الاثناء راسل يغمراسن السلطان ابا زكريا الحفصي في الصلح والنزول على طاعته والقيام بدعوته بتلمسان فاجابه الحفصي الى ما اراد وعقد له عليها وعاد الى تونس قرير العين عظيم الجانب

وكان الخليفة بمراكش من بني عبد المؤمن في ذلك الوقت السعيد علي بن المأمون وكان شهماً حاذقاً يقظاً فلما رأى ما آلت اليه حال الدولة من الضعف واستيلاء اصحاب الاطراف كل على ما في يده فالحفصي بتونس ويغمراسن بن زيان بتلمسان وابن هود بالاندلس شمر عن ساعده وجهز العساكر لاعادة هذه الولايات التي انسلخت من الدولة اليها وخرج سنة ٦٤٥ هـ قاصداً تلمسان اولاً ولما علم يغمراسن بقدومه هرب منها الى قلعة تامزردكت قبلة وجدة واعتصم بها فسار اليه السعيد بعساكره وحاصره وضيق عليه وارسل اليه يغمراسن في النزول بالطاعة فلم يقبل الى ان انفرد السعيد ذات يوم عن معسكره وعلم به بعض بني عبد الواد فانقض عليه وقتله وانتهب بنو عبد الواد معسكره ومخلفه وذلك في صفر سنة ٦٤٦ هـ ورجع يغمراسن و بنو عبد الواد الى تلمسان واستقروا بها

وقوي امر يغمراسن بتلمسان حتى طمع في مزاحمة بني مرين الذين استولوا على المغرب بعد انقراض دولة الموحدين فسير العساكر الى اطرافه واستولى على سجلماسة من بلاده وذلك سنة ٦٦٢ هـ و بعد ان عقد عليها لابنه يحيي رجع الى تلمسان ظافراً فاستمر يحيي عاملاً بها . وكان يعقوب بن عبد الحق المريني في ذلك الوقت مشغولاً بحصار حضرة خلافتهم فلما استولى عليها واطاعته عامة بلاد المغرب وجه عزمه الى انتزاع سجلماسة من طاعة يغمراسن فزحف اليها في عساكره

ونصب عليها آلات الحصار الى ان سقط جانب من سورها فاقتحموها منه عنوة في صفر سنة ٦٧٣ هـ وقتلوا عساكر بني عبد الواد حاميتها واستولوا عليها . ثم سمت همة يعقوب بن عبد الحق الى تملك تلمسان وانتزاعها من يد بني عبد الواد فسار على التعبية وحاصرها شديدًا فدافع عنها يغمراسن دفاعًا محمودًا فلما رأي يعقوب امتناعها عليه افرج عنها ورجع الى المغرب . واستمر يغمراسن بتلمسان ملكًا على تلمسان يدافع الثائرين عليه من بني توجين ومغراوة فكانت بينهم حروب وايام مشهورة حتى الجأهم يغمراسن اخيرًا الى الخلود والسكينة بعد ان اثخن فيهم ومثل بهم وجعلهم عبرة المعتبرين

ولم يزل يغمراسن وبنوه من بعده آخذين بالدعوة الحفصية واحدًا بعد واحد مجددين البيعة لكل من يتجدد قيامه بالخلافة بتونس منهم يوفدون بها كبار ابنائهم واولي الرأي من قومهم وكان ذلك شأنهم مدة ولما توفي الامير ابو زكريا الحفصي وقام ابنه محمد المستنصر بالامر من بعده وخرج عليه اخوه الامير ابو اسحق ثم غلبه المستنصر ولحق ابو اسحق بتلمسان في اهله فاكرم يغمراسن نزلهم ثم اجاز ابو اسحق الى الاندلس للجهاد وبقي هناك حتى اذا توفي المستنصر سنة ٦٧٧ هـ واتصل به خبر وفاته رأى انه احق بالامر فاجاز البحر من حينه ونزل بمرسى هنى سنة ٦٧٧ هـ ولقاه يغمراسن مبرة وتوقيرًا واحتفل لقدومه واركب الناس لتلقيه واتاه ببيعته على عادته مع سلفه ووعده النصرة على عدوه والموازرة على امره واصهر اليه يغمراسن في احدى بناته بابنه عثمان ولي عهده واسعفه واجمل في ذلك وعده وانتقض محمد بن ابي هلال عامل بجاية على الواثق وخلع طاعته ودعا للامير ابي اسحق واستحثه للقدوم فغذا اليه السير من تلمسان وكان من شأنه ماقدمناه في اخبار الدولة الحفصية فراجعه هناك

فلما استقر ابو اسحق على كرسي الخلافة الحفصية في تونس اوفد اليه يغمراسن ابنه ابراهيم المعروف ببرهوم ويكنى ابا عامر في رجال من قومه لاحكام الصهر بينهما فاكرم وفادته وفي هذه الاثناء كانت فتنة ابن أبي عمارة فاتحد أبو عامر برهوم بن يغمراسن مع ابي اسحق في مطاردته وظهر من شجاعته في هذه الحرب

ماخلد له ذكرًا جميلاً واخيرًا انماب بظاميلته محبوًا محبورًا وكان السلطان يغمراسن قد خرج من تلمسان سنة ٦٨١ ﻫ واستعمل عليها ابنه عثمان وتوغل في بلاد مغراوة وملك ضواحيهم ونزل له ثابت بن منديل عن مدينة تنس فتناولها من بعده ثم بلغه الخبر باقبال ابنه ابي عامر برهوم من تونس بابنة السلطان ابي اسحق عرس ابنه عثمان فتلوم هنالك الى ان لحقه بظاهر مليانة فارتحل الى تلمسان فمرض في طريقه وعند ماحل سريره اشتد به وجعه فتوفي هنالك اخر ذي القعده سنة ٦٨١ ﻫ فنقله ابنه ابو عامر الى تلمسان. وكان يغمراسن عاقلاً حسن السياسة شجاعاً عالماً بامور المملكة

٥٦٧ عثمان بن يغمراسن

من سنة ٦٨١ – ٧٠٣ ﻫ او من سنة ١٢٨٣ – ١٣٠٣ م

لما توفي يغمراسن بن زيان بايع بنو عبد الواد من بعده ابنه عثمان بن يغمراسن ثم كتب الى الخليفة ابي اسحق بتونس بوفاة ابيه وبعث اليه ببيعته فراجعه بالقبول وعقد له على عمله . ثم خاطب يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين يخطب منه السلم لما كان ابوه يغمراسن اوصاه به واوفد اخاه محمد بن يغمراسن اليه بمكانه من العدوة الاندلسية في اجازته الرابعة اليها فخاض اليه البحر ووصله باركش فلقاه السلطان يعقوب بالاحتفاء والتكريم وعقد له على السلم ما أحب وانكفأ راجعاً الى اخيه فطابت نفسه وفرغ لافتتاح البلاد الشرقية كما نذكره

لما عقد عثمان بن يغمراسن السلم مع يعقوب بن عبد الحق صرف وجهه الى البلاد الشرقية من بلاد توجين ومغراوة وماوراءها من اعمال الموحدين فنازلهم في امصارهم واثخن فيهم واستولى على جميع مدنهم وضمها الى مملكته فانتظم له بلاد المغرب الاوسط كلها وبلاد زناتة ورجع الى تلمسان ظافرًا منصورًا ثم كان ما نذكره

قد ذكرنا خبر ظهور الدعي ابن ابي عمارة بتونس وثورته على الدولة الحفصية (راجع ذلك في تاريخ الدولة الحفصية) فلما كانت سنة ٦٨٢ ﻫ كانت وقعة بين الدعي المذكور وبين الحفصيين بمرماجنة انتصر فيها الدعي ونحن في الحفصيين

حتى لم يبق ولم يذر ونجا من هذه الوقعة من آل حفص الامير ابو زكريا بن ابي اسحق فلحق بتلمسان ونزل على السلطان عثمان بن يغمراسن خير نزل براً واحتفاء وتكريماً . ثم هلك الدعي ابن ابي عمارة واستقل عمه الامير ابو حفص بالخلافة و بعث اليه عثمان بن يغمراسن بطاعته على العادة . ودس الكثير من اهل بجاية الى الامير ابي زكريا (النازل بتلمسان) يستحثونه للقدوم و يعدونه اسلام البلد اليه وفاوض عثمان بن يغمراسن فأبى عليه وفاء بحق البيعة لعمه الخليفة بحضرة تونس فلم يفاتحه في ذلك ثانية وتردد في النقض مدة ثم لحق باحياء زغبة في محلاتهم بالقفر ونزل على داود بن هلال بن عطاف . فارسل اليه عثمان بن يغمراسن يطلب تسليمه له فأبى ابن عطاف عليه ذلك . وارتحل ابو زكريا بن ابي اسحق ومعه داود بن هلال بن عطاف الى بجاية واستولوا عليها في خبر طويل ذكرناه في تاريخ الدولة الحفصية فاراد عثمان بن يغمراسن ان يظهر حسن ولائه لخليفة تونس فسار في عساكره الى بجاية وحاصرها سبعاً ثم افرج عنها منقلباً الى المغرب الاوسط ثم اشتغل بفتنة بني مرين كما نذكره

قد تقدم معنا ان عثمان بن يغمراسن عقد مع يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين صلحاً على مداومة السلم بينهما فلما توفي يعقوب بن عبدالحق وتولى بعده ابنه يوسف بن يعقوب نقض ما كان ابوه قد عقده وطمع في الاستيلاء على تلمسان وانتزاعها من يد بني عبد الواد فقدم اليها سنة ٦٨٩ ﻫ ونازلها فامتنعت عليه فافرج عنها وانكفا راجعاً الى المغرب فلما افرج بنو مرين عن تلمسان نهض عثمان بن يغمراسن الى بلادهم فدوخها . ثم عاد يوسف بن يعقوب الى منازلة تلمسان ثانية سنة ٦٩٥ ﻫ وثالثة سنة ٦٩٦ ﻫ ورابعة سنة ٦٩٧ ﻫ فقاتل تلمسان وأحاط بها معسكره وشرعوا في البناء ثم افرج عنها لثلاثة اشهر ثم عاد اليها سنة ٦٩٨ ﻫ واناخت عساكره بها في شعبان من السنة واحاط المعسكر بها من جميع جهاتها وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجاً من الاسوار وفتح فيه ابواباً مداخل لحربها واختط لنزله الى جانب الاسوار

مدينة سماها المنصورة واقام على ذلك سنين يغاديها القتال و يراوحها وسرح عسكره لافتتاح المغرب الاوسط وثغوره فملك بلاد مغراوة وبلاد توجين وجثم هو بمكانه من حصار تلمسان لا يمدوها كالاسد الضاري على فريسته . وانحصر بها عثمان بن يغمراسن وقومه واستسلموا والحصار آخذ بمخنقهم وتوفي عثمان لخامسة السنين من حصارهم سنة ٧٠٣ هـ

٥٦٨ — ابو زيان محمد بن عثمان

من سنة ٧٠٣ — ٧٠٧ هـ أو من سنة ١٣٠٣ — ١٣٠٨ م

لما توفي عثمان بن يغمراسن ويوسف بن يعقوب لا يزال محاصرًا تلمسان اجتمع بنو عبد الواد وبايعوا لابنه ابي زيان محمد بن عثمان وبرزوا الى قتال عدوهم على العادة فكان عثمان لم يمت وبلغ الخبر الى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فتفجع لعثمان وعجب من صرامة قومه من بعده واستمر حصاره اياهم الى ثمانية سنين وثلاثة اشهر من يوم نزوله نالهم فيها من الجهد ما لم ينل امة من الامم واضطروا الى اكل الجيف والقطط والفيران حتى قيل انهم اكلوا فيها اشلاء الموتى من الناس واستهلك الناس اموالهم وموجودهم وضاقت احوالهم وهلك الجند حامية بني يغمراسن وقبيلتهم واشرفوا على الهلاك فاعتزموا على الالقاء باليد والخروج بهم للاستماتة فكيف الله لهم الصنيع الغريب ونفس عن مخنقهم بهلاك السلطان يوسف بن يعقوب على يد خصي من العبيد . فلما هلك يوسف ابن يعقوب تطاول للامر الاعياص من اخوته وولده وحفدته وتحيز ابو ثابت حافده الى بني ورتاجن لخولة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوصبوا عليه و بعث الى ابي زيان بن عثمان ان يساعده على امره ويكون مفزعًا له ومأمنًا ان اخفق مسعاه على انه ان تم امره قوض عنهم عسكر بني مرين فعاقده ابو زيان على ذلك ووفى

له لما تم امره ونزل له عن جميع الاعمال التي كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم وجاء بجميع الكتائب التي انزلها في ثغوره وعاد بهم الى المغرب وخرج ابو زيان محمد من تلمسان بعد ان افرج بنو مرين عنها وساح في المغرب الاوسط مستفسرًا عن احواله وبعد ان ثقف اطرافه ومحا منه أثر العصاة رجع الى تلمسان واستمر ملكاً بها الى ان توفي سنة ٧٠٧ ﻫ في اخريات شهر شوال منها

٥٦٩ — ابو حمو بن عثمان

من سنة ٧٠٧ — ٧١٧ ﻫ أو من سنة ١٣٠٨ — ١٣١٧ م

لما توفي ابو زيان محمد تولى بعده اخوه ابو حمو وكان صارماً يقظاً داهية قوي الشكيمة صعب العريكة شرس الاخلاق مفرط الدهاء والحدة وافتتح شانه بعقد السلم مع السلطان ابي ثابت المريني ثم صرف وجهه الى بنى توجين ومغراوة فردد اليهم العساكر حتى دوخ بلادهم وذلل صعابهم واستولى على مدينة الجزائر من ابن علان المتغلب عليها سنة ٧١٢ ﻫ ثم عاد الى تلمسان ظافرًا غانماً ثم كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

كان سلطان المغرب في هذا الوقت ابا سعيد عثمان بن يعقوب المريني فاستراب منه اخوه يعيش بن يعقوب لما سعى فيه عنده فنزع عنه الى تلمسان واجاره السلطان ابو حمو على اخيه فاغتاظ أبو سعيد لذلك ونهض الى تلمسان سنة ٧١٤ ﻫ واكتسح بسائطها ونازل وجدة فقاتلها وضيق عليها ثم تخطاها الى تلمسان وضايق ابا حمو فيها . فاعمل ابو حمو الحيلة حتى افسد بين السلطان ابي سعيد وبين وزرائه حتى استراب بعضهم ببعض واستراب السلطان بالخاصة والاولياء وعاد الى المغرب بخفي حنين

ولما رجع ابو سعيد الى المغرب وشغل عن تلمسان سمت همة ابي حمو الى

الاستيلاء على بعض اعمال افريقية فجمع عساكره وعقد لمسعود ابن عمه ابى عامر برهوم على عسكر وأمره بحصار بجاية وعقد لمحمد ابن عمه يوسف قائد مليانة على عسكر آخر وسرحهم الى بجاية وما وراءها لتدويخ البلاد وعقد لموسى بن علي الكردي على عسكر ضخم وسرحه مع العرب من الزواودة وزغبة على طريق الصحراء فانطلقوا الى وجههم ذلك وفعلوا الافاعيل كل فيما يليه وتوغلوا في البلاد الشرقية حتى انتهوا الى بلاد بونة ثم انقلبوا من هنالك ومروا في طريقهم بقسنطينة ونازلوها اياماً واكتسحوا سائر مامروا عليه ثم حدثت بينهم الفتن والمنافسة فافترقوا ولحقوا بالسلطان الا مسعود بن برهوم فانه استمر محاصراً بجاية ولم يزل يغاديها ويراوحها القتال حتى بلغه خبر خروج محمد بن يوسف فاجفل عنها كما نذكره الان

كان محمد بن يوسف ابن عم السلطان ابى حمو قائداً على جيش من هذه الجيوش التي ارسلها السلطان ابو حمو للاستيلاء على البلاد فلما حدثت الفتنة بين قواد هذه الجيوش لحق موسى بن علي الكردي بالسلطان ابى حمو وسعى في محمد بن يوسف عنده فعزل السلطان ابن عمه محمد بن يوسف عن عمله من مليانة وقبض عليه واعتقله ثم تحايل محمد بن يوسف حتى هرب من محبسه ولحق بالمرية ونزل على يوسف بن حسن بن عزيز عاملها للسلطان ابي حمو وداخله في الانتقاض على السلطان ووعده ومناه حتى اطاعه واخذ له البيعة على قومه ومن اليهم من العرب وزحفوا الى السلطان وعلم السلطان بقدومهم فخرج لقتالهم فالتقوا واقتتلوا فانهزم السلطان ولحق بتلمسان وغلب محمد بن يوسف على بني توجين ومغراوة ونزل مليانة . وخرج السلطان من تلمسان لايام من انهزامه وقد جمع الجموع وازاح العلل واوعز الى مسعود بن برهوم بمكانه من حصار بجاية بالوصول اليه بالعساكر فافرج مسعود عن بجاية وقدم كامر سلطانه . وخرج محمد بن يوسف من مليانة لاعتراضه بعد ان استخلف على مليانة يوسف بن حسن بن عزيز فلقيه ببلاد مليكش وانهزم محمد بن يوسف ولجأ الى جبل مرصالة وحاصره مسعود بن برهوم اياماً ثم افرج عنه ولحق بالسلطان

فنازلوا جميعاً مليانة وافتتحها السلطان عنوةً وجيء بيوسف بن حسن بن عزيز اسيراً من مكمنه ببعض المسارب فعفا عنه السلطان واطلقه ثم زحف الى المرية وملكها واخذ الرهن من اهل تلك النواحي ورجع الى تلمسان . وبقي محمد بن يوسف طريداً بجبل مرصالة . ووجد السلطان ابو حمو ابن عمه مسعود بن برهوم شجاعاً واهلاً لان يملك بعده فعهد اليه بولاية العهد من بعده فاغتاظ ابنه ابو تاشفين ابن ابي حمو منه لتقديمه ابن عمه عليه وداخله بعض الاوغاد في الفتك بابيه وبمسعود ابن برهوم ابن عمه وترقب ابو تاشفين الفرص في ذلك الى ان كان بعض ايام جمادى الاولى سنة ٧١٧ هـ وقد اجتمع السلطان ابو حمو وابن عمه مسعود بن برهوم والوزراء في دار السلطنة وعلم ابنه ابو تاشفين باجتماعهم فاقتحم عليهم الدار في اوغاده وقتل السلطان وابن عمه والوزراء

٥٧٠ ــ ابو تاشفين بن ابي حمو

من سنة ٧١٧ — ٧٣٧ هـ او من سنة ١٣١٧ — ١٣٣٧ م

ولما فتك ابو تاشفين بابيه تولى الامر بعده وبايعه الناس واتوه طاعتهم وقلد حجابته مولاه هلالاً فاستبد بالحل والعقد . وشاد ابو تاشفين القصور الشاهقة واتخذ الرياض والبساتين واتبعه اهل دولته في ذلك حتى صيروا تلمسان جنة الله في ارضه وفي هذه الاثناء قوي امر محمد بن يوسف الذي ثار على السلطان وتغلب على جبل وانشريس ونواحيه فاهتم ابو تاشفين بأمره وجمع عساكره وسار قاصداً محمد بن يوسف المذكور بمكانه من جبل وانشريس وقد اجتمع بنو توجين ومغراوة مع محمد بن يوسف فاقتحم السلطان عليهم الجبل فانهزم اصحاب محمد بن يوسف ووقع هو اسيراً وجيء به الى السلطان اسيراً فامر بقتله فقتل وحمل راسه الى تلمسان ونصب بها . ثم زحف ابو تاشفين الى الشرق فأغار على احياء رياح وهم بوادي الجنان فاكتسح اموالهم ومضى في وجهه الى بجاية ونزل بساحتها وحاصرها ثلاثاً

وبها يومئذ الحاجب يعقوب بن عمر فامتنعت عليه فافرج عنها ورجع الى تلمسان فدخلها سنة ٧١٩ ھ

ثم ازداد طمع ابي تاشفين في الاستيلاء على بجاية واعمالها فردد اليها البعوث مرارًا الى ان كانت سنة سنة ٧٢٣ ھ فوفد على السلطان ابى تاشفين حمزة بن عمر بن ابي أليل كبير البدو بافريقية صريخاً على صاحب افريقية السلطان ابي بكر فبعث معه العساكر لنظر قائده موسى بن علي الكردى فقصدوا افريقية وخرج السلطان ابو بكر للقائهم فانهزموا بنواحي مرماجنة وتخطفتهم الايدي ورجع موسى ابن علي الى تلمسان مفلولاً فاتهمه السلطان ابو تاشفين بالادهان وفتك به . وفي سنة ٧٢٥ ھ وفد على السلطان شيخ بني سليم حمزة بن عمر بن ابي أليل واستحثه للحركة على افريقيـة فبعث معه العساكر ونصب لهم ابراهيم بن ابي بكر الشهيد من اعياص الحفصيين . وخرج السلطان ابو بكر من تونس للقائهم وخشيهم على قسنطينة فسبقهم اليها فاقام عسكر بني عبد الواد على قسنطينة وتقدم ابراهيم ابن ابي بكر الشهيد في احياء سليم الى تونس فملكها كما ذكرناه في اخبارهم . وامتنعت قسنطينة على عساكر بني عبد الواد فاقلعوا عنها لخمس عشرة ليلة من حصارها وعادوا الى تلمسان . وفي سنة ٧٢٦ ھ سير ابو تاشفين عساكره بقيادة موسى بن علي لتدويخ الضاحية ومحاصرة الثغور فنازل قسنطينة وافسد نواحيها ثم رجع الى بجاية فحاصرها وارتاد موضعاً ينزله عسكره بوادي بجاية وجمع الايدي على بناء هذه المدينة فتمت لاربعين يوماً وسموها تمرزدكت وانزل بها عساكر تناهز ثلاثة الاف واوعز السلطان الى جميع عماله ببلاد المغرب الاوسط بنقل الحبوب اليها حيث كانت والادم حتى الملح واخذ الرهن من سائر القبائل على الطاعة واستوفوا جبايتهم فثقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت اسعارها . واتصل خبرهم بالسلطان ابي بكر الحفصي فارسل عساكره سنة ٧٢٧ ھ فهزمهم بنو عبد الواد وغنموا معسكرهم . وفي سنة ٧٢٩ ھ وفد حمزة بن عمر على السلطان ابي تاشفين صريخا ووفد معه او بعده عبد الحق بن عثمان من اعياص بني مرين فبعث السلطان معهم

عساكره بقيادة يحيي بن موسى ونصب عليهم محمد بن ابي بكر بن عمران من اعياص الحفصيين . وخرج السلطان ابو بكر الحفصي للقائهم والتقى الجمعان بالدياس من نواحي بلاد هوارة و بعد قتال شديد انهزم السلطان ابو بكر الحفصي وانكشفت جموعه واستولى بنو عبد الواد على ظعائنه بما فيها من الحرم وعلى ولديه احمد وعمر فبعثوا بهم الى تلمسان . ولحق السلطان ابو بكر بقسنطينة وقد اصابه بعض الجراحة في حومة الوغى . وسار يحيي بن موسى وابن ابي عمران الى تونس واستولوا عليها . ورجع موسى بن يحيي عنهم بجموع زناتة لار بعين يوماً من دخولها فقفل الى تلمسان وبلغ الخبر الى السلطان ابي بكر برجوع زناتة الى بلادهم فنهض الى تونس واخرج عنها ابن ابي عمران . ثم داخل بعض اهل بجاية السلطان ابا تاشفين ودلوه على عورتها واستقدموه فنهض اليها وحذر بذلك الحاجب ابن سيد الناس فسابقه اليها ودخل يوم نزوله عليها وقتل من اتهم بالمداخلة فانحسم الدأ واقلع ابو تاشفين عنها وولى عيسى بن مزروع من مشيخية بني عبد الواد على الجيش الذي بتمرزدكت وأوعز اليه ببناء حصن اقرب الى بجاية من تمرزدكت فبناه بالياقوتة من أعلى دار قبالة بجاية فأخذ بخنقها واشتد الحصار الى ان اخذ السلطان ابو الحسن المريني بحجزتهم فاجفلوا جميعاً الى تلمسان ونهض السلطان ابو بكر بجيوشه من تونس الى تمرزدكت سنة ٧٣٢ ﻫ فخربها في ساعة من نهار كان لم تغن بالامس حسبما ذكرنا ذلك في اخباره (راجع فصل ٥٠٨) وكان سلطان بني مرين في ذلك الوقت ابا الحسن علي بن عثمان (راجع فصل ٥٣٣) فلما ضايق بنو عبد الواد السلطان ابا بكر الحفصي استنجد به عليهم وخرج ابوالحسن من فاس الى تلمسان معاضداً لابي بكر سنة ٧٣١ ﻫ فنزل بتاسالت منتظراً القدوم السلطان ابي بكر الحفصي . واتصل الخبر بابي تاشفين بقدوم ابي الحسن لقتاله فدس الى اخيه الامير علي عامل سجلماسة في انصال اليد به والاتفاق معه على اخيه ابي الحسن فوافقه على على ذلك وخالف على اخيه السلطان ابي الحسن وانتقض بسجلماسة ودعا لنفسه ثم تقدم الى درعة وقتل عاملها وولى عليها عاملاً

من قبله ثم سرح العساكر الى مراكش واجلب عليها بخيله ورجله . واتصل الخبر بالسلطان ابي الحسن بمكانه من تاسالات فانكفأ راجعاً الى حضرته مجمعاً على الانتقام من اخيه فاغذ السير الى سجلماسة ونزل عليها واخذ بمخنقها واقام محاصراً لها حولاً كاملاً . وفي الاثناء نهض ابو تاشفين صاحب تلمسان في عساكره يريد الغارة على اطراف المغرب كي يشغل ابا الحسن عن اخيه بذلك فارسل اليه ابو الحسن ابنه تاشفين في عساكر بني مرين فاجلوه عن المغرب الاقصى وردوه على عقبه الى تلمسان . ثم تغلب ابو الحسن على اخيه الامير علي واقتحم عليه سجلماسة وقتله سنة ٧٣٢ هـ . ولما استقام ملك المغرب للسلطان ابي الحسن نهض سنة ٧٣٥ هـ من فاس الى تلمسان لينتقم من ابي تاشفين لمساعدته لاخيه علي على ما تقدم فاغذ السير الى تلمسان وبعد ان فتح جميع المدن التي في طريقه وصل اخيراً الى تلمسان واحياء معالم المنصورة التي كان اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان كما تقدم فادار عليها سياجاً من السور ونطاقاً من الخندق ونصب المجانيق وحاصر تلمسان وشدد عليها القتال . ودافع ابو تاشفين عن تلمسان دفاعاً محموداً . واستمرت منازلة السلطان ابي الحسن اياها الى اخر رمضان من سنة ٧٣٧ هـ فاقتحمها في اليوم السابع والعشرين منه ولجأ السلطان ابو تاشفين الى باب قصره في لمة من اصحابه ودافعوا عن انفسهم مستميتين حتى قتلوا عن اخرهم وقتل السلطان ابو تاشفين في من قتل ولم ينج من آل زيان الا كل طويل العمر وانقرضت الدولة الاولى لبني عبد الواد وصار المغرب الاوسط تابعاً لبني مرين ملوك المغرب الاقصى الى ان كان ما نذكره انشاء الله تعالى

٥٧١　ابو سعيد وابو ثابت ابنا عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن

من سنة ٧٤٩ — ٧٥٣ هـ او من سنة ١٣٤٨ — ١٣٥٢ م

لما استولى ابو الحسن المريني على المغرب الاوسط واثخن في بني عبد الواد

طمع في الاستيلاء على افريقية (تونس) فتقدم اليها واصطحب معه الفل القليل الذين بقوا من بني عبد الواد وكان بينهم ابو سعيد وابو ثابت ابنا عبد الرحمن ابن يغمراسن بن زيان واستولى على تونس كما تقدم ذكر ذلك في تاريخه (راجع فصل ٥٣٣) ثم انتقض عليه عرب سليم واتحد معهم بنو عبد الواد وقاتلوا السلطان ابا الحسن فانهزم ولحق بالقيروان ثم ركب البحر وبعد ان راى من المحن في طريقه مالا يقدر وصل اخيرًا الى المغرب الاقصى فوجده كشعلة نار اتسعت فيه دائرة الفتن بانتماء كل حزب الى شخص من اعياص بنى مرين ليولوه على الامر . وكان الامير ابو عنان ابن السلطان ابي الحسن بتلمسان مقيماً بها دعوة ابيه فبلغه الخبر بنكبة ابيه وبالغ المخبر فزاد على الخبر وفاة السلطان ابي الحسن فخاف الامير ابو عنان ضياع الامر منه بعد ابيه فخرج من تلمسان في عساكر بنى مرين ولحق بالمغرب ودخل فاساً واستولى عليها قبل وصول ابيه من افريقية ثم اتى ابوه بعد ذلك وحصلت بينهما فتنة طويلة تقدم ذكرها . فلما اشتغل بنو مرين بهذه الفتن اجتمع بنوعبد الواد واختاروا من اعياص آل زيان ابا سعيد وابا ثابت ابني عبد الرحمن وبايعوهما معاً واشركوهما في الامر وتقدموا جميعاً من افريقية حيث كانوا مع السلطان ابي الحسن وقصدوا تلمسان ودخلوها بلا معارض لان جيش المرينيين كان قد خرج منها كما تقدم واجلسوا اباسعيدواباثابت على كرسي اجدادهما ولم يكن لابي سعيد من الامر الا الاسم فقط اما العقد والحل والنقض والابرام فكان لابي ثابت . وبعد ان استتب امرهما بتلمسان خرج ابو ثابت في عساكر بني عبد الواد واخرج عساكر بني مرين من جميع المغرب الاوسط واعاد ملك اجداده الى ما كان عليه من السطوة والقوة . الا ان السعد لم يخدم ابا سعيد وابا ثابت طويلاً لان فتنة بني مرين انتهت بتغلب السلطان ابي عنان على المغرب الاقصى فلما استتب امره اجمع رايه على غزو تلمسان واعادتها الى المملكة المرينية كما كانت ايام ابيه السلطان ابى الحسن وبعد ان جمع عساكره نهض سنة ٧٥٣ ھ يريد تلمسان . واتصل خبر خروجه بابي سعيد وابي ثابت فجمعا عساكرهما واستعدا

لمدافعته وخرجا من تلمسان ليصدا ابا عنان عن التقدم فالتقى الجمعان ببسيط انكاد اخر ربيع الثاني من السنة وبعد قتال شديد انهزم بنو عبد الواد ووقع السلطان ابو سعيد بن عبد الرحمن اسيرًا في يد بني مرين فامر سلطانهم ابو عنان بقتله فقتل وفر اخوه ابو ثابت وجمع كثيرين من اشياعهم واتباعهم وحدث نفسه باسترجاع ملكهم فسير اليه ابو الحسن جيشًا فانهزم ابو ثابت وفر حتى وصل الى بجاية من عمل افريقية فقبض عليه اميرها ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا الحفصي وكان مخالصاً للسلطان ابي عنان فاعتقله عنده حتى وفد به على السلطان ابي عنان بالمدية فاخذ السلطان ابو عنان ابا ثابت واعتقله وهكذا انقرضت الدولة الزيانية الثانية

٥٧٢ — ابو حمو موسى بن يوسف

من سنة ٧٥٩ — ٧٩١ هـ او من سنة ١٣٥٨ — ١٣٨٩ م

لما استولى السلطان ابو عنان المريني على تلمسان طمع في الاستيلاء على افريقية وسار في عساكره اليها لهذا القصد وبعد ان دخلت جنوده تونس حصل بينهم فتنة تآمروا فيها على قتل السلطان ابي عنان واتصل بابي عنان خبرمؤامرتهم فخاف على نفسه وانكفأ راجعاً الى المغرب وبعد قليل ظهر منصور بن سليمان المريني ودعا لنفسه وحصلت بينه وبين ابي عنان فتن يطول شرحها وقد تقدم ذكرها ثم ظهر ابو سالم ابراهيم بن ابي الحسن المريني ودعا لنفسه ايضاً واستولى على المغرب الاقصى بعد ان انتصر على ابي عنان ومنصور بن سليمان . فانتهز بنو عبد الواد مدة اشتغال المرينيين بهذه الفتنة وبايعوا لابي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن ابن يغمراسن بن زيان وذهبوا معه الى تلمسان واخرجوا منها عساكر بني مرين واستقر ملك ابي حمو بها . ولما استتب امر ابي سالم بن ابي الحسن المريني بالمغرب الاقصى ومحا اثر الخوارج منه طمع في الاستيلاء على تلمسان كما كان لابيه واخيه من قبل فجهز عساكره ونهض من حضرته سنة ٧٦١ هـ قاصدًا تلمسان . واتصل

خبر نهوضه بالسلطان ابى حمو بن يوسف فجمع اهله وشيعته وخرج من تلمسان الى الصحراء . وتقدم ابو سالم ودخل تلمسان بلا معارض واستولى عليها فخالفه ابو حمو في اصحابه الى المغرب فنزلوا اكرسيف ووطاط و بلاد ملوية وحطوا وازرعها وانسفوا بركتها وخربوا عمرانها . وبلغ السلطان ابا سالم الخبر فاهمه امر المغرب وكان في جملته من بني زيان محمد بن عثمان بن ابي تاشفين ويكنى ابا زيان فعقد له على تلمسان واعطاه الآلة وجمع له جيشاً من مغراوة وبنى توجين ودفع لهم اعطياتهم وانكفأ راجعاً الى مغربه فاجفل ابو حمو واصحابه امامه ثم خالفوه الى تلمسان فطردوا عنها ابا زيان واستولوا عليها وثبت قدم ابي حمو بها . وعاد ابو زيان الى المغرب لاحقاً بالسلطان ابي سالم فقبله . ثم عقد ابو سالم مع ابي حمو صلحاً واستقر كل منهما على عمله . وفي سنة ٧٦٢ هـ توفي ابو سالم بن ابي الحسن المريني وتولى بعده ابو عمر تاشفين الموسوس ثم خلع سنة ٧٦٣ هـ وتولى بعده ابو زيان محمد بن ابي عبد الرحمن فانتهز ابو حمو الفرصة وطمع في الاستيلاء على بعض بلاد المغرب الاقصى فنهض الى المغرب فاتح سنة ٧٦٦ هـ وانتهى الى دبدو واكرسيف وانتهب الزروع وشمل بالتخريب والعيث تلك النواحي وانكفأ راجعاً الى حضرته وقد عظمت في ثغور بني مرين وتخومهم نكايته وثقلت عليهم وطأته فعقدوا معه هدنة فانصرفت عزائم ابي حمو الى بلاد افريقية فكانت حركته الى بجاية من العام المقبل ونكبته عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

كان صاحب بجاية الامير ابو عبد الله محالفاً للسلطان ابى حمو حتى انه اصهر اليه في ابنته وكان الامير ابو عبد الله المذكور شديد الوطأة على اهل بلده مرهف الحد لهم بالعقاب الشديد حتى لقد ضرب اعناق خمسين منهم قبل ان يبلغ سنتين في ملكه فاستحكمت النفرة بينه و بين الرعية وعضل الداء وفزع اهل بجاية الى مداخلة ابن عمه السلطان ابي العباس صاحب قسنطينة باستنقاذهم من ملكة العسف والهلاك فنهض الى بجاية آخر سنة ٧٦٧ هـ و برز الامير ابو عبد الله للقائه و بعد قتال شديد انهزم ابو عبد الله وقتل في الوقعة واستولى ابو العباس على بجاية .

و بلغ الخبر الى السلطان ابي حمو فامتعض لهلاك الامير ابي عبد الله واخذ على نفسه القيام بثاره فجهز عساكره وقصد بجاية وبرز السلطان ابو العباس لقتاله وبعد اخذ ورد اختل مصاف ابي حمو وانهزم عسكره وانتهب اصحاب ابى العباس مخلفه واسروا حرمه ونجا ابو حمو بنفسه بعد شق الانفس الى الجزائر ثم خرج منها ولحق بتلمسان . وفي سنة ٧٦٨ هـ قتل ابو زيان محمد بن ابي عبد الرحمن سلطان بني مرين بالمغرب الاقصى وقام بالامر بعده ابو فارس عبد العزيز بن ابي الحسن فاشتغل لاول امره بتثقيف اطراف ملكه حتى اذا تم له ما اراد سمت همته الى الاستيلاء على تلمسان فنهض من فاس سنة ٧٧٢ هـ واحتل بتازا . واتصل خبر نهوضه بالسلطان ابي حمو موسى بن يوسف فجمع جموعه وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة اصحابه وتفرق عنه اكثرهم فاجفل هو في من بقي معه عن تلمسان ودخلوا الصحراء وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء من السنة وسير جيشاً بقيادة وزيره ابي بكر بن غازي بن الكاس في اتباع ابي حمو فادركوه ببعض بلاد زناتة فاجهضوه عن ماله ومعسكره فانتهب بامره وهرب ابو حمو ناجيا بنفسه الى القفر . واستتب امر المغرب الاوسط للسلطان عبد العزيز واقام بتلمسان حتى توفي سنة ٧٧٤ هـ وبايع بنو مرين من بعده لابنه السعيد بالله ابى زيان بن عبد العزيز وانكفأوا بسلطانهم الجديد وشلو سلطانهم القديم الى فاس

ولما رجع بنو مرين عن تلمسان رجع ابو حمو من مكانه الى تلمسان والتف حوله بنو عبد الواد واخرجوا حامية بني مرين من المدينة واستتب امره بها

وفي سنة ٧٧٦ هـ خلع بنو مرين سلطانهم السعيد بالله لصغر سنه وانقسمت مملكة بني مرين من بعده الى قسمين فاس في ملكة ابي العباس احمد بن ابي سالم ومراكش في ملكة عبد الرحمن بن ابى يفلوسن ثم حصلت بينهما فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها خروج ابى العباس من فاس سنة ٧٨٤ هـ قاصداً مراكش فوصلها ونازلها وضيق عليها ودافع عنها عبد الرحمن بقدر ما في امكانه واذ رأى نفسه غير قادر على حفظها اوعز الى السلطان ابى حمو ليهجم بجموع بني

عبد الواد على اطراف المغرب فيأخذ بحجزة السلطان عنه و ينفس من مخنقه فاغار ابو حمو على اطراف المغرب ودخل في جموعه احواز مكناسة وعاثوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعاً وخربوا قصر الملك هناك ومسجده المعروف بقصر تازروت و بينما هم في ذلك بلغهم الخبر بانتصار ابي العباس على عبد الرحمن ومقتله فعاد ابو حمو بمن معه الى تلمسان . اما السلطان ابو العباس المريني فانه لما استولى على مراكش عاد الى فاس واراح بها اياماً ثم اجمع النهوض الى تلمسان لينتقم من ابي حمو وعلم هذا بنهوضه فاضطرب وجمع امواله وحرمه ولحق ببلاد مغراوة وجاء السلطان ابو العباس الى تلمسان فملكها واستقر بها اياماً وهدم اسوارها وقصور الملك بها جزاء له بما فعله ابو حمو في تخريب قصر تازروت . ثم خرج من تلمسان في اتباع ابي حمو فبلغه الخبر باجازة موسى بن ابي عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك فانكفأ راجعاً الى المغرب ورجع ابو حمو الى تلمسان بعد خروج ابي العباس منها واستقر ملكه بها الى ان كان مانذكره

كان لابي حمو المذكور خمسة اولاد كبيرهم ابو تاشفين عبد الرحمن ثم بعده اربعة لام واحدة وهم المنتصر وابو زيان محمد وعمر ويوسف . وكان ابو حمو قد عهد بولاية العهد من بعده لكبير ولده ابي تاشفين فاغتاظ اخوته لذلك وحدث بينهم منافسات وفتن كثيرة حتى دس اخوة ابي تاشفين المذكور الى ابيهم بانه يريد التوثب به فسمع السلطان وشايتهم وشعر ابو تاشفين بذلك فخاف ضياع الامر منه بعد وفاة ابيه فعصى على ابيه وتبعه جمع كثير واخرج اباه من تلمسان واستولى عليها سنة ٧٨٩ هـ وتقبض على ابيه واعتقله ثم احتال ابو حمو الى ان خرج من سجن ابنه وجمع اشياعه واخرج ابنه من تلمسان واستقر بها فذهب ابو تاشفين الى المغرب صريخاً على السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم المريني فامده ابو العباس بابنه الامير ابي فارس ووزيره محمد بن يوسف عقد لهما على جيش كثيف من بني مرين وغيرهم . وخرج السلطان ابو حمو لمدافعتهم و بعد قتال شديد انهزم بنو عبد الواد اصحاب ابي حمو وكبا بالسلطان ابي حمو فرسه فسقط وادركه بعض

فرسانهم وعرفه فقتله وجاء برأسه الى ابنه ابي تاشفين فسيره هذا الى ابي العباس احمد صاحب فاس وذلك سنة ٧٩١ هـ

٥٧٣ — ابو تاشفين بن ابي حمو

من سنة ٧٩١ — ٧٩٥ هـ او من سنة ١٣٨٩ — ١٣٩٣ م

لما انهزم ابو حمو امام بني مرين المناصرين لابنه ابي تاشفين وقتل كما تقدم دخل ابو تاشفين تلمسان اواخر سنة ٧٩١ هـ وخيم الوزير وعساكر بني مرين بظاهر البلد حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب واقام هو بتلمسان يقيم دعوة السلطان ابي العباس صاحب المغرب ويخطب له على منابره ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه . وكان السلطان ابو حمو قد ولى ابنه ابا زيان على الجزائر فاقام واليًا عليها الى ان قتل ابوه ابو حمو كما تقدم فثار هو بالجزائر ودعا لنفسه وعزم على اخذ ثار ابيه فجمع عساكره وسار الى تلمسان سنة ٧٩٢ هـ ولكنه لم يظفر منها بطائل ثم اجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب فوفد عليه صريخًا فتلقاه وبر مقدمه ووعده النصر على اخيه فاقام عنده منتظرًا وفاء وعده حتى تغير السلطان ابو العباس على ابي تاشفين في بعض النزغات الملوكية فاجاب داعي ابي زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة ٧٩٥ هـ وكان ابو تاشفين قد طرقه مرض ازمن به ثم توفي منه في رمضان من السنة وكان القائم بدولته احمد بن المعز من صنائع دولتهم فولى بعده مكانه صبيًا من ابنائه وقام بكفالته . وكان يوسف بن ابي حمو واليًا على الجزائر من قبل اخيه ابي تاشفين فلما علم بموته اسرع بالمسير الى تلمسان فقتل احمد بن المعز والصبي المكفول ابن اخيه ابي تاشفين وجلس على كرسي المملكة . فلما بلغ الخبر الى السلطان ابي العباس صاحب المغرب خرج الى تازا وبعث من هنالك ابنه ابا فارس في

العسا كر ورد ابا زيان بن ابي حمو الى فاس ووكل به . وسار ابنه ابو فارس الى تلمسان فلكها وهرب منها يوسف بن ابي حمـو . واقام السلطان ابو العباس بتازا يشارف احوال ابنه الى ان مرض بمكانه من تازا وتوفي في محرم سنة ٧٩٦ﻫ فقفل ابنه ابو فارس من تلمسان الى المغرب للاستيلاء على ملك اجداده

٥٧٤ — بقية اخبار الدولة الزيانية

من سنة ٧٩٦ — ٩٣٢ ﻫ او من سنة ١٣٩٣ — ١٥٢٥ م

لما رجع ابو فارس من تلمسان الى المغرب واحتل بفاس واستقرامره بها اطلق الامير ابا زيان بن ابي حمو من اعتقاله و بعث به الى تلمسان اميرًا عليها وقائمًا بعد السلطان ابي فارس فيها فسار اليها وملكها ومحا اثار الثورة والفتن من انحائها واستقامت امور دولته الى ان توفي ولم يزل الملك بها في عقبه حتى ظهر في اوائل القرن العاشر للهجرة خير الدين باشا واخوه اوروج باشا واصلهما من اروام جزيرة متيلين (مدللي) احدى جزائر الروم وكانا يشتغلان بحرفة القراصين ببحر الروم ثم اسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي سلطان تونس لهذا الوقت واستمرا في حرفتهما وهي اسر مراكب المسيحيين التجارية واخذ كافة ما فيها من البضائع و بيع ركابها وملاحيها بصفة رقيق فاغتنيا مع تمادي الايام من اموال النهب والسلب حتى صار لهما في وقت قريب عمارة بحرية . وكانت الدولة العثمانية العلية في ذلك الوقت قد استفحل امرها جدا وارهب سلطانهم سليم الاول بقوته ممالك اوربا فارسل اليه خير الدين (خير الدين هذا هو المشهور في كتب الفرنج باسم بربروس اي ذي اللحية الحمراء) واخوه احدى المراكب المأسورة اظهارًا لخضوعهم لسلطانه فقبلها منهما وارسل لهما خلعًا سنية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الفرنج فقويت شوكتهما واشرأبت اعناقهما لاحتلال بعض سواحل بلاد الغرب باسم سلطان آل عثمان فنازل خير الدين ثغر شرشل باقليم الجزائر واستولى عليه وتقدم

اخوه اوروج الى داخلية البلاد ونازل تلمسان واستولى عليها وقتل اعياص بني عبد الواد المستولين عليها لذلك الوقت . وكانت محبة بني عبدالواد متمكنة في قلوب اهل تلمسان حتى لم يقدروا ان يحتملوا بان يملك عليهم غيرهم فراسلوا الملك شارلكان ملك اسبانيا واستنجدوا به على اخراج العثمانيين من مدينتهم فاجاب شارلكان طلبهم وارسل جيشاً من اسبانيا لهذا القصد وقاتل الاسبانيون اوروج باشا ومن معه فهزموهم وقتلوا اوروج باشا لكنهم لم يتمكنوا من استخلاص تلمسان من ايدي العثمانيين لان خير الدين لما بلغه خبر هذه الوقعة وقتل اخيه اسرع في من معه الى تلمسان واجلى الاسبانيين عنها وذلك سنة ٩٣٢ ﻫ ومن ذلك الوقت صارت تلمسان والمغرب الاوسط المعروف الان باقليم الجزائر احدى ولايات الدولة العثمانية الى ان استولى عليها الفرنساويون سنة ١٨٣٠ م (سنة ١٢٤٦ ﻫ) في خبر طويل ولايزال الحال على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٥٧٥ — دولة المماليك بمصر والشام

(تمهيد) هذه الدولة استولت على مصر والشام بعد انقراض الدولة الايوبية وسبب اتصالهم بالملك ان الملك الصالح نجم الدين بن الكامل بن العادل الايوبي كان قد استكثر من المماليك وبنى لهم قلعة بين شعبتي النيل ازاء المقياس وسماهم البحرية . وكان هؤلاء البحرية شوكة دولته وعصابة سلطانه وخواص داره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير التركماني ورديفه فارس الدين اقطاي الجامدار وركن الدين بيبرس البندقداري ولما توفي الملك الصالح سنة ٦٤٧ﻫ بمكانه بالمنصورة وهو يحارب الفرنساويين (راجع فصل ٤٦٧) وكان ابنه توران شاه بحصن كيفا طمع الفرنساويون في المسلمين بعد وفاة سلطانهم وهجموا عليهم على حين غفلة فانكشف اوائل العسكر فاتحد هؤلاء المماليك على اقامة شجرة الدر زوج الصالح

بالنيابة عن ابنه توران شاه لحين حضوره ففعلوا ونوهوا باسمها واعصوصبوا لها وصبر المسلمون امام الفرنساويين وفي الاثناء وصل المعظم توران شاه فبايعوا له واعطوه صفقة ايديهم وانتظم الحال وانتصر المسلمون على الفرنساويين واسروا ملكهم كما تقدم ذكر ذلك (راجع فصل ٤٦٨) . ثم رحل المعظم اثر هذا الانتصار الى مصر وكان قد احضر معه من حصن كيفا بعض مماليكه فتطاولوا على مماليك ابيه واغروه بقتلهم لاستبدادهم عليه فسمع المعظم وشايتهم وعزم على الفتك بهم فنفرت قلوبهم منه واتفق كبراء البحرية وهم ايبك واقطاي و بيبرس على قتله قبلما يفتك بهم فقتلوه كما مر ونصبوا للملك شجرة الدر ام خليل وخطب لها على المنابر ونقش اسمها على السكة ووضعت علامتها على المراسم وقام ايبك الجاشنكير باتابكية العسكر ولعدم سبوق ولاية المرأة في الاسلام لم يستمر امرها واتفق المصريون على ولاية كبير البحرية ايبك الجاشنكير فبايعوا له وخلعوا ام خليل ولقبوه بالمعز فقام بالامر وانفرد بملك مصر وذلك سنة ٦٤٨ هـ

٥٧٦ ــ المعز ايبك الجاشنكير

من سنة ٦٤٨ ــ ٦٥٥ هـ او من سنة ١٢٥٠ ــ ١٢٥٧ م

ولم يستتب امر ايبك المذكور طويلاً لان الدولة الايوبية وان كانت انقرضت من مصر في ذلك الوقت ولكن كان منها افراد في الشام واليمن وكان كبير بني ايوب في الشام الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ابن ايوب وهو يومئذ صاحب حلب وحمص وما يليها فلما بلغه الخبر باستبداد المماليك بمصر سار الى دمشق وطلب الامر لنفسه فبايعه اهل الشام واغروه بملك مصر . واتصل الخبر بالمماليك في مصر فاعتزموا على ان ينصبوا بعض بني ايوب فيكفوا به السنة النكير عنهم فبايعوا لموسى الذي كان ابوه صاحب اليمن وهو يوسف اطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الاشرف وتعين

ايبك اتابكا له غير ان ازمة الاحكام ما برحت في يده ولم يكن الاشرف الا اسماً بلا رسم . ومع ذلك لم يكف الناصر صاحب الشام عن التقدم الى مصر بل جمع باقي امراء الايوبيين وارتحل من دمشق سنة ٦٤٨ ﻫ قاصداً مصر وبلغ المصريين الخبر فجمع المعز ايبك عساكره وخرج للقائهم فالتقوا بالعباسة وبعد قتال شديد انكشف المصريون بادي بدء ثم ثبتوا واعادوا الكرة فانهزم الشاميون وولوا الادبار ورجع ايبك الى مصر منصوراً . وكان من شجعان المماليك فارس الدين اقطاي فاظهر في هذه الحرب شجاعة وبسالة غريبين وكان فارس الدين هذا زعيماً لحزب من المماليك الصالحيين وكانوا يطالبون له المشاركة في الملك مع الملك الاشرف وما زالوا حتى نالوا مطلوبهم وغص به ايبك واجمع على قتله فاستدعاه في بعض الايام للقصر الشوري سنة ٦٥٢ ﻫ وقد اكمن له ثلاثة من مواليه فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيوف وقتلوه لحينه واتصلت الهيعة فركبوا وطافوا بالقلعة وطلبوا فارس الدين اقطاي ظناً منهم انه مأسور فرمى اليهم برأسه فانفضوا واستراب امراؤهم فاجتمع ركن الدين بيبرس البندقداري وسيف الدين قلاوون الصالحي وسيف الدين سنقر الاشقر وغيرهم ولحقوا بالشام فيمن انضم اليهم من البحرية واختفى من تخلف منهم واستصفيت اموالهم وذخائرهم . فلما تخلص المعز ايبك من طائفة الصالحيين قبض على الملك الاشرف وخلعه والقاه في سجن مظلم وخطب لنفسه وتزوج شجرة الدر زوجة الصالح وكانت شجرة الدر عقيمة لم تلد فتزوج عليها سراري اخريات فولدت له احداهن ولداً دعاه نور الدين علياً ثم عزم على مصاهرة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فاثار ذلك غيرة من زوجته شجرة الدر واغرت به جماعة من الخصيان فقتلوه يوم ٢٣ ربيع اول سنة ٦٥٥ ﻫ

٥٧٧ ـ نور الدين علي بن ايبك

من سنة ٦٥٥ – ٦٥٧ هـ او من سنة ١٢٥٧ – ١٢٥٩ م

ولما قتل المعز ايبك اجتمع امراء المماليك و بايعوا لابنه نور الدين علي ولاول دولته امر بقتل شجرة الدر قاتلة ابيه فقتلت . وفي هذه الاثناء اخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة وتقدموا الى الشام فارتاب الامراء بشأنهم واستصغروا سلطانهم نور الدين علي بن المعز ايبك عن مدافعة العدو لعدم ممارسته للحروب واتفقوا على البيعة لسيف الدين قطز المعزي (من مماليك المعز ايبك) وكان معروفاً بالصرامة والاقدام فبايعوا له واجلسوه على الكرسي وخلعوا نور الدين علياً لسنتين من ولايته واعتقلوه في اواخر ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ

٥٧٨ ـ المظفر سيف الدين قطز

من سنة ٦٥٧ – ٦٥٨ هـ أو من سنة ١٢٥٩ – ١٢٦٠ م

وأستولى سيف الدين قطز على مملكة مصر وتلقب المظفر و يقال أن نسب قطز هذا يتصل بالملوك الخوارزمية . وحالما استلم زمام المملكة قبض على نور الدين علي وقتله . وكان التتار بعد استيلائهم على بغداد قد تقدموا بقيادة بطلهم الشهير هولاكوخان بن تولي خان وعبروا الفرات سنة ٦٥٨ هـ ووصلوا الى الشام ودكوها دكاً وحرثوها حرثاً ولم يبقوا على شيء منها وبدخولهم أنقرض بنو أيوب من الشام كما أنقرضوا من مصر . ولما ضاق أهل الشام ذرعاً أرسلوا الى السلطان سيف الدين قطز صاحب مصر يستنجدونه وفي الاثناء وصل رسل هولاكو الى قطز أيضاً حاملين رسالة مؤداها أن يخضع قطز لهولاكو ويخطب له في مصر فضرب قطز أعناق الرسل ونهض بعساكر مصر الى الشام لاخراج التتر منها وتقدم كتبغا قائد التتر بمن معه وسار الى لقاء المسلمين والتقى الجمعان بالغور على عين جالوت وأقتتلا قتالاً شديداً فانهزم التتر هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين

وقتل قائدهم كتبغا وفر من بقي منهم الى رؤوس الجبال وتبعهم المسلمون فافنوهم وهرب من سلم منهم الى المشرق وقال بعض الشعراء في ذلك

هلك الكفر بالشام جميعاً　　واستجد الاسلام بعد دحوضه
ملك جاءنا بعزم وحزم　　فاعتززنا بسمره و بيضه
أوجب الله شكر ذلك علينا　　دائماً مثل واجبات فروضه

وقال آخر

غلب التتار على البلاد فجاءهم　　من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلكهم و بدد شملهم　　ولكل شي آفة من جنسه

وساق بيبرس البندقداري وراء التتار الى حلب وطردهم عن البلاد وأظهر شجاعة فائقة في الفتك بهم حتى وعده السلطان المظفر بحلب ثم نقض السلطان وعده فتأثر بيبرس جدا ووقعت الوحشة بينهما وأضمر كل لصاحبه الشر فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه على الطريق يوم ١٦ ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ

٥٧٩ ــ الظاهر بيبرس البندقداري

من سنة ٦٥٨ ــ ٦٧٦ هـ او من سنة ١٢٦٠ ــ ١٢٧٧ م

ولما قتل المظفر اجتمع امراء المماليك و بايعوا بيبرس البندقداري ولقبوه الظاهر ثم تقدموا الى مصر فدخلوها في اواخر سنة ٦٥٨ هـ واستقر بيبرس على كرسي السلطنة بها وازال ما كان احدثه سلفه من المكوس . وكان قطز قد استناب علم الدين سنقر الحلبي بدمشق فلما قتل قطز طمع علم الدين في الاستيلاء على الشام ودعا الناس الى البيعة له فاجابوه الى ذلك واستقر امره بدمشق و بلغ الخبر للملك الظاهر بيبرس البندقداري فارسل عسكراً سنة ٦٥٩ هـ مع علاء الدين البندقداري . (وهو استاذ الملك الظاهر) لقتال علم الدين فخرج علم الدين اليهم واقتتلوا في ظاهر دمشق فانهزم الشاميون ودخل المصريون دمشق واستولوا عليها وهرب علم الدين

الى بعلبك فتبعه عسكر المصريين وقبضوا عليه وحمل الى مصر واعتقل بها واستتب الشام ومصر للملك الظاهر

وفي سنة ٦٦٠ هـ قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص اسمه احمد شهدوا انه ابن الظاهر محمد ابن الامام الناصر العباسي فيكون عم المستعصم الذي قتله التاتار سنة ٦٥٦ هـ ببغداد . فعقد الملك الظاهر بيبرس مجلساً حضر فيها كابر العلماء واثبت القاضي نسب احمد المذكور و بايعه الملك والناس بالخلافة ولقب المستنصر بالله فاصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلفاء العباسيين غير ان سلطتهم لم تكن تعتبر الا من وجهها الديني فقط وكانوا يلقبون بالائمة

ثم اراد الملك الظاهر بيبرس ان يسترجع بغداد للخلفاء العباسيين فانفق مالاً جسيماً في اعداد المعدات واستخدم العسكر ثم نهض من مصر ومعه الخليفة المستنصر بالله المذكور فلما احتلوا دمشق عاد بيبرس الى مصر وتقدم المستنصر بالله قاصداً بغداد وقبل ان يصل اليها وصلت اليه التتر وقتلوه وغالب اصحابه ولم تكن خلافته الا خمسة اشهر وعشرين يوماً . وكان في حلب رجل من العباسيين هو احمد ابو العباس بن علي نجا مختفياً من بغداد فاستقدمه الملك الظاهر الى مصر وبويع له بالخلافة ولقب الحاكم بامر الله

وكان الصليبيون في ذلك الوقت لا يزالون مالكين مدناً كثيرة في بلاد فلسطين فعزم بيبرس على اخراجهم منها وتجهز للمسير لقتالهم ونهض سنة ٦٦٣ هـ من مصر ونازل قيصرية في ٩ جمادى الاولى من السنة وضايقها وفتحها بعد ستة ايام وامر بها فهدمت ثم سار الى ارسوف ونازلها وفتحها في جمادى الآخرة من السنة وعاد الى مصر

وفي سنة ٦٦٤ هـ خرج الملك الظاهر من مصر ثانيـة وسار الى الشام وجهز عسكراً الى ساحل طرابلس ففتحوا القليعات وحلبا وعرقا ونزل هو على صفد وضايقها بالزحف وآلات الحصار ولاحق الجند القلعة وكثر القتل والجراح في المسلمين ثم فتحها بالامان وقتل اهلها عن آخرهم . وسير عسكره الى الارمن ووصلوا

الى بلاد سيس فانتصروا على صاحبها وقتلوا احد اولاده واسروا الاخر ورجعوا وايديهم ملأى من الغنائم ثم عاد الظاهر الى مصر ظافراً منصوراً . وفي سنة ٦٦٦ هـ استأنف الظاهر الحرب مع فلسطين فاستولى على يافا والشقيف وطبرية وارصوف وانطاكية وبقراس والقرين وصافيتا ومرقية وايياس ثم عاد الى مصر وفي سنة ٦٦٨ هـ عاد الظاهر الى الشام واغار على عكا فرأى ان لا مطمع له فيها وقتئذ فتوجه الى دمشق ثم الى حماة وجهز عسكراً الى بلاد الاسماعيلية فتسلموا مصياف وعاد الى دمشق ومنها الى مصر . وفي سنة ٦٦٩ هـ عاد الملك الظاهر من مصر الى الشام ونازل حصن الاكراد وهو للفرنج وجد في حصاره واشتد القتال عليه وملكه بالامان ثم رحل عنه الى حصن عكار وبعد ان نازله استولى عليه بالامان ايضاً ثم تسلم قلعة العليقة وبلادها من الاسماعيلية . ثم جهز اسطولاً لغزو قبرس فتكسر الاسطول في مرسى الليمسوس واسر الفرنج من كان فيه فاهتم الظاهر ببناء اسطول اخر فعمل في مدة يسيرة اسطولاً اعظم واقوى من الذي تكسر وفي سنة ٦٧٦ هـ توفي الملك الظاهر بيبرس البندقداري بدمشق ودفن فيها قرب الجامع الاموي وكتم مملوكه بدر الدين بلباي (بيلي باي) المعروف بالخاندار موته وارتحل بالعساكر ومعهم المحفة مظهراً ان الملك فيها وانه مريض ولما وصل بدر الدين بالعسكر الى القاهرة اظهر موت الملك الظاهر وبايع لابنه بركة خان وكانت مدة ملك الملك نحو سبع عشرة سنة

٥٨٠ - السعيد بركة خان بن بيبرس

من سنة ٦٧٦ - ٦٧٨ هـ او من سنة ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م

واستقر بركة خان في السلطنة بعد ابيه ولقب بالسعيد وقام بامر دولته مملوك ابيه بدر الدين بلباي ولحسن ظن السعيد به سلمه مقاليد الامور فسعدت البلاد في ايامه الا ان مدته لم تطل لانه توفي بعد مدة قليلة ولم يكن السعيد يركن

الى غيره من امراء المماليك بل كان يحذسبهم اعداء له ويتهمهم بقتل بابـاي ثم وقع اختيـاره على اق سنقر فولاه الاتابكية وبعد يسير خنقه في احـد ابراج الاسكندرية فتباعد الامراء عن هذا المنصب واضمروا السوء للملك السعيد

وفي سنة ٦٧٧ هـ سار الملك السعيد من مصر الى الشام للنظر في مصالحه فلما وصل بعسكره الى دمشق جرد منها عسكرًا بقيادة الامير سيف الدين قلاوون الصالحي وارسلهم للاغارة على سيس في بلاد الارمن فشنوا الغارة عليها وعادوا غانمين وقد اجمعوا على الخلاف على الملك السعيد وخلعه وعبروا على دمشق ولم يدخلوها فارسل اليهم الملك السعيد يستعطفهم ودخل عليهم بوالدته فلم يلتفتوا الى ذلك واتموا السير الى مصر فركب الملك السعيد وسبقهم الى القاهرة ودخل الى قلعة الجبل فدخلت العساكر بعده في ربيع الاول سنة ٦٧٨ هـ فحاصروا الملك السعيد بالقلعة وخامر عليه من كان معه واخذ احدهم يهرب بعد الاخر وينضم الى عسكر المحاصرين ولما رأى السعيد ذلك طاوعهم على الانخلاع من السلطنة وطلب ان يعطي الكرك فاعطوه اياها فسار اليها وتسلمها

٥٨١ — سلامش بن بيبرس

سنة ٦٧٨ هـ او سنة ١٢٧٩ م

واتفق اكابر الامراء الذين خلعوا الملك السعيد على اقامة اخيه سلامش في المملكة فبايعوه ولقبوه الملك العادل وكان عمره اذ ذاك سبع سنين وشهورًا واختاروه صغيرًا ليكون الامر طوع ايديهم واقاموا الاميرسيف الدين قلاوون الالفي الصالحي وصيًا عليه . وجهز الامير سيف الدين قلاون شمس الدين سنقر الاشقر وارسله الى دمشق وجعله نائب السلطنة بالشام . ولم تطل مدة حكم سلامش لان الامراء الذين بايعوه انقلبوا عليه في ذات السنة فخلعوه وبعثوه منفيًا الى قلعة الكرك

٥٨٢ – المنصور سيف الدين قلاون

من سنة ٦٧٨ – ٦٨٩ هـ او من سنة ١٢٧٩ – ١٢٩٠ م

ولما خلع امراء المماليك سلامش كما تقدم بايعوا للامير سيف الدين قلاون وأجلسوه على منصة الملك ولقبوه الملك المنصور . ولما علم بذلك سنقر الاشقر الذي كان الامير قلاون قد أرسله الى دمشق خرج عن طاعته بعد سلطنته وحلف له الامراء والعسكر الذين عنده بدمشق واستبد بالملك وتلقب الملك الكامل شمس الدين سنقر فجهز عليه الملك المنصور قلاون عساكر مصر مع علم الدين سنقر الحلبي (الذي تقدم ذكر سلطنته بدمشق بعد موت قطز) ولما قاربت عساكر مصر دمشق برز اليهم سنقر الاشقر بعساكر الشام واقتتلوا بظاهر دمشق فانهزم الشاميون وولوا الادبار ونهبت العساكر المصرية اثقالهم . وكتب سنجر الحلبي الى الملك المنصور قلاون يخبره بالنصر . اما سنقر الاشقر فهرب الى الرحبة وكاتب اباقا بن هولاكو ملك التتر واطمعه في البلاد وسار من الرحبة الى صهيون واستولى عليها وعلى برزنة والشغر وبكاس وعكار وشيزر وفامية وصارت هذه الاماكن له وكثر الارجاف في الشام بان التتر قادمون الى حلب بجموعهم فسار قلاون من مصر ووصل الى غزة قاصداً دفع التتر عن البلاد وكان التتر قد وصلوا الى حلب فعاثوا ثم عادوا فلما علم المنصور بعودهم عاد هو ايضاً الى مصر . ثم عاد الى الشام سنة ٦٨٠ هـ واقام بدمشق يصلح احوالها . وفي هذه السنة (٦٨٠ هـ) حشد اباقا ابن هولاكو ملك التتر جيوشاً كثيفة وسار بها قاصداً الشام فلما وصل الرحبة اقام هو وبعض عساكره يحاصرها وقدم باقي جيوشه بقيادة اخيه منكوتمر بن هولاكو فساروا الى جهة حمص . وكان الملك المنصور قلاون بدمشق فجمع عساكره وخرج للقائهم والتقى الفريقان بظاهر حمص الساعة الرابعة من يوم الخميس ١٤ رجب الفرد من السنة وبعد قتال شديد انتصر المسلمون انتصاراً باهراً وولى التتر الادبار واتصل خبر الهزيمة باباقا بن هولاكو بمكانه من حصار الرحبة فولى منهزماً . وصرف

وصرف الملك المنصور قلاون العساكر الاسلامية فرجع كل منهم الى محله وعاد هو الى دمشق ومنها الى الديار المصرية . وفي سنة ٦٨١ ﻫ توفي ابغا (اباقا) ابن هولاكو وتولى الملك بعده اخوه تكدار بن هولاكو ولما جلس في الملك اسلم وتسمي احمد وارسل رسلاً الى الملك قلاون يعلمه باسلامه ويطلب منه الصلح بين المسلمين فتخوف قلاون من الغدر ولم ينتظم ذلك

وفي سنة ٦٨٤ ﻫ سار الملك قلاون من مصر الى الشام وبعد ان استراح بدمشق اياماً خرج منها بالعساكر المصرية والشامية ونازل حصن المرقب وكان للصليبيين واستولى عليه . وفي سنة ٦٨٦ ﻫ كان الملك قلاون قد جهز عسكراً كثيفاً مع نائب سلطنته بالشام حسام الدين طرنطاي وامرهم بالمسير الى قلعة صهيون وكان صاحبها حينئذ سنقر الاشقر كما مرّ فنصبت العساكر عليها المجانيق وضايقوها بالحصار فاضطر سنقر الى تسليمها بالامان وحلف له حسام الدين قائد الجيش بان السلطان سيكرمه . وسار حسام الدين الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته فالقى في البحر حجارة عبر عليها الى البرج فحصره وتسلمه بالامان وهدمه . وتوجه بعد ذلك وصحبته سنقر الاشقر الى الديار المصرية ولما وصلا الى قرب قلعة الجبل في القاهرة ركب السلطان قلاون بنفسه والتقاهما واكرمهما ووفى بالامان الذي اعطاه حسام الدين لسنقر المذكور

وفي سنة ٦٨٨ ﻫ خرج الملك المنصور قلاون من مصر الى الشام ثم سار بالعساكر المصرية والشامية ونازل مدينة طرابلس الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الاول من السنة ويحيط البحر بغالب هذه المدينة وليس عليها قتال في البر الا من الجهة الشرقية . ونصب السلطان عليها عدة كثيرة من المجانيق ولازمها بالحصار واشتد عليها القتال حتى فتحها يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر من السنة بالسيف ودخلها العسكر عنوة فهرب اهلها الى الميناء فنجا اقلهم في المراكب وقتل اكثر رجالها وسبيت ذراريهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة

ثم عاد الملك المنصور قلاون الى مصر واخذ يتجهز لفتح عكا فجمع العساكر

وهمّ بالخروج من مصر لكن لم يمهله القضاء حتى يتم قصده فتوفي يوم السبت ٦ ذي القعده من سنة ٦٨٩ هـ بعد ان ملك احدى عشرة سنة وثلاثة اشهر

٥٨٣ — الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون

من سنة ٦٨٩ — ٦٩٣ هـ او من سنة ١٢٩٠ — ١٢٩٣ م

لما توفي الملك المنصور قلاون تولى بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل وفوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدرا . واتماماً لمقاصد ابيه خرج من مصر سنة ٦٩٠ هـ بالعساكر المصرية الى عكا وارسل الى امراء الشام ان يقدموا عليه بالجيوش والات الحصار فقدم امراء الشام وفي طريقهم نازلوا حصن الاكراد واستولوا عليه ثم وصلوا اخيرًا الى عكا واتحدوا مع الملك الاشرف على حصارها ومنازلتها حتى اقتحموها عنوة يوم الجمعة ١٧ جمادي الاخرى من السنة وفتك المسلمون بالفرنج فيها فتكاً ذريعاً وغنموا منها شيئاً كثيرًا يفوق الحصر

ولما استولى المسلمون على عكا وكانت احصن مدن الفرنج وقع الرعب في قلوب الفرنج وأخذ منهم الخوف كل مأخذ فاخلوا صيدا و بيروت بغير قتال وتسلمها الشجاعي نائب السلطنة بدمشق في اواخر رجب سنة ٦٩٠ هـ وكذلك هرب اهل صور فارسل السلطان وتسلمها ثم عاد الى مصر. وفي سنة ٦٩١ هـ سار الملك الاشرف من مصر الى الشام و بعد ان اتحدت عساكر الشام مع العساكر المصرية توجه الى قلعة الروم (وهي حصن على جانب الفرات في غاية الحصانة) ونازلها ففتحها عنوة وقتل اهلها ونهب ذراريهم وعاد الملك الاشرف الى حلب ثم حماة ثم دمشق ثم رجع الى الديار المصرية واستناب بدمشق عز الدين ايبك الحموي وعزل علم الدين سنجر الشجاعي . وكذلك عزل قرا سنقر المنصور نائب السلطنة بحلب واصطحبه معه وولى موضعه سيف الدين بلباي وعند وصوله الى مصر قبض على سنقر الاشقر وآخرين من امراء المماليك فكان اخر العهد بهم

وفي سنة ٦٩٣ ﻫ كان مقتل الملك الاشرف خليل بن قلاون و بيان ذلك انه ركب للصيد في نفر يسير من اصحابه فقصده بعض امراء المماليك بينهم بيدرا ولاجين وقرا سنقر وغيرهم وكانوا قد اتفقوا فيما بينهم على قتله فابتدره بيدرا بطعنة في كتفه ثم اردفها لاجين باخرى فوقع الملك الاشرف قتيلاً وتركوه مرمياً على الارض فحمله ايدمر الفخري الى القاهرة . وكان مدة حكمه ثلاث سنوات وشهرين واربعة ايام . واليه ينسب الخان المشهور بخان الخليل او الخان الخليلي في السكة الجديدة في القاهرة وكان في مكانه قبل بنائه مدافن الخلفاء الفاطميين فبني على انقاضها . وفي هذا الخان تباع الان جميع انواع الاقمشة السورية والهندية وما شاكل ذلك

٥٨٤ — الملك القاهر بيدرا

سنة ٦٩٣ ﻫ او من سنة ١٢٩٣ م

واتفق القاتلون على سلطنة بيدرا فنادوا به وتلقب بالملك القاهر وسار نحو القلعة ليملكها لكنه لم يملك الا يوماً واحداً لان مماليك السلطان المقتول اجتمعوا وانضم اليهم غيرهم وساروا في اثر بيدرا ومن معه فلحقوهم على الطرانة واقتتلوا فانهزم بيدرا وتفرق اصحابه وتبعوا بيدرا فقتلوه ورفعوا رأسه على رمح واستتر لاجين وقرا سنقر

٥٨٥ — الناصر محمد بن قلاون (اولاً)

من سنة ٦٩٣ — ٦٩٤ ﻫ او من سنة ١٢٩٣ — ١٢٩٤ م

واتفق امراء السلطنة على سلطنة محمد بن قلاون اخي الملك الاشرف فبايعوه ولقبوه الملك الناصر واذ كان سنه لا يزيد عن ٩ سنوات جعلوا الامير

زين الدين كتبغا المنصوري وصياً عليه . ثم ظهر لاجين وقرا سنقر من الاستتار واخذ كتبغا لهما من السلطان الامان واقر لهما الاقطاعات الجليلة وكان ذلك لغرض سياسي عند كتبغا لانه في سنة ٦٩٤ هـ حجر على السلطان الملك الناصر في قاعة بقلعة الجبل وحجب الناس عنه . ثم استحلف الناس على سلطنته فبايعوه وخلعوا محمداً ونفوه الى الكرك

٥٨٦ — الملك العادل كتبغا

من سنة ٦٩٤ — ٦٩٦ هـ او من سنة ١٢٩٤ — ١٢٩٦ م

وجلس كتبغا على سرير الملك ولقب نفسه العادل وخطب له بمصر والشام ونقشت السكة باسمه وجعل لاجين المذكور نائباً له في السلطنة . وفي هذه السنة التي جلس فيها العادل على سرير الملك حدث غلاء عظيم لجدب الارض حتى اكل الناس الميتة والقطط واشتد ضيق الناس لدرجة لا تطاق

وفي سنة ٦٩٥ هـ خرج الملك العادل كتبغا من مصر وسار الى الشام فوصل الى دمشق وتوجه الى جهة حمص وقدم الى جوسية وهي قرية على طريق بعلبك من حمص وكانت خراباً فاشتراها وعمرها فوصل اليها ورآها وعاد الى دمشق وعزل عز الدين ايبك الحموي عن نيابة السلطنة بالشام وولى موضعه سيف الدين غرلو مملوكه

وفي سنة ٦٩٦ هـ خرج الملك العادل كتبغا من دمشق متوجهاً الى مصر ووصل الى نهر العوجا فركب لاجين نائبه وانضم اليه جماعة وبغت الملك العادل في دهليزه وقتل اثنين من مماليكه وولى كتبغا هارباً راجعاً الى دمشق فالتقاه مملوكه غرلو ودخل العادل قلعة دمشق واهتم بجمع العسكر لقتال لاجين فلم يوافقه عسكر دمشق على ذلك فخلع نفسه عن السلطنة واقام في قلعة دمشق وارسل يطلب الامان من لاجين وموضعاً يأوى اليه فاعطاه صرخد فسار اليها

٥٨٧ - المنصور لاجين

من سنة ٦٩٦ — ٦٩٨ هـ او من سنة ١٢٩٦ — ١٢٩٩ م

اما لاجين فبعد ان فرّ كتبغا نزل بدهليزه على نهر العوجا واجتمع معه الامراء الذين وافقوه على ذلك وشرطوا عليه شروطًا فالتزمها . منها ان لا ينفرد برأي ولا يسلطة مماليكه عليهم كما فعل بهم كتبغا فاجابهم لاجين الى ذلك . ثم رحل بالعساكر الى مصر واستقر بقلعة الجبل ولقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين وارسل الى دمشق سيف الدين قبجق المنصوري وجعله نائب السلطنة بالشام موضع غرلو مملوك كتبغا

وفي سنة ٦٩٧ هـ جرد الملك المنصور لاجين جيشًا كثيفًا من مصر سيره الى الشام وارسل الى عماله في الشام ان يجردوا عسكرهم وتحمل العساكر الشامية والمصرية على بلاد الارمن فساروا الى حلب ثم اجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الاغارات على بلاد سيس وغنموا وعادوا . فامر لاجين ان يجتمعوا ثانية بحلب ويسيروا الى سيس ايضاً فساروا الى حموص وضايقوها وافتتحوها عنوة فخاف ملك الارمن من المسلمين وارسل اليهم يطلب الطاعة الى ما يرسمه سلطانهم فطلب منه العسكر ان يكون نهر جيحان حدًا فاصلاً بين املاك المسلمين والارمن وكل ما كان جنوبيه من البلاد والحصون للمسلمين فاجابهم الى ذلك فتسلم المسلمون مدنًا وحصونًا كثيرة وجعل الملك المنصور لاجين بعض الامراء نائبًا فيها

وفي سنة ٦٩٨ هـ وثب على الملك المنصور لاجين جماعة من المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لنفسه فقتلوه وهو يلعب الشطرنج بعد ان ملك سنتين وثلاثة اشهر

٥٨٨ – الناصر محمد بن قلاوون (ثانية)

من سنة ٦٩٨ – ٧٠٨ هـ او من سنة ١٢٩٩ – ١٣٠٨ م

وبعد مقتل لاجين اجتمع الامراء واتفقوا على احضار الملك الناصر من الكرك فاحضروه بعد ان استمر تخت الملك خالياً من السلطنة احد واربعين يوماً فحضر الملك الناصر وجلس على تخت المملكة للمرة الثانية وتصرف في المملكة باتم رأي واحسن تدبير . وفي سنة ٦٩٩ هـ خرج قازان بن ارغون ملك التتر بجموع عظيمة من المغل والكرج وغيرهم وعبر الفرات ووصل الى حلب ثم سار الى حماة ثم نزل على وادي مجمع المروج بين حمص وحماة واتصل خبر خروجهم بالملك الناصر فجمع العساكر الاسلامية وبرز بهم من مصر فساروا حتى وصلوا الى ظاهر حمص ثم ساروا الى مجمع المروج والتقى العسكران عند العصر من نهار الاربعاء ٢٧ ربيع الاول من السنة في شرقي حمص على نصف مرحلة منها وبعد قتال شديد انهزم المسلمون وتأخر السلطان الى جهة حمص وهرب المسلمون الى مصر وتبعهم التتر واستولوا على دمشق وساقوا في اثر الجفال الى غزة والقدس وبلاد الكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين شيئاً كثيراً . وعاد الملك الناصر الى مصر واخذ بتجهيز العساكر لاعادة الكرة على التتر فجمع العساكر وانفق الاموال وازاح العلل ونهض من مصر سنة ٧٠٢ هـ وحمل على التتر فاجلاهم عن الشام بعد ان كسرهم كسرة هائلة وولوا هاربين وعاد السلطان الى مصر مؤيداً منصوراً

وفي هذه السنة (٧٠٢) حدثت زلزلة عظيمة بالشام ومصر اخربت قسماً عظيماً من البلاد واخرجت المياه من الآبار الى سطح الارض فاغرقت خلقاً كثيراً

واستبد سلار نائب السلطنة و بيبرس الجاشنكير بالامور وتجاوزوا الحد في الانفراد بالاموال والامر والنهي ولم يبق للسلطان معهما الا الاسم فقط فسئمت نفس السلطان الملك الناصر هذا التطاول فخرج من مصر سنة ٧٠٨ هـ مظهراً انه يريد الحج وخرج معه من مصر عدة من الامراء فلما وصل الكرك امر الامراء

الذين حضروا معه ان يعودوا الى مصر وكشف لهم انه جعل السفر الى الحجاز وسيلة للمقام بالكرك

٥٨٩ — بيبرس الجاشنكير

من سنة ٧٠٨ — ٧٠٩ هـ او من سنة ١٣٠٨ — ١٣٠٩ م

ولما وصل الامراء الى مصر واعلموا من بها باقامة السلطان بالكرك اشتوروا فيما بينهم واتفقوا ان تكون السلطنة لبيبرس الجاشنكير وان يستمر سلار على نيابة السلطنة كما كان وحلفوا على ذلك وركب بيبرس بشعار السلطنة الى قلعة الجبل بالقاهرة وجلس على سرير الملك وتلقب بالملك المظفر ركن الدين وارسل الى نواب السلطنة بالشام فحلفوا له عن آخرهم وكتب تقليداً للملك الناصر بالكرك ومنشوراً بما عينه له من الاقطاع وارسلها اليه

ولم يكن كل امراء المماليك مخلصين الطاعة لبيبرس الجاشنكير وان اظهروا طاعته خوفاً منه فهؤلاء ابتدأوا يستميلون الناس في الباطن الى طاعة السلطان الملك الناصر ويقبحون عندهم طاعة بيبرس حتى كثرت احزابهم فلما تحققوا قوتهم ساروا الى الكرك واعلموا السلطان الملك الناصر بما الناس عليه من طاعته ومحبته فاعاد خطبته بالكرك ثم استدعاه عسكر دمشق مبينين له انهم باقون على طاعته فلما تحقق الملك الناصر صدقهم سار الى دمشق واستولى عليها واخرج منها نائب بيبرس الجاشنكير ثم ابتدأ بتجهيز العساكر للمسير بها الى مصر واخراج بيبرس منها فلما تكاملت عساكره سار بهم من دمشق قاصداً مصر وبلغ بيبرس الجاشنكير ذلك فاستعد للقتال وجمع عسكراً ضخماً وساروا الى الصالحية . ولما وصل الملك الناصر الى غزة قدم الى طاعته عسكر مصر اولاً فاولاً . فلما رأى بيبرس ذلك خلع نفسه من السلطنة وارسل يطلب الامان و يطلب من السلطان ان يعطيه أما الكرك او حماة او صهيون فاجابه السلطان الى ما طلب ورغب ان يعطيه صهيون

اما بيبرس فعاود نفسه وطمع في الملك فهرب الى مصر العليا طامعاً في الاستيلاء عليها فارسل اليه الناصر من تعقبه وقبض عليه فأعتقل في قلعة الجبل وكان ذلك سنة ٧٠٩ هـ . وكانت مدة ملك بيبرس احد عشر شهراً

٥٩٠ — الملك الناصر محمد قلاوون (ثالثة)

من سنة ٧٠٩ — ٧٤١ هـ او من سنة ١٣٠٩ — ١٣٤١ م

واقدم الملك الناصر ودخل القاهرة وجلس على سرير الملك المرة الثالثة وكان قد تعلم مما لقاه فيما سبق كيف يدبر امور المملكة بنفسه . ولم يحدث في ايامه حروب او فتن لا خارجية ولا داخلية فصرف جل اهتمامه الى تنشيط الزراعة والصناعة فراجت التجارة في مدته واغتنت الناس وكثرت المحاصيل حتى بيع اردب القمح بخمسة دراهم واردب الشعير بثلاثة دراهم واستمر الحال على ذلك الى ان توفي في ذي الحجة سنة ٧٤١ هـ بعد ان جلس على منصة السلطنة ثلاث مرات كما تقدم واستمر في السلطنة الاخيرة من حين استبد وصفا له الملك اثنتين وثلاثين سنة

٥٩١ — المنصور ابو بكر بن محمد

من سنة ٧٤١ — ٧٤٢ هـ او من سنة ١٣٤١ — ١٣٤١ م

ولما توفي الملك الناصر محمد بن قلاون تولى بعده ابنه ابو بكر ولقب بالملك المنصور وقام قوصون وزير ابيه بتدبير مملكته . ولم يكن الملك المنصور ابو بكر اهلاً للسلطنة لانه مذ جلس على تخت المملكة نزع على لذاته وانهمك في شرب الخمر وعشرة النساء وصار يمشي في سكك المدينة متنكراً مخالطاً السوقة فنكر الامراء

ذلك عليه وخلعه قوصون مدبر دولته لسبعة وخمسين يوماً من ولايته وذلك اوائل سنة ٧٤٢ ﻫ

٥٩٢ — الاشرف علاء الدين كجك بن محمد

سنة ٧٤٢ ﻫ او سنة ١٣٤١ — ١٣٤٢ م

وبعد خلع ابي بكر ولى قوصون بعده اخاه علاء الدين كجك بن محمد ولقبه الملك الاشرف واستبد عليه . ولما بلغ الامراء بالشام الخبر باستبداد قوصون على الدولة غصوا من مكانه واعتزموا على البيعة لاحمد ابن الملك الناصر اخي ابي بكر وكجك (وكان مقيماً بالكرك لان اباه كان ولاه امارتها) فكاتبه طشتمر نائب حمص واخضر نائب حلب وحثاه على الملك . وبلغ الخبر الى مصر فارسل قوصون قطلوبغا الفخري في العساكر لحصار الكرك وكتب الى طنبغا الصالحي نائب دمشق للسير في عساكره للقبض على طشتمر نائب حمص واخضر نائب حلب . وكان قطلوبغا مستوحشاً من صاحبه قوصون لاستبداده عليه فلما خرج بالجند من مصر بعث ببيعته الى احمد ابن الملك الناصر بالكرك وسار الى الشام يستدعي الناس لمبايعة احمد المذكور . فاستولى قطلوبغا على الشام اجمع بدعوة احمد وبعث الى الامراء بمصر فاجابوه اليها وهيجوا الشعب لخذل قوصون فنهبوا بيوته وخربوها واقتحموا القلعة وقبضوا على قوصون وبعثوا به الى الاسكندرية فمات في محبسه . وخلعوا الاشرف علاء الدين كجك بن محمد . وكانت مدة حكمه خمسة اشهر

٥٩٣ — الناصر شهاب الدين احمد بن محمد

من سنة ٧٤٢ — ٧٤٣ هـ او من سنة ١٣٤٢ — ١٣٤٢ م

وقدم السلطان احمد من الكرك الى مصر في رمضان سنة ٧٤٢ هـ ومعه طشتمر نائب حمص واخضر نائب حلب وقطلو بغا الفخري فاستوى على عرش السلطنة ولقب الملك الناصر وولى طشتمر نيابة السلطنة بمصر و بعث قطلو بغا الفخري الى دمشق وقبض على اخضر والي حلب وولى عليها مكانه ايدغمش وبلغ الخبر الى الى قطلو بغا الفخري قبل وصوله الى دمشق فعدل الى حلب وقبض على ايدغمش و بعث به الى مصر فاعتقله السلطان واعتقل معه طشتمر نائب السلطنة لريبة فيه فاستوحش الامراء من السلطان وارتاب هو بهم فارتحل الى الكرك بعد ثلاثة اشهر من بيعته واخذ معه طشتمر وايدغمش معتقلين . و بعث اليه الامراء بمصر بالرجوع الى دار ملكه فامتنع وقال «هذه مملكتي انزل من بلادها حيث شئت» ثم عمد الى طشتمر وايدغمش فقتلها فاجتمع الامراء بمصر وخلعوه و بايعوا لاخيه اسمعيل في محرم سنة ٧٤٣ هـ.

٥٩٤ — الملك الصالح اسمعيل بن محمد

من سنة ٧٤٣ — ٧٤٦ هـ او من سنة ١٣٤٢ — ١٣٤٥ م

وجلس اسماعيل على كرسي السلطنة ولقب الملك الصالح وولى اقسنقر السلاري نيابة السلطنة بمصر . وفي سنة ٧٤٤ هـ سرح العساكر لحصار الكرك والقبض على اخيه الملك الناصر . ونزع عن الملك الناصر بعض العساكر ولحقوا بمصر وكثر القتال بالكرك الى ان اقتحمت عساكر الملك الصالح الملك الناصر وقتلوه سنة ٧٤٥ هـ

واستبد الملك الصالح بالسلطنة لكنه ارتاب بكثير من الامراء وقبض على نائبه اقسنقر السلاري و بعث به الى الاسكندرية فقتل هناك . وولى مكانه الحاج

الملك . وفي سنة ٧٤٦ ﻫ توفي الملك الصالح حتف انفه بعد ان اقام بالملك ثلاث سنين وثلاثة اشهر

٥٩٥ — الكامل زين الدين شعبان بن محمد

من سنة ٧٤٦ — ٧٤٧ ﻫ او من سنة ١٣٤٥ — ١٣٤٦ م

وبويع بعده اخوه زين الدين شعبان بن محمد ولقب بالملك الكامل فجعل النيابة بمصر لارغون العلاوي وارسل انجاح الملك ليكون نائباً بصفد ثم استرده من من طريقه وبعثه معتقلاً الى دمشق وتوفي بعد ذلك في محبسه . وارهف السلطان الكامل حده في الاستبداد على اهل دولته فراراً مما يتوهم فيهم من الحجر عليه فتراسل الامراء بمصر والشام . وانتقض عليه طنبغا اليحياوي نائب السلطنة بدمشق سنة ٧٤٧ ﻫ وبرز في العساكر يريد مصر فجرد الكامل العساكر الى الشام واعتقل حاجي وحسيناً اخويه بالقلعة وثار الامراء بمصر وركبوا الى قبة النصر فركب السلطان اليهم في مواليه واقتتلوا فقتل ارغون العلاوي نائبه فرجع السلطان الى القلعة منهزماً ودخل من باب السر مختفياً وقصد محبس اخويه ليقتلها فحال الخدام دونهما واغلقوا الابواب . ودخل الامراء القلعة من بعده فاخرجوا حاجي اخا السلطان من معتقله فبايعوه . وافتقدوا الكامل فوجدوه واعتقلوه مكان حاجي اخيه وقتل في اليوم الثاني في السنة المذكورة وكان ملكه سنة وشهراً واياماً

٥٩٦ — المظفر زين الدين حاجي بن محمد

من سنة ٧٤٧ — ٧٤٨ ﻫ او من سنة ١٣٤٦ — ١٣٤٧ م

واستقر زين الدين حاجي بن محمد الناصر ولقب الملك المظفر وهو سادس الاخوة ابناء محمد بن قلاون الذين تولوا الملك من بعده . وحال جلوسه على كرسي

السلطنة عهد النيابة له بمصر الى ارغون شاه والحجازي وولى طقتمر الاحمدي النيابة بحلب والصلاحي النيابة بحمص . ولم يكن المظفر اقل استبدادًا من اخيه الكامل لانه لم يمض على جلوسه على كرسي السلطنة ٤٠ يومـاً حتى قبض على الحجازي والناصري وقتلها وارسل ارغون شاه نائبه الى صفد للنيابة بها وارهف في الاستبداد فاستوحش الامراء بمصر والشام وانتقض اليحياوي نائب دمشق وتبعه نواب الشام في الخلاف وبلغ الخبر الى مصر فتواعد الامراء بها للوثوب على المظفر ونما الخبر اليه فاستدعاهم من الغد الى القصر وقبض على كل من اتهمه منهم بالخلاف وهرب بعضهم فادركوا واعتقلوا جميعاً فقتل بعضهم . وبعث بعضهم الى الشام فقتلوا في الطريق وولى من الغد مكانهم خمسة عشر اميرًا ووصل الخبر الى دمشق فلاذ اليحياوي بالمغالطة وقبض على جماعة من الامراء . وكان الملك المظفر قد ارسل احد خاصته الى دمشق يستطلع الاخبار ويحمل الناس على طاعة المظفر واغراهم بقتل اليحياوي فقتلوه وبعثوا براسه الى مصر . وسكنت الفتنة واستوثق الملك للمظفر . ثم تجددت الثورة بمصر وخرج الامراء الى قبة النصر فركب المظفر في مواليه اليهم وبعض الامراء الذين معه يرون ما يراه خصومه من خلعه ولمـا تورط في الزحف اليهم اسلمه من كان معه الى الامراء المخالفين له فقتلوه على تربة امه خارج القلعة ودفن هناك في ١٢ رمضان سنة ٧٤٨ هـ بعد ان ملك سنة وثلاثة اشهر

٥٩٧ — الناصر حسن بن محمد

من سنة ٧٤٨ — ٧٥٢ هـ او من سنة ١٣٤٧ — ١٣٥١ م

وبعد مقتل المظفر تشاور الامراء في من يولونه ثم اجمعوا على مبايعة حسن ابن محمد الناصر وهو سابع الاخوة الذين ملكوا بعد ابيهم فبايعوه ولقبوه الملك الناصر وقام بيقاروس القاسمي بامر دولته . ثم شرع الناصر بالاستبداد على عادة

اخوته فعزل امراء واستعمل غيرهم وقتل ونفى كثيرين منهم واخيرًا قبض على بيقاروس القائم بامر دولته واعتقله بالاسكندرية واستعمل مكانه احد الامراء المدعو طاز . ثم استوحش طاز من الناصر وداخل الامراء في الثورة فاجابوه اليها فركبوا ودخلوا القلعة من غير ممانع وقبض طاز على الناصر واعتقله وكان ذلك سنة ٧٥٢ هـ . وكانت مدة ملك الناصر ثلاث سنين ونحو عشرة اشهر

٥٩٨ — الصالح صلاح الدين بن محمد

من سنة ٧٥٢ — ٧٥٥ هـ او من سنة ١٣٥١ — ١٣٥٤ م

ولما اعتقل الناصر بايع طاز لاخيه صلاح الدين بن محمد ولقبه الملك الصالح وهو ثامن الاخوة ابناء محمد الناصر . ولم يلبث طويلا حتى وقع بينه وبين الامراء فتن فركبوا عليه فظفر بهم فاخلدوا الى السكينة . وفي ايامه كثر فساد العربان في الصعيد فجرد لهم الامير شيخو فكسرهم واباده بالقتل . وفي ايامه ايضاً منعت اليهود والنصارى ان يباشروا بالدواوين وان تكون عمائمهم دون العشرة اذرع ولا يدخل احد منهم الحمام الا بصليب في رقبته ولا يدخلن نساؤهم مع نساء المسلمين وان تكون ازر النصارى زرقاء واليهود صفراء فنالهم من جراء ذلك شدة عظيمة . ثم داخل الملك الناصر حسن المعتقل بعض الامراء في خلع اخيه الصالح واعادته هو فوافقه الامراء على ذلك ودخلوا على الملك الصالح فخلعوه يوم ٢٢ شوال سنة ٧٥٥ هـ

٥٩٩ - الناصر حسن بن محمد (ثانية)

من سنة ٧٥٥ — ٧٦٢ هـ او من سنة ١٣٥٤ — ١٣٦١ م

ثم جلس الملك الناصر حسن على كرسي المملكة ثانية فعزل وولى كثيرين

من الامراء واستبد شيخو بالدولة وتصرف بالامر والنهي وكان سرغتمش رديفه في الولاية الى ان وثب يوماً بعض الموالي سنة ٧٥٨ هـ على شيخو بمجلس السلطان وضربه بالسيف ثلاثاً اصاب بها وجهه ورأسه وذراعيه فحمل الى منزله . وأمر السلطان بقتل المملوك الذي ضربه . ثم مات شيخو وهو اول من سمي بالامير الكبير بمصر واستقل سرغتمش رديفه بتدبير مهام المملكة الى ان استوحش منه السلطان فقبض عليه وعلى جماعة من الامراء سنة ٧٥٩ هـ وحبسهم بالاسكندرية واستبد السلطان بملكه . وجعل السلطان مملوكه يلبغا امير الف . وكان هذا السلطان يأنس بالعلماء والقضاة ويجمعهم في داره مبتذلاً ويفاوضهم في مسائل العلم ويصلهم ويحسن اليهم

ثم استوحش يلبغا من السلطان فلازم مخيمه ولم يخرج منه مدة فركب عليه السلطان ليلاً لاغتياله وكان يلبغا قد علم بالخبر فخرج عن خيامه واكمن للسلطان ومن معه فلما كبس السلطان عليه بالمخيم خرج يلبغا ومن معه من خلفهم فكسروهم وهرب السلطان ومن معه الى القلعة والبس مماليكه فلم يجد لهم خيولاً لان خيولهم كانت في الربيع وحجز يلبغا ما بينهم وبينها فتيقن السلطان الهزيمة فلبس لبس العرب هو وايدمر الدويدار ونزلا من القلعة في آخر الليل بمفردهما قاصدين الشام فلقيهما بعض المماليك فاحضروهما الى الامير يلبغا فكان آخر العهد بالملك الناصر وذلك سنة ٧٦٢ هـ وبه انتهى ملك ابناء السلطان الناصر الثمانية

٦٠٠ - المنصور محمد بن حاجي

من سنة ٧٦٢ — ٧٦٤ هـ او من سنة ١٣٦١ — ١٣٦٣ م

وبعد وفاة الملك الناصر حسن بن محمد نصب يلبغا نائب السلطنة المذكور محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاون واقبه المنصور وقام بكفالته وتدبير دولته فاستبد بالنقض والابرام . ولما اتصل بالشام ما فعله يلبغا وانه استبد بالدولة وكان

اسندمر نائباً بدمشق امتعص لذلك وعول على الانتقاض ووافقه عليه بعض اصحابه فاستولى على قلعة دمشق

وعلم يلبغا بذلك فسار في العساكر من مصر ومعه السلطان المنصور ووصلا الى دمشق فاعتصم المخالفون بالقلعة وترددت بينهم القضاة بالشام حتى نزلوا من القلعة على الامان بعد ان حلف لهم يلبغا . فلما نزلوا بعث بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها . وولى الامير الماردانى نائباً بدمشق وقطلوبغا الاحمدي نائباً بحلب ثم عاد السلطان ويلبغا الى مصر

وبدا ليلبغا استرابة في الملك المنصور فخلعه سنة ٧٦٤ ھ في منتصف شعبان من السنة وحبسه بالقلعة وكانت مدة ملكه سنتين وثلاثة اشهر وستة ايام

٦٠١ - الاشرف شعبان بن حسن

من سنة ٧٦٤ — ٧٧٨ ھ او من سنة ١٣٦٣ — ١٣٧٧ م

ونصب يلبغا مكان المنصور محمد بن حاجي شعبان ابن الناصر حسن وكان عمره عشر سنين ولقب الملك الاشرف وتولى كفالته . وفي سنة ٧٦٧ ھ قصد ملك قبرص الاسكندرية في اسطول عظيم يقال بلغ سبعين مركباً مشحونة بالعدة والعدد وانزل عسكره الى البر وزحفوا الى المدينة وحاميتها قليلة حينئذ واسوارها خالية من الرماة ونائبها غائب . ووصل الفرنج الى الباب فاحرقوه واقتحموا المدينة فاضطرب اهلها وماج بعضهم في بعض واجفلوا الى جهة البر بما امكنهم من عيالهم وولدهم وما اقتدروا عليه من اموالهم وشعر بهم الاعراب اهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوغل الفرنج في المدينة فنهبوها وملأوا سفنهم من المال والمتاع والبضائع وسبوا وأسروا كثيرين . وكثر اليهم الصريخ من العرب وغيرهم فانكفأوا الى اساطيلهم واقلعوا من الغد . واتصل الخبر بمدبر الدولة يلبغا العمري فخرج لوقته بسلطانه وعساكره ومعهم ابن عوام نائب الاسكندرية فبلغهم الخبر في

طاريقهم باقلاع العدو فلم يثنهم ذلك عن المسير الى الاسكندرية . وشاهد يلبغا ما وقع بها من معرة الخراب واثار الفساد وقد امتلأت جوانحه غيظاً وحنقاً على اهل قبرص فامر بانشاء مائة مركب واعتزم على غزو قبرص وبعد ان قاربت العمارة على التمام في بيروت بالمحل المعروف بالمسطبة الآن لم يقدر على اتمام غرضه من الجهاد لما وقع من العوائق كما سيجيء

كان استبداد يلبغا على السلطان قد طال وثقلت وطأته على الامراء واهل الدولة وخصوصاً مماليكه وارهف جده في التأديب لهم حتى بجدع الانوف واصطلام الاذان وكان كبير خواصه اسندمر . وكان يلبغا قد اوقع في بعض الايام مثل هذه العقوبة باخي اسندمر فاستوحش له وداخل سائر الامراء في الثورة على يلبغا . وكاشفوا السلطان في ذلك سنة ٧٦٨ هـ فسرح يلبغا الى البحيرة واخذ الامراء يتشاورون في نكبته فنما الخبر اليه فعاد الى القاهرة وجمع من كان بها من الامراء والحجاب فخلع الاشرف ونصب اخاه انوك ولقبه الملك المنصور واستعد للحرب وكان السلطان الملك الاشرف غائباً عن دار ملكه واراد العود اليها فالتقاه يلبغا واصحابه يرشقونه ومن معه بالسهام ويرسلون عليهم الحجارة من المجانيق فاجتمعت العساكر مع السلطان وهاجوا الخونة فانتقض اصحاب يلبغا عنه وتركوه اوحش من وتد في قلاع فولى منهزماً الى بيته فاستحضره السلطان وحبسه بالقلعة ثم ضربه بعضهم وهو مقبل للتضرع فقطع رأسه . وقام بتدبير امور الدولة اسندمر الناصري ورديفه بيبغا الاحمدي وغيرهما من الامراء وابدوا الاستهتار بالسلطان والرعية ونادوا بخلع السلطان . فركب السلطان في مماليكه وبعض الجند والعامة فهزم هؤلاء المنتقضين وجيء باسندمر اسيراً وشفع به الامراء فاطلقه السلطان باقياً على اتابكيته . ثم استأنفوا الانتقاض فركب اليهم السلطان والامراء فهزمهم وقتل كثيرين منهم وارسل بعضهم الى الحبس بالاسكندرية . واستبد السلطان بامره واستدعى سنكلي بغا من حلب وجعله أتابكاً واحضر الامير عليا الماردانى من دمشق وولاه النيابة وكان ذلك سنة ٧٦٩ هـ

وفي سنة ٧٧٤ هـ توفي سنكلي بغا الاتابك وكان الجائي اليوسفي اميرسلاح عند السلطان فجعله اتابكاً فاسخط السلطان وغمط نعمته وانتقض فلاطفه السلطان فبطر . فارسل اليه مماليكه واذنهم بقتاله فقاتلوه وانهزم امامهم حتى غرق في البحر واستدعى السلطان ايدمر العزي وكان نائباً بطرابلس فولاه الاتابكية مكان الجائي المذكور ورفع رتبته . وولى في نيابة السلطنة منجك اليوسفي نائب السلطنة بالشام . واستقر السلطان الاشرف في دولته على اكمل حالات الاستبداد واذعن الناس لطاعته

واراد الملك الاشرف قضاء فريضة الحج فخرج اليه سنة ٧٧٨ هـ فلما انتهى الى عقبة ايلة انتقض عليه بعض مماليك يلبغا الذين كان قد ردهم الى خدمة الدولة وجاهروا بالخلاف فركب السلطان في خاصته يظن انهم يرعوون او يجنح اليه بعضهم فابوا الا قتاله فرجع السلطان الى خيامه منهزماً وركب البحر في لفيف من خواصه قاصداً العود الى القاهرة . وكان عند سفره عنها استخلف بها ابنه علياً بكفالة قرطاي الطازي فسولت لقرطاي نفسه الانتقاض وداخل بعض الامراء به وحضر بجم غفير الى القلعة فحمل الامير علي بن الاشرف وبايعه واستدعى الامراء القائمين بالقاهرة فبايعوه وأخذ هو كفالة السلطان وجعل ايبك البدري رديفاً له واما السلطان فعرف في طريقه بواقعة القاهرة فاسرع في الرجوع بمن معه اليها وانتهوا الى قبة النصر ليلاً وغشيهم النعاس فناموا وانفرد السلطان عنهم واختفى وعرف بهم اهل الثورة فوثبوا عليهم وقتلوهم . وجاءت امرأة الى ايبك فدلته على السلطان في بيت جارتها فاستخرجوه من ذلك البيت وسلموه الى ايبك فامتحنه حتى دلهم على الخزينة ثم قتلوه خنقاً في خامس ذي القعدة سنة ٧٧٨ هـ . وكانت مدة حكمه اربع عشرة سنة

٦٠٢ — المنصور علي بن شعبان

من سنة ٧٧٨ — ٧٨٣ ﻫ او من سنة ١٣٧٧ — ١٣٨١ م

وبعد مقتل الاشرف شعبان تم الامر لابنه علي بن شعبان ولقب الملك المنصور وقام بالدولة قرطاي الطازي ورديفه ايبك البدري . وكان قرطاي غير مهتم بامور الدولة بل منعكفاً على لذاته فانتهز رديفه ايبك البدري المذكور الفرصة للاستبداد بامور الدولة وداخل السلطان في ذلك فوافقه وعهد اليه نيابة المملكة وعلم قرطاي بذلك فلم يعارض وغاية ما فعله انه طلب من ايبك الامان لنفسه فامنه ثم قبض عليه بعد قليل وسيره الى صفد واستبد ايبك بالدولة . ثم انتقض طشتمر بالشام ووافقه على الانتقاض كثيرون من الامراء فنادى ايبك في الناس بالمسير الى الشام فتجهزوا وسرح مقدمتهم مع ابنه احمد واخيه قطلوخجا ثم خرج بالساقة مع السلطان والامراء والعساكر . فثار الامراء الذين كانوا في المقدمة مع اخيه فرجع اليه منهزماً فاجفل ايبك راجعاً الى القلعة ومعه السلطان والعساكر فخرج اليه ساعة وصوله جماعة من الامراء فسرح اليهم العساكر مع اخيه فاوقعوا به وقبضوا عليه فسرح ايبك اليهم من بقي معهم من الامراء ولما تواروا عنه فرّ هارباً مختفياً ثم ظهر من الاختفاء وجاء الى بلاط احد الامراء فبعثوا به الى الاسكندرية فحبس بها . واقام الامراء يببغا النساطري مكانه لكنهم لم يعطوا له الطاعة وبقي امرهم مضطرباً وأراؤهم مختلفة فاستدعوا طشتمر من الشام ووضعوا زمام الدولة في يده فصار اليه الامر والنهي ثم انتقضوا عليه واستدعوه الى القلعة فقبضوا عليه وبعثوا به الى الاسكندرية . وقام بالدولة من بعده الاميران برقوق وبركة ثم وقع الخلاف بينهما وتغلب برقوق على بركة وبعثه الى الاسكندرية فحبس بها ثم قتل . واستبد برقوق بالدولة وصار صاحب النقض والابرام ولم يكن للسلطان معه سوى الاسم فقط ولم يزل الحال كذلك الى ان توفي السلطان المنصور علي في صفر سنة ٧٨٣ ﻫ

٦٠٣ — الصالح حاجي بن شعبان

من سنة ٧٨٣ — ٧٨٤ هـ او من سنة ١٣٨١ — ١٣٨٢ م

ولما توفي الملك المنصور علي بن شعبان استدعى برقوق نائب السلطنة الامراء واتفقوا على تولية اخيه الامير حاجي ولقبوه الملك الصالح وكان صغير السن فقام برقوق بكفالته فولى كثيرين من الامراء اصحاب يلبغا الذين كانوا انصاره لانه منهم فطمعوا في الاستبداد وظفروا بلذة الملك وسمت احوالهم ان يستقل اميرهم بالدولة و يستبد بها . وانس برقوق الرعية بحسن سياسته وجميل سيرته . فامتعض جماعة من الامراء المختصين بالسلطان وتفاوضوا في الغدر به ونما الخبر الى برقوق بذلك فقبض عليهم وغرب بعضهم الى دمشق و بعضهم الى قوص فاعتقلوا بها . ثم تفاوض الامراء اصحاب برقوق في قيامه بامر الدولة مستقلاً فجمعهم لذلك في ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ فحضر الخاصة والعامة من الجند والقضاة والعلماء وارباب الشورى واجمعوا على بيعة برقوق وعزل السلطان الصالح و بعث برقوق اميرين من الامراء فادخلا السلطان الى بيته وتناولا السيف من يده واحضراه الى برقوق فلبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة وجلس على تخت المملكة واتاه الناس ببيعتهم وكان الملك الصالح اخر ملوك دولة المماليك البحرية وخلفهم دولة المماليك الجراكسة الآتي ذكرها

٦٠٤ — الملك الظاهر برقوق

من سنة ٧٨٤ — ٨٠١ هـ او من سنة ١٣٨٢ — ١٣٩٩ م

هو اول ملوك دولة المماليك المعروفة بالجراكسة ودعيت هذه الدولة كذلك نسبة الى منشأ سلاطينها فانهم من الشعب الجركسي (الشركسي) وهم قبيلة مواطنها في نواحي بحيرة بيكال بسيبريا

اما برقوق فهو مملوك منهم اشتراه يلبغا يوم كان نائب السلطنة بمصر فربي في اطباق بيته وتعلم الفقه وسائر العلوم الاسلامية حتى لقبه يلبغا بالشيخ . وتعلم ايضاً اداب الملك واتقن الرماية والثقافة وما زال في خدمة يلبغا المذكور الى ان قضى الله على يلبغا بما قضى وتشتت مماليكه وقبض على بعضهم وسجنوا . فسجن برقوق هذا في الكرك هو وامير اخر يقال له بركة خمس سنين ثم اطلقا فدخلا في خدمة منجك حاكم الشام يومئذ . واستمر برقوق عنده الى ان استدعاه الملك الاشرف واستضافه لولده الامير علي . فلم يزل برقوق معه حتى صار في دولة علي المذكور نائب السلطنة ولما توفي السلطان علي نصب برقوق اخاه السلطان حاجي ثم طمع في الجلوس على تخت المملكة فتم له ما اراد وخلع السلطان الصالح حاجي وجلس على تخت المملكة يوم ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ كما مر ذكر ذلك ولقب الملك الظاهر

ولما استتب الامر للملك الظاهر برقوق قبض على يلبغا الناصري واعتقله في الاسكندرية ثم افرج عنه فسار الى حلب وداخل بعض الامراء في الانتقاض على السلطان . وبلغ ذلك الى السلطان فاعتقل هؤلاء الامراء فاستراب الناصري واضطرب وشرع في اسباب الانتقاض . واجتمع الامراء الى الناصري واعصوصبوا عليه ودعاهم الى خلع الطاعة فاجابوه الى ذلك سنة ٧٩١ هـ واتصل الخبر بطرابلس وبها جماعة من الامراء يرومون الانتقاض فعمدوا الى الايوان السلطاني وقبضوا على نائب السلطنة بها وحبسوه . وفعل مثل ذلك اهل حمص وغيرها وبلغ الخبر الى السلطان الملك الظاهر برقوق فسرح العساكر لقتال هؤلاء المنتقضين ولما وصلت عساكر السلطان الى دمشق اختاروا من القضاة وفداً اوفدوه على الناصري وعلى اصحابه بحلب فلم يجيبوا وامسكوا الوفد عنهم وساروا للقاء عسكر السلطان ولما تراءى الجمعان التحم القتال بينهما ودارت الدوائر على عساكر السلطان وتشتت شملهم . ودخل الناصري دمشق واستولى عليها وعاثت عساكره في نواحيها . واستمد السلطان برقوق للمدافعة واقام رؤساء لعساكره مكان من خسرهم بدمشق واقام الناصري واصحابه اياماً بدمشق ثم عمدوا على المسير الى مصر ونهضوا

اليها بجموعهم وخفيت اخبارهم حتى اطلت مقدمتهم على بلبيس ثم تقدموا الى بركة الحاج . و برز السلطان في مماليكه ووقف امام القلعة بقية يومه والناس من العساكر والعامة يتقاطرون الى الناصري . واستأمن اكثر الامراء الذين مع السلطان الى الناصري فأمنهم . فارتاب السلطان بامره وعاين الخلال عقدته فدس الى الناصري بالصلح و بعث اليه بالملاطفة . فاشار عليه الناصري ان يتواري بشخصه مخافة ان يصيبه احد بسوء . فلما غشيه الليل صرف من بقي من مماليكه وخرج متنكراً . وباكر الناصري واصحابه القلعة فاستولوا عليها واستدعوا السلطان حاجي ابن الاشرف شعبان (الذي تقدم ذكره وهو الذي خلعه برقوق واستولى على كرسي المملكة مكانه) فاعادوه الى التخت كما كان ولقبوه الملك المنصور واستدعوا الجوباني والامراء المعتقلين بالاسكندرية فاتوا وركب الناصري واصحابه للقائهم واشرك الناصري الجوباني في تدبير الدولة . ثم نادوا بطلب الملك الظاهر برقوق حتى دل عليه بعض المماليك وجاؤا به الى القلعة واشتوروا في امره وكان منطاش وغيره يطلبون قتله وأبى الناصري والجوباني الا الوفاء بعهد الناصري له ثم قر رأيهم على ارساله الى الكرك فارسلوه اليها واعتقلوه بها ووكل الناصري به احد خواصه واوصاه بخدمته ومنعه ممن يريده بسوء

واما الامراء الثائرون فجعلوا الجوباني اتابك السلطان المنصور والناصري رأس النوبة الكبرى (أي مدبر الدولة) ثم بعثوا بذلار نائبا على دمشق وكمشيقا نائبا على حلب . وقبضوا على جماعة من الامراء الذين كانوا مع السلطان برقوق منهم النائب سودون والطرنطاي نائب دمشق وغيرهم فحبسوا بعضهم بالاسكندرية و بعضهم بالشام . وتتبعوا مماليك السلطان برقوق فحبسوا اكثرهم واشخصوا بقيتهم الى الشام

وكان منطاش مذ دخل مع الناصري الى مصر متربصاً بالدولة طاوياً جوانحه على الغدر برجالها لانهم لم يوفروا حظه من الاقطاع ولم يجعلوا له اسماً في الوظائف . فلم يزل يداخل الامراء والمماليك في الثورة على الناصري والجوباني حتى وافقه كثيرون

منهم . ونما الخبر الى الناصري والجوباني فعزموا على اشخاص منطاش الى الشام فتمارض واقام في بيته اياماً يطاولهم ليحكم التدابير عليهم . ثم عدا على الجوباني وكان قد اكمن في بيته رجالاً للثورة فقبضوا على الجوباني وقتلوه لحينه . وركب منطاش الى الرميلة واجتمع اليه من داخله بالثورة . وبرز الناصري فيمن حضر وامر الامراء بالحملة على اصحاب منطاش فوقفوا ولم يجيبوه الى ذلك فاحجم الناصري عن الحملة في ذلك النهار . وفي الغد تزايدت جموع منطاش فاقتحم الناصري فانهزم وانفض اصحابه عنه فذهب محتاراً . واستقل منطاش بتدبير الدولة ونصب في وظائفها من شاء من اصحابه . ثم كتب الى نائب الكرك بان يقتل السلطان برقوق وكان الناصري قد اوصاه كما مر ان يمنعه ممن يريده بسوء فلم يفعل . وشعر برقوق ان منطاش يروم اغتياله وعلم باستقلاله بالدولة فخاف على نفسه منه فارسل غلمانه الذين معه لقتال حامية الكرك فهزموهم وقتلوا قائدهم واستولى السلطان برقوق على قلعة الكرك وبايعه نائبها واهلها . وفشا الخبر بالنواحي فتسارع اليه مماليكه من كل جهة . وبلغت اخباره الى منطاش فاوعز الى ابن باكيش نائب غزة ان يسير في العساكر الى الكرك وتردد السلطان برقوق بين اقامته والنهوض الى الشام وعزم على المسير الى دمشق فسار من الكرك في الف رجل او يزيدون من العرب والترك فسرح جنتمر نائب دمشق العساكر لدفاعه فالتقوا بمحل يسمى شقحب وكانت بينهم وقعة عظيمة اجلت عن هزيمة اهل دمشق وقتل الكثيرين منهم واتبعهم السلطان الى دمشق ثم احس بان ابن باكيش وعساكره يتبعونه فكر اليهم ليلاً وصبحهم على غفلة فانهزموا ونهبت عساكر السلطان ما معهم . واستفحل امر السلطان ورجع الى دمشق ونزل بالميدان واغلق الدمشقيون ابواب المدينة فاقام يحاصرهم الى محرم سنة ٧٩٢ هـ كما سيأتي

وعزم منطاش على المسير الى الشام فنادى في العسكر واخرج السلطان الملك المنصور حاجي والخليفة والقضاه والعلماء في اخر سنة ٧٩١ هـ . ولما بلغ خبر

مسيرهم الى السلطان برقوق وهو محاصر دمشق ارتحل في عساكره للقائهم ونزل قريباً من شقحب ولما تراءى الجمعان كانت بينهما وقعة هائلة اجلت عن انتصار السلطان برقوق واستحوازه على الملك المنصور والخليفة والقضاة ودخولهم في حكمه وهزيمة منطاش وجموعه ولحوقه بدمشق . ولما وصل منطاش اليها اوهم نائبها جنيئذ ان الظفر له وان الملك المنصور موافٍ على اثره . فركب السلطان برقوق في عساكره من شقحب فهزم منطاش وجمعه واثخن فيهم ثم عاد الى شقحب وحمل الملك المنصور على التبري من الملك والعجز عنه واحضر الخليفة والقضاة فشهدوا عليه بالخلع وعلى الخليفة بالتفويض الى السلطان برقوق والبيعة له والعود الى كرسيه . واقام السلطان بشقحب تسعة ايام ورحل الى مصر وبلغ الخبر الى منطاش فركب لاتباعه لكنه لم يجسر ان يناوئه وعاد الى دمشق . وواصل السلطان المسير الى مصر حتى اصبح يوم الثلاثاء ٤ صفر سنة ٧٩٢ ه في ساحة القلعة في القاهرة وقلده الخليفة الملك وعاد الى سريره وافرج عن الامراء الذين كان منطاش قد حبسهم بالاسكندرية وانتظم امر دولته في مصر واستوثق ملكه وصرف نظره الى الشام وتلافيه من فساد منطاش فولى بعض الامراء نواباً عنه في مدن الشام وسيرهم اليها بالعسكر وكان منطاش قد استتب امره بالشام فحصلت بينه وبين عساكر السلطان برقوق فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها استيلاء عساكر السلطان برقوق على الشام واجلاء منطاش عنه . فهرب منطاش ولحق بحي من العرب يقال له آل فضل وتزوج منهم واقام بينهم فدافعوا عنه بقدر ما في امكانهم وحاربوا معه مراراً ولكن بلا فائدة . واخيراً وفد على السلطان برقوق احد امراء آل فضل واستأمن اليه ووعده بتسليم منطاش وقت طلبه فاحسن السلطان اليه ووعده ومناه فرجع الامير وقبض على منطاش وبعث الى نائب حلب في من يستلمه فبعث اليه بعض امرائه فسلمه اليهم وارسل معهم الفرسان والرجال حتى اوصلوه الى حلب وبعث السلطان اميراً من القاهرة فاحتز رأسه وطاف به في ممالك الشام وجاء به الى القاهرة سنة ٧٩٥ ه فعلق على باب القاهرة ثم دفع الى اهله

فدفنوه وانتهت به الفتن والثورات

وفي سنة ٧٩٦ هـ فر احمد بن اويس صاحب بغداد امام تيمورلنك التتري الذي كان قد ملك اكثر البلاد الشمالية وأثخن فيها وحاصر بغداد فانهزم احمد المذكور الى الرحبة ثم الى حلب ومصر مستصرخاً بالملك الظاهر برقوق على طلب ملكه والانتقام من عدوه فاجاب السلطان صريخه وجهز عساكره وسار فيها الى الشام ومعه احمد بن اويس المذكور. وكان تيمورلنك بعد ان استولى على بغداد قد زحف في عسكره الى تكريت وحاصرها اربعين يوماً وملكها وانتشرت عساكره في ديار بكر الى الرها فملكوها . وكتب السلطان الظاهر الى جليان نائب حلب بالخروج الى الفرات واستيعاب العرب والتركمان للاقامة هنالك رصداً للعدو ثم ارسل اليه العساكر من دمشق مع كشيقا الاتابك وغيره . وكان تيمورلنك قد شغل بحصار ماردين فاقام عليها اشهراً ثم ملكها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الكراد فاغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وبقي السلطان الى شعبان من السنة المذكورة متربصاً ليرى ما يكون من تيمورلنك اما تيمور فبدا له حينئذ ان يقصد بلاد الهند فقصدها وشغل بتدويخها فعاد السلطان الظاهر برقوق الى مصر

وفي سنة ٨٠١ هـ ارسل تيمورلنك الى الملك الظاهر رسالة يطلب منه ان يخطب له بمصر والشام ويهدده ان ابى فارسل اليه الملك الظاهر جواباً مزدرياً بتهديداته ومبدياً العزم على قتاله . وابتدأ الظاهر بجمع العساكر والسلاح وتأهب للدفاع او الهجوم لكنه لم يكد يتم هذه الاستعدادات حتى ادركته الوفاة بداء الصرع في يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ٨٠١ هـ المذكورة

٦٠٥ — الناصر فرج بن الظاهر برقوق

من سنة ٨٠١ — ٨٠٨ هـ او من سنة ١٣٩٩ — ١٤٠٥ م

ولما توفي الملك الظاهر برقوق اجتمع الامراء و بايعوا لابنه فرج ولقبوه الملك الناصر وكان عمره عشر سنين فظن الناس انه ستكون فتنة عظيمة بعد موت والده فلم يحرك احد ساكنا وانشد ابن الاوحدي في ذلك

مضى الظاهر السلطان اكرم مالك　　الى ربه يرقى الى الخلد في الدرج

وقالوا ستاتي شدة بعد موته　　فاكذبهم ربي وما جا سوى فرج

وفي سنة ٨٠٣ هـ اغار تيمورلنك التتري على الشام ونازل حلب وضايقها وافتتحها عنوة ومثل باهلها تمثيلاً شنيعاً فخاف اهل الشام فارسلوا بطاعتهم هكذا فعل اهل حماة وحمص . اما اهل بعلبك فامتنعوا بها فسار اليها تمورلنك وضيق عليها فطلب اهلها الامان فلم يؤمنهم ولم يلتفت الى مقالهم ولم يرث لتذللهم بل ارسل فيهم جوارح النهب والاستئصال

واتصل الخبر بالملك الناصر فرج فخرج من مصر في العساكر ولما وصل الى دمشق بلغ تيمور اليها بجيشه الجرار واقام في غربي المدينة بداريا وما يليها وحصلت بين الفريقين مناوشات ليست بذات بال . ثم دخل الخلاف عساكر السلطان فعاد فريق منهم الى مصر . ودخل على السلطان احد خواصه فخوفه من بطش تيمور ان هو وقع في قبضة يده فأثر كلامه في السلطان فخرج ليلاً من القلعة قاصداً الرجوع الى مصر ومر بالبقاع العزيزة و بات في سفح لبنان بين قريتي نيحا وجباع الحلاوة لئلا يعلم به احد وسار في طريق الساحل الى مصر

ولما علم تيمور بهرب السلطان احتاط دمشق بالعساكر فملكها وقتل اعيانها وسبى نساءها واحرقها مع الجامع الاموي وكان فيه جم غفير من النساء والاطفال فهلك جميعهم واخرب المساجد والمدارس والمعابد ودك القلعة وارتكب جنوده بها الفظائع

وسار تيمورخن دمشق الى جهة ماردين و بغداد فملكها سنة ١٤٠١ م وحارب

بايزيد السلطان العثماني سنة ١٤٠٢ م . وفي هذه السنة (١٤٠٣ م) ارسل تيمور رسلاً وهدايا نفيسة الى السلطان فرج واعتذر عما صدر منه بسورية ووقع الصلح بينهما

وفي سنة ٨٠٨ هـ وقعت فتن بين الامراء بمصر فخاف السلطان فرج على نفسه واختفى ولم يعلم احد اين ذهب بعد ان ملك ست سنين واشهراً

٦٠٦ — المنصور عبد العزيز بن برقوق

سنة ٨٠٨ هـ او سنة ١٤٠٥ م

فاجتمع القضاة والامراء عند الخليفة وتشاوروا في من يولونه فقر رأيهم على مبايعة اخيه عبد العزيز بن برقوق فبايعوه ولقبوه الملك المنصور . ثم ظهر الملك الناصر فرج فامسك اخاه المنصور عبد العزيز وحبسه في الاسكندرية ثم قتل سنة ٨٠٩ هـ وكانت مدة ولايته ٤٧ يوماً

٦٠٧ — الناصر فرج بن برقوق (ثانية)

من سنة ٨٠٨ — ٨١٥ هـ او من سنة ١٤٠٥ — ١٤١٢ م

وعاد الناصر فرج الى عرش ملكه . وفي ذات السنة وثب يعبر بن مهني امير العرب في خلق كثير من العرب على دمشق فالتقاه نائبها خارج المدينة والتحم بين الفريقين القتال فانهزم النائب واستولى يعبر على دمشق . وشكت الناس من جوره وظلمه فخرج اليه السلطان الناصر فرج من مصر في العساكر المصرية فازاحه عن دمشق وعن الامصار الشامية وجدد بناء الجامع الاموي وامن الناس ورتب امور البلاد وعاد الى مصر

وفي سنة ٨١٥ هـ اتفق الامير شيخ ونوروز نائب الشام وغيرهما من الامراء على العصيان بالشام فخرج اليهم السلطان فلما وصل الى غزة خامر عليه عسكره

ولحقوا بالامير شيخ ونوروز الى حمص فتوجه السلطان في طلبهم فلما قرب من حمص قصدوا القاهرة من على بعلبك ووادي التيم فعاد السلطان في طلبهم الى ان وصل الى اللجون (بقرب الناصرة) واقتتلوا قتالاً شديداً فانكسر السلطان وهرب الى دمشق فتابعوه وحاصروه بقلعتها اياماً ثم اشتد الحصار على السلطان فطلب الامان فامنوه . فلما نزل من القلعة قبضوا عليه وسجنوه وادعى عليه احدهم بقتل اخيه ظلماً فحكموا بقتله عوضه فقتلوه وبقي ثلاثة ايام مرمياً على مزبلة عرياناً . وأضيفت السلطنة الى الخليفة المستعين بالله ابي الفضل العباس بن محمد العباسي وصار خليفة وسلطاناً مدة ستة اشهر . وكان الامير شيخ المحمودي الذي ثار على الناصر فرج كما تقدم انما يجر النار لقرصه فلما ولي الخليفة السلطنة ولي هو النيابة عنه بمصر ونوروز النيابة عنه بالشام . ثم طمع الامير شيخ المذكور بانتزاع الامر من الخليفة خوف ثبوت قدمه بها فداخل امراء المماليك في ذلك وبين لهم الاضرار التي تلحقهم من انتزاع الملك منهم فجاهروا بالعصيان على الخليفة ونادوا بالامير شيخ سلطاناً عليهم فخلعوا المستعين بالله من الخلافة والسلطنة معاً وتولى الخلافة بعده الفضل داود العباسي وتولى السلطنة السلطان الرابع من الجراكسة وهو الملك المؤيد شيخ الآتي ذكره

٦٠٨ – الملك المؤيد شيخ

من سنة ٨١٥ – ٨٢٤ ه اومن سنة ١٤١٢ – ١٤٢١ م

كان الامير شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري من مماليك الملك الظاهر برقوق اعتقه وقدمه في المراتب الى ان صار مقدم الف في دولة الملك الناصر فرج ثم نائب السلطنة بطرابلس ثم بالشام ايضاً واسره تيمورلنك في حلب ثم نجا من الاسر . وكانت له امور مع الملك الناصر فسجنه مدة . ثم التف الى نوروز نائب الشام في عصيانه المار ذكره ولما قتل الملك الناصر وتسلطن الخليفة العباسي كان

شيخ اتابك العسكر بمصر فخلع الخليفة من السلطنة وتسلطن مكانه سنة ٨١٥ هـ كما تقدم وتسمى الملك المؤيد

وكان السلطان الملك المؤيد عاقلاً حسن السياسة فسعدت البلاد في ايامه ولم يكدر ملكه الا عصيان نوروز نائب الشام عليه لانه لما رأى استبداده بالمملكة وخيانته العهود التي كانت بينهما بقي يخطب باسم الخليفة العباسي على منابر دمشق واستمر واضعاً يده على البلاد الشامية من غزة الى الفرات الى سنة ٨١٧ هـ التي فيها سار الملك المؤيد بالعساكر من مصر الى الشام ومعه الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربعة فوجد نوروز قد حصن دمشق فحاصره المؤيد وطال الحصار وفي اخر الامر سلم نوروز نفسه الى الملك المؤيد فقطع رأسه وارسله الى القاهرة فعلق على باب زويلة ثلثة ايام ثم دفن . وكان مقتل نوروز سنة ٨١٨ هـ واقام الملك المويد بعد ذلك بدمشق اياماً فنظم البلاد الشامية ثم عاد الى مصر . واستمر الملك المؤيد سلطاناً على مصر والشام الى ان طرقه المرض سنة ٨٢٤ هـ فتوفي يوم الاثنين ٩ محرم من السنة . ومن اثاره جامع المؤيد بالقرب من باب زويلة

٦٠٩ — المظفر احمد بن شيخ

سنة ٨٢٤ هـ او من سنة ١٤٢١ م

لما توفي الملك المؤيد شيخ اجتمع الامراء و بايعوا لابنه احمد بن شيخ وكان طفلاً رضيعاً لم يتجاوز الثانية من عمره فعارض الخليفة في توليته ولكنه اذعن الى قبول ذلك لما رأى اصرار المماليك فبايع له ولقبه الملك المظفر . وقام الاميرططر بتدبير الدولة ثم طمع في الملك فخلع الملك المظفر وتسلطن مكانه وذلك في ١٩ شعبان سنة ٨٢٤ هـ

٦١٠ — الملك الظاهر ططر

سنة ٨٢٤ ﻫ او سنة ١٤٢١ م

واستتب الامر للامير ططر (ويقال تتر) وخطب باسمه على منابر مصر والشام وتلقب الملك الظاهر ولكنه لم يهنأ بالملك طويلاً لانه توفي يوم الاحد ٤ ذي الحجة من السنة

٦١١ — الصالح محمد بن ططر

من سنة ٨٢٤ — ٨٢٥ ﻫ او من سنة ١٤٢١ — ١٤٢٢ م

ولما توفي الملك الظاهر ططر بويع بالسلطنة بعده ابنه محمد ولقب الملك الصالح وكان عمره حينئذ احدى عشرة سنة فقام بتدبير دولته جاني بك الصوفي فصار صاحب الحل والعقد والابرام والنقض فاستوحش لذلك باقي الامراء ووثب الامير برس باي على الاتابك جاني بك فهرب منه فقبض عليه بعض المماليك واحضروه الى الامير برس باي فقيده وارسله الى السجن في الاسكندرية . ونزل منزلته وتولى الحل والعقد مكانه . ثم وقعت نفرة بين برس باي والامير طراباي حاجب الحجاب فقبض برس باي عليه وارسله الى السجن بالاسكندرية وقويت شوكة برس باي وتعصب له جماعة من الامراء فخلعوا الملك الصالح محمد ابن ططر من الملك ونادوا باسم برس باي ملكاً فكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة اشهر واربعة عشر يوماً

٦١٢ — الملك الاشرف برسباي

من سنة ٨٢٥ — ٨٤١ ﻫ او من سنة ١٤٢٢ — ١٤٣٨ م

وجلس برس باي على كرسي السلطنة يوم الاربعاء ٨ ربيع الآخر سنة ٨٢٥ ﻫ ولقب الملك الاشرف . وكان برس باي عاقلاً حسن السياسة فازال المظالم التي احدثها سلفه وسعدت البلاد في ايامه واغتني الفقراء . ومن اعماله التي تستحق المدح منعه الناس من تقبيل الارض بين يديه كعادة الملوك قبله وابدال ذلك بتقبيل اليد فقط

وفي سنة ٨٢٩ ﻫ ارسل السلطان الاشرف تجريدة الى قبرس لقتال ملكها وبلغوا اولاً الى الماغوصة ثم الى الملاحة وكان قتال شديد بين الجيشين ودارت الدوائر على عسكر ملك قبرس فنهبت عساكر السلطان واسرت نحو ٧٠٠ اسير وملكوا حصن لامسون وانهزم القبرسيون وقتل اخو الملك واسروا الملك نفسه واتوا به الى مصر بعد ان نهبوا داره واحرقوها واحرقوا دوراً اخرى كثيرة واخذوا من الغنائم شيئاً كثيراً . ولما بلغوا بملك قبرس الى القاهرة اصطفت العساكر امام باب القلعة صفين ودخل الملك بينهما مقيداً راكباً بغلاً وامر السلطان بسجنه . ثم اتفق ملك قبرس مع السلطان ان يؤدي اليه ٢٠٠ الف دينار يدفع نصفها وهو بالقاهرة والنصف الثاني بعد عوده الى قبرس ويدفع كل سنة ٢٠ الف دينار فافرج السلطان عنه وعاد الى بلاده

وفي هذه السنة كملت عمارة المدرسة الاشرفية التي بناها الاشرف هذا عند سوق الوراقين بالقاهرة . وفي سنة ٨٣٣ ﻫ وقع طاعون شديد الوطأة في مصر واستمر اربعة اشهر فمات به من الناس كثيرون حتى قيل انه مات في يوم واحد نحو ٢٤ الف شخص وضج الناس من ذلك وصار يودع بعضهم بعضاً وقال شاعر في ذلك

قد نقص الطاعون ثلث الورى واهلك الوالد والوالدة
كم منزل كالشمع سكانه اطفاهمو في نفخة واحدة

وفي سنة ٨٤١ ﻫ مرض السلطان الملك الاشرف برس باي وحصل له مخوليا فامر بنفي الكلاب من القاهرة الى بر الجيزة فاتموا امره . ورسم ان لا تخرج امرأة من بيتها فكانت المرأة اذا ارادت الخروج من بيتها لحاجة اخذت ورقة من المحتسب وجعلتها برأسها لتباح ان تمشي بالسوق الى غير ذلك من الاوامر التي لا طائل تحتها . ثم اشتد مرضه وتوفي يوم السبت ١٢ ذي الحجة من السنة المذكورة بعد ان ملك ١٧ سنة وستة ايام

٦١٣ ــ العزيز يوسف بن برسباي

من سنة ٨٤١ — ٨٤٢ ﻫ او من سنة ١٤٣٨ ــ ١٤٣٨ م

فتولى بعده ابنه يوسف بن برس باي ولقب الملك العزيز وكان عمره يوم توليته اربع عشرة سنة فقام بتدبير دولته الاتابك جقمق فاستبد بامور الدولة وصار صاحب الحل والعقد . وفي سنة ٧٤٢ ﻫ دبت عقارب الفتنة بين الاتابك جقمق و بين الامراء الاشرفية واخذوا يعاكسون الاتابك في ما يعمله من الامور . وكان الملك العزيز بيد جقمق كالواب يحركه كيف شاء وليس له من السلطنة الا الاسم فقط . وقصد الامراء مرات قتل الاتابك جقمق ولكن التف جماعة من الامراء المؤيدية والناصرية عليه وتعصبوا له ووثبوا على الملك العزيز ومعهم كثيرون من المماليك السيفية وانتشب القتال بين هؤلاء و بين الامراء الاشرفية فلم تكن ساعة حتى انهزم الامراء الاشرفية وتشتتوا . واتفق محازبو جقمق على تمليكه واستدعوا الخليفة المعتضد بالله داود وقضاة المذاهب الاربعة فخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا الاتابك جقمق الآتي ذكره

٦١٤ — الملك الظاهر جقمق

من سنة ٨٤٢ — ٨٥٧ هـ او من سنة ١٤٣٨ — ١٤٥٣ م

فجلس جقمق على كرسي السلطنة وتلقب بالملك الظاهر . وبعد سلطنته وزع المناصب والاقطاعات كيف شاء فولى نيابة السلطنة بمصر اقبغا التمرازي وهو آخر من تولى نيابة السلطنة بمصر اذا ابطلوا هذه المرتبة

وفي سنة ٨٤٣ هـ خرج اينال الحكمي نائب الشام عن الطاعة واظهر العصيان وتابعه على ذلك تغري برمش نائب حلب فارسل السلطان اليهما العساكر ونصب الاتابك اقبغا التمرازي المذكور نائبا بالشام عوضاً عن اينال الحكمي . فسار التمرازي الى الشام وحارب النواب المنتقضين فكسرهم واسرهم وقطع رؤوسهم وارسلها الى القاهرة فعلقت على باب زويلة

وفي سنة ٨٥٧ هـ توفي الملك الظاهر جقمق العلائي ولما شعر بثقل مرضه دعا الخليفة القائم بامر الله حمزة وقضاة المذاهب الاربعة وعهد بالملك الى ولده عثمان وخلع نفسه من السلطنة . وقد انشأ الملك الظاهر كثيرًا من المساجد والمعابد والقناطر والجسور وكان يكرم العلماء ويصلهم ويحب الفقراء ولا سيما الايتام منهم

٦١٥ — المنصور عثمان بن جقمق

سنة ٨٥٧ هـ او سنة ١٤٥٣ م

هو فخر الدين عثمان بن جقمق جلس على سرير الملك في حياة ابيه اذ خلع نفسه عن السلطنة كما مر سنة ٨٥٧ هـ ولقب بالملك المنصور . وكان اتابك عسكره اينال العلائي

ولم يكن في الخزينة مال فانقص الملك المنصور من نفقة العساكر وضرب دنانير ذهباً بنقص كل دينار منها عن الاشرفي قيراطين واراد ان ينفق هذه الدنانير

على العساكر فتألب المماليك الاشرفية والمؤيدية والتف اليهم جماعة من المماليك السيفية وقصدوا بيت الاتابك اينال العلائي فاركبوه على كره منه ودعوا الخليفة القائم بامر الله حمزة وكتبوا محضراً شهد فيه جماعة بما يوجب خلع الملك المنصور وبايعوا الاتابك اينال العلائي بالسلطنة ووثبوا على الملك المنصور وحاصروه في القلعة واستمرت الحرب بينهم من يوم الاثنين الى يوم السبت وقطعوا الماء عنه ومنعوا الاقوات عن عسكره حتى يئس الملك المنصور وانهزم من كان معه فقبض اينال على الملك المنصور وقيدة وارسله الى الاسكندرية وسجنه بها فكانت مدة سلطنته ٤٣ يوماً

٦١٦ — الملك الاشرف اينال العلائي

من سنة ٨٥٧ — ٨٦٥ هـ او من سنة ١٤٥٣ — ١٤٦١ م

اما اينال العلائي فبعد مبايعته بالسلطنة سمي الملك الاشرف وكني ابا نصر ولقب سيف الدين. وكان عاقلاً حسن السيرة فسعدت الدولة على يده ولم يحصل في ايامه ما يهم ذكره الى ان توفي سنة ٨٦٥ هـ فكثر عليه الحزن والاسف كما قيل

هي الدنيا اذا كملت وتم سرورها خذلت
وتفعل بالذين بقوا كما في من مضى فعلت

وكانت مدة ملك الملك الاشرف اينال ثماني سنين وشهرين وستة ايام وكان عمره ٨١ سنة

٦١٧ — المؤيد احمد بن اينال

سنة ٨٦٥ هـ اوسنة ١٤٦١ م

وبويع بعده ابنه احمد بن اينال ولقب الملك المؤيد وكان عمره لما استوى

على منصة الملك ٣٨ سنة . وكان اهلاً للسلطنة و بصيرًا بصالح الرعية لكن خانه الزمان وغدر به مماليك ابيه لاربعة اشهر من ملكه فخلعوه من السلطنة و بايعوا اتابك العسكر خشقدم

٦١٨ — الظاهر خشقدم

من سنة ٨٦٥ — ٨٧٢ ﻫ او من سنة ١٤٦١ — ١٤٦٧ م

هذا الملك ليس جركسي الاصل كباقي ملوك هذه الدولة بل هو رومي جلبه التاجر ناصر الدين فعرف بالناصري واشتراه منه الملك المؤيد شيخ المار ذكره واعتقه وصار جمادارًا وبقي خاصكيًا في دولة الملك المظفر احمد بن المؤيد شيخ الى ان صار مقدم الف بدمشق ولما تغير خاطر السلطان على الامير قاني بك حاجب الحجاب ونفاه استحضر خشقدم من دمشق وانعم عليه باقطاع الامير قاني بك سنة ٨٥٤ ﻫ . ثم صار خشقدم امير سلاح في دولة الملك الاشرف اينال ولما توفي هذا الملك وتولى بعده ابنه المؤيد احمد استعمل خشقدم اتابك العسكر . ثم خلع المماليك المؤيد وعهدوا بالسلطنة الى خشقدم فبويع بها في ١٧ رمضان سنة ٨٦٥ ﻫ ولقب الملك الظاهر

وكان الملك الظاهر خشقدم المذكور حكيما بارًا حليماً محباً لرعيته ساهرًا على راحتهم فاحبته الرعية واجمعوا على طاعته والاخلاص له فحكم ست سنوات ونصفًا كلها سلام ونعيم وتوفي في ١٠ ربيع اول سنة ٨٧٢ ﻫ

٦١٩ — الظاهر بلباي المؤيدي

سنة ٨٧٢ ﻫ او سنة ١٤٦٧ م

لما توفي الملك الظاهر خشقدم اتفق الامراء على مبايعة اتابك عسكره الامير

بلباي المؤيدي (نسبة الى الملك المؤيد شيخ) وحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف وقضاة المذاهب الاربعة فبايعوه بالسلطنة وسمي الملك الظاهر وكني بابي نصر ولقب بسيف الدين . فلما جلس على منصة الملك جعل تمربغا اتابك العساكر ووزع باقي المناصب على من اراد وقبض على بعض الامراء وارسلهم الى السجن بالاسكندرية وقطع نفقة بعض الخدام . فنفرت منه قلوب الرعية وحصلت فتنة بين المماليك افضت الى اجتماع الامراء يوم السبت ٧ جمادى الاولى من سنة ٨٧٢ ﻫ واحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وخلعوا الملك الظاهر بلباي واتفقوا على ان يبايعوا بها الاتابك تمربغا ثم قبضوا على بلباي وقيدوه وارسلوه الى السجن بالاسكندرية فكانت مدة سلطنة الملك الظاهر بلباي المذكور شهرين الا اربعة ايام

٦٢٠ — الظاهر تمربغا

سنة ٨٧٢ ﻫ او سنة ١٤٦٧ — ١٤٦٨ م

فاستقر الامير تمربغا بالسلطنة (وهو رومي الاصل) ولقب بالملك الظاهر وكني بابي سعيد وكان كفوًا للسلطنة وله المام ببعض العلوم والفنون . فلما استوى على عرش السلطنة جعل الامير قايتباي اتابك العساكر ووزع المناصب والاقطاعات على من شاء من الامراء ثم وقعت الوحشة بينه وبين المماليك الخشقدمية . فاتفق مقدمهم خير بك مع باقي المماليك على خلع الملك الظاهر والبيعة له فهجموا على قصر السلطان ليلة الاثنين ٦ رجب وقبضوا على السلطان وعلى جماعة من امرائه وسجنوهم . وظن الامير خير بك أن الامر تم له واخذ يوزع المناصب في تلك الليلة ولسان الحال يناديه « كلام الليل يمحوه النهار »

وكان الاتابك قايتباي غائبًا ولما بلغه الخبر اسرع الى المدينة وجمع جماعة الظاهرية واستمال الاينالية على الامير خير بك ووعدهم ومناهم فاتفقوا تلك الليلة

نفسها على خلع السلطان تمربغا وتولية الاتابك قايت باي . وعند الفجر اركبوه وساروا به نحو القلعة فلما رأى خير بك ذلك اضطرب وضاق به الامر فاخرج السلطان تمربغا من السجن واجلسه على منصته وقبل الارض قدامه مستغفرًا واستلقى امامه وقال «اقتلني فانا كنت باغيًا عليك» فاجابه السلطان «لا انا ولا انت بقي لنا بقاء» ودافع الخشقدمية وخير بك قايت باي وجماعته بقدر طاقتهم ولكنهم انكسروا وتشتتوا وقبض قايت باي على خير بك و بعض عصبته فقيدهم وسجنهم بمحل بالقلعة وارسل السلطان تمربغا الى ثغر دمياط دون قيد مكرماً . ودعوا الخليفة والقضاة الاربعة و بايعوا قايت باي بالسلطنة . وكانت مدة سلطنة تمربغا ٥٨ يوماً

٦٢١ — الملك الاشرف قايت باى

من سنة ٨٧٢ — ٩٠١ هـ او من سنة ١٤٦٨ — ١٤٩٦ م

اصل قايت باي جركسي جلبه الى مصر تاجر اسمه محمود فنسب اليه فقيل المحمودي واتصل الى الملك الظاهر جقمق فنسب اليه ايضاً فقيل الظاهري . والملك الظاهر جقمق هوالذي اعتقه وصيره جدارًا ثم خاصيكيًا ثم داودارًا كبيرًا ولما توفي الظاهر جقمق وتسلطن الظاهر بلباي جعله رأس نوبة النواب ولما تولى الظاهر تمربغا جعله اتابك العساكر الى ان اتفق العسكر على سلطنته و بايعه بها الخليفة والقضاة الاربعة سنة ٨٧٢ هـ وسمي الملك الاشرف وكني ابا نصر ولقب سيف الدين

ولما جلس الاشرف على كرسي المملكة كانت البلاد في غاية الاضطراب لتوالي الفتن بها فاستعمل الصرامة والحزم في معاملة المفسدين حتى استتب امره وعادة السكينة الى البلاد وساد الامن وعم العدل ولم يحصل في داخلية البلاد مدة ملكه الطويلة شيء من الفتن . فالتفت الاشرف الى خارجية البلاد

ورأى ان بلاده وان امنت من الفتن الداخلية فلا تأمن من عدو خارجي متربص لها يريد ابتلاعها وضمها الى بلاده الواسعة نعني به بايزيد العثماني الذي بعد ان اتسعت دولته بما فتحه من بلاد الروم طمع في الاستيلاء على الشام ومصر وسير عساكره سنة ٨٩٢ هـ . فلما وصل العسكر العثماني الى ادنة اتصل الخبر بالملك الاشرف فجند عسكرًا لصدهم فكانت بين العسكرين وقعة قتل فيها خلق كثير من الفريقين وعاد العثمانيون الى ادنة فتبعهم المصريون اليها وحاصروها وتسلموها اخيرًا بالامان . وعاد المصريون ظافرين

وفي سنة ٨٩٤ هـ لما رجع المصريون طمع العثمانيون في الاستيلاء على البلاد الحلبية فاهتم الملك الاشرف بارسال تجريدة اخرى أمرّ عليها قانصوه الشامي احد مقدمي الالوف فاستولوا في السنة التالية على بعض الاماكن من الدولة العثمانية ولكن حصل في العسكر المصري قلق من قبل النفقة فعادوا الى مصر سنة ٨٩٦ هـ وبعد قليل حصل الصلح بين بايزيد العثماني والملك الاشرف واطلق الاسرى من الفريقين

وفي سنة ٨٩٧ هـ كان بمصر طاعون شديد الوطأة مات به الوف من السكان وقيل كان يموت بهذا الوباء كل يوم اكثر من الف شخص . وعم الوباء الشام ولم يكن عدد الموتى بدمشق اقل من الموتى بالقاهرة

وفي سنة ٩٠١ هـ حمّ السلطان الاشرف قايت باي وزاد مرضه فاجتمع يوم السبت ١٦ ذي القعدة من السنة الخليفة والقضاة الاربعة وخلعوه من السلطنة وهو في النزع وبايعوا ابنه محمدًا بالسلطنة ولما كان يوم الاحد ١٧ من الشهر المذكور توفي الملك الاشرف وعمره نحو ٨٦ سنة ومدة سلطنته ٢٩ سنة واربعة اشهر واياماً ولم تتفق هذه المدة لغيره من سلاطين هذه الدولة . وقد خلف كثيرًا من الآثار التي تحيي ذكره منها مدرسة بمكة المكرمة وعمارة المسجد الشريف فيها ومدرسة ببيت المقدس ومدرسة بدمشق واخرى بغزة واخرى بدمياط واخرى بالاسكندرية والجامع الذي بالصحراء والجامع الذي بالروضة الى غير ذلك من معاهد العلم والدين

٦٢٢ ــ الناصر محمد بن قايت باى

من سنة ٩٠١ ــ ٩٠٢ هـ او من سنة ١٤٩٦ ــ ١٤٩٧ م

بويع بالسلطنة يوم السبت ١٦ ذي القعدة بحياة ابيه ودون رضاه لانه كان في النزع وكان له من العمر عند مبايعته ١٤ سنة واشهر وكني ابا السعادات ولقب بالملك الناصر وحالما جلس على كرسي السلطنة وزع الوظائف والاقطاعات على من شاء من الامراء وولى وعزل كثيرين . وانغمس في الشهوات الجسدانية وانعكف علي الالعاب الصبيانية حتي ثقلت وطاءته على رعيته . فاجتمع الامراء عند قانصوه خمسمائة (لقب بخمسمائة لانه ابتيع بالاصل بخمسمائة دينار) اتابك العسكر واحضروا الخليفة والقضاة الاربعة فخلعوا الملك الناصر بصورة شرعية وبايعوا قانصوه خمسمائة الآتي ذكره

٦٢٣ ــ الاشرف قانصوه خمسماية

سنة ٩٠٢ هـ اوسنة ١٤٩٧ م

واستقر قانصوه خمسمائة المذكور بالسلطنة ولقب الملك الاشرف وارسل بعض الامراء القبض علي الملك الناصر واعتقاله فتعصب له جماعة من المماليك ومنعوا الامراء من دخول القلعة وانتشب القتال بين الفريقين واستمد قانصوه خمسمائة الناس فلم يمدوه بل حاصره مماليك الناصر في باب السلسلة ومعه الخليفة والقضاة الاربعة واستمر الحال على ذلك يومين وفي آخر القتال جرح قانصوه خمسمائة واغمي عليه فحمله بعض غلمانه . ونزل مماليك الناصر الى باب السلسلة وهزموا من كان به وانتهبوا كل ما فيه وانتصر الناصر وعاد الى كرسي مملكته

٦٢٤ — الناصر محمد بن قايت باى (ثانية)

من سنة ٩٠٢ — ٩٠٤ هـ او من سنة ١٤٩٧ — ١٤٩٨ م

وعاد الناصر الى المملكة بعد هزيمة قانصوه خمسمائة كما تقدم وفي ثاني يوم توجه الخليفة والقضاة الاربعة الى قصر الناصر وهنأوه بانتصاره

وعاد الناصر الى ماكان عليه من شرب الخمر وعشرة النساء واللهو واللعب واهمل امر السلطنة ولم يتعلم مما حدث كيف يحسن سيرته حتى اوغر عليه صدور المماليك ثانية وتربصوا الفرص لاغتياله

وفي سنة ٩٠٤ هـ سار السلطان الى بر الجيزة واقام هناك ثلاثة ايام في ارغد عيش وقد خرج عن الحد في اللهو والخلاعة والطيش . وكأن لسان الحال يقول له .

تزود من الدنيا فانك لا تدري ... اذا جن ليلك هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمشي و يصبح آمناً ... وقد نسجت اكفانه وهو لا يدري

ثم ركب السلطان في آخر تلك الايام ولم يكن معه الا ابنا عمه و بعض سلحداريته ومر على الطالبية وكان هناك طومان باي متوجهاً الى البحيرة فخرج مسرعاً للقاء السلطان وسأله ان يحل عنده فأبي فقدم له طومان باي جفنة من لبن فاخر فوقف السلطان وهو راكب على فرسه وأخذ يتناول من اللبن وطومان باي ضابط لجام فرسه واذا بخمسين مملوكاً خرجوا من الخيام التي هناك وعاجلوا السلطان بالحسام قبل الكلام فقتلوه شر قتلة ونسب قتله الى طومان باي

٦٢٥ – الظاهر قانصوه الاشرفي

من سنة ٩٠٤ – ٩٠٥ هـ او من سنة ١٤٩٨ – ١٥٠٠ م

ولما توفي الناصر اختلف الامراء في من يولونه السلطنة بعده،ثم اتفقوا على مبايعة قانصوه الاشرفي (وهو خال الملك الناصر) فبايعوه وتلقب بالملك الظاهر وكني ابا سعيد ولما استقر له الملك اسند الى الاميرجان بلاط اتابكية العسكر بمصر واستعمل دولات باي في نيابة حلب والامير قصروه في نيابة الشام وبلباي في نيابة طرابلس

وكان طومان باي يطمع في السلطنة فلما تولى الملك الظاهر هرب الى الصعيد فارسل اليه السلطان يستدعيه وحلف له انه لا يهينه اذا قابله ولا يقبض عليه فلم يثق طومان باي بذلك الحلف واظهر العصيان . فتحقق الملك الظاهر الثورة عليه واخذ يحصن القلعة و يستعد للحصار بها وفرق السلاح على مماليكه وقبض على بعض الامراء الذين وقعت له بهم الشبهة، وتوجه طومان باي الى الازبكية بمن معه من الامراء وكان الاتابك جان بلاط ساكناً هناك واتفقوا على خلع الملك الظاهر وساروا يحاصرون القلعة . ولم يكن عند الملك الظاهر الا نائب القلعة و بعض الامراء ونحو الف رجل ومع ذلك استمرت الحرب بين الفريقين ثلاثة ايام و بعدها دخل طومان باي باب السلسلة وانهزم الملك الظاهر وتشتت من كان معه بالقلعة . ودخل الملك دار الحريم ولبس زي امرأة وتوجه نحو الترب فاختفى و بقي مختفياً نحو نصف شهر و بعد ذلك ظفر به الملك جان بلاط (الذى تولى بعده كما يأتي) فقيده وارسله الى الاسكندرية ووضعه في البرج فاستمر محبوساً ١٧ سنة وولد له هناك اولاد . وكانت مدة ولايته عاماً واحداً وثمانية اشهر ويومين

٦٢٦ — الملك الاشرف جان بلاط

من سنة ٩٠٥ — ٩٠٦ ﻫ او من سنة ١٥٠٠ — ١٥٠١ م

وبعد خلع الملك الظاهر قانصوه الاشرفي المتقدم ذكره اجتمع الامراء وقرّ رأيهم على مبايعة الامير جان بلاط فبايعوه يوم ١٢ ذي الحجة سنة ٩٠٥ ﻫ واقب الملك الاشرف فعصي قصروه نائب الشام فارسل له عسكرًا بقيادة اتابك عسكره الامير طومان باي ولكن هذا عوضًا عن ان يقاتل العاصي اتفق معه وعاد الى القاهرة مع العساكر المجهزة الى الشام فحاصروا القلعة واستمرت نار الحرب ثلاثة ايام وظهر اخيرًا ان الدائرة ستدور على الاشرف جان بلاط فاخذ الامراء والجنود ينسحبون من القلعة ويحضرون الى طومان باي . ولما ضاق الامر على الاشرف جان بلاط دخل الى دور الحريم واختفى . ودخل طومان باي وجماعته القلعة وقبضوا على جان بلاط وقيدوه بقيد ثقيل ثم ارسلوه الى السجن بالاسكندرية ثم خنقوه بالسجن . وكانت مدة سلطنته ستة اشهر وثمانية عشر يومًا

٦٢٧ — الملك العادل طومان باي

سنة ٩٠٦ ﻫ او سنة ١٥٠١ م

بويع له اولاً بدمشق يوم الجمعة ١٥ جمادى الاولى سنة ٩٠٦ ﻫ ولقب الملك العادل وبعد ان صلى الجمعة بالجامع الاموي دخل قلعة دمشق وسكن بها وخطب له بالشام . ثم سافر من دمشق الى مصر وفي خدمته قصروه اتابكه الذي كان نائب الشام . وفي ١٩ جمادى الاخرى طلع الملك العادل طومان باي الى قلعة مصر واحضر القضاة والخليفة وقرئت عليهم مبايعته بدمشق فأمضى له الجميع وفرح الناس بذلك لبغضهم لجان بلاط لخبث طويته ورجاء لعدل هذا الملك . ولما تمكن من الملك بعد نصف شهر قتل قصروه واستخف بالامراء المقدمين فحقدوا عليه

واتفق الامير قنبل امير السلاح والاشرف الغوري الدودار الكبير وغيرهما فركبوا عليه في ١٧ رمضان من السنة فنزل في آخر نهاره من القلعة هاربا واختفى فتبعه العسكر الى ان ظفروا به فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه في تربته التي اعدها لنفسه ايام امارته في اطراف الصحراء من جهة القبلة فكانت مدة سلطنته ثلاثة اشهر ونصفاً

٦٢٨ — الملك قانصوه الغوري

من سنة ٩٠٦ — ٩٢٢ ه او من سنة ١٥٠١ — ١٥١٦ م

وبعد خلع الملك العادل طومان باي اتفق الامراء على تولية الامير قانصوه الغوري الدودار الكبير فبايعوه ولقبوه الملك الاشرف وقد اختاره امراء مصر للسلطنة لانه كان لين العريكة سهل الازالة اي وقت ارادوا عزله عزلوه لانه كان اقلهم مالاً واضعفهم حالاً واوهنهم قوة ولما عرضوا عليه السلطنة قال « لا اقبل السلطنة الا بشرط ان لا تقتلوني فاذا اردتم خلعي فاخبروني وانا اوافقكم وانزل لكم عن الملك » فعاهدوه على ذلك فقبل وفرح العسكر بولايته . وكان كثير الدهاء ذا فطنة ورأي الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم فاخذ يلقي الفتنة بين الامراء ويأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم في الطعام حتى افنى كبراءهم ودهاتهم . ولم يحدث في داخلية البلاد في ايامه امر يستحق الذكر

وفي سنة ٩٢٢ ه بلغ الملك الاشرف قانصوه الغوري ان السلطان سليماً الاول العثماني عازم على ان يحمل على سورية ومصر لينتزعها من ايدي الملوك الجراكسة . فتجهز الملك الاشرف وخرج بالعساكر المصرية الى الشام فسار الى دمشق ومنها الى حلب وهناك وصله وفد من السلطان سليم العثماني للمفاوضة في الصلح (وكان ذلك خدعة حربية من السلطان سليم ليمنع قانصوه من الاستعداد) فخلع الملك الاشرف على وفد السلطان العثماني وارسل الى السلطان سليم الامير

مغلباي الدوادار للمفاوضة بامر الصلح . فقبض السلطان سليم عليه ووضعه في الحديد وقصد شنقه فشفع به بعض وزرائه . ثم امر السلطان سليم عساكره ان يسيروا نحو حلب فوصلوا الى عنتاب وملكوا قلعة ملطية وغيرها . فلما بلغت هذه الاخبار الملك الاشرف خرج من حلب وسير امامه النواب والعساكر . وعاد اليه الامير مغلباي مهانًا وقص عليه ما انزل به السلطان سليم من التعذيب والتهديد ثم خلى سبيله وقال له « قل اسلطانك ان يلاقينا الى مرج دابق » فاضطرب الاشرف من ذلك

وفي يوم الاربعاء ١١ رجب سنة ٩٢٢ هـ رحل الاشرف الى مرج دابق . وفي ١٥ من الشهر المذكور اقبلت عليه جيوش السلطان سليم وحصلت بين الفريقين معركه شديدة انجلت عن هزيمة المصريين وقتل الملك الاشرف قانصوه الغوري ووثب عسكر العثمانيين على من بقي من عساكر الغوري فقتلوا من ادركوا وشتتوا الباقين شذر مذر وغنموا ما كان في معسكرهم . وكانت مدة سلطنة الغوري ١٥ سنة و٩ اشهر . ومن آثاره جامع الغورية ومدرسة الغورية في اول شارع السكة الجديدة بالقاهرة

ثم دخل السلطان سليم حلب فملكها دون معارض ثم توجه الى حماة فملكها والى حمص فاستولى عليها ثم قدم الى دمشق فخرج اهلها الى لقائه وطلبوا منه الامان فأمنهم وضبط حصون المدينة ومهد امورها . وكذا استحوذ على سورية كلها واقام بها عمالاً من خواصه وسار منها نحو مصر

٦٢٩ — طومان باى

من سنة ٩٢٢ — ٩٢٣ هـ او من سنة ١٥١٦ — ١٥١٧ م

وبعد وفاة الغوري وعود من سلم من الامراء في وقعة مرج دابق الى مصر اجتمع الامراء في القاهرة واتفقوا على تولية طومان باي ابن اخي الغوري الذي

كان يدبر الملك في غيبة الغوري فبايعوه ولقبوه الملك الاشرف . وحال جلوسه على كرسي السلطنة ابتدأ يستعد بتجهيز العساكر لتخليص الشام من العثمانيين . ولكن السلطان سليماً العثماني لم يمهله ريثما يتم قصده لانه لما تم فتح سورية تقدم الى مصر وقسم عسكره فرقتين فرقة جاءت من تحت الجبل الاحمر وفرقة صدمت المصريين في الريدانية فهزموهم وشتتوا شملهم وثبت الملك الاشرف طومان باي يقاتل بنفر قليل الى ان خاف القبض عليه فولى واختفى . ودخل القاهرة جماعة من العثمانيين شاهرين سيوفهم واحرقوا بعض الدور ونهبوا بعضها وذلك في اواخر سنة ٩٢٢ ﻫ

وفي افتتاح سنة ٩٢٣ ﻫ امر السلطان سليم بالكف عن النهب . واشخصوا لديه من قبضوا عليهم من الجراكسة فامر بضرب اعناقهم . وفي يوم الاثنين ٣ محرم سنة ٩٢٣ ﻫ دخل السلطان سليم القاهرة في موكب حافل . اما طومان باي فلما هرب جمع عسكراً كثيراً ووثب يوم الاربعاء ٥ محرم على محلة السلطان سليم واحتاطها من جميع الجوانب فانتشبت الحرب وحمي وطيسها ودامت الليل كله واستأنف القتال في اليوم التالي فانهزم المصريون بعد ان دافعوا دفاع الابطال ولولا البارود والمدافع التي مع العثمانيين وكان المصريون لا يعرفونها لذلك الوقت لما انهزم المصريون ولكن هي الاقدار فاذا اراد الله امراً هيأ اسبابه

ولما ظهر لطومان باي عجزه عن مقاومة العثمانيين هرب الى الصعيد ولحق به هنالك كثيرون من الامراء والعسكر حتى قوي جمعه فتقدم الى بر الجيزة وبرز اليه العثمانيون من القاهرة وحصلت بين الفريقين موقعة اخرى هائلة تغلب في اولها المصريون ولكن دارت عليهم الدوائر في آخرها وولى طومان باي منهزماً ملاقاه حسن بن مرعي في ضيعة اسمها البوطة وكان حسن المذكور صديقاً قديماً لطومان باي فنزل عليه ضيفاً بعد ان حلف له ان لا يخونه ولا يدل عليه واذا بالعرب بان احتاطوا عليه من كل جهة وهو لا يدري واعلموا السلطان سليماً فارسل جماعة من عسكره فقبضوا عليه وغللوه واتوا به اليه فاقامه مقيداً عنده اياماً . وفي يوم ١١ ربيع

اول سنة ٩٢٣ هـ شنقه على باب زويلة في القاهرة وكانت سلطنته ثلاثة اشهر واربعة عشر يوماً وانقرضت به دولة المماليك الجراكسة واصبحت سورية منذ ذلك الحين الى الان في قبضة سلاطين آل عثمان الفخام واستمرت مصر كذلك مدة طويلة الى ان ظهر محمد علي باشا رأس الدولة المحمدية العلوية فاستولى عليها ولم تزل مصر الى اليوم تحت حكم الدولة المحمدية العلوية ادام الله ظلها . والملك لله يؤتيه من يشا وهو العزيز الحكيم

٦٣٠ — بقية اخبار الصليبيين

من سنة ٦٥٩ — ٦٩٠ هـ او من سنة ١٢٦١ — ١٢٩١ م

انتهينا في كلامنا عن الصليبيين في فصل (٤٧١) بهزيمة الملك لويس ملك فرنسا ووقوعه اسيرًا في ايدي المصريين الى ان فدى نفسه وسار بمن سلم من رجاله الى فلسطين ومن هناك توجه الى اوربا سنة ١٢٥٤ م . ثم اغار التتر على سورية فاشتغل المسلمون عن الفرنج بهم وكان التتر يأمنون احيانًا الفرنج عند غزواتهم لسورية كيلا يتجشموا حرب المسلمين والنصارى معاً . ولم يكن الفرنج المقيمون بسورية على وفاق بينهم بل كانت عداوة شديدة بين اهل جنوة واهل البندقية المتوطنين بعكا . ولم يكن لاورشليم ملك الا بالاسم فقط . وكانت اوربا في اسوأ حال من تهديد البربر لها ومن الاختلافات بين ملوكها والانقسامات الداخلية ايضاً في بعض ممالكها . وزاد في الطينة بلة وفي الطنبور نغمة سقوط مملكة اللاتين في القسطنطينية لان الملك ميخائيل باليولوغوس طرد منها الملك بودين الثاني سنة ١٢٦١م . ففي هذه الحال السيئة قام في السلطنة الاسلامية الملك الظاهر بيبرس وفي سنة ١٢٦٣ م بعد ان اخرب بلاد انطاكية سار بعساكره المتوافرة الى فلسطين فارتاع الفرنج من دنوه اليهم وارسلوا يطلبون منه الامان فارسل واحرق كنيسة الناصرة ونهبت عساكره كل البلاد التي بين

نايين وجبل طابور راتوا فجاوا تجاه عكا ومن الغريب ان الملك الظاهر استطاع ان يغري امير صور الافرنجي ليعاونه على عكا فوعده بالاجابة الى ذلك واتفق مع اهل جنوة وحاصر عكا بحرًا حين كان بيبرس يحاصرها برًا . على ان امير صور راجع نفسه وكف عن حصار عكا فاستشاط بيبرس من اخلاف الامير وعده له وجاهر انه سوف ينتقم من الفرنج فاخرب القرى والمزارع وقام سكان المدن على اسوارها ينتظرون يومًا فيومًا قدوم المسلمين اليهم

وفي سنة ١٢٦٥ م قصد بيبرس قيسارية فدافع اهلها شديد الدفاع ولما يئسوا تركوا المدينة وامتنعوا بالقلعة لكنها مع مناعتها لم تقوَ على مهاجمات عسكر بيبرس فافتتحوها وساروا منها الى ارسوف و بعد ان حاصروها اربعين يومًا اظهر فيها الفرنج شجاعة فائقة افتتحوها عنوة ودخل المسلمون اليها فصلوا في كنائسها التي حولوها جوامع وقتلوا الكثيرين من سكانها واستعبدوا الباقين منهم ثم عاد بيبرس الى مصر . وفي سنة ١٢٦٦ م خرج بيبرس قاصدًا فلسطين ونازل صفد وافتتحها بعد قتال شديد ثم تقدم الى يافا فملكها ودك اسوارها سنة ١٢٦٧ م . وفي سنة ١٢٦٨م ساق بيبرس عساكره الى انطاكية و بعدان نازلها ودافع الفرنج عنها بقدر ما في امكانهم دخل المسلمون المدينة عنوة فلم يبقوا على احد ممن وجدوا من سكانها واستحلوا دم الفرنج وعرضهم واموالهم . ولما امسى الفرنج بسورية بهذه الحال السيئة سار رئيس اساقفة صور اللاتيني ورئيس الفرسان الهيكليين والاسبتاليين الى اوربا يستصرخون البابا والملوك والشعوب لانجادهم فكان جل من لبى دعوتهم لويس التاسع ملك فرنسا فنهض ثانية سنة ١٢٧٠ م بجيش عظيم (وهذه هي التجريدة التاسعة والاخيرة للصليبيين) وقصد اولاً شطوط افريقية لينتقم من التونسيين قبل مسيره الى فلسطين لانهم كانوا قد ازعجوا واقلقوا امنية البحر بتواتر غزوات مراكبهم القرصانية وسلبوا اكثر الذخائر والمهمات التي كانت ترسل من اوربا اسعافًا الى فلسطين . فحاصر لويس التاسع المذكور مدينة قرطاجنة وضيق عليها وهزم جيوشها وافتتحها ولكنه توفي في اثناء ذلك مع جانب من جيشه

من امراض و بائية اصابتهم . و بعد وفاة لويس انتصر ابنه الملك فيليب وعساكره على سلطان تونس وارغموه على معاهدة مع الفرنج مذلة له ومشرفة للفرنج وفي جملة موادها اباحة النصارى مباشرة امور دينهم و بناء المعابد لهم . وكان ادوارد بن انريكس الثالث ملك انكلترا قد لحق بلويس التاسع ملك فرنسا الى تونس و بعد وفاته سار الى عكا ومعه نحو ثلثماية فارس والف راجل وانضم اليهم فرسان الهيكل والاسبيتال وجماعة من الفرنج حتى صار عسكرهم نحو سبعة الاف مقاتل فزحفوا اولاً الى فونيقي لاعادة الاتصال بين مدن النصارى وكان المسلمون قد قطعوه فعانوا مضض الحر وافرط بعضهم في اكل الفواكه والعسل فمات بعضهم . ثم توجهوا الى الناصرة فملكوها وتذكروا تدمير بيبرس لكنيستها فقتلوا من وجدوا فيها من المسلمين ونهبوا بيوتهم . و بعد هذا الانتصار لم يشاء الامير ادوارد ان يستأنف القتال اما لانه لم يرَ قوة كافية للثبات في القتال وأما لانه رأى الافرنج المقيمين بسورية لا يرغبون فيه فعقد هدنة مع الملك الظاهر بيبرس الى مدة عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات و بعد التوقيع عليها عاد الى انكلترا سنة ١٢٧١ م وهكذا انتهت هذه الحملة التي هي التاسعة والاخيرة من حملات الفرنج على سورية . وانحصرت اخيرًا فتوحات الصليبيين في سواحل فلسطين مثل طرابلس وعكا وصور و بيروت وغيرها ولكنهم لم يلبثوا الا قليلاً حتى وافاهم الملك المنصور قلاون ونازل طرابلس و بعد قتال شديد استولى عليها سنة ١٢٨٩ م ثم تجهز للمسير الى عكا لكنه وافاه القضاء قبل اتمام قصده حيث توفي سنة ٦٨٩ ﻫ او سنة ١٢٩٠ م وتولى بعده ابنه الملك الاشرف صلاح الدين بن قلاون ولم يكن اقل رغبة من ابيه في اخراج الافرنج من فلسطين فخرج من مصر في ذات السنة في جيش عظيم بلغ عدده ٤٠ الف فارس و٢٠٠ الف راجل وتوجه توًا قاصدًا عكا ونازلها وحاصرها حصارًا شديدًا وضربها بالمنجنيق ودافع الفرنج عنها بكل ما في قوتهم واخيرًا اقتحم المسلمون عكا ودخلوها بالسيف واثخنوا في الفرنج واشتدت نكايتهم فيها الى درجة لم يسبق لها

تطاير حتى تكردست جثث الافرنج وملأت الشوارع واحرقوا كنائسها ودورها فاحترق فيها جمع كثير . وامر السلطان اخيرًا بهدم كل القلاع والحصون والابرجة والكنائس واست عكا قاعًا صفصفًا وكوم انقاض.اما من نجا من الفرنج من عكا فتفرقوا شذر مذر وقل من نجا منها ولحق باوربا

ولما فتح المسلمون عكا وقع الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام فاخلوا صيدا و بيروت وتسلمها نائب السلطان وهكذا خرجت سواحل الشام من ايدي الفرنج بعد ان استمرت في ايديهم نحو ١٩٣ سنة . ومن ذلك الحين انمحت اخبار الصليبيين من بلاد فلسطين وكان عدد من مات وقتل منهم في هذه الحروب من باب التقريب نحو مليوني نفس فسبحان المبدي المعيد الفاعل ما يريد

(تنبيه) اخبار الصليبيين تفرقت في هذا الكتاب في الفصول الآتية (٥٤) و (٥٦) و (٥٩) و (٦٠) و (٦٢) و (٤٧١) و (٦٣٠) فاذا اردت الوقوف على اخبار الصليبيين جملة فاقرأ هذه الفصول الواحد بعد الآخر حسب الترتيب المتقدم

٦٣١ — الدولة العلية العثمانية

(تمهيد) العثمانيون فصيلة من الاتراك سموا بهذا الاسم نسبة الى عثمان ابن ارطغرل بن سليمان شاه . وكان سليمان شاه المذكور سلطانًا في بلاد ماهان قرب بلخ ولما ظهر جنكزخان التتري واخرب بلاد بلخ واخرج منها خوارزم شاه سنة ٦١٧ هـ ارتحل سليمان في عشيرته الى جهة بلاد الروم فغرق في احد الانهر عند عبوره به وعاد ابنه ارطغرل فقام في جهات ارزروم وكان ينجد علاء الدين السلجوقي سلطان قونية في حروبه فكافأه باقطاعه اياه عدة اعمال ومدن وهو اخذ لنفسه من ملك الروم مدينة قره حصار وغيرها ، ثم توفي ارطغرل سنة ٦٨٧ هـ

٦٣٢ – السلطان عثمان خان بن ارطغرل

من سنة ٦٨٧ – ٧٢٦ هـ او من سنة ١٢٨٨ – ١٣٢٦ م

ولما توفي ارطغرل عين الملك علاء الدين السلجوقي اكبر اولاده مكانه وهو « عثمان » مؤسس دولتنا العلية العثمانية . ولما اغار التتار سنة ٧٠٠ هـ على اسيا الصغرى وقتل علاء الدين السلجوقي سلطان قونية استقل من كان تحت سلطته من الامراء وتقاسموا الممالك بينهم فكان نصيب الامير عثمان جزأً من مملكة بورصة وبعض بلاد بر الاناضول فتولى احكام البلاد المذكورة وقرر لها قواعد وتنظيمات وسمي باديشاه (اي سلطان) آل عثمان وجعل قصبة ملكه ايكي شهر واخذ في تحصينها وتحسين ابنيتها وتوسيع مملكته وحارب الروم في نيكومدية وظفر بهم وبعد ان استتب امره وقوي ملكه ارسل الى جميع امراء الروم ببلاد اسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة امور الاسلام او الجزية او الحرب فاسلم بعضهم وانضم اليه وقبل البعض دفع الخراج واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار واستدعوهم لنجدتهم . ولما علم السلطان عثمان بذلك جهز جيشاً لمحاربتهم وارسله بقيادة ابنه اورخان وبعد قتال عنيف انهزم التتار وتشتت شملهم فقويت شوكة العثمانيين بهذا الانتصار وسمت همة السلطان عثمان بالاستيلاء على اسيا الصغرى جميعها وقبل ان يشرع في ذلك قسم بلاده بين اولاده واقطعهم اياها وابقى هو لنفسه مدينة ايكي شهر . ولما اطمأن باله من جهة داخلية بلاده وجه همه الى توسيع نطاق مملكته ففتح سنة ٧٠٧ هـ ناحية مرمرة وحصن كته وحصن امكه وحصن آق حصار وحصن قوج حصار . وفي سنة ٧١٢ هـ افتتح حصن كوه وحصن يكيبه ظراقلوا وحصن تكور بيكاري وغيره وفي سنة ٧١٧ هـ ابتدأ بمحاصرة مدينة بورصة ولما طال حصارها امر ببناء قلعتين في طرفي المدينة واسكن فيهما الجند وامرهم بالتضييق على اهل البلد وقطع الميرة عنهم وعاد هو الى مدينة ايكي شهر تاركاً ابنه اورخان لاتمام فتح مدينة بورصة فحاصرها نحو عشر سنوات ودخلها

اخيرا بلا قتال اذ ارسل ملك قسطنطينية اوامره الى عامله على هذه المدينة بالانسحاب فاخلاها ودخلها اورخان وعساكره ولم يتعرض لاهلها بسوء مقابل دفع ٣٠ الفا من عملتهم الذهبية . وذلك سنة ٧٢٦ هـ . وفي هذه الاثناء توفي السلطان عثمان بن ارطغرل بعلة النقرس وكان شجاعاً كريماً حتى كان لا يمسك شيئاً ولم يترك عند موته من جميع الاموال والتحف النفيسة التي استحوذ عليها في حروبه ومغازيه سوى بعض ملبوسات وامتعة لا تذكر من جملتها سبحة كان يحملها دائماً يقال انها لم تزل موجودة في دار التحف في القسطنطينية

٦٣٣ — السلطان اورخان بن عثمان

من سنة ٧٢٦ ــ ٧٦١ هـ او من سنة ١٣٢٦ – ١٣٦٠ م

ولما توفي السلطان عثمان تولى بعده ابنه اورخان وفي اول ولايته نقل كرسي سلطنته الى مدينة بورصة لحسن موقعها . ومن اهم اعمال السلطان اورخان وضعه نظاماً للجيوش العثمانية اذ كانت قبل ذلك الوقت لا تجمع الا وقت الحرب وتصرف بعده . فخشي السلطان اورخان من تحزب كل فريق من الجند الى القبيلة التابع اليها وانفصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيه في ايجادها فاشار عليه احد فحول ذلك الوقت واسمه قره خليل (وهو الذي صار فيما بعد وزيراً اول باسم خير الدين باشا) باخذ الشبان من اسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم واصلهم وتربيتهم تربية اسلامية بحيث لا يعرفون لهم ابا الا السلطان ولا حرفة الا الجهاد في سبيل الله ولعدم وجود اقارب لهم بين الاهالي لا يخشى من تحزبهم معهم . فاعجب السلطان اورخان هذا الرأي وأمر بتنفيذه في الحال ودعا هذا الجيش المنتظم بالتركية « يكيچاري » اي الجيش الجديد ثم صرف في العربية وصار انكشاري

وسلك السلطان اورخان مسلك ابيه في توسيع نطاق مملكته فحارب الروم

واخذ منهم نيقية سنة ١٣٣٠ م وساقس سنة ١٣٣٤ م . وما زال يتقدم في فتوحاته حتى اشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز غليبولي

وكانت الامبراطورية الرومية يومئذ في حالة الانحطاط الكلي واركانها متزعزعة بسبب الحروب الداخلية التي حدثت فيها بين سنة ١٣٤١ — ١٣٤٧ م في زمن وكالة يوحنا كنتا كوزين الذي كان نائباً للامبراطور يوحنا باليولوغوس مدة حداثته فكان ذلك داعياً الى دخول الدولة العثمانية الى بلاد اوربا . وذلك ان النائب المذكور لما رأى نفسه مبغوضاً ومرفوضاً من طوائف الروم استعان عليهم بآل عثمان فامدوه وانتصروا له عند دخولهم اوربا وبهذه الواسطة استولوا على جملة حصون و بلدان في تلك الجهات . وفي سنة ١٣٥٩ م اجتاز الامير سليمان ابن السلطان اورخان بوغاز شنق قلعة وفتح مدينة غليبولي التي هي مفتاح القسطنطينية ثم توفي في عنفوان شبابه سنة ١٣٦٠ م (٧٦١ هـ) فحزن عليه ابوه السلطان اورخان حزناً عظيماً ومن فرط حزنه استولت عليه الهموم والامراض ولم يمكث بعده الا يسيراً وتوفي في السنة نفسها ودفن بمدينة بورصة

٦٣٤ — السلطان مراد خان الاول ابن اورخان

من سنة ٧٦١ — ٧٩١ هـ او من سنة ١٣٦٠ — ١٣٨٩ م

وتولى بعده ابنه السلطان مراد خان الاول وكان من شجعان الرجال مجاهداً في نصرة دين الاسلام . وكانت فاتحة اعماله احتلال مدينة انقرة مقر سلطنة القرمان وذلك ان سلطان هذا الاقليم واسمه علاء الدين اراد انتهاز فرصة انتقال الملك من السلطان اورخان الى ابنه السلطان مراد لاثارة حمية الامراء المستقلين باسيا الصغرى وتحريضهم على قتال العثمانيين ليقوضوا اركان مملكتهم الآخذة في الامتداد يوماً فيوماً فكانت عاقبة دسائسه انه فقد اهم مدائنه و بعد ضياعها منه ابرم

الصلح مع السلطان مراد وزوجه ابنته لتمكين عرى الاتحاد بينهما و بذلك انضمت مدينة كوتاهية الى المملكة العثمانية لان امير قرمان وهبها لابنته عند زفافها

اما في اوربا ففتح البكلر بك لاله شاهين مدينة ادرنة (ادريانا بوليس) في سنة ١٣٦١ م وجعلها السلطان مراد عاصمة المملكة العثمانية واستمرت عاصمة لها الي ان فتحت مدينة القسطنطينية . وفتح ايضاً مدينة فيلبية (فيليبو بوليس) قصبة الروملي الشرقي

وفتح القائد افرينوس بك مدينتي وردار وكلجمينا باسم السلطان مراد خان

واضطرب لذلك الملوك المسيحيون المجاورون للدولة العلية فاتحد في سنة ١٣٨٨ م اهل الصرب والفلاخ ودلماطيا والمجر والبلغار وتحزبوا جميعاً على السلطان مراد خان قاصدين بذلك تعطيل فتوحاته وتوقيفه عن التقدم . ولما علم السلطان مراد باتحادهم ساق جيوشه اليهم والتقى الفريقان في سهل قوص أوه وبعد قتال شديد انهزم الفرنج وانتصر العثمانيون انتصاراً باهراً خلد لهم ذكراً جميلاً واستولوا على بلاد الصرب . وبعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان السلطان مراد يمر بين القتلى اذ قام من بينهم جندي اسمه ميلوك كو بلوفيتش فطعن السلطان بمدية فقتله . وكانت وفاته في ١٥ شعبان سنة ٧٩١هـ

٦٣٥ — السلطان بايزيد الاول ابن مراد خان

من سنة ٧٩١ — ٨٠٤ هـ او من سنة ١٣٨٩ — ١٤٠٢ م

وخلفه ابنه السلطان بايزيد الاول وكان على جانب عظيم من الشجاعة وقد تعود مقاساة الخطوب ومشقات الحروب فتبع خطوات ابيه في الغزو والجهاد . وكان اول امر شرع فيه افتتاحه الممالك التركية الصغيرة التي كانت مستقلة في جهات الاناطول . ثم افتتح ايالات الروملي ومكدونيا والبلغار . وبعد هذه الانتصارات صمم على فتح القسطنطينية واخضاع الممالك الافرنجية فزحف بجيش عظيم الى نواحي

اوربا واستولى على مدينة سالونيك ثم شن الغارة على بلاد المجر وانتصر على جيش الافرنج في وقعة عظيمة حدثت في ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٩٦ م . ثم حول وجهه نحو القسطنطينية وشرع في حصارها . وكان امبراطورها يومئذ مانوئيل باليولوغوس فاضطرب وبعث الى من جاورة من الملوك يطلب اليهم المساعدة والامداد على المسلمين . وكان السلطان بايزيد قد خاف من اتحاد الملوك النصارى وتحزبهم عليه فعقد مع الروم صلحاً على عشر سنين بشرط ان يدفعوا له ٣٠ الف ريال وان يجعل في القسطنطينية قاضياً من قضاة الاسلام وان يبني بها مسجداً للمسلمين

غير انه لم يمكث الا قليلاً حتى عاد الى حصار القسطنطينية ثانية وضيق عليها حتى كاد يفتحها ولكن لما بلغه قدوم تيمورلنك التتري بعساكره على مملكته وافتتاحه كثيراً من بلدانها اضطرب وعظم الامر عليه والتزم ان يرفع الحصار عن القسطنطينية و يقفل راجعاً ليصد هجمات التتر عن بلاده . وسبب اغارة تيمورلنك التتري على الدولة العثمانية ان سلطان بغداد المدعو احمد بن اويس التجأ الى السلطان بايزيد حينما هاجمه المغول في بلاده . فارسل تيمورلنك الى السلطان بايزيد يطلبه فابى تسليمه . فاغار تيمور بجيوشه الجرارة على بلاد اسيا الصغرى وافتتح مدينة سيواس بارمينية واخذ ابن السلطان بايزيد المدعو ارطغرل وقطع رأسه ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمورلنك فتقابل الفريقان في سهل انقرة و بعد قتال شديد انهزم العثمانيون ووقع السلطان بايزيد اسيراً بيد التتار وذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ هـ فاعتقله تيمورلنك الى ان توفي في اعتقاله في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ هـ . وبعد وفاة السلطان بايزيد وقع الخلاف والشقاق بين اولاده ودامت بينهم المنازعة بنحو ١١ سنة وكان ولده الامير عيسى قد وضع يده على جميع البلاد الواقعة بالقرب من انقرة وسينوب والبحر الاسود فوثب عليه اخوه الامير محمد جلبي فقتله واستولى على تلك الاقاليم اما اخوهما سليمان فاختاره العثمانيون ان يكون سلطاناً عليهم في اوربا فبايعوه بعد موت ابيه السلطان بايزيد وكان اخوه الامير موسى يترقب فرصة لكي يفتك به فانقض عليه ذات يوم وهو

راقد في فراشه وطعنه بخنجر في صدره فقتله وكان ذلك سنة ١٤١٠ م ثم اقتسم السلطنة مع اخيه محمد جلبي المتقدم ذكره . وفي سنة ٨١٦ هـ الموافقة ١٤١٣ م وقع بين الاخوين خلاف افضى الى القتال فتحاربا وكانت الدائرة على الامير موسى فولى هاربًا فتبعه فارس من فرسان اخيه محمد جلبي وقبض عليه واحضره بين يدي اخيه فامر بقتله

٦٣٦ — السلطان محمد جلبي ابن بايزيد

من سنة ٨١٦ — ٨٢٤ هـ او من سنة ١٤١٣ — ١٤٢١ م

وبعد ذلك انفرد السلطان محمد الاول بالسلطنة وصفت له الايام وتوافد اليه رسل ملوك الفرنج والروم مقدمين له التهاني بالنيابة عن ملوكهم فاحترمهم واكرمهم ثم شرع في تمهيد الامور وعقد الصلح مع الدول الاجنبية وقوى معهم روابط المحبة والاتحاد ليتمكن من التفرغ لاصلاح داخلية بلاده . فاعاد رونق السلطنة بعد ذبوله ووسع نظامها ونظم امورها وجعلها على امتن اساس بعد ذلك الخراب الذي اصابها من وقائع تيمورلنك والمنازعات التي وقعت بين الاخوة ابناء السلطان بايزيد كما تقدم . وبالجملة كان سعيد الطالع عادلا كريمًا شفوقًا على الرعية واستمر عزيزًا جليلاً الى ان توفي سنة ٨٢٤ هـ

٦٣٧ — السلطان مراد خان الثاني ابن محمد

من سنة ٨٢٤ — ٨٥٥ هـ او من سنة ١٤٢١ — ١٤٥١ م

وتولى بعده ابنه السلطان مراد الثاني ولاول ولايته عقد صلحًا مع امير قرمان وعقد هدنة مع ملك المجر الى خمس سنين . وقد طلب منه عمانوئيل ملك الروم ان يتعهد له بان لا يحارب مطلقًا وان يسلمه اثنين من اخوته رهينة لقيامه بهذا التعهد

والا فيطلق سبيل الامير مصطفى (عم السلطان مراد الذى كان في حوزة هذا الملك) واذا لم يجبه السلطان الى طلبه أطلق الملك عنا نوئيل الامير مصطفى واعطاه عشرة مراكب بامرة ديمتريوس لاسكاريس فاتي مصطفى بها وحاصر كاليبولي فسلمت اليه القلعة . فتركها وقصد ابن اخيه السلطان مراد بادرنة فخافه بعض قواده وتركه اكثر جنوده فاضطر الى الانهزام وعاد الى كاليبولي فسلمه بعض اتباعه الى ابن اخيه السلطان مراد فكان اخر العهد به

وسار السلطان مراد الى القسطنطينية ليأخذ بثأره من ملك الروم الذي اطلق عمه فحاصر هذه المدينة في ٢٤ اغسطس سنة ١٤٢٢ م الموافق ٣ رمضان سنة ٨٢٥ هـ فلم يتمكن من فتحها لعصيان احد اخوته عليه واستعانته عليه ببعض امراء اسيا فاخمد السلطان مراد هذه الفتنة ايضاً بقتل اخيه وارهاب محازبيه واسترد الولايات التي كان تيمورلنك قد اعادها الى استقلالها وانصرف عزمه الى استرداد ما كان للعثمانيين في اوربا فكانت له محاربة شديدة مع ملك المجر فانتصر عليه واجبره على معاهدة من فحواها ان يتخلى ملك المجر عن كل ماله على عدوة نهر الدانوب اليمنى ليكون هذا النهر فاصلا بين املاك الدولة العلية والمجر . ولما رأى امير الصرب جورج برنكوفيتش عجزه عن مناواة السلطان مراد عاهده ان يدفع اليه كل سنة ٥٠ الف دوك ذهباً وان يقدم له فرقة من جنوده في وقت الحرب . وفي سنة ١٤٣٠ م اعاد السلطان مراد فتح سالونيك التي كان ملك الروم قد تخلى عنها الى جمهورية البندقية وقصد البانيا فاطاعه سكان يانية وغيرهم مشترطين عدم التعرض لهم في امور دينهم وعوائدهم . وفي سنة ١٤٣٣ م اعترف امير الفلاخ بسيادة العثمانيين عليه تخلصاً من غوائل الحرب ثم ثار هو وامير الصرب على السلطان مراد بتحسين ملك المجر لهما الانتقاض على السلطان فحاربهما وقهرهما . وحارب ملك المجر واثخن في مملكته وعاد سنة ١٤٣٨ م من هذه الحرب بجم غفير من الاسرى . ثم حاصر بلغراد عاصمة الصرب ولم يتوفق الى فتحها . فلما ذاع في اوربا خبر فتوح الاتراك ارتعدت فرائص الممالك الافرنجية خوفاً من ضياع القسطنطينية وتقدم العثمانيين

على باقي الممالك النصرانية فنهض البابا اوجينيوس وشرع في عقد تحالف بين الدول الافرنجية لاجل مقاومة المسلمين فتصدى لذلك لادسلاس ملك المجر وبولونيا وتقدم بعساكره تحت قيادة رئيسهم يوحنا هونيادس الشهير وانضم اليهم جم غفير من المجاهدين الفرنساويين والجرمانيين وصدموا الاتراك في معركتين عظيمتين واستظهروا عليهم حتى اضطر السلطان مراد ان يعقد معهم صلحاً وينسحب وكان ذلك سنة ١٤٤٣ م . فلما سكنت الفتن والقلاقل تنازل السلطان مراد عن كرسي السلطنة الى ولده محمد الثاني (الملقب بالفاتح) وانقطع في داره منفرداً عن الناس وعكف على العبادة . فانتهز لادسلاس ملك المجر تلك الفرصة افسخ المدنة المذكورة وتقدم ثانية لمحاربة الاتراك بعد ان حرض ملك القرمان على مقاتلتهم ولما رأى السلطان مراد هذه الاحوال خاف من عواقب الامور واضطر ان يعود الى الملك ثانية فجهز جيشاً عرمرماً وسار لمصادمة الافرنج فتلاقى الفريقان في ١٠ نوفمبر سنه ١٤٤٤ م تجاه مدينة فارنا على سواحل البحر الاسود فشبت بينهما نيران القتال وثبتت جيوش النصارى امام صفوف المسلمين في تلك المعركة الهائلة وقاومت الجيوش العثمانية اشد المقاومة مع انهم اقل عدداً منهم بسبب انسحاب معاضديهم الفرنساويين والجرمانيين الذين كانوا قد رجعوا لبلادهم بعد الانتصار الاول . ولكن حمية لادسلاس ملك المجر وبولونيا وشجاعته الخالية من التبصر حملته على اقتحام مواكب الاعداء فقتل في ساحة المعركة وبموته انهزمت جنوده وتفرق شملهم . فاخذ هونيادس قائدهم يجمع شتيت العساكر ويحرضهم على الرجوع والثبات فلم ينجح لان الرعب كان قد استولى عليهم وكان عدد قتلاهم عشرة الاف نفس . وبعد تمام النصر واستخلاص مدينة فارنا رجع السلطان الى عزلته وتنازل عن الملك ثانية الى ابنه السلطان محمد الثاني الفاتح ولكنه لم يلبث في عزلته طويلاً لان الانكشارية ازدروا ملكهم محمداً وعصوه ونهبوا ادرنة فعاد السلطان مراد واخمد فتنتهم سنة ١٤٤٥م ولكي يشغلهم بالحرب اغار على بلاد اليونان وقصد مدينة كورنثية (كورنثوس) وكانت محصنة ففتحت مدافع العثمانيين (هذا كان

اول استعمال العثمانيين المدافع) ثلما في اسوارها دخلت منه الجنود الى هذه المدينه وملكوها ولكنهم لم يتمادوا باخذ باقي البلاد لثورة اسكندر بك واثارته الفتن في بلاد البانيا كما نذكره الان انشاء الله

اسكندر بك هذا ابن رجل يدعى يوحنا كاتريوكان حاكماً بالارث على قسم صغير من تلك البلاد فلما رأى قدوم السلطان بالعساكر الجرارة لمحاربته خاف سوء العواقب وعقد معه صلحاً وعاهده على دفع الجزية وانه ينقاد لجميع اوامره بشرط ان يبقيه في ولايته وان يكون من جملة عماله فاجابه السلطان الى ذلك بعد ان اخذ اولاده الاربعة رهينة عنده فاختلط ثلاثة منهم بمماليك السلطان حتى صاروا لا يمتازون عنهم في العوائد والملابس واما الرابع وهو اصغرهم المسمى جورج فارتقى في باب السلطان الى درجة سامية بسبب ذكائه وشجاعته ثم اسلم بعد ذلك واقب باسكندر بك وصرف معظم ايامه في الحروب في خدمة الدولة العثمانية ولكنه ندم اخيراً على ما فرط منه في محاربة الطوائف المسيحية فارتد الى مذهبه الاصلي ودخل البانيا ودعا رؤساء قبائل الالبانيين فوافقوه على استخلاص بلادهم من يد العثمانيين وجمعوا الرجال وطردوا العثمانيين من اكثر مدن بلادهم فسار السلطان في جيش كثيف وحاصر مدينة آق حصار مدة ولما لم يجد سبيلا الى فتحها لضعف جيوشه بسبب هذه الحروب المتواصلة اراد ان يتفق مع اسكندر بك على الصلح بان يقلده امارة البانيا في مقابلة جزية سنوية ولما لم يقبل اسكندر بك هذا الاقتراح رفع السلطان الحصار عن المدينة وعاد الى ادرنة عاصمة ممالكه ليجهز جيوشاً جديدة لقمع هذا الثائر لكنه توفي في يوم ٥ محرم سنة ٨٥٥ هـ

٦٣٨ - السلطان محمد الثاني الفاتح ابن مراد خان

من سنة ٨٥٥ — ٨٨٦ هـ أو من سنة ١٤٥١ — ١٤٨١ م

وخلفه ابنه السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح (لقب بالفاتح لانه فاتح

مدينة القسطنطينية) ولد سنة ١٤٢٩ م واستوى على عرش الملك وله اثنتان وعشرون سنة فنقل جثة ابيه الى بورصة وأخذ يتأهب لفتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية وكان يومئذ على القسطنطينية الامبراطور قسطنطين دراغاسيس ابن الامبراطور عمانوئيل فلما بلغه هذا الخبر انزعج وتأثر وارسل الى السلطان محمد يلاطفه بالكلام فطرد رسله وجعل يبني حصوناً وابراجاً على جهات بوغاز القسطنطينية ثم بعث اليه سفارة ثانية يقول له « أن بنا هذه القلاع والحصون ما وراءها الا الخصام وجيوش الشر والحرب فأن لم تحملك العهود والمواثيق على عقد الصلح بيننا فذاك اليك وقد فوضت امري الى الله تعالى فان هداك وعطف قلبك كان ذلك غاية المراد وان كان قـد قضى لك بفتح القسطنطينية فلا مرد لقضاء احكامه والا فلا ازال ادافع عنها بكل طاقتي وجهدي الى آخر نسمة من حياتي » فلم يلتفت السلطان محمد الى ذلك المقال بل حاصر مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م من جهة البر بجيش لا يقل عن مايتي الف جندي ومن جهة البحر باسطول مؤلف من ١٨٠ سفينة . وكان الامبراطور قسطنطين المذكور قد استمد ملوك اوروبا فلبى دعوته جمهورية جنوة وارسلت اسطولاً بامرة جوستينياني فكانت حرب هائلة بين الاسطولين انتصر فيها الجنويون ورفع الروم لهم السلاسل الحديدية المانعة لدخول سفن العثمانيين فدخلت سفن جنوة واعادوا تلك السلاسل وراءهم . فمهد السلطان محمد طريقاً في البر ورصفه بالواح صب عليها زيتاً ودهناً لتزلق السفن عليها وبهذه الطريقة تمكن في ليلة واحدة ان يدخل سبعين سفينة الى البحر داخل السلاسل . وفي اليوم التالي هاجم المدينة بجيشه البري ومن كانوا بالسفن فافتتحها بعد أن قتل امبراطورها قسطنطين في المعركة وذلك في ٢٠ جمادى الاولى سنة ٨٥٧ هـ (سنة ١٤٥٣ م)

وأرخ بعض الشعراء هذا الفتح بقوله:

رام امر الفتح قوم أولون		حازه بالنصر قوم آخرون

٨٥٧ هـ

ودخل السلطان محمد كنيسة أجيا صوفيا شاهراً سيفه في يده قائلاً « اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله » وأمر ان يؤذن فيها اعلاناً بجعلها جامعاً للمسلمين . وبعد الفتح عزم السلطان محمد على جعل القسطنطينية مقر سلطنته فرخص لكل من اراد الرجوع اليها من الروم ان يبقى على دينه رغبة في عمارها لكن لما كان ذلك غير كاف لترميها وتحسينها امر بجمع نحو عشرة الاف عائلة من ولايات مختلفة ليأتوا اليها ويسكنوها . وولى على الاروام بطريركاً واعطاه عصا البطركية وخاتمها حسبما جرت به عادة القياصرة في الازمنة السابقة وقسم باقي المدينة من كنائس ومعابد بين النصارى والمسلمين وجعل لكل من الفريقين حدوداً لا يتعداها

ومن ذلك الوقت دعيت مدينة القسطنطينية اسلامبول (تخت الاسلام او مدينة الاسلام) . وبعد فتح السلطان القسطنطينية سار قاصداً فتح المورة فارسل ديمتريوس وتوماس اخوا قسطنطين الملك حاكما المورة يعرضان عليه قبول دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر الف دوك فاكتفى السلطان بذلك وسار الى بلاد الصرب فسأل اميرها الصلح مع السلطان على ان يدفع كل سنة ثمانين الف دوك فاجابه السلطان اليه وكان ذلك سنة ١٤٥٤ م لكنه اعاد الكرة في السنة التالية على بلغراد عاصمة الصرب وحاصرها . وكان هونيادس القائد المجري الشهير قد دخل اليها قبل الحصار فدافع عنها حتى اضطر السلطان الى رفع الحصار عنها سنة ١٤٥٥ م . وكان هونيادس قد اصيب بجراح مات بسببها بعد رفع الحصار فارسل السلطان بعد موته الصدر الاعظم محمود باشا فاتم فتحها من سنة ١٤٥٨ – ١٤٦٠ م وزال استقلال الصرب قطعياً . وفي هذه المدة عاد السلطان الى المورة فاستحوذ عليها وهرب توماس الى ايطاليا ونفى ديمتريوس اخاه الى جزيرة في الارخبيل وبعد عوده من المورة صالح اسكندر بك (الذي تقدم خبر ثورته على السلطان مراد) وترك له ولاية البانيا وابيروس . وسار الى اسيا الصغرى يدوخ ما بقي بها غير خاضع له ففاز بما تمنى ودخل مدينة طرابزون دون مقاومة شديدة واتى

بصاحبها داود كومرين اسيرًا الى القسطنطينية

وقصد السلطان بعد ذلك بلاد الفلاخ فتظاهر ملكها بطلب الصلح على ان يدفع كل سنة عشرة الاف دوك فاجابه السلطان الى ذلك . لكن هذا الملك اتحد مع ملك المجر وانتقض على السلطان فسار اليه بمائة وخمسين الف مقاتل فهزمه وشتت جمعه وانتهى الى بخارست عاصمة ملكه وانهزم ملك الفلاخ الى ملك المجر فعزله السلطان ونصب اخاه مكانه وضم بلاده الى املاك الدولة العلية . وفي سنة ١٤٦٢ م حارب السلطان امير البشناق لامتناعه عن دفع الجزية واسره هو وابنه وامر بقتلها فدانت له البشناق . وفي سنة ١٤٦٤ م حاول ملك المجر اخذ البشناق فهزمته جيوش السلطان واصبحت البشناق ولاية عثمانية وخسرت ما كان لها من الامتياز . ومنذ سنة ١٤٦٣ م ابتدأت العداوة بين السلطان وجمهورية البندقية فاستحوز العثمانيون على مدينة ارغوس وكانت للبنادقة فارسلت الجمهورية اسطولاً الى المورة فثار سكانها وقاتلوا الحامية التي بها وحاصروا قرنتية واستردوا ارغوس فهب السلطان اليهم في ثمانين الفاً فارجعوا ما كان البنادقة قد اخذوه . ولكن ثار اسكندر بك الشهير والي البانيا وحارب العثمانيين في مواقع كثيرة وشغل العثمانيين عن قتال البنادقة مدة حتى توفي سنة ١٤٦٧ م . ثم استئنف القتال بين العثمانيين والبنادقة فافتتح العثمانيون اجريبوس مركز مستعمرات البنادقة في بحر الروم سنة ١٤٧٠ م . وفي هذه السنة ضم السلطان بلاد قرمان الى مملكته وفي سنة ١٤٧٥ م حاربت العساكر العثمانية بلاد البغدان فلم تفز بالنصر فعزم السلطان على فتح بلاد القرم ليستعين بفرسانها على فتح بلاد البغدان فدانت له بلاد القرم واصبحت ولاية من ولاياته وعاد جيشه الى البغدان فاشتهر اسطفانوس الرابع اميرها بالمدافعة سنة ١٤٧٦ م فلم تنل العساكر العثمانية مأرباً من هذه البلاد . ثم جرت معاهدة صلح بين السلطان والبنادقة سنة ١٤٧٩ م بعد تخليهم عن اشقوردة للسلطان

وفي سنة ١٤٨٠ م صمم السلطان محمد على افتتاح جزيرة رودس فارسل لها

عمارة بحرية مشحونة بمائة الف مقاتل تحت قيادة ميشطس باشا الذي هو من العائلة الباليولوغية وكان قد اعتنق الديانة الاسلامية بعد فتح السلطان محمد مدينة القسطنطينية فحاصر الجزيرة المذكورة ثلاثة اشهر بدون نتيجة ثم ارتحل عنها . وفي هذه السنة فتحت عساكر السلطان الجزر الواقعة بين بلاد اليونان وايطاليا ومدينة اوترانت في جنوبي ايطاليا

وكان هذا السلطان العظيم لا تكل همته ولا تفتر عن الفتوحات وشن الغارات فجهز سنة ١٤٨١ م جيشين عظيمين احدهما لمحاربة جزيرة قبرس تحت قيادة احد وزرائه وقاد الثاني بنفسه لقتال العجم وبينما هو في اثناء الطريق ادركته الوفاه فمات بمدينة ازنكميد وذلك يوم ٤ ربيع الاول سنة ٨٨٦ ﻫ الموافق ٣ مايو سنة ١٤٨١ م . وكان هذا السلطان من اشهر سلاطين آل عثمان موصوفاً بالشجاعة وقوة الجنان وعلو الهمه وقد قال فيه بعض واصفيه

تاج الملوك محمدٌ من دوخت ... هام الملوك من العدا سطواته

فخر السلاطين العظام وبابه ... شرف الانام رفيعةٌ درجاته

بملكه طاب الزمان وقد صفت ... اوقاته واستسعدت ساعاته

وكانت مدة ملكه ٣١ سنة تم في خلالها مقاصد اسلافه ففتح القسطنطينية ووسع السلطنة

٦٣٩ — السلطان بايزيد خان بن محمد

سنة ٨٨٦ — ٩١٨ ﻫ أو من سنة ١٤٧١ — ١٥١٢ م

وخلفه في الملك ابنه السلطان بايزيد الثاني الذي كان حاكماً باماسية وكان ميالاً الى السلم اكثر من ميله الى الحرب . وكان له أخ يسمى جم (ويسميه الفرنج زيزم) كان حاكماً بقرمان فلما بلغه خبر وفات ابيه سار في من لاذ به فدخل مدينة بورصة عنوة وراسل أخاه السلطان بايزيد في ان يقتسما المملكة بينهما فلم

يجيبه اخوه الى ما طلب . فعزم جم على اغتصاب المملكة من يداخيه وتقدم بجاز بيه نحوه وبرز السلطان بايزيد لقتاله فالتقى العسكران في المكان المعروف بسلطان أوكي على شاطي نهر ايكي شهر فوقع بينهما قتال شديد ثم انتصر السلطان بايزيد وانهزم أخوه جم الى طرف حلب مستنصراً بالملك الاشرف قايت باي ولما وصل الى مدينة القاهرة اكرمه السلطان قايت باي اكراماً عظيماً ثم بدا له ان يحج الى بيت الله الحرام ولما اتم مناسك الحج عاد الى البلادالقرمانية وجمع لنفسه احزاباً ونهض بهم الى قتال اخيه ثانية وعزم على حصار مدينة قونية فصده واليها عنها وراسل اخاه في ان يقطعه بعض الولايات فأبى . فألتجأ الامير جم الى فرسان القديس يوحنا برودس طالباً أن يساعدوه على نيل اغراضه فقبلوه بالتجلة والاكرام فارسل السلطان بايزيد الى رئيس هولاء الفرسان أن يبقي أخاه عندهم ويتعهد له بعدم التعرض لاستقلال جزيرتهم مدة ملكه ويدفع لهم كل سنة ٤٥ الف دوك فقبل الفرسان ذلك ووفوا بعهدهم وارسلوا الامير محفوظاً الي نيس ثم الى شمبري وبقي متنقلاً في فرنسا الى سنة ١٤٨٩ م ثم انتقل الى رومة . وفي هذه الاثناء حاصر ملك فرنسا رومة وطلب من البابا تسليم الامير جم فسلمه اياه وبقي مع جيش فرنسا الى سنة ١٤٩٥ م حين توفي بنابولي ونقلت جثته الى بورصة . اما السلطان بايزيد فقل ما كان له من الفتوحات ولكن كانت له وقعات مع بعض المتاخمين لمملكته فصدهم عن السطو عليها . وحصلت بينه وبين قايت باي سلطان مصر وسورية حرب وذلك لان الاخير كان قد آوى أخاه جم واكرمه فاغتاظ من ذلك السلطان بايزيد وجهز جيشاً لقتال قايت باي وبرز قايت بالعساكر المصرية والشامية لقتال السلطان بايزيد والتقى الفريقان عند جبل امان في قرمان وبعد قتال شديد انتصر قايت باي وعاد السلطان بايزيد بدون فائدة ثم قصد بلاد اوروبا سنة ١٤٨٦م واستولى على جانب عظيم من بلاد البغدان وغيرها من اقاليم تلك الاطراف . وفي سنة ١٤٩٧ م زحف على بلاد بولونيا فاوقع بها واستولى على جانب عظيم منها . وكانت للسلطان بايزيد علاقات حسنة مع روسيا وكانت مخابرات بين

السلطان وبين البابا اسكندر السادس وملك نابولي ودوك مدبولان وجمهورية فلورنسا طمعاً بمساعدة العساكر العثمانية لهم بشؤونهم . ثم استجد الخلاف بين السلطان والبنادقة . وارسل البنادقة فحاصروا جزيرة مدللي (متيلين) ليمنعوا العثمانيين عن السطو على بلادهم فانتصر العثمانيون على البنادقة ولكن اضطربت احوال المملكة الداخلية لعصيان أولاد السلطان عليه فاضطر أن يعقد صلحاً مع محاربيه ليتفرغ لتمهيد داخلية بلاده

وكان للسلطان بايزيد ثمانية أولاد مات خمسة منهم صغاراً وبقي له ثلاثة وهم كركود واحمد وسليم وكان كركود من اهل العلم والادب لا يهتم بالسياسة والحرب فلم يكن له معهم شأن يذكر وكان احمد محبوباً من الاعيان والامراء اما سليم فكان بطلا شجاعاً فاحبته الجنود عامة والانكشارية خاصة . وخشي والدهم ان اختلاف النزعة بينهم يؤدي بهم الى النزاع فنصب كلاً منهم في ولاية . وكان نصيب سليم طرابزون فلم يرضه وطلب الى ابيه ان يوليه احدى ولايات اوروبا فأبى السلطان اجابة طلبه . فانتقض سليم على والده وجاهر بالعصيان وسار في جيش من قبائل التتر الى الروملي وأرسل والده جيشاً لارهابه فلم يرهب وسار الى ادرنة وسمى نفسه سلطاناً عليها فارسل أبوه جيشاً فانهزم منه لكن أرغم والده على العفو عنه لالحاح الانكشارية فعفا عنه ونصبه والياً على سمندرية وبينما هو سائر اليها التقاه الانكشارية في طريقه واتوا به الى القسطنطنية باحتفال عظيم وساروا به الى القصر وسألوا السلطان أن يتنازل عن الملك فقبل واستقال في يوم ٧ صفر سنة ٩١٨ ﻫ سنة ١٥١٢ م وسافر للاقامة بديموتيقا فتوفي في طريقه في ١٠ ربيع الاول من السنة

٦٤٠ — السلطان سليم الاول ابن بايزيد

من سنة ٩١٨ — ٩٢٦ ﻫ او من سنة ١٥١٢ — ١٥٢٠ م

وحالما جلس السلطان سليم الاول على كرسي المملكة نازعه اخوه الامير احمد وبرز السلطان سليم لقتاله فتقاتلا امام مدينة ايكي شهر فانتصر السلطان سليم على اخيه وامر به فخنق وحملوا جسده ودفنوه في مدينة بورصة . وبعد ان اخمد السلطان هذه الثورة الداخلية عزم على قصد بلاد العجم لقتال شاه اسماعيل سلطان العجم لانه كان يساعد الامير احمد بن بايزيد سرًّا ويجتهد ان يتحد مع ملك مصر على قتال السلطان سليم . فلما رأى السلطان هذه المظاهر العدوانية نهض في جيش كثيف في سنة ٩٢٠ ﻫ قاصدًا بلاد العجم وبرز شاه اسماعيل بظاهر تبريز للدفاع عن بلاده فحصلت بين الفريقين معركة شديدة دامت ساعات طويلة وكانت الدائرة فيها على الاعجام فولوا الادبار وارتكنوا الى الفرار بعد ان قتل منهم عدد عظيم وقتل من العثمانيين اربعون الفًا حتى عدوا ذلك اليوم الذي انتصروا فيه من الايام المشؤمة ثم دخل السلطان مدينة تبريز وهي لذلك الوقت كرسي المملكة وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه وبعد ان استراح بها ثمانية ايام قام بجيوشه واخلى مدينة تبريز لعدم وجود المؤنة الكافية لجيوشه بها مقتفيًا اثر الشاه اسماعيل حتى وصل الى شاطئ نهر الرس وعندها امتنع الانكشارية عن التقدم لاشتداد البرد وعدم وجود الملابس والمؤنة اللازمة لهم فقفل راجعًا الى مدينة اماسيا باسيا الصغرى للاستراحة زمن الشتاء والاستعداد للحرب في اوائل الربيع

وعندما اقبل فصل الربيع رجع السلطان الى بلاد العجم ففتح قلعة كوماس الشهيرة ثم عاد الى القسطنطينية وترك قواده يستكملون فتح باقي مدن الشاه اسمعيل ففتحوا ماردين والرقة والموصل وكان ذلك سنة ٩٢١ ﻫ الموافقة سنة ١٥١٥ م

وفي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) سار السلطان سليم قاصداً فتح الشام ومصر واستخلاصهما من ايدي المماليك الجراكسة . وكان سلطان مصر في ذلك الوقت قانصوه الغوري فلما علم بتقدم السلطان سليم الى الشام خرج من مصر في جيش كثيف المدافعة عن بلاده فتقابل الجيشان في مرج دابق وبعد قتال شديد انهزم المصريون والشاميون وقتل سلطان الجراكسة قانصوه الغوري في المعركة وعلى اثر هذا الانتصار دخل السلطان سليم مدينة حلب واستولى عليها بغير كثير عناء ووضع يده على مدائن حمص وحماة ودمشق وفي مدة قريبة صارت الشام احدى الايالات العثمانية اما مصر فبعد مقتل الغوري بايعوا السلطان طومان باي فوضع يده عليها وابتدأ بالاستعداد لاخراج العثمانيين من الشام . ثم ارسل السلطان سليم الى طومان باي المذكور يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بسيادة الدولة العثمانية على القطر فظن طومان باي انه لولا ضعف العساكر العثمانية وعدم مقدرتهم قطع الرمال المحرقة بين الشام ومصر لما أرسل اليه السلطان سليم بطلب الصلح فتكبر وتغطرس واظهر الاستعداد لاخراج العثمانيين من الشام أيضاً . فلما عاد الرسول الى السلطان سليم واعلمه بما كان من هذا الجركسي تقدم مسرعاً الى الديار المصرية بجيشه الظافر ولم يمض طويل وقت حتى اطلت مقدمته على القاهرة فعسكر بجيشه بالخانقاة (الخانكة) في اواخر ذي الحجة سنة ٩٢٢ هـ . وفي ٢٩ ذي الحجة من السنة المذكورة انتشب القتال بين الطرفين بجهة العادلي (جهة الوايلي) ودام القتال والمناوشات مدة حتى تم الظفر للعثمانيين ودخل السلطان سليم القاهرة في ٨ محرم سنة ٩٢٣ هـ . اما طومان باي فالتجأ في من بقي معه الى بر الجيزة وصار يناوش العثمانيين ويقتل كل من يأسره منهم لكنه لم يلبث ان وقع في ايدي العثمانيين بخيانة بعض من معه وشنق بامر السلطان سليم في يوم ٢١ ربيع الاول سنة ٩٢٣ هـ الموافق ابريل سنة ١٥١٧ م ومن ذلك الوقت انقرضت دولة المماليك الجراكسة وصارت مصر ولاية عثمانية

وكانت مدينة القاهرة مقر الخلافة الاسلامية من بني العباس بعد دخول

بغداد في حوزة التتار وكان الخليفة منهم في ذلك الوقت المتوكل على الله محمداً فلما دخل السلطان سليم القاهرة تنازل له هذا الخليفة عن حقه في الخلافة الاسلامية وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي الراية والسيف والبردة وسلمه ايضاً مفاتيح الحرمين الشريفين . ومن ذلك الوقت صار كل سلطان عثماني اميراً للمؤمنين . وصارت اليهم السلطة الدينية والدنيوية معاً

وفي اوائل شهر سبتمبر سنة ١٥١٧ م سافر السلطان سليم من القاهرة عائداً الى القسطنطينية التي صارت من ذلك الوقت مقرًّا للخلافة الاسلامية العظمى وكان سفره عن طريق بلاد الشام فوصل الى دمشق في ٢٠ رمضان سنة ٩٢٣ هـ ومكث بها الى ٢٢ صفر سنة ٩٢٤ هـ ثم سافر الى مدينة حلب فاقام بها شهرين يدبر شؤونها ثم سار الى القسطنطينية عاصمة ملكه ولم يقم بها الا عشرة أيام للاستراحة وارتحل الى ادرنة فوصلها في ١٧ رجب سنة ٩٢٤ هـ (سنة ١٥١٨ م) . وهناك اتاه سفير من قبل ملك اسبانيا يسأله اباحة النصارى الحج الى اورشليم كما كان في دولة المماليك الجراكسة فاجابه السلطان الى ذلك على شرط دفع المبلغ الذي كان يدفع قبلاً للمماليك . وأخذ السلطان في تجهيز عمارة بحرية للحملة على رودس واعداد عساكر لمحاربة شاه العجم ثانية ولكن عاجلته المنية قبل انجاز ذلك فتوفي في ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٠ م

٦٤١ — السلطان سليمان خان الاول القانوني ابن سليم

من سنة ٩٢٦ — ٩٧٤ هـ او من سنة ١٥٢٠ — ١٥٦٦ م

وتولى بعده ابنه السلطان سليمان خان الاول الملقب بالقانوني . ولما وصل خبر انتقاله تخت السلطنة الى دمشق سولت للغزالي واليها نفسه الخروج وجاهر بالعصيان واستولى على قلعة دمشق وارسل احد اتباعه ليحتل بيروت وجد في استمالة خير بك والي مصر الى غرضه مبيناً له سهولة النجاح لبعدهما عن مقر الخلافة وحداثة

سن السلطان فلم يجبه خير بك الى ما طلب بل ارسل للسلطان كتاب الغزالي اليه فبعث السلطان فرحات باشا احد وزرائه في جيش كثيف لكبت الغزالي واخماد نار ثورته قبل امتدادها . فسار فرحات باشا في آخر ذي الحجة سنة ٩٢٦ هـ ولما وصل الى حلب وجد الغزالي محاصراً لها فعاد الغزالي دون قتال الى دمشق فتحصن بها فتأثره فرحات باشا وحاصره بدمشق وخرج الغزالي لقتاله في ١٧ صفر سنة ٩٢٧ هـ فهزم وقتل اغلب من كان معه وفر هو متنكراً ولكن خانه بعض اصحابه وقبض عليه وسلمه الى فرحات باشا فقتله وارسل رأسه الى القسطنطينية .

وكان السلطان سليمان قد ارسل سفيراً الى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية او الحرب فقتل ملك المجر هذا السفير . فاغتاظ السلطان سليمان لذلك جداً وزحف بعسكر جرار سنة ١٥٢١ م على بلاد المجر واقام الحصار على مدينة بلغراد وبعد قتال شديد استولى عليها ومع ان هذه النصرة فتحت له الباب للتقدم الى اوربا انثنى راجعاً وصمم على افتتاح جزيرة رودس فارسل اليها ٢٠٠ الف مقاتل مع عمارة بحرية مؤلفة من ٤٠٠ سفينة تحت قيادة صورم وبيري باشا فاقاموا عليها الحصار ولم يكن فيها يومئذ من العساكر الا ٦٠٠ و٦٠٠ من الفرسان وجاق شفاليرية ماري يوحنا المدعوين انصار بيت المقدس وكان قائدهم اذ ذاك يسمى شفاليردي ليل آدم وكان من شجعان ابناء زمانه موصوفاً بالذكاء والحزم فعظم عليه الامر وارسل من يومه يستعين بالامبراطور شارلكان ملك اسبانيا وفرنسيس الاول ملك فرنسا ويطلب اليهما المساعدة والامداد فلم يجيباه الى هذا الطلب بسبب المنازعات الواقعة بينهما في ذلك الوقت . فاستمر الحصار عليها نحو ستة اشهر واظهر ليل آدم المذكور في اثناء هذه المحاصرة من البسالة والثبات ما لا مزيد عليه حتى كلت همة الانكشارية وبينما كانوا قد عولوا على الانسحاب اتاهم السلطان سليمان بنفسه وشدد الحصار وانهض العزائم وضايق المحصورين من كل جهة غير مبال بخسران الرجال . فاضطر اخيراً رئيس تلك الجزيرة ان يسلم بعد ان امست خراباً . فتعجب السلطان سليمان من شجاعته فاحترمه ومدحه على شهامته وعزاه على مصيبته واجابه الى الشروط التي

كان قد عرضها عليه وهي ان تبقى الكنائس على حالها وان يكون للنصارى الصيانة والحرية في دينهم وان لا يتكلفوا الى دفع شيء مدة خمس سنين . ثم انسحب ليل آدم من الجزيرة وتبعه ٤٠٠٠ من اهل رودس فاعطاهم البابا مدينة وتيبرية فاقاموا بها الى ان نقلهم الامبراطور شارلكان سنه ١٥٣٠ م الى جزيرة مالطة فاقاموا بها الى ان استخلفها منهم بونابرت وهو آتٍ الى مصر سنة ١٧٩٨ م . وبعدما فرغ السلطان سليمان من هذه الحرب عاد الى القسطنطينية

وفي هذه الاثناء كانت حرب بين شارلكان ملك اسبانيا وهولاندا والمانيا وبين فرنسيس الاول ملك فرنسا انهزم فيها ملك فرنسا ووقع أسيراً بين يدي الامبراطور شارلكان فاعتقله مدة ثم خلى سبيله . فلما عاد فرنسيس الاول المذكور الى بلاده من اسره راسل السلطان سليمان وطلب اليه أن يعقد معه معاهدة هجومية دفاعية ضد الامبراطور شارلكان فيحاربه السلطان سليمان من المشرق وفرنسيس الاول من المغرب . فاحتفى السلطان سليمان بسفير الملك فرنسيس الاول واجاب ملك فرنسا الى ما طلب وجهز في سنة ١٥٢٧ م جيشاً يبلغ عدده ٣٠٠ الف مقاتل وزحف به الى بلاد المجر فالتقاه ملكها لويس الثاني بثلاثين الف مقاتل فقط وامدم معرفته بادارة الحروب قلد بولس طوموري احد اساقفة بلاده قيادة الجيش وسار معه لمصادمة الاتراك فالتقيا بهم بازاء مدينة موهاكز واشتبك القتال بين الفريقين فكانت واقعة عظيمة قتل فيهـا الملك لويس وهلك أكثر من عشرين الفاً من جنوده وانهزم الباقون واستولى السلطان سليمان على الحصون والقلاع الواقعة على الجهة الجنوبية من تلك المملكة ثم قفل راجعاً الى القسطنطينية محفوفاً بالظفر . والغنائم وبعد موت الملك لويس المذكور اقام السلطان سليمان قائد جيوشه يوحنا زابولي حاكماً على المجر من قبله على مال يؤديه اليه فلما رجع السلطان الى القسطنطينية طمع الملك فرديننذ ملك النمسا في استخلاص المجر من يد يوحنا زابولي المذكور وسار في جيش كثيف ونازل مدينة بود (من ضمن مقاطعة المجر التي يحكمها يوحنا زابولي) فاستنجد يوحنا زابولي بالسلطان فأمده في سنة ١٥٢٨ م

بجيش بقيادة ابرهيم باشا . ثم سار السلطان بنفسه في جيش عرمرم وانتهى الى مدينة بود فتركها الملك فرديننند ولحق بفينا عاصمة ملكه فتتبعه السلطان اليها وحاصرها وسلط مدافعه على اسوارها ولكن طال الحصار واقبل الشتاء ببرده القارس فعاد السلطان في جيشه الى المجر ثم الى الاستانة

وفي سنه ١٥٣١ م ارسل ملك النمسا جيشاً لمحاصرة مدينة بود واستخلاصها فلم يقو على فتحها . واتصل الخبر بالسلطان سليمان فخرج من القسطنطينية بمائة وعشرين الف مقاتل واربع مائة مدفع وعند وصوله الى مدينة فينا نصب خيامه بالقرب منها واقام عليها الحصار وكان ملك النمسا قد استعد للمدافعة عن المدينة استعداداً كبيراً فلم يقو السلطان على فتحها ودنت أيام الشتاء فافرج السلطان عنها وعاد الى القسطنطينية . وفي سنة ١٥٣٣ م راسل ملك النمسا السلطان بعقد الصلح فقبل السلطان أن يعقد اولاً هدنة على شروط اختارها ولما قبلت عقدت معاهدة الصلح في ٢٢ يونيو سنة ١٥٣٣ م . ومن بنودها ان ترد النمسا مدينة كورون للسلطان ولا يرد السلطان شيئاً مما فتحه في بلاد المجر

وفي سنة ١٥٣٤ م أرسل السلطان سليمان الصدر الاعظم ابراهيم باشا الى بلاد العجم للتنكيل بشريف بك خان مدينة بدليس . وقبل وصوله كان شمس الدين ابن والي اذربيجان قد قتل شريف بك المذكور وجاء برأسه الى ابراهيم باشا . فمضى الصدر الاعظم فصرف ايام الشتاء في حلب ثم سار منها الى تبريز فدخلها بالامان وبنى بها قلعة واقام بها حامية عثمانية ثم افتتح مدينه بغداد . ثم خرج السلطان بنفسه بالعساكر تابعاً اثر الصدر الاعظم حتى انتهى الى تبريز ومنها سار الى بغداد ثم انثنى راجعاً الى القسطنطينية وهناك وشوا اليه على وزيره ابراهيم باشا المذكور فامر بقتله

وفي هذه الاثناء كان قد اشتهر خير الدين باشا المعروف في كتب الفرنج باسم بربروس (أي ذي اللحية الحمراء) وأصله من اروام جزيرة مدللي (متيلين) احدى جزائر الروم وكان هو واخ له يدعى اوروج يشتغلان بالقرصانية ببحر الروم ثم اسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي صاحب تونس واستمرا في

القرصانية وهي اسر مراكب المسيحيين التجارية واخذ ما بها من البضائع وبيع ركابها وملاحيها بصفة رقيق . وفي ذات يوم ارسلا الى السلطان سليم الاول احدى المراكب المأسورة اظهاراً لخضوعهم لسلطانه فقبلها منهما وأرسل لهما خمسة سفن حربية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الفرنج فقويت شوكتهما وأشرأبت اعناقهما لاحتلال بعض سواحل الغرب باسم سلطان آل عثمان فاستولى خير الدين باشا على ثغر شرشل باقليم الجزائر . اما اخوه اوروج فبعد ان استولى على مدينة الجزائر نفسها فتح أيضاً مدينة تلمسان سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٥م) وقتل بعد قليل في محاربة الاسبانيين الذين ارسلهم شارلكان لمساعدة صاحب تلمسان . لكن لم يتمكن هؤلاء من استخلاص تلمسان والجزائر بل حفظها خير الدين باشا وقتل أمير الجزائر . وارسل من قبله احد اتباعه الى السلطان سليم (وكان قد اتم فتح مصر) ليخبره بفتح الجزائر باسمه الشريف فقابله السلطان وعين خير الدين باشا المذكور بكلربكا على اقليم الجزائر وبذا صار هذا الاقليم ولاية عثمانية

وبعد ذلك استمر خير الدين باشا في غزو مراكب الفرنج والنزول على بعض شواطىء ايطاليا وفرنسا واسبانيا واخذ كل ما وصلت اليه يده من اموال واهالي الى ان استدعاه السلطان سليمان سنة ١٥٣٣م واتفق معه على انشاء مراكب لفتح اقليم تونس . وبعد انشائها سار بها خير الدين باشا سنة ١٥٣٤ م وحاصر تونس سنة ١٥٣٥ م واحتلها ولكن استخلصها منه شارلكان ملك اسبانيا . وفي سنة ١٥٣٨ اتفق السلطان سليمان مع ملك فرنسا على محاربة النمسا فجمع السلطان جيشاً كبيراً في البانيا قاصداً شن الغارة على ايطاليا من الشرق وارسل عمارة بحرية بقيادة خير الدين باشا المذكور فدخلت العمارة البحرية الارخبيل الرومي واستولت على عدة جزائر لجمهورية البنادقة بعد ان شتت خير الدين باشا عمارتهم . ثم حصلت هدنة بين ملك فرنسا والامبراطور شارلكان فعاد السلطان الى القسطنطينية

وفي سنة ١٥٤٠ م توفي زابولي والي المجر من قبل السلطان فاغارت جيوش النمسا على المجر واحتلوا بست وحاصروا مدينة بود المقابلة لها . فنهض السلطان

سليمان بنفسه فرفع حصار النمساويين عن بود ودخلها وجعل بلاد المجر ولاية عثمانية وتعهد كتابة لارملة زابولي انه لا يحتل المجر الا مدة طفولية ابنها فاذا بلغ رشده ردها اليه

وفي سنة ١٥٤١ م عاد النزاع بين ملك فرنسا والامبراطور شارلكان فارسل ملك فرنسا المسيو بولان الى الاستانة يستنجد السلطان . فتردد السلطان اولاً لرؤيته تقلب فرنسيس الاول ملك فرنسا لكنه سير اخيراً خير الدين باشا في اسطوله مع السفير فبلغ الاسطول العثماني مرسيليا وهناك انضم الى الاسطول الفرنساوي واقلعوا الى مدينة نيس ففتحوها سنة ١٥٤٣ م ولكن لم يحتلوها للخلاف بين العسكرين . وفي سنة ١٥٤٤ م أبى ملك فرنسا مساعدة الاسطول العثماني له لهياج النصارى عليه ونسبتهم له المروق لاستعانته بالمسلمين وعقد الصلح مع شارلكان فعاد خير الدين باشا باسطوله الى القسطنطينية فتوفي بها سنة ١٥٤٦ م

وفي سنة ١٥٤٧ م عقدت هدنة بين السلطان سليمان وفرديناند ملك النمسا اجلها خمس سنوات بعد ان تعهد فرديناند ان يدفع الى السلطان سليمان جزية سنوية قدرها ٣٠ الف دوك . وفي سنة ١٥٥١ م استؤنفت الحرب بين السلطان سليمان وملك النمسا لان ايزابلا وصية ملك المجر تخلت لملك النمسا عن اقليم ترانسلفانيا خلافاً للعهدة . وفي سنة ١٥٥٢ م انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة مواقع ولكن اضطرهم فصل الشتاء على العود الى الاستانه وفي سنة ١٥٥٣ م بعد وفاة فرنسيس الاول ملك فرنسا وخلافة ابنه هنري الثاني عقدت بين السلطان سليمان وهنري المذكور معاهدة على ضم الاسطول العثماني الى الاسطول الفرنساوي لفتح جزيرة كورسيكا . فسارت مراكب الدولتين وفتحت الجزيرة ولم يستمر الاحتلال بها لوقوع النفرة بين القائدين وعاد الاسطول العثماني الى الاستانة . وفي سنة ١٥٦٥ م ارسل السلطان عمارة بحرية لافتتاح جزيرة مالطة تحت قيادة مصطفى باشا وبعد حصار شديد وهجمات متعدده ارتد هذا الوزير راجعاً من غير طائل بعد ان فقد من جيشه نحو عشرين الفاً

وفي سنة ١٥٦٦ م عاد السلطان الى بلاد المجر لان مكسيميليان بن فرديننذ ملك النمسا اخذ مدينة توكاي من الشاب امير المجر فقصد السلطان كبت ملك النمسا وسار ليأخذ قلعة ارلو الشهيرة ولكن بلغه في طريقه ان امير سكدوار (في المجر) تغلب على فرقة في جيشه فاراد ان يكبح جماحه قبل حصار ارلو فحاصر مدينته فاخلاها اهلها وتحصنوا بقلعتها فاقام السلطان محاصراً لها وفي اثناء ذلك مرض وتوفي في ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ هـ (١٥ سبتمبر سنة ١٥٦٦م وله من العمر ٧٦ سنة . وكانت مدة سلطنته ٤٦ سنة فحزن عليه الناس حزناً شديداً ورثاه الشعراء بكل لسان فمن ذلك مرثية المفتي ابي السعود التي يقول في مطلعها

اصوت صاعقة ام نفخة الصور　　فالارض قد ملئت من نقر ناقور

ومنها

ام ذاك نعي سليمان الزمان ومن　　قضت اوامره في كل مامور
ومن ومن ملأ الدنيا مهابته　　وسخرت كل جبار وتيمور

وكان السلطان سليمان رحمه الله رفيع القدر موصوفاً بالحكمة والحزم ولقب بالقانوني لانه انشأ قوانين جديدة وبها ضبط سلطنته واحسن سياستها وقسم ممالكه الى عدة ولايات واقام في كل ايالة فرقة من العساكر للمحافظة ورتب مع غاية الاتقان جميع ما يلزم لضبط العساكر . ونظم ايضاً منوالاً جديداً لدخل الدولة وخرجها . واقام فيها جملة ابنية فاخرة فازدادت شوكة الدولة في ايامه وتحسنت احوالها جداً

وبالجملة نقول ان السلطان سليمان كان سلطاناً عظيماً لم يقم بين سلاطين آل عثمان اعظم منه حتى ان جميع اهل الارض كانت ترتعد فرائصهم عند استماع اسمه وتقدمت الفتوحات في ايامه تقدما عظيما لم تصل اليه بعده وبلغت الدولة اوج سعادتها واخذت بعدها في الوقوف تارةً والتقهقر اخرى حتى وصلت الى الحالة التي عليها الآن

وبعد وفاة السلطان سليمان كتم الوزير خبر موته خوفا من فشل الجيش

وبعد ثلاثة ايام فتح العثمانيون القلعة ودخلوها وكان المحصورون قد لغموها فانفجرت الارض وسقط بناء القلعة فاهلك من كان بها ومن دخلها واعلن الوزير هذا الانتصار بكافة الجهات باسم السلطان سليمان حرصاً على عدم اذاعة موته الذي لم يذعه الا بعد ان اتت اليه اخبار اكيدة من الاستانة بوصول ولده السلطان سليم اليها واستلامه مهام الاعمال بها

٦٤٢ - السلطان سليم الثاني ابن سليمان

من سنة ٩٧٤ — ٩٨٢ هـ او من سنة ١٥٦٦ — ١٥٧٤ م

وكان السلطان سليم الثاني في ايام ابيه اميرًا على امارة كوتاهية فلما توفي ابوه بظاهر سكدوار كما تقدم ارسل اليه الوزير يعلمه الخبر سرًا ويطلب اليه الاسراع الى القسطنطينية فنهض السلطان سليم ودخل القسطنطينية على حين غفلة من اهلها وجلس على سرير الملك يوم الاثنين ٩ ربيع الاول سنة ٩٧٤هـ . وبعد ان اقام السلطان بالاستانة يومين اسرع الى سكدوار للاحتفال بنقل جثة المغفور له والده الى القسطنطينية

ولم يكن السلطان سليم اهلاً للسلطنة كابيه بل كان محباً اللذات والملاهي ولولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صقللي المدرب على الاعمال الحربية والسياسية من ايام السلطان سليمان للحق الفشل بالدولة لا محالة ولكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب اعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة فتم الصلح بينها وبين النمسا بمعاهدة مورخة ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨ م ومن شروطها حفظ النمسا املاكها في المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتابعية ترانسلفانيا والفلاخ والبغدان للدولة العلية . وتجددت ايضًا الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب العالي بالتحالف الذي حصل بين ملك بولونيا وامير البغدان . ثم تجدد الاتفاق مع شارل التاسع ملك فرنسا تأييدًا لما كان بين ملوك فرنسا والسلطان سليمان الاول وزيد على ذلك اتفاق الدولتين على ترشيح هنري دي

قالوا اخي ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهما نصيراً ضد النمسا من جهة وروسيا من اخرى

وفي سنة ۱٥٧۰ م امر السلطان سليم الثاني بفتح جزيرة قبرس وكانت بيد البنادقة وتوجهت اليها المراكب الحربية وقيل ان عدد ما حملته من العساكر كان ماية الف جندي يقودها مصطفى باشا فاخذوا الملاحة اولاً ثم انتقلوا الى حصار الافقسية وبنوا عليها برجاً ودام الحصار عليها من أول الصوم الى آخر شهر اغسطس ثم حاصروا الماغوصة وقيل انه كان فيها نحو الف مدفع ودافع اهلها والحامية التي كانت فيها مدافعة الابطال . ودنا فصل الشتاء فخمدت نار الحصار ثم اضطرمت في ابريل سنة ۱٥٧۱ م ولم تفتح الا في ٦ اغسطس من السنة المذكورة اذ عاز المحصورين القوت والبارود فألجئوا الى التسليم . واستمرت قبرس تحت ولاية الدولة العلية الى ان احتلها الانكليز سنة ۱۸٧۸ م

ولما رأى البنادقة تغلب العثمانيين خافوا انبساط سطوتهم في غير قبرس من املاكهم فاتفقوا مع ملك اسبانيا وفرسان مالطة وجهزوا اسطولاً يزيد على ۲۰۰ سفينة وقصدوا الاسطول العثماني الذي كان نحو ۳۰۰ سفينة وتسعرت نار الحرب بين الاسطولين بقرب ايبانتا فانتصر المتحدون على العثمانيين واخذوا منهم نحو ۳۰ سفينة وغرقوا سفناً اخرى واخذوا ۳۰۰ مدفع وبعض الاسرى فكانت عند الافرنج افراح عظيمة وصنعوا تذكاراً لتلك الغلبة عيداً يعيدونه في اليوم السابع والعشرين من شهر اكتوبر . ولما بلغت هذه الاخبار الى الاستانة هم المسلمون بقتل المرسلين فتدارك الامر الوزير محمد باشا صقللي واخرج المرسلين آمنين بناء على طلب سفير فرنسا . ثم أخذ الوزير المذكور ينشيء سفناً حديثة وبذل قصارى جهده في تجهيزها وتسليحها حتى جهز في سنة واحدة مايتين وخمسين سفينة . وفي غضون ذلك ارسلت مشيخة البندقية تعتذر اليه وتطلب منه الصلح على وجه آئل الى شرف السلطنة فاجابها الى ذلك واوقف الحرب

اما الاسبانيون فقصد اسطولهم تونس في آخر سنة ۱٥٧۲ م فاحتلوها دون

معارضة ولا مقاومة واعادوا اليها سلطانها المولى الحسن الذي كان قد التجأ اليهم عند احتلال العثمانيين بلاده . ولكن لم تمض ثمانية اشهر حتى استردها سنان باشا للدولة العلية . وفي ٢٧ شعبان سنة ٩٨٢ هـ الموافق ٢١ دسمبر سنة ١٥٧٤ م توفي السلطان سليم الثاني وعمره ٥٢ سنة قمرية ومدة حكمه ٨ سنين و ٥ أشهر

٦٤٣ - السلطان مراد الثالث ابن سليم

من سنة ٩٨٢ - ١٠٠٣ هـ اومن سنة ١٥٧٤ - ١٥٩٥ م

وتولى بعده ابنه السلطان مراد الثالث . وكانت باكورة اعماله انه حظر شرب الخمر الذي كان قد استطرق وفشا استعماله ولا سيما عند الانكشارية فثار هؤلاء وباعة الخمر وصانعوه حتى غض النظر عن تناول مقدار منه لا يتأتى منه ذهول العقل والاخلال براحة العموم ونصب رئيساً على الانكشارية رجلاً اسمه شيكالا اصله ايطالي واسلم من عهد قريب فازداد الشغب والقلق في هذه الجوقة . وكان بين الدولة العلية والنمسا في ذلك الحين نوع من السلم وان طرأت حيناً بعد حين مناوشات ومنازعات بين عساكر الامتين لكنها لم تكن لتقضي الى اعلان حرب بل كانت مصلحة الفريقين تقضي ببقاء الوفاق وابرمت بينهما مهادنة لمدة ثماني سنين بدوءها سنة ١٥٧٧ م . وكانت العلاقات بين السلطان مراد ودولة فرنسا حسنة جداً وكذلك بينه وبين جمهورية البندقية وأيد لهما الحقوق القنصلية والتجارية بل زاد واضاف اليها مواد اهمها ان يكون سفير فرنسا مقدماً على سائر سفراء الدول في المقابلات والحفلات الرسمية . واتفق مع ايزابال ملكة انكلترا ان ترفع مراكب الانكليز العلم الانكليزي عند دخولها المرافئ العثمانية وكانت جميع السفن الاورباوية لا تدخل بلاد الدولة الا وعليها العلم الفرنساوي بمقتضى عهود كانت في ايام السلطان سليمان وابنه السلطان سليم الثاني . واهم الحروب التي كانت في ايام السلطان مراد الثالث هي حربه مع العجم فكانت المناوشات

بين رجال الدولتين قد تواترت من مدة طويلة على التخوم وكان السلطان يرغب في ابعاد الانكشارية عن العاصمة واشغالهم بالحروب عن سطوتهم وشغبهم فيها. وكان شاه العجم المسمى طهماسب قد توفي سنة ١٥٧٦ م وخلفه ابنه حيدر فقتل للحال وخلفه اخوه اسماعيل فمات مسموماً سنة ١٥٧٧ م وخلفه اخوه محمد وكانت البلاد منقسمة عليه. فرأى محمد باشا صقللي الصدر الاعظم حينئذ انتهاز فرصة هذه الفتن في العجم فحسن للسلطان اعلان الحرب فارسل السلطان جيوشه بقيادة مصطفى باشا فسار فيها الى بلاد الجركس التابعة للعجم ففتحها واحتل مدينة تفليس سنة ١٥٧٨ م ونصب في هذه البلاد عمالاً من امراء الكرج ومضى يصرف فصل الشتاء في مدينة طرابيزون فحشد ملك العجم في الشتاء جيشاً امر عليه حمزة ميرزا فاسترد بعض المدن من العثمانيين ولكنه لم يقوَ على اخذ تفليس. ثم توفي مصطفى باشا قائد الجيش العثماني فاقام السلطان مكانه عثمان باشا فاستولى على طاغستان على شاطئ بحر الخزر سنة ١٥٨٢ م وبعد ان انتصر في حروب اخرى عاد الى الاستانة فنصبه السلطان صدراً اعظم وقائداً للجيش الذي في بلاد الكرج فسار في جيش يربو على ٢٠٠ الف مقاتل فدخل مدينة تبريز عاصمة العجم بعد انتصاره على حمزة ميرزا. وبعد ان استمرت هذه الحروب سجالاً ست سنين عقد الصلح بين الدولة العلية والعجم في ٢١ مارس سنة ١٥٨٥ م وتخلت دولة العجم للدولة عن اعمال الكرج وشروان ولورستان وبعض اذربيجان ومدينة تبريز وعاد بعض الجيش الى الاستانة

وعاد الانكشارية الى تعنتهم وشغبهم وثاروا على ناظر المالية مدعين انه دفع اليهم دراهم ناقصة العيار وانه لم يوفهم كل مالهم فقتلوه في داره. ثم ثاروا مرة اخرى سنة ١٥٩٣ م واتفقوا مع غيرهم من العساكر ودخلوا الى ديوان السلطان وارسلوا يطلبون محمداً الشريف الدفتري يومئذ مدعين انه لم ينقدهم جوامكهم فامتنع السلطان من تسليمه اليهم خيفة ان يقتلوه فاصروا على طلبهم فخرج عليهم بعض الحامية والخدم والغلمان واخذوا يرمونهم بالحجارة فاندفعوا مذعورين

وتراكموا في الباب ووطىء بعضهم بعضاً وقتل منهم ١١٧ رجلاً وتمرد الانكشارية في بودابست وقتلوا واليها وصنعوا كذلك في القاهرة وتبريز وكثر الشغب والقلق في المملكة كلها وغلت ايدي الولاة وضعفت سلطتهم

ولم يجد السلطان مراد حيلة للتخلص من هذه الحال الا بان يشغل الانكشارية والعسكر بالحرب فاعلن الحرب على النمسا التى كانت قد لمت شعثها وجددت قواها في مدة ٣٠ سنة قضتها بالسلم . واوعز سنان باشا الصدر الاعظم في ذلك الوقت الى حسن باشا والي البشناق ان يخترق بعسكره تخوم المجر اعلاناً للحرب . واتقدت نار الحرب في المجر سنة ١٥٩٣ م فكانت سجالاً وكان النصر طوراً للعثمانيين وطوراً للمجر بين والنمساويين ثم قتل من العثمانيين حسن باشا والي الهرسك وانهزم الجيش الى بودابست وفتحت جيوش النمسا عدة قلاع عثمانية ثم استرد بعضها سنان باشا سنة ١٥٩٥ م . ومما زاد في الطينة بلة وفي الطنبور نغمة اشهار الفلاخ والبغدان وترنسلفانيا العصيان على الدولة ومحالفتهم لروداف الثاني ملك النمسا وامبراطور المانيا فسار اليهم سنان باشا الى مدينة بوخارست سنة ١٥٩٥ م ولكن انتصر عليه ميخائيل امير الفلاخ ودخل بعض المدن العثمانية وقتل حاميتها ونكل باهلها فاضطر العثمانيون الى التقهقر الى ما وراء الدانوب وتبعهم الامير ميخائيل المذكور وانتصر عليهم مرة اخرى واخذ منهم عدة مدن منها مدينة نيكوبولي . ثم مرض السلطان مراد الثالث وتوفي مساء ٨ جمادي الاولى سنة ١٠٠٣ هـ الموافق ١٨ يناير سنة ١٥٩٥ م

٦٤٤ — السلطان محمد الثالث ابن مراد

من سنة ١٠٠٣ — ١٠١٢ هـ او من سنة ١٥٩٥ — ١٦٠٣ م

وتولى بعده ابنه السلطان محمد الثالث وكانت المملكة محفوفة بالمخاطر من الخارج مرتبكة في الداخل من جرأ مطامع الوزراء وتعنت الانكشارية وغيرهم من

الجنود . وكان ميخائيل امير الفلاخ قد طرد العثمانيين الى ما وراء الدانوب بمساعدة جنود النمسا فارسل اليه السلطان محمد جيشاً بقيادة سنان باشا . ولما بلغ سنان باشا الى اخر تخوم المملكة التقاه الامير ميخائيل وعساكر النمسا ومن اتحد معهم فرأى من نفسه العجز عن المقاومة لهم فارسل الى السلطان يطلب منه ارسال نجدات فاستهزت الحمية والنخوة السلطان محمداً فنهض بنفسه وسار في جيش كثيف الى بلغراد ثم الى ساحة الحرب آخذاً بنفسه قيادة جيوشه فعاودتهم الحمية والبسالة والرغبة في الاستموات امام سلطانهم ففتح قلعة ارلو الشهيرة سنة ١٥٩٧ م بعد ان انتصر على جيوش النمسا والمانيا . وكانت له وقائع اخرى مع عساكر المتحدين ولكن لم تكن الوقائع فاصلة ثم مات سنان باشا واراد السلطان العود الى الاستانة فترك قيادة جيشه لسيكالا المعروف عند العرب والاتراك بجغالا وهو ابن القائد جغالا باشا الجنوي الاصل

اما جغالا باشا فسرح فريقاً من الجيش من اسيا الصغرى ليعودوا الى اوطانهم وقبل وقعت له مظنة فطردهم وفي الحالين اضعف قوة جيشه . ولما وصل هؤلاء الى بلادهم رفعوا راية العصيان على الدولة وبمقدمتهم رجل يسمى قره يازيجي وتغلبوا على بعض ولاية قرمان فاتعبوا الدولة مع انشغالها بحرب المجر والنمسا خاصة وارسلت اليهم الجنود فجرح قره يازيجي ومات من جراحه ولكن قام اخوه والي حسن اللاخذ بثاره واخذ عدة مدن فحاربته الجيوش السلطانية وا كرهته اخيراً ان يرمي سلاحه وعين والياً في البشناق فسار اليها في اخلاط جنوده حيث بادوا في حربهم مع المجر والنمسا . وعصى ايضاً والي القرم فارسل السلطان اليه ابراهيم باشا الذي كان محافظاً على تخوم المملكة فنكل باهل القرم واخرب بلادهم . وعقب ذلك ثورة الفرسان في القسطنطينية طالبين التعويض عما فاتهم من اقطاعاتهم في الاناضول بسبب ثورة قره يازيجي واخيه والي حسن وحاولوا نهب ما في المساجد من التحف الذهبية والفضية فاخمدت الدولة ثورتهم بواسطة

الانكشارية . وفي يوم ١٦ رجب سنة ١٠١٢ ﻫ الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٦٠٣ م توفي السلطان محمد الثالث ابن السلطان مراد وعمره ٣٧ سنة ومدة حكمه ٩ سنين

٦٤٥ ـ السلطان احمد الاول ابن محمد

من سنه ١٠١٢ ـ ١٠٢٦ ﻫ او من سنة ١٦٠٣ ـ ١٦١٧ م

وبعد وفاة السلطان محمد الثالث تبوأ كرسي الخلافة ابنه السلطان احمد الاول ولم يكن له من العمر سوى ١٥ سنة . وكان له أخ يسمى مصطفى فلم يشأ أن يقتله كما جرت عادة بعض اسلافه . وبعد ارتقائه مسند الخلافة ببضعة أشهر توفي وزيره الاول فلم يقم عوضاً عنه من الوزراء المقيمين بدار الخلافة بل بعث الى مراد باشا بكلر بك المقيم بمصر وكان شيخاً مسناً ذا دراية وحذق وامانة خارقة العادة فحضر واستلم زمام منصبه الرفيع . ثم أخذ السلطان احمد في اتمام ما كان قد شرع فيه سلفه من حرب الاعجام واصدر الاوامر في التجهيزات اللازمة وارسل جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا فانتصر على العجم في اول الامر ولكنه توانى اخيراً وعاد من غير طائل فغضب السلطان عليه واراد قتله ثم عفا عنه . وكان السلطان قد ارسل تحت قيادة علي باشا جيشاً لمحاربة المجر فمات في اثناء الطريق فعين مكانه محمد باشا المذكور . وكان السبب في هذه الحرب لا طايل تحته . ثم سعى مراد باشا بين السلطان والمجر في الصلح على مدة عشرين سنة وتركت الحرب بين الدولة والامبراطور روداف ملك المانيا تحت شرط ابطال دفع الجزية التي كانت دولة النمسا تدفعها سنوياً للدولة وانه من ذلك اليوم فصاعداً تكون التحارير التي ترسل من السلطان الى الامبراطور المذكور حاوية شعائر الوداد والاعتبار المتبادل ككتابة الاخ لاخيه وان يقام سفراء من الطرفين في عاصمة كل من الدولتين وجرت العادة على ذلك من ذلك اليوم . ثم عقدت مثل هذه المعاهدة مع دولة فرنسا وكان ذلك سنة ١٦٠٦

ثم سعى السلطان احمد في قطع دابر البغاة الذين عصوا الدولة في ايام والده وايامه أيضاً منهم حسين باشا الذي كان والياً على الحبشة وقرة سعيدوجان بولاد حاكم الاكراد واميرفخر الدين الذي كان حاكماً على جبل لبنان وغيرهم من الخوارج فبعث بمراد باشا مع جيش عظيم فبدد شملهم وقبض على بعضهم وقتلهم واسترجع منهم ما كانوا استملكوه من البلدان بطريق التعدي والطغيان

وفي بدأة سنة ١٦١١ م امر السلطان مراد باشا ان يقود الجيوش لمحاربة الاعجام فامتثل امر سيده كرهاً واخذ نصوح باشا اول معاون حرب معه . وكان مراد باشا لا يؤمل بعظيم فائدة من هذه الحرب ولذلك سار سيراً بطيئاً فبعث نصوح باشا برسالة سرية الى السلطان احمد بها يقول له ان مراد باشا نظراً لشيخوخته لم يعد يصلح لركوب الاخطار ومشقات الحروب وبهالح للسلطان انه هو يكون اصلح لمثل ذلك اما السلطان فاذ كان يحب مراد باشا لامانته ونشاطه بعث اليه برسالة لطيفة العبارة وضمنها رسالة نصوح باشا وفوض اليه ان يفعل به ما يشاء . ولما وقف مراد باشا على الرسالة المشار اليه استحضر نصوح باشا واطلعه عليها وعلى رسالة السلطان مولاهما فارتعدت فرائص نصوح باشا عند ذلك . على ان مراد باشا عامله معاملة الاب لابنه وقال « اني قد طعنت في السن ولا عدت اصلح حسب زعمك لركوب الاخطار وها انني قد تنازلت لك عن منصبي السياسي والحربي معاً » وولاه قيادة الجيش وكتب الى السلطان بذلك وانسحب الى بلاد دياربكر حيث قضى باقي ايامه ومات هناك بعد هذه الحادثة ببضعة اشهر وله من العمر ٧٩ سنة . اما نصوح باشا فتقدم لمحاربة الاعجام واستظهر عليهم وقهرهم واستولى على تبريز فهرب الشاه عباس والتجأ ببعض الجبال وارسل يطلب الصلح فاجابه نصوح باشا الى ذلك بعد ان اشترط عليه ان يخطب للسلطان احمد في جوامع بلاد العجم وان تدفع الدولة الفارسية مصاريف الحرب وتقوم بترجيع الخسارة التي احدثتها في بلاد الدولة العثمانية . فعلى هذا الوجه تمت المصالحة وانسحبت العساكر الشاهانية من تلك البلاد . غير انه في سنة ١٦١٦ م نكث شاه العجم تلك العهود

ولم يف بالشروط ففتحت الحرب ثانية بين الدولتين واستولت الجيوش العثمانية على بعض القلاع بعد حصار شديد ثم تأخرت من كثرة الثلوج والبرد وهلك منهم جانب عظيم واضطرت الدولة ان تتعهد للشاه عباس بترك كل ما فتحته من بلاد العجم من عهد السلطان سليمان الاول . واعتنى السلطان احمد كثيرًا بامر الحرمين واصلح مآثر كثيرة بمكة والمدينة وارسل هدية لقبر النبي فصين من الماس قيمتهما على ما قيل ثمانون الف دينار فوضعا فوق الكوكب الدري وهو مسمار من الفضة في الجدار . وكان لا يفتر عن عمارة المساجد وفعل الخيرات ومن آثاره في القسطنطينية الجامع المعروف باسمه له ست منارات حسنة الوضع . وفي يوم ٢٣ ذي القعدة سنة ١٠٢٦ ﻫ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٦١٧م توفي السلطان احمد الاول بعد ان اوصى بالخلافة من بعده لاخيه مصطفى لصغر سن ابنه عثمان

٦٤٦ — السلطان مصطفى الاول ابن محمد

من سنة ١٠٢٦ — ١٠٢٧ ﻫ او من سنة ١٦١٧ — ١٦١٨ م

فاقام القوم بحق الوصية وبايعوا اخاه السلطان مصطفى الاول ابن محمد ولكنه لم يلبث في الملك الا ثلاثة اشهر تقريبًا ثم عزله ارباب الغايات من اركان الدولة في اول ربيع الاول سنة ١٠٢٧ ﻫ الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٦١٨م

٦٤٧ — السلطان عثمان الثاني ابن احمد

من سنة ١٠٢٧ — ١٠٣١ ﻫ او من سنة ١٦١٨ — ١٦٢٢ م

ونصبوا مكانه السلطان عثمان الثاني ابن السلطان احمد الاول ولم يكن له من العمر اذ ذاك سوى ١٢ سنة . وكان عمه السلطان مصطفى قد اعتقل في السجن سفير فرنسا وكاتب سره وترجمانه بسبب ان كاتب السفارة ساعد احد اشراف بولونيا على الفرار من السجن الذي كان فيه واوشكت نار الحرب ان تضطرم بين فرنسا والدولة العلية فلما تبوأ

السلطان عثمان تخت المملكة اخرج السفير وترجمانه وكاتبه من معتقلهم وارسل حسين جاووش مندوبا من قبله الى ملك فرنسا يعتذر عما حصل فانحسمت بذلك النازلة

وفي هذه الاثناء تداخلت بولونيا في شؤون امارة البغدان فاتخذ السلطان عثمان هذا التداخل سببا في اشهار الحرب على مملكة بولونيا وتحقيق امنيته وهي فتح هذه المملكة وجعلها فاصلاً بين املاك الدولة العلية ومملكة الروسيا واراد ان يمهد لذلك بالتحوط من بعض علائق داخلية فانقص ما كان للمفتي من السلطة في تعيين اصحاب المناصب وعزلهم وقصرها على الافتاء فقط ليأمن شر دسائسه لئلا يعزله كما عزل عمه السلطان مصطفى فكان الامر بخلاف ما تمنى كما ستراه ان شاء الله تعالى

ثم سير الجيش لمحاربة ملك بولونيا وهاجم العثمانيون البولونيين في عدة حصون لكنهم ارتدوا خاسرين وطلب الانكشارية الكف عن الحرب . فاضطر السلطان عثمان ان يعقد الصلح مع البولونيين فتم ذلك في يوم ٦ اكتوبر سنة ١٦٢٠ م وعاد السلطان الى القسطنطينية وقد اخذ منه الحنق على الانكشارية كل مأخذ لعدم سماعهم اوامره ولمعارضتهم له وعزم على الفتك بهم وافنائهم وارسل يحشد جيوشا في اسيا وينظمها ويدربها على القتال ليسهل له بواسطتهم ما اراد من ملاشاة الانكشارية . ودري الانكشارية بذلك فهاجوا وماجوا واتفقوا على خلع السلطان وتم لهم ذلك بعد موافقة المفتي في يوم ٩ رجب سنة ١٠٣١ هـ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٦٢٢ م

٨ — ٦٩ السلطان مصطفى الاول ابن محمد (ثانية)

من سنة ١٠٣١ — ١٠٣٢ هـ او من سنة ١٦٢٢ — ١٦٢٣ م

واعادوا الى الملك السلطان مصطفى الاول الذي تقدم خبر خلعه ولم يكتفوا بذلك بل حملتهم الجسارة والقحة على ارتكاب فظيعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الدولة العثمانية فانهم ادخلوا السلطان عثمان الى القلعة المعروفة بحصن سبعة الابراج وقتلوه وصارت الحكومة بعد ذلك العوبة في ايدي الانكشارية فكانوا ينصبون من يشاؤن ويولون المناصب من اجزل لهم المواهب واصبحوا فوضى ليس لهم وازع ولا رادع وسرت عدوى هذا الوباء الى سائر ولايات المملكة واشهر بعض الولاة الانتقاض على السلطنة

والاستقلال بولاياتهم . وسئمت نفوس اهل الاستانة هذه الاحوال . فقر رأيهم اخيرًا على تولية علي باشا كانكش منصب الصدارة العظمى فاشار بعزل السلطان مصطفى ثانية لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه في ١٥ ذي القعدة سنة ١٠٣٢ ﻫ الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٦٢٣ م وولوا مكانه السلطان مرادًا الرابع ابن احمد الاول

٦٤٩ — السلطان مراد الرابع ابن احمد الاول

من سنة ١٠٣٢ — ١٠٤٩ ﻫ او من سنة ١٦٢٣ — ١٦٤٠ م

وكان عمره اذ ذاك ١٥ سنة ومع ذلك كان ذا عقل ثاقب تلوح عليه علامات الشجاعة وقوة الجنان والقلب وحسن المستقبل . وكانت الدولة يومئذ في احتياج عظيم الى رجل فيه اللياقة والكفاءة لادارة مهامها اذ باتت في خطر عظيم من تمرد الانكشارية والعصيان في الداخل وفي الخارج . وكان الشاه عباس ملك العجم قد انتهز فرصة هذه الارتباكات وسطا على املاك الدولة العلية قاصدًا التهامها . واخذ خانات التتر ايضًا في نواحي القرم وازوف يتعدون على حدود الدولة و يوقعون فيها السلب والنهب . و بالجملة نقول ان السلطان مرادًا عندما تبوأ مسند الخلافة كان في مركز صعب جدًا لا سيما وهو صغير السن . فاخذ يسعى في سد الاختلال الواقع في كل الجهات فابتدأ اولاً في استئصال دابر العصاة الذين كانوا سببًا لقتل اخيه السلطان عثمان و بردع تعديات التتر وعصيان وكلاء الدولة في اسيا وبعد ان اهدأ الثائرة ارسل جيشًا سنة ١٦٢٤ م بقيادة حافظ باشا الصدر الاعظم لقتال العجم واسترداد مدينة بغداد التي كانوا قد قد استولوا عليها من زمن غير بعيد . فسار حافظ باشا الى بغداد وحاصرها وضيق عليها مدة الا انه لم ينل منها ماربًا فتذمر الانكشارية وامتنعوا عن الحرب حتى اضطر الصدر الاعظم الى رفع الحصار والرجوع الى الموصل ثم الى ديار بكر حيث ثار الجنود ثانية فعزل السلطان حافظ باشا الصدر الاعظم وولى مكانه خليل باشا . وكان اباظه باشا والي ارضروم قد اظهر الانتقاد والعصيان فسار خليل باشا اليه وحاصره فلم يقوَ عليه فعزله السلطان واقام مكانه خسرو باشا فسار هذا الى ارضروم وداخل اباظه باشا في سلك الطاعة ونصبه واليًا في البشناق سنة ١٦٢٨ م

وفي هذه الاثناء توفي الشاه عباس وتولى مكانه ابنه الشاه ميرزا وكان صغير السن فسار خسرو باشا الى العجم طامعاً ان يستولي عليها و بلغ الى مدينة همذان فدخلها لجأة سنة ١٦٣٠ م ثم قصد بغداد و بعد ان انتصر في طريقه ثلاث مرات على جيوش العجم بلغ الى بغداد وحاصرها ودافع عنها قائد حاميتها دفاعاً شديداً واضطر خسرو باشا ان يرفع الحصار عنها لقرب فصــل الشتاء وان يرجع الى الموصل . واراد في الربيع العود الى بغداد فلم يمتثل جنوده امره فسار الى حلب خوفاً من مهاجمة الاعداء له في الموصل وهو غــير واثق بجنوده فعزل السلطان خسرو باشا عن منصبه واقام به حافظ باشا . فاظهر خسرو باشا لجنوده انه لم يعزل الا لانه رفق بهم وطاوعهم على ما يرغبون فثاروا وارسلوا الى الاستانة يطلبون بقاءهُ في منصبه ولما لم يجبهم السلطان الى ذلك ساروا الى الاستانة وقاموا سنة ١٦٣٢ م بثورة كبرى خيف منها على حياة السلطان وقتلوا حافظ باشا الصــدر الاعظم الجديد فاغتاظ السلطان لوقاحتهم وامر بقتل خسرو باشا لاعتقاده انه سبب هذه الفتنة

و ولي السلطان في منصب الصدارة بيرام محمد باشا ومن ذلك الوقت اخذ السلطان مراد يظهر شديد العزم والقسوة في مجازاة رؤساء الانكشارية وغيرهم من المقلقين العائثين و يأمر بقتل كل من ثبت عليه الاشتراك في ثورة او فتنة فتوات مهابته القلوب وخشيه الاكابر والاصاغر وأمن الناس على نفوسهم واموالهم من التعــدي واستتبت الراحــة بالاستانة وسائر انحاء المملكة . وفي سنة ١٦٣٥ م سار السلطان مراد بنفسه الى بلاد العجم ففتح مدينة روان وتبريز وعاد الى الاستانة فتغلب العجم ثانية على روان سنة ١٦٣٦ م فسار السلطان ثانيةً في جيش كثيف قيل بلغ ٣٠٠ الف مقاتل وحاصر مدينة بغداد اياماً طويلة وافتتحها عنوة بعــد ان هلك نحو ٢٠ الفاً من جيش العجم ونحو ثلث جيشه وعاد الى القسطنطينية تاركاً كبير وزرائه للمخابرات بشأن الصلح . وفي سنة ١٦٣٩ م تقررت شروطه تحت ارجاع مدينة روان للعجم وابقاء بغداد لدولة آل عثمان واقيم فيها وزير . وقد اكثر الناس من نظم الاشعار في فتح بغداد فمن ذلك قول بعضهم

خليفة الله مرادٌ غزا قلعة بغداد فارداها
وعند ماحاصرها جيشه اندك للاسفل اعلاها

واعاد السلطان مراد الى الدولة العلية سابق هيبتها وسطوتها الا ان المنون لم تمهــله طويلاً اذ قصفت عود حياته الرطيب وهو في مقتبل الشباب فتوفي يوم ١٦ شوال سنة

١٠٤٩ ﻫ الموافق ٩ فبراير سنة ١٦٤٠ م وسنه ٣١ سنة ومدة حكمه ١٦ سنة و ا اشهراً

٦٥٠ — السلطان ابراهيم الاول ابن احمد

من سنة ١٠٤٩ — ١٠٥٨ ﻫ اومن سنة ١٦٤٠ — ١٦٤٨ م

وتولى بعـده اخوه السلطان ابراهيم الاول ابن احمد ولم يكن تولى منصباً في الدولة كغيره من السلاطين بل عاش بين الحرم ولم يكن ميالاً للحرب فاوعز الى امير ترانسلفانيا ان لا يحرك ساكناً يثير النمسا . لكنه كان شديد الوطأة علي من يتعدى على شرف الدولة ولذلك لما سطا القوزاق سنة ١٦٤٢ ﻫ على مدينة ازوف واحتلوها ارسل اليهم جيشاً نكل بهم واسترد المدينة من ايديهم بعد ان كانوا قد احرقوها . وجهز اسطولاً عظيماً وسيره بقيادة يوسف باشا لفتح جزيرة كريت من يد البنادقة لانهم قبضوا على اغات السراري (قيزلراغاسي) وزوجتـه وابنه وقتلوا اغات السراري واعتقلوا امرأته ونصروا ابنـه وربوه تربية مسيحية وكان السلطان ابراهيم مغرماً بامرأة اغات السراري هذه فلما بلغه الخبر جهز الاسطول وسيره فاقلع الاسطول من الاستانة باحتفال عظيم ولما وصل الى الجزيرة القت سفنه مراسيها امام مدينـة خانيا في ٢٩ ربيع الاخر سنة ١٠٥٥ ﻫ الموافق ٢٤ يونيه سنة ١٦٤٥ م فاستحوذ العثمانيون على المدينة المذكورة لتأخر سفن البندقيـة عن الوصول اليها في الوقت المناسب . فلما علم البنادقة بهذا الاعتداء حمـلوا على املاك الدولة في بلاد اليونان فاحرقوا بتراس وكورون ومودون بالمورة . ويقال ان السلطان ابراهيم اراد في مقابلة ذلك ان يهلك النصارى في مملكته فعارضه المفتي اسعد زاده ابو سعيد افندي في ذلك وقيل ان الفرنج حشوا هذه القصة في تواريخهم وليس لها اصل والله اعلم

وفي سنة ١٦٤٦ م فتحت عساكر السلطان ابراهيم اكثر الجزيرة وفي السنة التالية حاصرت مدينة كنديا عاصمة هذه الجزيرة فحال دون فتحها ثورة الجنود في الاستانة

وتفصيل الخـبر ان السلطان ابراهيم سئم من عسف جوقة الانكشارية لتذمرهم وانتقادهم اعماله ورغبتهـم في التداخل في شؤون المملكة فاراد ان يفتك برؤسائهم في ليلة زفاف احدى بناته فعلموا بمقصد السلطان وائتمروا عليه واجتمعوا بمسجد يقال.

له اوربطه جامع وانضم اليهم بعض العلماء والمفتي عبدالرحيم افندي . وهيجوا الانكشارية وغيرهم من العسكر وقرروا جميعاً عزله فتم لهم ما ارادوا وعزلوا السلطان ابراهيم يوم ١٨ رجب سنة ١٠٥٨ هـ الموافق ٨ اغسطس سنة ١٦٤٨ م

٦٥١ — السلطان محمد الرابع ابن ابراهيم

من سنة ١٠٥٨ — ١٠٩٩ هـ او من سنة ١٦٤٨ — ١٦٨٧ م

ونصبوا في كرسي الخلافة ابنه السلطان محمداً الرابع ولم يكن له من العمر اكثر من ٧ سنوات و بعد عشرة ايام اظهرت العساكر عدم رضاها بما تم وطلبوا اعادة السلطان ابراهيم الى درش الخلافة فخشي رؤساء العصابة مما عساه ان يكون واسرعوا بسفك دم السلطان ابراهيم بريئاً فراح شهيد المطامع والغايات . فوقعت الفوضى في الدولة وصارت الجنود لاترحم صغيراً ولا توقر كبيراً وسرت عدوى هذا الفساد الى الجنود الذين كانوا محاصرين كنديا عاصمة كريت حتى اضطر قائدهم السر عسكر حسين باشا ان يرفع الحصار عن المدينة واتصل الخلل الى جميع الجنود البحرية حتى تمكن اسطول البنادقة من الانتصار على الاسطول العثماني سنة ١٦٤٩ م واحتل البنادقة بتندوس ولمنوس وغيرهما من الجزر والثغور ومنعوا السفن الحاملة المؤن من الوصول الى الاستانة فغلت الاسعار واستمرت هذه الحال الى ان قيض الله ان يتولى منصب الصدارة محمد باشا كوبرلي وكان رجلاً مسناً حاذقاً ذا اختبار لان طول الايام علمه مالم يعلمه غيره . وحالما استلم عنان مأموريته شرع في سد الخلل الذي كان قد اوقع الدولة في الانحطاط وعامل الانكشارية بالقسوة وقتل منهم خلقاً كثيراً عند ما ثاروا كعادتهم فخمدت جذوة تعديهم وعتوهم . وارسل سنة ١٦٥٧ م اسطولاً لمحاربة سفن البنادقة المحاصرة للدردنيل فحاربها ولم يتح الله حينئذ النصر للعثمانيين ولكن بعد ان توفي موشنجو قائد الاسطول البندقي انتصر الاسطول العثماني واسترد من البنادقة مااحتلوه من الجزر والثغور

واراد الوزير ان يجعل حكم سيده ذا شهرة واعتبار فاخرجه الى عالم الشهرة وجهز جيشاً واشار على السلطان ان يأخذ قيادته و يذهب به الى دلماتيا لمحاربة اهل البندقية . فذهب السلطان الى مدينة ادرنة ليستلم قيادة الجيش سنة ١٦٥٨ م واقام محمد باشا

بمنصبه بالعاصمة . و بعد وصول السلطان الى ادرنة ببضعة شهور حدثت ثورة عظيمة في نواحي حلب والموصل بدسيسة ابراهيم باشا واليها وذلك ان رجلاً ادعى انه ابن السلطان مراد الرابع وسمي نفسه بايزيد زاعماً انهُ نجا من القتل عند ما أمر بقتله وعضده جمهور غفير فبعث محمد باشا بجيش صغير لمحاربة ذلك المدعي زورًا ولاطفاء نار الثورة فانكسر الجيش ولم يثبت فاضطر الى اعادة الجيش الذي ذهب به السلطان الى ادرنة وارسال كل قوة الدولة لاخماد نار العصاة فانهزم المدعي المذكور وتمزق جمعه ونفرق ثم قبض عليه في الاسكندرية مع ابراهيم باشا الذي كان سبباً في ذلك وقتلا وعادت الراحة الى الدولة . وفي سنة ١٦٥٨ م انتقض راكوتزكي صاحب ترانسلفانيا على الدولة وحارب جنودها وظهر عليهم فسار اليه محمد باشا كوبرلي الصدر الاعظم فقمعه وطرده من البلاد ونصب مكانه والياً شارطاً عليه ان يدفع كل سنة ٤٠ الف دوك . ثم انتقض امير الفلاخ ايضاً واتحد معه امير ترانسلفانيا المذكور فعاد اليهما الصدر الاعظم وانتصر عليهما نصرًا مبيناً وبينما كان محمد باشا كوبرلي الصدر الاعظم راجعاً من هذه الحرب دهمته الوفاة في ادرنة سنة ١٦٦١ م . وحزن السلطان جدًّا لفقده فاقام مكانه ابنه احمد فاضل باشا وكان كابيه في الذكاء والحذق فسلك مسلك ابيه في تحسين امور الدولة ونجاحها . وكاشفته دولة النمسا وجمهورية البندقية بالصلح فاباه وقاد الجيوش بنفسه لمحاربة النمسا وحاصر قلعة نُمغرل ومع حصانتها ومناعتها اكره احمد باشا حاميتها على التسليم بشرط خروجهم منها سالمين وتركهم فيها كل ما كان عندهم من السلاح والذخائر واخلوها فعلاً في ٢٥ صفر سنة ١٠٧٤ ه الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٦٦٣ م . فارتاعت دول اوربا من سطوة العثمانيين ولا سيما ليوبولد ملك المانيا واستغاث بالبابا اسكندر السابع سائلاً اياه ان يرجو لويس الرابع عشر ملك فرنسا لينجده فاوعز البابا الى ملك فرنسا بذلك فارسل اليه ستة آلاف جندي افرنسي و٢٤ الفاً من محالفيه الالمانيين بقيادة الكونت كوليني . وانضم هؤلاء الى الجيش النمساوي وتسعرت نار الحرب فانتصر العثمانيون اولاً واحتلوا بعض المدن ولكن انتصر عليهم اخيرًا القائد النمساوي العام مونتيكوكولي سنة ١٦٦٤ م فاجمعوا جميعاً على عقد الصلح وقبل ليوبولد ذلك بمزيد الفرح سنة ١٦٦٥ م

وكان السلطان محمد الرابع قد جعل دار اقامته من سنة ١٦٥٨ م مدينة ادرنة كما كان قد اشار عليه وزيره السابق فتذمر اهل القسطنطينية لسبب غيابه منها واظهروا

عدم الرضاء فاشار عليه وزيره احمد باشا بالرجوع اليها فعاد ولم يلبث الاَّ اياماً قلائل حتى عاد الى مكانه بحجة طلب الصيد والقنص لانه امسى يخشى غدر المفسدين كما غدروا قبلاً بسلفائه · وفي سنة ١٦٦٨ م ذهب احمد باشا الصدر الاعظم الى كريت لانجاز امر الحرب هناك وافتتاح ماكان باقياً في ايدي مشيخة البندقية · فارسلت المشيخة المذكورة تستعين بدول الفرنج فانجدهم الفرنساويون والبابا وسائر دول ايطاليا وفرسان مالطة فلم يأتِ كل ذلك بادنى فائدة بل فتح العثمانيون الجزيرة بعد حرب شديدة وبعد ان اقام الصدر الاعظم فيها المحافظين وبنى ما كان قد تهدم من حصونها وابراجها قفل راجعاً بباقي الجيش الى العاصمة سنة ١٦٧٠ م

وفي سنة ١٦٧٢ م فتحت الحرب ثانية في المانيا وبولونيا ودامت الى سنة ١٦٧٥ م وكانت تارة لهم وتارة عليهم · وفي السنة نفسها توفي الصدر الاعظم احمد باشا فحزن السلطان لفقده لانه كان من افضل الوزراء الذين قاموا في دولة آل عثمان الى ذلك العصر · فخلفه قره مصطفى باشا ولم يكن في السطوة دون سلفه على انه كان بينه وبين ذاك بون عظيم في الحذق والدراية فوقع بينه وبين قوزاق اوكرينية نفور افضى الى حمل السلاح فطلب هؤلاء الاعانة من دولة الروسيا فلبت دعوتهم ووقعت الحرب سنة ١٦٧٨ م فغار القوزاق والروسيون على العثمانيين ولما بلغ السلطان محمداً ذلك خرج بنفسه الى ساحة القتال فلم يأتِ خروجه بالمرغوب ولما رأى وزيره تلك الحال خامره الخوف والوجل وكان القيصر الروسي قد عرض عليه الصلح فقبل به حالاً

وفي سنة ١٦٨١ م سار هذا الوزير الى المجر قاصداً محاربة النمسا وبعد ان انتصر على عساكرها قصد مدينة فينا عاصمة النمسا فحاصرها سنة ١٦٨٣ م واستحوذ على قلاعها الخارجية وهدم اسوارها بالمدافع ولم يبق عليه لتتمة الفتح الا المهاجمة الاخيرة اذ اقبلت طلائع سوبياسكي ملك بولونيا وقد انضم اليه جماهير غفيرة من اقطار المانيا كبافاريا وسكسونيا وغيرها وهجموا دفعة واحدة على صفوف العساكر العثمانية واشتبك بينهما قتال هائل دام من الصباح الى المساء حتى تخضبت الارض بالدماء وتغطي كبد السماء من الدخان وقد فعل سوبياسكي وجموعه فعالاً تكل عنها صناديد الرجال وقاومت العساكر العثمانية مقاومة الاسود ولكن اضطر اخيراً مصطفى باشا ان يطلب الفرار وتشتت جيشه في تلك البراري والقفار بعد ان هلك منهم خلق كثير · ولما عاد مصطفى باشا الى بلغراد اخذ الناس وقواد العساكر يتذمرون عليه ويطلبون قتله اذ كان

هو السبب في ذلك الانهزام فامر السلطان بقتله واقيم مكانه قره ابراهيم باشا

وبعد انهزام العثمانيين في وقائع فينا تألبت النمسا والبندقية و بولونيا وروسيا على محاربة الدولة العليـة وزحفت عساكر الدول المتحدة على المملكة العثمانية من كل صوب فسارت عساكر سوبياسكي ملك بولونيا نحو بلاد البغدان وسفن البندقيـة ومالطة الى بلاد اليونان والمورة فاحتلت جيوش البنادقة اكثر مدن اليونان سنة ١٦٨٦ م · وزحفت عساكر النمسا الى المجر فاحتلت عدة حصون وقلاع سنة ١٦٨٥ م · فعزل السلطان ابراهيم باشا الصدر الاعظم ونفاه الى جزيرة رودس وولى مكانه السرعسكر سليمان باشا . وكان مشهورًا بشجاعته وحسن تدبيره ولكن تعسر كثيرًا عليه انهاض الدولة بعد هذا التقهقر · وكانت جيوش النمسا بقيادة الدوك دي لورين الشهير وهو في ذلك الوقت محاصر لمدينة بودا فاسرع سليمان باشا لانجاد المحصورين بمدينة بودا فلم يتمكن من رفع الحصار عنها بل دخلها الدوك دي لورين سنة ١٦٨٦ م وقتل حاكمها واربعة آلاف من جنوده فخرجت هذه المدينة من املاك الدولة الى اليوم

وجمع سليمان باشا من بقايا الجنود العثمانيين جيشًا مؤلفًا من ٦٠ الف جندي يعززهم ٧٠ مدفعًا وصرف مدة الشتاء في تدريب العساكر وتجهيز المعدات ثم هاجم عساكر الدول المتحدة في سهل موهاكز في ٣ شوال سنة ١٠٩٨ هـ (١٢ اغسطس سنة ١٦٨٧ م) واشتدّ القتال فانهزم العثمانيون وغنم الفرنج مدافعهم وسلاحهم وذخائرهم واحتلوا اقليم ترانسلفانيا وعدة قلاع من غرواسية · ولما بلغ خبر هذا الاندحار الى الاستانة هاج الجنود الباقون بها وارسلوا الى بقايا عسكر سليمان باشا ان يثوروا عليه فثاروا ولولا فراره الى بلغراد لقتلوه · ثم ارسلوا وفدًا الى الاستانة يطلبون من السلطان ان يأمر بقتل سليمان باشا فامر بقتله اخمادًا لثورتهم وتفاديًا من حنقهم

وخيف على المملكة من الداخل والخارج فقرّر بعض الوزراء والعلماء خلع السلطان محمد الرابع فخلعوه في يوم ٢ محرم سنة ١٠٩٩ هـ الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٦٨٧ م بعد ان حكم ٤٠ سنة قمرية وخمسة اشهر · ثم توفي معزولاً سنة ١١٠٤ هـ الموافقة ١٦٩٢ م

٦٥٢ – السلطان سليمان الثاني ابن ابراهيم

من سنة ١٠٩٩ – ١١٠٢ ﻫ او من سنة ١٦٨٧ – ١٦٩١ م

وبايعوا بالخلافة بعده السلطان سليمان الثاني ابن السلطان ابراهيم الاول فكان مبدأ حكمه مشوشاً من الداخل ومن الخارج . ولما رأى السلطان تلك الحال والاخطار المحدقة بالدولة بعث الى حكومتي النمسا والبندقية يطلب اليهما الصلح فلم تجيباه الى طلبه فاضطر الى دفع القوة بالقوة وعزم ان يقود الجيش بنفسه . ولما وصل الى بلغراد خاف ان يتقدم اكثر من ذلك لجهله فن الحرب فولج قائداً خلافه سنة ١٦٨٩ م فكسره الفرنج وشتتوا جيشه . وتولى الصدارة يومئذ مصطفى باشا كوبرلي المشهور وكان قد ورث من ابيه وجده جرأتهما الحربية والسياسية فأخذ قيادة الجيش وانتصر على النمسا سنة ١٦٩٠ م وسنة ١٦٩١ م واستخلص منها بلغراد واماكن اخرى كانت ربحتها قبل ذلك . ومن جهة اخرى كانت الاعلام العثمانية فائزة ايضاً في البندقية . وفي اثناء ذلك توفي السلطان سليمان الثاني في يوم ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ ﻫ الموافق ٢٣ يونيو سنة ١٦٩١ م عن غير عقب بعد ان حكم ثلاث سنوات وثمانية اشهر

٦٥٣ – السلطان احمد الثاني ابن ابراهيم

من سنة ١١٠٢ – سنة ١١٠٦ ﻫ او من سنة ١٦٩١ – ١٦٩٥ م

فارتقى كرسي الخلافة بعده اخوه السلطان احمد الثاني ابن السلطان ابراهيم الاول فابقى الصدر الاعظم على منصبه لاعتماده عليه في التدبير والحرب على ان المنية عاجلت هذا الوزير الخطير فتوفي في ١٨ اغسطس سنة ١٦٩١ م في ساحة القتال عند مهاجمة الجيوش النمساوية فكانت وفاته طامة كبرى على الدولة لعدم كفاءة عربه جي علي باشا الذي اخلفه في منصب الوزارة . ولم يحدث في ايام هذا السلطان شيء يستحق الذكر سوى احتلال البنادقة جزيرة ساقس سنة ١٦٩٤ م . ثم توفي السلطان احمد الثاني في يوم ٢٢ جمادى الثانية سنة ١١٠٦ ﻫ الموافق ٦ فبراير سنة ١٦٩٥ م بعد ان حكم ٤ سنين و ٨ اشهر

٦٥٤ – السلطان مصطفى الثاني ابن محمد

من سنة ١١٠٦ – سنة ١١١٥ هـ او من سنة ١٦٩٥ – ١٧٠٣ م

فتولى بعده السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع . وكان السلطان مصطفى شجاعاً ثابت الجأش فاعلن بعد سلطنته بثلاثة اشهر رغبته في ان يقود الجيش بنفسه لمحاربة بولونيا وسار اليها مستعيناً بفرسان القوزاق وانتصر على البولونيين في عدة وقائع وبلغ الى مدينة لمبرج وكانت في غاية المناعة فلم يتيسر له حربها . وحارب ايضاً بطرس الاكبر قيصر الروسيا اذ كان محاصراً مدينة ازوف ببلاد القرم واضطره الى رفع الحصار عن هذه المدينة سنة ١٦٩٥ م ولكن تغلب عليها القيصر سنة ١٦٩٦ م ولم تزل تابعة لروسيا

ثم اغار السلطان مصطفى بجيوشه على بلاد المجر وفتح بعض حصونها وانتصر على فترانى قائد جيوش النمسا وقتل من جيشه ٦ آلاف واخذه اسيراً الا ان الامير اوجان دى سافوا الذي تولى قيادة جيوش النمسا سنة ١٦٩٧ م دهم الجنود العثمانية عند عبورهم احد الانهر فقتل منهم خلقاً كثيراً وفي جملتهم محمد باشا الصدر الاعظم وغرق منهم كثيرون في النهر ثم تتبع الامير اوجان الباقين ودخل بلاد البشناق فاتحاً . واقام السلطان في منصب الصدارة حسين باشا كوبرلي فاوقف الامير اوجان عن التوغل باملاك الدولة بل اجبره على التقهقر وترك بلاد البشناق . واسترد قائد الاساطيل العثمانية جزيرة ساقس بعد انتصاره في موقعتين على اساطيل البندقية ثم تداخل لويس الرابع عشر ملك فرنسا في اصلاح ذات البين بين المتحاربين وبعد مخابرات طويلة تم عقد الصلح بين الدولة العلية والنمسا وروسيا والبندقية في معاهدة كارلوفتش في ٢٦ يناير سنة ١٦٩٩ م وكان من شروط هذه المعاهدة ان تتخلى الدولة العلية عن بلاد المجر برمتها وعن اقليم ترانسلفانيا لدولة النمسا وان تتنزل عن مدينة ازاق وفرضتها لروسيا وان ترد الى مملكة بولونيا بعض المدن التي كانت قد تملكتها . وتخلت للبندقية عن المورة واقليم دلماسيا على البحر الادرياتيكي فخسرت الدولة بهذه المعاهدة قسماً كبيراً من املاكها باوربا وازدادت مطامع الدول الاوروباوية ببلادها . وفي سنة ١٧٠٢ م استقال حسين باشا كوبرلي من منصب الصدارة فعين السلطان مكانه مصطفى باشا وهذا كان ميالاً للحرب وغير راضٍ عما تم عليه الاتفاق مع دول الفرنج وعزم ان يخرق معاهدة

كارلوفتش المذكورة وان يثير الحرب على النمسا · ولما شعر اعيان المملكة وجنودها بمضار هذه السياسة ومانسببه من تألب دول اوربا على الدولة العلية ثانية سألوا السلطان عزله فعزله وعين مكانه رامي محمد باشا فسار على خطة حسين باشا كوبرلي وطفق يبطل المفاسد ويعاقب اصحاب الرشوات ويمنع المظالم فثار عليه الانكشارية وسألوا السلطان عزله فلم يجبهم الى ما طلبوا وارسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضموا الى الثائرين وخلعوا السلطان مصطفى الثاني في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥ هـ الموافق ١٥ اغسطس سنة ١٧٠٣ م · وكانت مدة حكمه ٨ سنوات و٨ اشهر

٦٥٥ ــ السلطان احمد الثالث ابن محمد

من سنة ١١١٥ ــ ١١٤٣ هـ او من سنة ١٧٠٣ ــ ١٧٣٠ م

واقاموا بعده اخاه السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع · ولما تبوأ هذا السلطان مسند الخلافة كان السلام سائدًا في جميع انحاء الدولة العلية · وكانت يومئذٍ الحرب قائمة على ساق وقدم بين بطرس الاكبر قيصر الروسيا وكارلوس الثاني عشر ملك اسوج ودامت الحرب بينهما الى سنة ١٧٠٩ م حين انكسر اخيرًا كارلوس المذكور في معركة بلتوفا وفاز عليه بطرس الاكبر فانهزم ودخل حدود الدولة ونزل في بندر · فامر السلطان وقتئذٍ بان يكرم غاية الاكرام وان تكون مصاريف كل تبعته من خزينة الدولة · اما كارلوس فاخذ يطلب من السلطان نجدة لقتال القيصر الروسي فلم يجبه الى ذلك نظرًا للمعاهدة التي كانت بين الدولتين ولكن لمداومة كارلوس الالحاح على هذا الطلب ولشهوته الفائقة التي نالها في بلاط السلطان حتى كانت ام السلطان تميل اليه وتلقبه بالاسد اعتمدت الدولة اخيرًا على اجابة طلبه وشهرت الحرب على روسيا سنة ١٧١١ م وارسلت جيشًا عظيمًا تحت قيادة محمد باشا البلطجي فاشتبك القتال بين الطرفين عند نهر بروث وبعد كفاح شديد تقهقر جيش القيصر وامسى الامبرطور في خطر مبين ولو لم تدارك الامر زوجته كاترينا بحذقها ودرايتها لاصبح زوجها اسيرًا ولكنها

بذات كل مرتخص وغال في ارضاء خاطر الوزير العثماني الذي لما امتلأت يده من الاصفر الوهاج رفع الحصار عن القيصر واكتفى بتوقيع القيصر على معاهدة فلكزن التي بمقتضاها تخلى عن مدينة ازوف وتعهد بان لا يتداخل في شؤون بولونيا . ولو اخلص الوزير لنال من القيصر في هذه الفرصة ما هو اعظم من ذلك كثيرًا ولذلك كاد كارلوس الثاني عشر ملك اسوج يتمزق غيظاً من عقد الصلح على هذه الشروط وسعى لدى السلطان بعزل الوزير عن منصبه وابعاده الى جزيرة لمنوس ففعل السلطان ذلك وولى الصدارة بعده يوسف باشا وهذا لم يكن ميالاً للحرب فوقع مع القيصر على معاهدة جديدة تقضي بهدنة مدة ٢٥ سنة فيئس عندئذ كارلوس الثاني عشر ملك اسوج من مساعدة الدولة له على الروسيا وترك بلاد الدولة بعد ان اقام بها سنتين

وتولى في هذه الاثناء منصب الصدارة علي باشا داماد وكان ميالاً الى الحرب هائماً بان يرد الى الدولة ما أخذ من املاكها فاثار الحرب على جمهورية البندقية فاسترد منها المورة وما كان باقياً لها من المدن في جزيرة كريت ولم يبق للبنادقة في بلاد اليونان الا جزيرة كورفو فاستنجد البنادقة بكارلوس الثالث ملك النمسا فاسرع لانجادهم وطلب الى السلطان ان يرد عليهم كل ما اخذه منهم والاَّ فيكون امتناعه عن الاجابة اعلاناً للحرب فابى السلطان قبول ما اقترحه فتأججت نار الحرب وكان قائد جيش النمسا اوجان دي سافوا الشهير فانتصر على العثمانيين في ٥ اغسطس سنة ١٧١٦ م وقتل الصدر الاعظم لاقتحامه ساحة القتال بنفسه مؤثرًا الموت مجاهدًا على الانهزام واستحوذ جيش النمسا على عدة مدن عثمانية ودخلوا بلغراد في ١٩ اغسطس سنه ١٧١٧ م عنوة . ثم دارت المخابرات بين الدولتين لعقد الصلح وتم ذلك وعقدت بينهما المعاهدة المعروفة بمعاهدة يشاروفتش ووقع عليها في ٢١ يوليو سنة ١٧١٨ م ومن شروطها ان تأخذ النمسا بلغراد وقسماً كبيرًا من بلاد الصرب وقسماً من بلاد الفلاخ وان يبقي البنادقة محتلين ثغور دلماسيا وان تبقى المورة في حوزة الدولة العلية

واراد السلطان احمد ان يعتاض عما خسره من ولاياته باوروبا فانتهز فرصة الاضطرابات التي حدثت في ذلك الوقت في بلاد العجم لغارة الافغانيين بقيادة سلطانهم محمود بن ويس واستيلائهم على عاصمة العجم ونزول الشاه حسين الصفوي شاهنشاه العجم للسلطان محمود الافغاني المذكور عن كرسي المملكة فارسل جيشاً كثيفاً للاغارة على بلاد العجم ودخل جيش الدولة بلاد ايران واستولى على مدن وقلاع اهمها همذان واروان وتبريز ٠ ثم انتصر شاه طهماسب بن شاه حسين على اعداء ابيه وغب جلوسه على سرير الملك ارسل يطلب من السلطان ترجيع الاملاك التي كان استولى عليها واذلم يلتفت السلطان الى ذلك الطلب اغار الاعجام على تبريز واستولوا عليها

ولعدم ميل السلطان الى الحرب ورغبته في الصلح ثار الانكشارية واهاجوا الاهالي فاطاعوهم طمعاً بالسلب والنهب في ١٥ ربيع الاول سنة ١١٤٣ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٧٣٠ م وطلب زعيم هذه الثورة المدعو بترونا خليل من السلطان قتل الصدر الاعظم والمفتي واميرال الاساطيل البحرية بحجة انهم مائلون لمسالمة العجم فامتنع السلطان عن اجابة طلبهم ولما رأى منهم التصميم على قتلهم طوعاً او كرهاً خوفاً من ان يتعدى اذاهم الى شخصه سلم لهم بقتل الوزير والاميرال دون المفتي فقبلوا والقوا جثثهم الى البحر لكن لم يمنعهم انصياع السلطان لطلباتهم من التطاول اليه بل جرأهم تساهله معهم على العصيان عليه جهاراً فاعلنوا اسقاطه في مساء اليوم المذكور عن منصة الاحكام ونادوا بابن اخيه السلطان محمود خليفة واميراً للمؤمنين فنزل السلطان عن كرسي المملكة دون معارضة وعاش معزولاً الى سنة ١٧٣٦ ٠ وفي ايام هذا السلطان دخل فن الطباعة في بلاده واسست دار الطباعة في الاستانة بعد اصدار المفتي الفتوى بذلك مشترطاً عدم طبع القرآن الشريف خوفاً من التحريف

٦٥٦ – السلطان محمود الاول ابن مصطفى

من سنة ١١٤٣ – ١١٦٨ هـ او من سنة ١٧٣٠ – ١٧٥٤ م

لما خلع الثائرون السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع اقاموا بعده ابن اخيه السلطان محموداً الاول ابن السلطان مصطفى الثاني ولما جلس هذا السلطان على كرسي الخلافة كان النفوذ حينئذ لبطرونا خليل زعيم الثائرين يولي من يشاء ويعزل من يشاء على حسب اهوائه حتى عيل صبر السلطان . واعتدى هذا الزعيم على بعض روساء الانكشارية فتألبوا للغدر به تخلصاً من شره فقتلوه ولم يقو محازبوه على الاخذ بثاره فعادت السكينة واستتب الامن

واستأنف السلطان محمود الحرب مع العجم وتغلبت الجيوش العثمانية في عدة مواقع على جنود شاه طهماسب المار ذكره حتى طلب الصلح فعقد بين الدولتين في ١٠ كانون الثاني سنة ١٧٣٢ م (الموافق ١٢ رجب سنة ١١٤٤ هـ او ١٠ يناير سنة ١٧٣٢ م) على ان يترك العجم للدولة العلية كل ما فتحته ما عدا تبريز واردهان وهمذان فلم يقبل نادرخان (صار فيما بعد نادر شاه وهو الفاتح الشهير وتجد ترجمته فيما يأتي بفصل ٧٤٢ ان شاء الله) اكبر قواد العجم هذا الصلح وقلب المجن للشاه طهماسب وقصده بجيشه الى اصفهان وخلعه وولى مكانه ابنه عباساً القاصر واقام نفسه وصياً عليه وزحف الى المدن العثمانية حتى حصر مدينة بغداد . فاسرع الوزير طوبال (الاعرج) عثمان باشا لكبته فكانت عدة وقائع قتل في احداها عثمان باشا المذكور . واخيراً عقدت معاهدة صلح بين الدولتين في ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٣٦ م ومن شروطها ان تعترف الدولة العلية بأن نادر شاه ملك العجم وترد اليه ما اخذته منه وان تكون التخوم بين الدولتين كما تقررت في معاهدة سنة ١٦٣٩ م في عهد السلطان مراد الرابع

وبينما كانت الدولة العلية منشغلة في هذه الحرب انتهزت الروسيا الفرصة فاتفقت مع النمسا على اذلال بولونيا او ملاشاة دولتها تبعاً لسياسة بطرس الاكبر

وكان اوغست الثاني ملك بولونيا قد توفي سنة ١٧٣٣ م وانتخب اعيان المملكة ستانسلاس ملكا عليها فاعلنت الروسيا والنمسا الحرب على بولونيا واقامت اوغست الثالث ابن اوغست الثاني ملكاً على بولونيا ولو لم ينتخبه الشعب فاعلنت فرنسا الحرب على النمسا انتصارًا للعدل ولبولونيا وسعت لدى الباب العالي لتحمل الدولة على مساعدة بولونيا في الدفاع حفظاً لهذا الحاجز الحصين بينها وبين روسيا فلم يلاق معتمد فرنسا اذناً صاغية لدى وزراء الدولة ولذلك تغلبت روسيا على ستانسلاس واحتلت جنودها بولونيا . ولما شعرت النمسا بسعي فرنسا في الاستانة خافت عقد محالفة بين فرنسا والدولة العلية فيحبط مسعاها مع روسيا في بولونيا فاسرعت الى ارضاء فرنسا وأبرمت بينهما معاهدة في فينا سنة ١٧٣٥ م وأخذت تتأهب للاشتراك مع روسيا في محاربة الدولة العلية واوعزت الى روسيا لتفتتح الحرب . فوجدت روسيا حجة لاعلان الحرب سنة ١٧٣٦ م واغارت جيوشها على بلاد القرم واحتلت الثغور التي على شاطىء البحر الاسود فكان ذلك داعياً للدولة الى الصلح مع نادر شاه العجم على شروط مجحفة بحقوق الدولة

ولحسن حظ الدولة العلية تقلد منصب الوزارة في هذا الوقت الصعب رجل حنكه الدهر واشتهر بالسياسة وسمو المدارك وهو الحاج محمد باشا فحشد الجيوش واعد المعدات الحربية حتى استطاع في وقت وجيز ايقاف الروس عن التقدم في بلاد البغدان بل اضطرهم الى التقهقر وانتصرت الجنود العثمانية في جهة اخرى على عسكر النمسا الذي كان قد اغار على بلاد البشناق والصرب والفلاخ فتقهقر النمساويون الى ما وراء الدانوب سنة ١٧٣٧ حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة سفير فرنسا فعقد هذا الصلح في ٤٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩ م بين الدولة العلية والنمسا وروسيا ووقعت هذه الدول على المعاهدة المعروفة بمعاهدة بلغراد ومن شرائطها ان تتخلى النمسا للدولة العلية عن بلغراد وعما اعطي لها قبلاً من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى معاهدة كارلوفتش المار ذكرها وتعهدت روسيا بهدم قلاع مينا ازوف و بعدم انشاء سفن حربية او تجارية بالبحر الاسود او بحر ازوف و بان

ترد للدولة كل ما فتحته من بلادها فاستردت الدولة العلية جزءًا كبيرًا مما كانت قد فقدته من بلادها . وهكذا انتهى الحال وزال الشقاق والاختلال وعظم السلام في السلطنة الى ان توفي السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى الثاني في يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١١٦٨ هـ الموافق ١٣ دسمبر سنة ١٧٥٤ م

٦٥٧ — السلطان عثمان الثالث ابن مصطفى

من سنة ١١٦٨ — ١١٧١هـ او من سنة ١٧٥٤ — ١٧٥٧ م

وتولى بعده اخوه السلطان عثمان الثالث ابن السلطان مصطفى الثاني وهـذا كان يحب الانفراد فلم يحصل في ايامه شيء يذكر الى ان توفي يوم ١٦ صفر سنة ١١٧١ هـ الموافق ٣٠ اكتوبر سنة ١٧٥٧ م

٦٥٨ ـ السلطان مصطفى الثالث ابن احمد

من سنة ١١٧١ ـ ١١٨٧ هـ او من سنة ١٧٥٧ — ١٧٧٤ م

وخلفه السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد الثالث وكان ميالاً الى الاصلاح راغباً في تقدم مملكته فاخذ حالاً في تنظيم احوال السلطنة وسلك احسن سلوك مع الرعايا وكان يعتمد على وزيره محمد راغب باشا الموصوف بحسن السياسة والتدبير وهو صاحب الجامع والمكتبة الوقفية الشهيرة المعروفة الان باسمه في مدينة القسطنطينية ولكن لم تطل ايام هذا الشهم اذ توفي سنة ١٧٦٨ م

وبعد موت هذا الوزير انتشبت نار الحرب بين الدولة العلية وروسيا فان اوغست الثالث ملك بولونيا توفي في تلك الاثناء فسمت كاترينا الثانية قيصرة الروس باقامة ستانسلاس بونياتوسكي ملكاً خلافاً لما تعهدت روسيا للدولة العلية ان لا تتداخل بشؤون بولونيا وبحجة تأمين بولونيا وحمايتها من الحرب

الداخلية احتلت جنود الروسيا فرسوفيا بالاتفاق مع بروسيا فأقام السلطان مصطفى الحجة على هذا الاحتلال فأجابته روسيا وبروسيا أن لا غرض لهما الا تأمين بولونيا وانه واذا أراد فليشترك معهما في ذلك ولم يكن ذلك الاّ خدعة . وتوفي بطرس الاكبر قيصر روسيا فخلفته كاترينا الثانية أدهى نساء عصرها واقواهن فزادت المسألة ارتباكاً واهمية واتفق ان بعض سكان الفلاخ النصارى انهزموا الى ارض روسيا فطالب الباب العالي اخراجهم منها فكان الجواب مهيناً اسخط السلطان جدّا فأوعز الى كريم كراي خان القرم أن يوجد سبباً للحرب فحرش بعض القوزاق التابعين لروسيا أن يعتدوا على بعض المدن التابعة للدولة فأغاروا على احدى المدن العثمانية وقتلوا بعضاً من سكانها فأعلنت الدولة العلية الحرب على الروسيا واغار كريم كراي على اقليم سربيا الجديدة وخرب بعض مستعمرات الروس واخذ بعض الاسرى منهم . وسار الوزير الاعظم محمد أمين باشا بجيش عظيم للدفاع عن أملاك الدولة في الفلاخ والبغدان فانهزم أمام أعدائه لسوء تدبيره فأمر السلطان بقتله سنة ١٧٦٩ م ونصب مكانه في الصدارة وقيادة الجيش مولدواني باشا فكان اكثر خبرة بأمور الحرب ولكن بينما كان جيشه يعبر على جسر من السفن نهرًا كان الجيش الروسي على ضفته الاخرى فاض النهر فقلب السفن وغرق من كان عليها وقتل الروس من عبروا اليهم عن آخرهم فاحتل الروس ايالتي الفلاخ والبغدان . وكانت روسيا في هذه الاثناء تبذل الجهد باثارة رعايا الدولة عليها فهيجت سكان المورة على العصيان واخرجت بعض سفنها من بحر البلتيك فدارت حول أوربا الغربية و بلغت بلاد اليونان فاستحوذت على بلاد كورون لتجرىء اليونان على خلع الطاعة فسارعت الدولة الى اطفاء الفتنة وخرجت مراكب الروس من كورون قاصدة جزيرة ساقس فالتقت بالاسطول العثماني في المضيق الذي بين الجزيرة وساحل اسيا الصغرى فتلظت نار الحرب ساعات وكان النصر للاسطول العثماني الذي عاد بعد الظفر الى مينا جشمة وتبعته سفينتان روسيتان ظن العثمانيون انهما هاربتان من الاعداء وقاصدتان الانضمام الى

اسطولهم فلم يتعرضوا لدخولها في المرفأ فألقنا في الحال نارًا حامية على المراكب العثمانية على حين غفلة منها فاشتعل البارود الذي فيها وأحرق المراكب وغرقها في يوم ١١ ربيع الاول سنة ١١٨٤ هـ الموافق ٤ يوليو سنة ١٧٧٠ م وعزم الاميرال الروسي أن يهاجم الاستانة فلم يوافقه أحد أركان حربه وآثر احتلال جزيرة لمنوس أولاً لتكون مركزًا لاعمالهم الحربية ولكن تمكن البارون دي تون المجري الذي دخل في خدمة الدولة ان يحصن أثناء حصار لمنوس مضيق الدردنيل بما أمكن من السرعة حتى استحال على مراكب الروس العبور بهذا المضيق وحول عدة مراكب تجارية الى سفن حربية وجهزها بالمدافع بسرعة غريبة حتى تمكن حسن بك الذي تولى قيادة هذا الاسطول الجديد ان يقاتل الاسطول الروسي على لمنوس ويبعده عنها . ولم ينجح الروس في طرابزون أيضًا التي حاولوا الاستيلاء عليها لكنهم احتلوا بلاد القرم واعلنوا انفصالها عن الدولة واستقلالها تحت سيادة روسيا وحمايتها وجعلوا شاهين كراي خانًا عليها خاضعًا للقيصرة كاترينا الثانية

وفي سنة ١٧٧٢ م تهادن الفريقان وتفاوضوا في أمر الصلح ودامت المخابرات الى سنة ١٧٧٣ م بلا نتيجة لان معتمدي روسيا طلبوا طلبات مجحفة بحقوق الدولة فلم يقبلها الباب العالي فاستؤنفت الحرب وصدرت الاوامر للجيش العثماني في ٢٢ مارس سنة ١٧٧٣ م بمعاودة القتال في أعمال الدانوب فانتصر العثمانيون في عدة مواقع وتقهقر الروسيون

وكان الاسطول الروسي باقيًا في البحر المتوسط وكان علي بك احد امراء المماليك في مصر لذلك الوقت قد استبد بشؤونها وأصبح مستقلاً بها ورأى اتمامًا لمقاصده أن يستمد الروسيين فخابر الاسطول الروسي ليمده بالذخائر والاسلحة فارتاح الاميرال الى ذلك رغبة في اشغال الدولة بحروب داخلية وأسرع الى مساعدته وبذلك امكن علي بك فتح مدائن غزة ونابلس وأورشليم ويافا ودمشق وكان يتجهز للاغارة على الاناضول لكن ثار عليه أحد امرائه محمد بك الشهير بابي الذهب فعاد علي بك الى مصر لمحاربته فانهزم

وبعد أن تحصن في القلعة التجأ الى الشيخ طاهر الذي كان عاملا على مدينة عكا من قبل الدولة العلية واستأثر بها واتحد معه على محاربة العثمانيين بالاتحاد مع الروس وتخليص مدينة صيدا التى كانوا يحاصرونها فسارا الي هذه المدينة والتقيا بالعثمانيين خارجها وانتصرا عليهم بمساعدة المراكب الروسية التى كانت ترسل مقذوفاتها على الجيش العثماني . ثم اطلقت السفن الروسية قنابلها على مدينة بيروت فأخربت منها نحو ثلثمائة بيت وبعد ذلك عاد علي بك الى مصر في محرم سنة ١١٨٧ هـ لمحاربة محمد بك ابي الذهب وانضم الى جيوشه أربعمائة جندي روسي فقابلهم أبو الذهب عند الصالحية بالشرقية وفاز عليهم بالنصر وأسر علي بك وأربعة من ضباط الروس بعد أن قتل كل من كان معهم ورجع الى مصر حيث توفي علي بك من الجراح التى أصابته فقطع أبو الذهب رأسه وسلمه مع الاربعة ضباط الروسيين الى الوالي العثماني خليل باشا وهو أرسلهم الى الاستانة . ثم توفي السلطان مصطفى الثالث في ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ الموافق ٢١ يناير سنة ١٧٧٤ م .

٦٥٩ — السلطان عبد الحميد الاول ابن احمد

من سنة ١١٨٧ — ١٢٠٣ هـ أو من سنة ١٧٧٤ — ١٧٨٩ م

فتولى بعده اخوه السلطان عبد الحميد الاول ابن السلطان احمد الثالث . وكانت روسيا تستعد استعداداً هائلاً لتسترد ما أخذ منها في أيام السلطان مصطفى الثالث وتأخذ ما امكنها من املاك الدولة العلية وقد زحفت جيوشها في يونيو سنة ١٧٧٤ م فاجتازت نهر الطونة قاصدة مدينة فارنا فالتقت بعسكر عثماني اميره عبد الرازق افندى فهزمته وتقدمت نحو معسكر محسن زاده الصدر الاعظم فطلب الصدر الاعظم من أمير الجيوش الروسية المهادنة وتوقيف القتال وأرسل اليه مندوبين للمخابرة في الصلح وشروطه . فاجتمع المندوبان العثمانيان بسفير روسيا

بمدينة قينارجة و بعد مخابرات طويلة تمّ عقد الصلح على شروط أهمها استقلال التتر وفتح أبواب كل ابحر الدولة للسفن الروسية . ومع ذلك كله لم تقنع دولة روسيا بل كانت تتعدى من حين الى حين على حدود الدولة العلية حتى انها اغارت على القرم واستولت عليها . وكان السلطان عبدالحميد الاول يتحمل تلك التعديات بمرارة عظيمة زمناً طويلاً وهو غير قادر أن يأتيها بالعلاج الشافي . ولما رأى ان كل املاك دولته ما وراء الطونة وقعت في قبضة الاجانب شرع في استعدادات جديدة للحرب و بينما كان مهتما على القيام وافته المنية في ٧ ابريل سنة ١٧٨٩ م الموافق١٢ رجب سنة ١٢٠٣ هـ

٦٦٠ – السلطان سليم الثالث ابن مصطفى

من سنة ١٢٠٣ – ١٢٢٢ هـ أو من سنة ١٧٨٩ – ١٨٠٧ م

فتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث . وحالما تبوأ هذا السلطان مسند الخلافة همّ حالاً لتشل الدولة من تلك الحالة السيئة وبعث بالعساكر المجهزة لمحاربة الجيوش الروسية والنمساوية فالتقى الفريقان في البغدان و بعد قتال شديد انتصر الروسيون والنمساويون في سبتمبر سنة ١٧٨٩ م واستحوذ الروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاح والبغدان وبسارابيا . ودخل النمساويون بلغراد وفتحوا بلاد السرب فتداخلت حينئذ بروسيا وانكلترا بين ليوبولد امبراطور جرمانيا والدولة العلية في شأن الصلح وقر القرار فيه بأن يصير ارجاع بلغراد وكل الاراضي التي فتحتها النمسا خلا شوكزيم لحد نهاية الحرب مع روسيا وتعينت ساقية كزارما حداً فاصلاً بينهما وذلك سنة ١٧٩١ م أما روسيا فكانت لا تزال مقيمة الحرب على قدم وساق حتى حاصرت قلعة اسماعيل وهي من اهم حصون الدولة العلية وامنعها و بعد حصار شديد فتحتها فتداخلت ايضاً انكلترا و بروسيا وانهتا النزاع والحرب وحملتا روسيا ان ترجع

للدولة العلية كل الاماكن التي فتحتها خلا اوكزاكوف والاراضي الواقعة بين نهري بدغ ودنيستر (حيث اقامت الامبراطورة كاترينا الثانية مدينةاودساسنة ١٧٩٢م)

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها سعى السلطان سليم في ترقية اسباب تقدم بلاده وعمرانها وارسل يطلب من فرنسا مهندسين ومعلمي صنائع وضباطاً الى غير ذلك فبعثت له بجانب عظيم. على ان علاقاته الحبية مع فرنسا تكدرت سنة ١٧٩٨ م حين دخل الفرنساويون مصر بقيادة بطلهم الشهير نابوليون بونابرت على غير علم الدولة (وسنذكر هذه الحادثة اكثر تفصيلاً في ذكر مقدمة الدولة المحمدية العلوية) واقاموا فيها الى سنة ١٨٠١ م فالتزمت الدولة العلية ان تشهر ضدها السلاح واخرجتها من اراضيها المصرية بمعاضدة انكلترا. ثم حدثت في مصر حوادث كان نهايتها اسناد ولاية مصر الى محمد علي باشا مؤسس الدولة المحمدية العلوية وسنذكر ذلك باوضح بيان في ذكر الدولة المحمدية العلوية ان شاء الله تعالى

وفي سنة ١٧٩٩ اتحدت روسيا مع الدولة العلية على اخذ السبع الجزر التي كانت لجمهورية البندقية وكانت فرنسا يومئذ مستولية عليها منذ سنة ١٧٩٧ م فاتحدت اساطيلهما وفتحت الجزر المذكورة. وهذه هي المرة الاولى والاخيرة التي اتحد فيها هاتان الدولتان. وفي سنة ١٨٠٠ م صار الاتفاق بين الدولتين المشار اليهما في صيرورة الجزر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزر

وفي سنة ١٨٠٢ م عقد بونابرت معاهدة صلح مع الدولة العلية. ولما ارتقى المذكور الى منصب الامبراطورية بعث سفيراً الى الدولة العلية لكي تعرفه امبراطوراً فتأخرت من جرى تهديدات روسيا وانكلترا ولكن لما بلغها صدى انتصاراته على النمسا وروسيا في اوسترليتز سنة ١٨٠٥م عرفته اخيراً سنة ١٨٠٦م وجددت مع فرنسا علاقات الوداد. وارسل بونابرت الجنرال سبستياني الى الاستانة وكانت له حظوة كبرى لدى السلطان وبمساعيه عزل السلطان اميري

الفلاخ والبغدان المجاز بين لروسيا . فاستاءت روسيا من هذا العزل وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا في المشرق فجهزت جيشاً احتل الامارتين المذكورتين دون اعلان حرب مدعية ان تغيير اميري الفلاخ والبغدان مضر بحقوق جوارها فانشبت نار الحرب بين الدولتين وناصرت انكلترا روسيا فارسلت اسطولاً بقيادة اللورد دوك فسطا على مدخل الدردنيل ورفع سفيرها بلاغاً الى الباب العالي طالباً عقد محالفة بين الدولة العلية وانكلترا وتسليم الاساطيل وقلاع الدردنيل لانكلترا والتخلي عن ولايتي الفلاخ والبغدان وطرد الجنرال سبستياني من الاستانة والا فتضطر انكلترا ان تجتاز بوغاز الدردنيل وتطلق مدافعها على الاستانة . فأبت الدولة العلية اجابة انكلترا الى هذه المطالب واخذت بتحصين البوغاز المذكور وانشاء القلاع على ضفتيه على ان الانكليز لم يتركوا لهم وقتاً كافياً لهذه التحصينات بل اخترق اميرال الاسطول الانكليزي بوغاز الدردنيل دون ان تناله مضرة تذكر من مقذوفات القلاع ودمر السفن العثمانية الراسية في فرضة كاليبولي ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ الشروط التي اقترحها على الباب العالي . واستولى الرعب على قلوب سكان الاستانة وحار الوزراء فيما يعملون وبعد مداولات طويلة جزموا ان يذعنوا لمطالب انكلترا وارسلوا يكلفون الجنرال سبستياني بالخروج من الاستانة خيفة من تفاقم الخطب فاستدعى الجنرال مستخدمي السفارة والضباط الافرنسيين الموظفين بجيوش الدولة وبحريتها واجاب رسول الباب العالي « لا اخرج من الاستانة الا مكرهاً » . وطلب ان يقابل السلطان فاجيب الى ذلك فعرض له ان فرنسا مستعدة لمساعدته وان امبرطورها نابوليون بونابرت اصدر اوامره لجيوشه المعسكرة في سواحل الادرياتيك ان تسير مسرعة الى الاستانة لانجاده على انكلترا ونبذ مطالبها فاقتنع جلالة السلطان بما عرضه له وامر بتحصين العاصمة وانشاء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وتجند من نزلة الافرنسيين بالاستانة مئتا مقاتل واكثرهم من المدفعية لمقاومة انكلترا وجد كل من بالاستانة بهذه التحصينات الشيوخ والاحداث والنساء وكان

السلطان بنفسه يناظر هذه الاشغال و يحث المشتركين بها على مواصلة الليل بالنهار لاتمام القلاع ولم تمر ايام الا واصبحت الاستانة في مأمن من كل طارىء ووقفت عدة سفن في مدخل البوسفور لمنع المهاجمة . فلما رأى الاميرال الانكليزي انه اصبح مستحيلاً عليه ان يدخل البوسفور وخاف من حصر اسطوله في ما بين البوغاز بن البوسفور والدردنيل قفل راجعاً الى البحر الابيض المتوسط سنة ١٨٠٧

واراد الاميرال الانكليزي ان يداري هزيمته فقصد ثغر الاسكندرية ومعه خمسة الاف جندي ما عدا البحرية فاحتل هذا الثغر وارسل فرقة من الجند لاحتلال ثغر رشيد فلم تنل منها مأرباً واعاد الكرة على رشيد فخاب امله من الاحتلال فيها لارسال محمد علي باشا النجدات اليها فلما رأى الاميرال ما في فتح مصر من العقبات والمصاعب مع اشتغال دولته بالحروب باوربا عدل عن مقصده واقلع باسطوله وجنوده من مصر في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ م . وكان السلطان سليم يرغب ان يلاشي وجاق الانكشارية ويقيم مكانه عسكرا على الطريقة الافرنكية لانهم كانوا قد زعزعوا اركان السلطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم وكان قد نظم في العام السابق بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانكشارية من جراء ذلك واثاروا على المدينة شغباً عظيماً وصاروا يعتدون على الاهالي ويقتلون من وقعت ايديهم عليه فاصدر السلطان امراً بالغاء النظام الجديد فلم يكتف الثائرون بذلك بل قرروا خلع السلطان لئلا يعود الى تنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك شيخ الاسلام الذي هو محرك هذه الفتنة فأفتى بان كل سلطان يدخل نظام الفرنج وعوائدهم و يجبر الرعية على السلوك بها لا يصلح للملك (تأمل) . واستمرت الثورة يومين ثم نودي في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٢٢٢ هـ الموافق ٢٨ يونيو سنة ١٨٠٧ م بخلع السلطان سليم الثالث بعد ان حكم ١٩ سنة و بقي الى ان توفي في ٤ جمادي الاولى سنة ١٢٢٣ هـ

٦٦١ ـ السلطان مصطفى الرابع ابن عبد الحميد

من سنة ١٢٢٢ – ١٢٢٣ هـ او من سنة ١٨٠٧ – ١٨٠٨م

واقاموا مكانه السلطان مصطفى الرابع ابن السلطان عبد الحميد الاول وهذا لم يستطع ان يكبح جماح الثائرين فاثبت الوزراء الذين كانوا يحازبونهم . ولما بلغت اخبار ما كان بالاستانة الى الجيوش العثمانية المشتغلة بمحاربة الروس شعر الانكشارية بما كان لرفاقهم من الفوز ولما رأوا قائدهم العام حلمي ابراهيم باشا الصدر الاعظم آسفاً على ما حدث في الاستانة قتلوه واقاموا مكانه چلبي مصطفى باشا . ولولا اشتغال معظم جيوش الروس بمحاربة نابوليون بونابرت لفعل الروس ما ارادوا بالجيوش العثمانية لكن نابوليون انتصر حينئذ على الروس في وقعة فريدلاند فتقهقرت الجنود الروسية المحتلة بالبغدان دون حرب . وعقب ذلك الصلح بين فرنسا وروسيا بمقتضى معاهدة تيلسيت سنة ١٨٠٧ وكان من شروطها ان تكف روسيا عن محاربة الدولة العلية الى ان يتوسط نابوليون الصرف بينهما وان تنجلي عساكر الروس عن ولايتي الفلاخ والبغدان ولا تدخلها العساكر العثمانية الى ان ينعقد الصلح بين الدولتين . وقبل الفريقان ذلك ولكن لم تقم روسيا بما وعدت من اخلاء الولايتين المذكورتين

اما في الاستانة فوقعت الثورة وطلب بعضهم اعادة السلطان سليم الى منصة الملك فخاف السلطان مصطفى من حركتهم وامر بقتل السلطان سليم فقتل ورمى بجثته اليهم وكان السلطان مصطفى يؤمل ان يكف الثائرون عند ما يرون السلطان سليماً مقتولاً فجاء الامر بعكس ما امل لانهم ازدادوا هياجاً ونادوا بخلع السلطان مصطفى فتم لهم ذلك في اواخر شهر يونيو سنة ١٨٠٨ م وحجروا عليه فكان اخر العهد به

٦٦٢ - السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد

من سنة ١٢٢٣ — ١٢٥٥ ه او من سنة ١٨٠٨ — ١٨٣٩ م



ش ١ — السلطان محمود الثاني (عن الهلال)

و ولوا مكانه اخاه السلطان محموداً الثاني ابن السلطان عبد الحميد الاول . وكانت يومئذ العساكر الروسية تتقدم الى جهة الدانوب مسرعة فبعث السلطان جيشاً عظيماً لمصادمتهم فلم يقدر ان يوقف مسيرهم فطلبت فرنسا ان تتوسط امر الصلح بينهما فرفض السلطان محمود مداخلتها لانهُ تأثر جداً من الشروط السرية التي عقدها نابليون مع اسكندر الروسي في تيليست التي من شأنها اقتسام دول اوربا فيما بينهما بما فيها الدولة العلية واستمر في مقاومة الروسيين ومحاربتهم ولكن من غير فائدة . واستولى الروسيون على مدينة شوملة وعلى عدة مراكز حسنة وضايقوا العساكر العثمانية اشد مضايقة وبينما كانت المصائب محيطة بالدولة من كل جهة اذ اتاها الفرج من حيث لا تحتسب وذلك ان نابوليون بونابرت كان قد اشهر الحرب على روسيا سنة ١٨١٢ م وسار اليها بجيوشه الجرارة فالزم ذلك روسيا ان تسحب اكثر جيوشها من حدود الدولة العلية وعقدت في بخارست في ٢٨ مايو سنة ١٨١٢ م مع الباب العالي صلحاً موافقاً جداً للدولة العثمانية وكان من شروطه بقاء ولايتي الفلاخ والبغدان للدولة العلية وعود السرب الى حوزتها مع بعض امتيازات وحفظت روسيا لنفسها بساربيا وغير ذلك . ولما علم السربيون ان

معاهدة بوخارست قضت عليهم بعودهم الى حوزة العثمانيين وذهب سدًى ما بذلوه من الاموال والارواح آثروا الفناء بالدفاع عن رجوعهم الى حوزة الدولة . وارسلت الدولة العلية جيوشها عليهم فاخضعتهم لسلطانها فهاجر زعماء الثورة الى النمسا والمجر منتظرين فرصة لاهاجة الامة ثانيةً وبقي احدهم المدعو ميلوش اوبرينوفتش في بلاده مظهرًا الولاء للدولة العلية فعينته في منصب حقير . اما هو فدأب على بث روح الحرية والثورة الى ان جمع سنة ١٨١٥ م عصابة كبرى من الاهلين وجاهر بالعصيان وعاد المهاجرون الى اوطانهم وامتدت الثورة في انحاء السرب فزحفت اليهم الجيوش العثمانية فقاتلتهم سنتين الى ان قبل مليوش اوبرينوفتش المذكور بالنيابة عن امته الرجوع الى سلطة الدولة على شرط انها لا تداخل في شؤونهم الداخلية بل يعين لادارة البلاد مجلس مؤلف من اثني عشر عضوًا ينتخبهم اعيان الامة وهم ينتخبون رئيسًا عليهم يكون بمنزلة حاكم عام وتكتفي الدولة العلية بالمراقبة واحتلال الحصون والقلاع . ونصبت الدولة مرعشلي باشا واليًا للسرب وانتخب مليوش رئيسًا لمجلس الامة سنة ١٨١٧ م فاستبد كملك مطلق التصرف لا سلطة للوالي العثماني الا الاحتلال في الحصون والقلاع

وفي سنة ١٨٢١ م تحرك اليونان في المورة وجاهروا بالعصيان على الدولة وكانوا يهجمون بمراكبهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ويدسون الفتن في جميع الاطراف فشق ذلك على الدولة وارسلت العساكر لردعهم وادخالهم في حيز الطاعة فشبت الحرب بينهما وقامت على ساق وقدم . وبعث الباب العالي الى محمد علي باشا عزيز مصر يأمره بأن يرسل جيشًا لمحاربتهم فارسل ولده ابراهيم باشا المشهور بخمسة وعشرين الف مقاتل مع عمارة بحرية . ولما وصل الى المورة انضم بجيشه الى جيش الدولة وزادت نيران الحرب اتقادًا ولما يئس اليونانيون من النجاة ونوال الاستقلالية استنجدوا بالدول الاوربية فبادرت دولتا فرنسا وانكلترا الى توسط امرهم لدى الدولة ولما لم يجب السلطان محمود سؤالها ارسلتا عمارتيهما وانضمت اليهما العمارة الروسية وعند وصولها الى ميناء نافارين بعثوا جميعًا الى ابراهيم باشا يطلبون اليه ان يوقف الحرب فاجاب انه لا يقدر على ذلك الا بامر السلطان فعند ذلك دخلوا ميناء نافارين واطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي باشا فاحرقوهما وكان ذلك في ٢٨ ربيع الاول سنة ١٢٤٣ ه الموافق ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م ولما بلغ ذلك الخبر السلطان محمودًا اضطر الى اجابة سؤال الدول المتحدة وامضى الشروط التي عرضت عليه بخصوص ابطال الحرب

واستقلال اليونان

وفي وسط هرج هذه الحروب اصدر السلطان محمود أمرًا بتدمير وجاق الانكشارية فهجمت عليهم العساكر المستجدة والآهلون في العاصمة وباقي الولايات وابادوهم عن آخرهم وارتاح الناس من جورهم والدولة من اثقالهم وذلك في شهر ذى القعدة سنة ١٢٤١ هـ الموافق شهر يونيو سنة ١٨٢٦ م . وفي تلك الاثناء غيّر السلطان محمود لبسه وتزيى بالزي العثماني الحالي غير ملتفت لاعتراض المعترضين



(ش ٢ اغا الانكشارية وبعض رجاله) (عن الهلال)

وفي سنة ١٨٢٩ م زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة العلية عند شواطيء الدانوب وسار جيش الى جهة اسيا فارسلت الدولة عسكرًا لمصادمتهم فتغلبت عليه العساكر الروسية وكسرته في سيليستريا وشوملة ثم كسرته ايضًا كسرة اخرى عند كاليتشوفا وقطعت مضيق البلقان واستولت على ادرنة واخذت تهدد العاصمة . وكانت جنود روسيا التي قصدت جهات اسيا قد استولت على القرص وبايزيد وطراق قلعة وارزروم ولما بلغت كل هذه المصائب السلطان محمودًا اضطرب جدًا على انه اظهر الثبات وقوة الجنان والقلب في وسط تلك الاخطار المحدقة به وبدولته ثم تداخلت انكلترا في انهاء تلك الشرور المهلكة وسلم السلطان محمود بكل الشروط التي طلبت منه وفي ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ م حررت معاهدة الصلح في مدينة ادرنة وخلاصة مافي معاهدة ادرنة هذه ان السلطان محمودًا قبل التصديق على قرار الدول المتحدة بمؤتمر لوندرا سنة ١٨٢٧ م

باستقلال اليونان وان تعين حدود مملكتهم بمعرفة نواب عن هذه الدول وعن الباب العالي وان يكون لولايتي الفلاخ والبغدان (رومانيا) استقلال اداري بحسب الامتيازات الماضية وان اميري الولايتين يكونان لمدة حياتهما ولا يعزلان الا لدواع كبيرة تصادق عليها الروسيا والدولة العلية ۰ وان تبقي للسرب الامتيازات المبينة في العهدة السابقة وان تعين التخوم بين الروسيا والدولة العلية في اوربا وفي اسيا وان يكون لروسيا حق المرور في بوغازي البوسفور والدردنيل دون تفتيش مراكبهم وان تدفع الدولة تعويضاً لتجار الروس ١٦ مليوناً فرنكاً ۰ ثم أضيف الى هذه المعاهدة ان التعويض لتجار الروس يدفع انجماً على اربع سنين وان تدفع الدولة غرامة حربية للروس خمسة ملايين ليرة انكليزية مقسطة عشرة اقساط على عشر سنين ويكون جلاء عساكرهم تدريجا بحسب دفع الاقساط المذكورة ۰ وفي ٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ هـ الموافق ٣٠ مايو سنة ١٨٣٠ م اعلن الباب العالي باستقلال اليونان

وفي سنة ١٨٣٠ م احتلت فرنسا اقليم جزائر الغرب بدعوى منع تعدى قرصانات البحر المسلمين على مراكبها التجارية والحقيقة ليكون لها مركز حربي بشمال افريقية حتى لاتكون انكلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الابيض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجزيرة مالطة

وفي سنة ١٨٣١ م جهز محمد علي باشا عزيز مصر ولده ابراهيم باشا بثلاثين الف مقاتل لافتتاح الاقطار الشامية انتقاماً من عبد الله باشا والي عكا فسار اليها واستولى عليها وهزم الجنود العثمانية التي ارسلها الباب العالي لاستخلاص الشام منه في عدة وقائع (وسنذكر هذه الحوادث اكثر تفصيلاً في ذكر الدولة المحمدية العلوية ان شاء الله تعالى) وخصوصاً في واقعة نصيبين التي شتت فيها ابراهيم باشا شمل جيش عثماني كثيف ولم يصل خبر واقعة نصيبين هذه الى آذان السلطان محمود فانه توفي في يوم ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ الموافق اول يوليو سنة ١٨٣٩ م

٦٦٣ – السلطان عبد المجيد بن محمود

من سنة ١٢٥٥ — ١٢٧٧ هـ او من سنة ١٨٣٩ — ١٨٦١ م

وخلفه ابنه السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود الثاني واول عمل باشره اجتهاده في استخلاص الشام من يد المصريين وتمكن بمساعدة انكلترا وروسيا من ارجاع المصريين على اعقابهم (وسنذكر ذلك اكثر تفصيلاً في ذكر الدولة المحمدية العلوية) ولما عاد الشام الى حيزة الدولة العلية كما كان وعادت المياه الى مجاريها اخذ السلطان عبد المجيد في اجراء ما كان قد شرع فيه جناب والده من الترتيبات والتنظيمات على مقتضى الشرع والقوانين السياسية فاصدر فرمان الاصلاحات المعروف بفرمان الكلخانة في ٣ نوفمبر سنة ١٨٣٩ م ضمنه عدة اصلاحات ونظامات مفيدة واعلن به التسوية بين رعاياه من اي مذهب كانوا وامر بنشره في اقطار السلطنة العثمانية ليحيط الجميع به علماً فانتعشت ارواح الرعايا بجلوس هذا السلطان واستبشروا به .

ومن اهم الاحداث في ايام السلطان عبد المجيد الحرب بين الدولة العلية والروسيا وهي المعروفة بحرب القرم وسببها انه كان وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس من عدة سنين بسبب كنيسة القيامة وبعض الاماكن المقدسة فكانت كل طائفة منها تدعي لنفسها حق الرئاسة والتقدم على الاخرى باستلام مفاتيحها . ثم اخذت هذه المسالة تتعاظم بينها وتمتد يوماً بعد يوم الى ان آل الامر الى النزاع والجدال في سنة ١٨٥١ م فوقع الباب العالي في حيرة وارتباك من جهة تسكينها واخماد نارها لان روسيا كانت تحامي عن حقوق الروم وفرنسا تنتصر للاتين فتداخل سفير انكلترا اللورد ستراتفورد دي ردكليف في صرف هذا المشكل ورسم ترتيباً موافقاً لائتلاف الملتين المتخالفتين فقبلته فرنسا واما روسيا فلم تقبله لان مقصدها الوحيد لم يكن مقتصراً على محاماة اكليروس الروم بل كان لها غايات اخرى طالما كانت تجتهد على نوالها وتترقب الفرص لاستحصالها وهي ابعاد الدولة العلية من قارة اوربا والاستيلاء على اقاليمها وولاياتها . فانتهز الامبراطور نقولا قيصر الروس تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلوغ اربه فارسل الامير منشيكوف الى القسطنطينية سنة ١٨٥٢ م لمقابلة السلطان عبد المجيد بعد ان كان بعث جيشاً يبلغ ١٤٤ الفاً الى نهر الدانوب

ليكون مستعداً لوقت اللزوم والحاجة • فلما وصل الامير منشيكوف الى القسطنطينية رفض مواجهة فؤاد باشا وزير الخارجية ودخل رأساً على الحضرة الشاهانية وصحبته سفير روسيا واعرض له طلب الامبراطور نقولا في المسئلة المتعلقة بالاماكن المقدسة ثم قال له « ان الامبراطور يطلب ايضاً ان جميع الروم الذين من تبعة الدولة العلية يكونون تحت ظل حمايته من الآن وصاعداً استناداً على احد بنود معاهدة سنة ١٧٧٤م المعقودة في كوجك قينرجي وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة الطائفة يكون انتخابهم وتغييرهم منوطاً به وان الشكاوي والدعاوي التي تتصدر عليهم من جهة تصرفاتهم وسلوكهم تعرض رأساً اليـه لينظر فيها » فاستعظم السلطان هذه الطلبات ورفضها رفضاً باتاً لانها مخلة باستقلالية الدولة • فانثنى الامير منشيكوف راجعاً من حيث أتى وأعلم الامبراطور نقولا بواقعـة الحال فاستشاط غضباً واصدر امراً الى العساكر التي ارسلها الى اطراف الدانوب ان تعـبر نهر البروث وتستولي على تلك الاطراف فاجتازت النهر وشنت الغارة على امارات الفلاخ والبغدان واستولت عليها • ولمـا تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش الى اطراف بلاده علم ان مقاصد روسيا في طلباتها لم تكن الا وسيلة لاشهار الحرب فجهز جيشاً وارسله الى تلك الحـدود تحت قيادة عمر باشا المجري لردع الروسيين

ولما تأكدت الدول الاوربية بغية روسيا ومقاصدها بادرت انكلترا وبروسيـا والنمسا الى عقـد جمعية للنظر في اجراء الوفق بين الدولتين وارسلت كل دولة منهما معتمداً من طرفها الى مدينة فينـا حيث وافاهم سفير من طرف روسيا واخر من طرف الدولة العلية وعقدوا هناك مجلساً في ٣١ تموز (يوليو) سنة ١٨٥٣ م لم يأت بالمرغوب فلما لم يعد سبيل الى الصلح اشهر الباب العالي الحرب اشهاراً نهائياً وصدم سليم باشا العساكر الروسية في آسيا وانتصر عليهم في عدة مواقع بينما كان عمر باشـا يهاجمهم في اوربا حيث كسرهم بالقرب من اولتنيتزا وفاز عليهم عند قلفاط واماكن أخرى • اما العمارة الروسية التي كانت في البحر الاسود تحت قيـادة الاميرال ناشيموف فصدمت العمارة العثمانية عند سينوب في ٢٧ تشرين الثـاني (نوفمبر) واستظهرت عليها بعد حرب شديدة فاتلفتها عن آخرها

اما انكلترا وفرنسا فاذ تيقنتا سوء نتائج هذه الحرب انتصرتا لمعونة السلطان واعلنتا الحرب على روسيا في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٥٣ م • وفي اوائل سنة ١٨٥٤ م

ابتدأتا في نقل رجالها ومهماتهما الى ساحة الحرب واشتبكتا في القتال . اما باقي دول اوربا فلزمت الحياد . وكانت الدولة الانكليزية قد ارسلت عمارة حربية الى بحر بلتيك تحت قيادة الاميرال نآبيار فاستولت على قلعة بومارستود لخمس عشرة بقيت من شهر اغسطس ثم على جزيرة الاند ولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة نظرًا لحصانتها . واذ كانت سباستبول اعظم قوات روسيا التي يعول عليها في البحر الاسود وجهت انكلترا وفرنسا قواتهما لافتتاحها والاستيلاء عليها فارسلتا في ١٤ ايلول (سبتمبر) فرقًا من عساكرهما يبلغ عددها ٦٠ الفًا وكان اكثرهم فرنساويين فنزلوا في يو باتوريا وفيما كانوا يتقدمون الى سباستبول صادمتهم العساكر الروسية . وكان الفرنساويون تحت قيادة الماريشال سنت ارنو والانكليز تحت قيادة اللورد راكلان فاقتتل الفريقان اقتتالاً شديدًا الى ان دارت الدائرة على الروسيين فانكسروا عند نهر الماء . اما العساكر الروسية فكانت اذ ذاك تحاصر مدينة سيلستريا ولم تقدر على اخذها فخرجت العساكر العثمانية من المدينة واقتحمتهم فانتصرت عليهم وفرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا الى اخرين وقصدوا القرم لنجدة حصار قلعة سباستبول التي اليها وجهت روسيا كل قوتها من عساكر ومهمات وذخائر . واما جيش الانكليز ففعلت فوارسهم فعل الاسود الضواري اذ صادموا جيشًا عرمرمًا من الروسيين عند بالا كلافا وفازوا بهم فوزة خلدت لهم ذكرًا جميلاً بعد ما فقد منهم خلق كثير . ثم ان الروسيين المحاصرين في انكرمان وعددهم ٦٠ الفًا خرجوا من مكان حصارهم واقتحموا العساكر العثمانية والانكليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة الخسران على الفريقين انجلت بانهزام الروسيين ولزومهم حصن المدينة . ولم يكن حينئذٍ في طاقة الدول المتحدة استلام سباستبول مع انهم كانوا يزيدون قواتهم الحربية ويكثرون هجماتهم وقنابلهم ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة أو ان يمنعوا المساعدة التي كانت تأتيها من داخل البلاد . ولقد قاست العساكر المتحدة ولا سيما الانكليز في شتاء سنة ١٨٥٤ م وشتاء سنة ١٨٥٥ م اهوالاً وشدائد يكل اللسان عن وصفها وتعدادها فان الامراض والاوجاع قد اخذت في العساكر كل مأخذ واهلكت كثيرين هذا فضلا عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد والابخرة المنتنة التي كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات

وفي هذه الاثناء اتفق فكتور عمانوئيل ملك بيامونتي مع الدول المتحدة ضد روسيا وارسل الى القرم ١٨ الف مقاتل بعد ما تعهدت له انكلترا بدفع مبلغ مليون

ليرة على سبيل الاعانة واشتهرت رجاله في تلك المعامع بالشجاعة والثبات

وفي خلال ذلك توفي الامبراطور نقولا في ٢ اذار (مارس) سنة ١٨٥٥ م وخلفه ولده اسكندر الثاني وفي اليوم الثامن من شهر ايلول (سبتمبر) من السنة المذكورة حدثت واقعة هائلة بين الروسيين والعساكر المتحدة كانت الدائرة فيها على الروسيين واستولت جيوش فرنسا على قلعة ملاكوف ببسالة لا مزيد عليها . واذ لم يعد للروسيين استطاعة على حفظ مراكزهم تركوا سباستبول في مساء ذلك اليوم وعولوا على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحدة الى القلعة وامتلكتها فانفتحت حينئذٍ مخابرات الصلح وعقدت جمعية في باريس في ٢٥ شباط (فبراير) سنة ١٨٥٦م حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحاربة وهي انكلترا وفرنسا وتركيا والنمسا وبروسيا وسردينيا . وفي ٣٠ اذار (مارس) امضيت شروط الصلح متضمنة ٢٤ بنداً واهم شروط هذه المعاهدة ان الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اوربا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية وانها تكون مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول الافرنجية و ان البحر الاسود يكون بمعزل عن جولان مراكب حربية فيه من اي جنس كان ما عدا روسيا وتركيا فان لها حقاً في ادخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحربية لاجل محافظة اساكلها وان لا يكون لروسيا ولا لتركيا ترسخانات بحرية حربية على شواطيء البحر الاسود الى غير ذلك من الشروط . وهكذا انسحبت العساكر الى مواطنها وانتهت الحرب التي لم يكن لافتتاحها داع سوى المطامع والغايات

ولما وضعت الحرب اوزارها وعادت السكينة الى الدولة بعد تلك الاهوال انتهز السلطان عبد المجيد هذه الفرصة لاصلاح داخلية بلاده ولكن ارباب الغايات من الفرنج سأمهم ان يروا الدولة في هدوء وسلام فعادوا الى القاء الفتن والشقاق في داخلية بلاد الدولة فرأوا ان الشام اكثر استعداداً من سائر ولايات الدولة لقبول بذور الفساد لتعدد الجنسيات واختلافهم في الدين والمشرب ووجود العداوة بينهم خصوصاً بين المارونية والدروز ومساعدة فرنسا المارونية ومساعدة انكلترا

الدروز فقامت بينهم اسباب الشقاق ودواعي الخلف الي ان تمدى المارونية بالقتل على الدروز في اواخر سنة ١٨٥٩ م وقام الدروز الاخذ بالثار ثم امتدت الفتنة الى جميع انحــاء الشام وكثر القتل والنهب وحصلت عدة مذابح في طرابلس وصيدا واللاذقية وزحلة ودير القمر ومنها الى مدينة دمشق الشام وامتاز الامير عبد القادر الجزائري (هو الامير الجزائري الذى دافع عن بلاده حين احتلها الفرنساويون سنة ١٨٣٠ م دفاعاً لم يسمع بمثله في بلاد المشرق التي وطئها الاجانب واستمر في دفاعه ١٧ سنة متوالية انتصر في خلالها عدة مرات واعترفت له فرنسا وجميع الامم بالبسالة والشجاعة . ولما استشهدت اغلب عساكره وكثر توارد الجيوش الفرنساوية تباعاً الى الجزائر وايقن ان لا مناص له من التسليم سلم نفسه في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٤٧ م فاعتقلته فرنسا نحو ١٦ سنة ثم افرجت عنه سنة ١٨٦٣ م فهاجر الى مدينة بورصة ثم الى مدينة دمشق واقام بها الى ان توفي سنة ١٨٨٣ م) بحماية كثير من المسيحيين . واتهم الاوربيون عثمان بك قائمقام حاصبيا بتسهيل المذبحة وكذلك اتهموا احمد باشا والي دمشق بمساعدة الدروز وقتل كل من التجأ الي دار الحكومة من المسيحيين واذاعوا هذه الاخبار في جميع انحاء اوروبا . فعرضت دولة فرنسا على الدول انها مستعدة لارسال جيوشها الى بلاد الشام لقمع الفتنة ومجازاة مثيريها وحماية المارونية فلم تقبل الدول هذا الاقتراح في اول الامر خوفاً من عدم خروج فرنسا من الشام لو احتلتها عسكرياً . ولما حصلت مذبحة دمشق التي قتل فيهــا نحو ستة آلاف نسمة ارسلت جميع الدول الى الباب العالي تهدده بالتداخل ان لم يضع حداً لهذه الفتن فارسل السلطان جيشاً عظيماً بقيادة فؤاد باشا لقمع الثورة بالشام فسافر هذا البطل على جناح السرعة ووصل الى بيروت في ١٧ يوليو سنة ١٨٦٠ م ومنها قصد دمشق في خمسة آلاف جندي وشكل مجلساً حربياً وحاكم روءساء الفتنة بكل صرامة وبذل همته في اعادة الامن الى البلاد

وفي اثناء ذلك اتفقت الدول على ان ترسل فرنسا الى الشام ٦ آلاف جندي لمساعدة الجيش العثماني على اعادة السكينة لو عجز عن تأدية هذه المهمة . وفي ١٠

اغسطس سنة ١٨٦٠م نزلت الجنود الفرنساوية الى بيروت فوجدت السكينة ضاربة اطنابها في ربوع الشام ولم تجد سبيلا لعمل اي حركة عسكرية . ومع انه لم يكن ثمت داع لحضور العساكر الفرنساوية الى الشام ولكن هكذا قضي تعنت دول اوربا . والاغرب من ذلك ان هذه الدول قررت انه يجوز لفرنسا تكميل الجيش الى ١٢ الف جندي وانه يستمر محتلاً للشام الى ان تقاص الدولة مهيجي الثورة ويستتب الامن في الشام فاستمرت العساكر الفرنساوية بالشام الى ان خرجت منه في ٥ يونيو سنة ١٨٦١ م بدون ان تعمل عملاً يذكر

وفي اثنـاء ذلك انعقدت بمدينة بيروت لجنة اوروبية مشكلة من مندوبين معينين من قبل الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مداولات طويلة اتفقوا مع فؤاد باشا على ان يعطوا المسيحيين الذين حرقت دورهم مبلغ ٧٥ مليون غرش بصفة تعويض وان يمنح اهالي جبل لبنان حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العلية يكون حاكمها مسيحياً وأن يكون للباب العالي حامية من ثلثماية جندي تقيم في حصن على الطريق الموصل من دمشق الى بيروت . واخيراً عين داود افندي الارمني الجنس اميراً للجبل لمدة ٣ سنوات لا يمكن عزله في خلالها الا باتفاق الدول وبذلك انتهت هذه المسألة بحسن مساعي فؤاد باشا

وفي يوم ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٧ م توفي السلطان عبد المجيد بعد أن حكم ٢٢ سنة ونصفاً

٦٦٤ — السلطان عبد العزيز بن محمود

من سنة ١٢٧٧ — ١٢٩٣ هـ او من سنة ١٨٦١ — ١٨٧٦ م

وتولى بعده اخوه السلطان عبد العزيز بن محمود ومن الاحداث التي كانت في ايامه الحرب في الجبل الاسود فان امير هذا الجبل المسمى دانيال كان قـد طلب من مفوضي الدول في مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ م الاعتراف باستقلاله فلم

ينل طلبه قبولاً بل أشاروا عليه ان ينقاد للدولة العلية وهي تتخلى له عن بعض املاكها في الهرسك لتوسيع تخومه وتوليه رتبة مشير وتعين له راتباً مالياً في كل سنة . فلم يتفق على الحدود فحصلت لذلك عدة مواقع بين الجبليين وعساكر الدولة سنة ١٨٥٨ م وقتل الامير دانيال سنة ١٨٦٠ م فخلفه ابنه المسمى نقولا وساعد اهل الهرسك فى ثورتهم فاخمد عمر باشا ثورتهم وحاصر امارة الجبل فارغم الامير نقولا ان يوقع على الشروط التي وضعها له عمر باشا سنة ١٨٦٢ م وفي جملتها ان تبني الدولة قلاعاً في الطريق بين اشقودرة والهرسك وتوسطت دول اوربا ولا سيما فرنسا وروسيا فعدلت الدولة عن بناء القلاع في ارض الجبل على شرط ان امير الجبل يتعهد بحفظ هذه الطريق ويكفل ما يسلب من اموال التجار العثمانيين فيها فقبل الامير هذا الشرط فانتهت الحرب وزال الخلاف سنة ١٨٦٤ م . وكان قد تقرر في موتمر باريس سنة ١٨٥٦ م استقلال السرب تحت سيادة الباب العالي وان يكون للدولة الحق في اقامة حامية في ست قلاع في هذه البلاد فلما كانت سنة ١٨٦٢ م حصلت فتنة بين المسلمين والنصارى فيها وتداخل قائد الحامية العثمانيـة بنجدة المسلمين فعقد موتمر في الاستانة حضره مندبو الدول الموقعة على عهدة باريس وتقرر فيه اخلاء قلعتين من الجنود العثمانية وبقاوها في اربع قلاع من الست وان من بقي من المسلمين خارجاً عن القلاع الاربع لزمه ان يبيع املاكه ويهاجر وان لا يتداخل القواد العثمانيون في ادارة البلاد بالمرة وجلت العساكر العثمانية عن السرب سنة ١٨٦٧ م

اما الفلاخ والبغدان فكانت معاهدة ادريانوبل وضعت الفلاخ تحت حماية روسيا وحدها ولكن في معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ م جعلت تحت حماية دول اوربا الموقعة على تلك المعاهدة وفي سنة ١٨٥٩ م ضمت الى البغدان وسمت الامارتان رومانيا وكان يليها معاً الامير كوزا ولهما مجلس شوري واحد ووزارة واحدة وسمي الامير كوزا المذكور يوحنا اسكندر الاول . وفي اواخر سنة ١٨٦١ م صدر الفرمان باجازة انضمام الولايتين فثار الاهلون على اميرهم يوحنا اسكندر

الاول المذكور وارغموه على الاستقالة . واجتمع مفوضو الدول في باريس يتداولون بامر الخلافة للامير اسكندر الاول فقرروا ان يكون الوالي من اشراف البلاد فلم يرض الاهلون بذلك بل انتخبوا الامير شارل دي هنزولرن من اسرة بروسيا المالكة وسمي ملكاً بعد حرب روسيا الاخيرة

ومما كان في ايام السلطان عبد العزيز أيضاً ثورة اهل كريت واخماد عالي باشا لها وانعقاد موءتمر بباريس من مفوضي الدول الموقعة على معاهدتها سنة ١٨٥٦ م وانتهت المسألة في ذلك الحين باصدار السلطان ارادة سنية في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٦٩م منح بها الجزيرة بعض امتيازات وأعفى اهلها من دفع المال الاميري سنتين ومن الخدمة العسكرية

ومما امتاز به السلطان عبد العزيز خلافاً لعادة اسلافه زيارته القطر المصري سنة ١٨٦٣ م وزيارته لباريس سنة ١٨٦٧ م واقامة لجنة لتأليف مجلة الاحكام العدلية سنة ١٨٦٩ م

وتحقق السلطان عبد العزيز بضرر تداخل الدول الاوروبية في مسائل الدولة الداخلية وعزم تلافياً لهذا الضرر على التحالف مع روسيا واكثر اجتماعه بسفير هذه الدولة في الاستانة ويظن انه وضعت قواعد لهذه المحالفة اخصها انها تكون محالفة هجومية ودفاعية يكون من اهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق على ان تتبع الولايات الاسلامية او التي يغلب فيها العنصر الاسلامي للدولة العلية وضم جميع الاقاليم المسيحية او التي يسود فيها العنصر المسيحي لروسيا . فلما شاع هذا المشروع لم يرق في اعين الدول الاوروبية وخصوصاً انكلترا فاخذ عمالهم وسفراؤهم الظاهرون والسريون يلقون الوساوس في عقول اهل الاستانة مثبتين لهم بتمويهاتهم ان جلالة السلطان عاد لا يصلح لادارة مهام الملك حتى اقنعوا الوزراء بوجوب عزله وحملوا شيخ الاسلام خيرالله افندي على الفتوى بصحة خلعه فتم لهم ما ارادوا وخلعوه في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٨٧٦ م .

٦٦٥ – السلطان مراد بن عبد المجيد

سنة ١٢٩٣ هـ او سنة ١٨٧٦ م

وبايع المتآمرون السلطان مراد بن السلطان عبد المجيد وغب جلوسه على سرير الملك اصدر فرمانًا بابقاء الوزراء وجميع المأمورين على مناصبهم مبينًا فيه خطة الاصلاح الذي يريد ان يجري عليها . لكنه لم يسمح له الله بابراز مقاصده الخيرية الى حيز العمل لانه ظهرت عليه امارات الاضطراب العصبي بعد المبايعة له باسبوع واحد ثم اخذت في الازدياد . وكان الصدر الاعظم يكتم خبر انحراف صحة السلطان عن العامة ولكن كان يبديه عدم احتفاله بتسليم السيف السلطاني في جامع ابي ايوب كالعادة وعدم مقابلته سفراء الدول . ولما اشتد مرضه دعا الوزراء الطبيب ليدزورف النمساوي الشهير وبعد ان فحص جلالته ولازمه عدة ايام حكم بتعسر شفاه من مرضه فتشاور الوزراء وعرضوا على اخيه عبد الحميد افندي ان تسلم اليه مقاليد السلطنة لعدم لياقة اخيه لادارة شؤونها فاجابهم رعاه الله انه لا ينبغي التسرع في الامر عسى ان يمن الله على اخيه بالفرج والعود الى ما كان عليه من حسن الذهن والذكاء فامتثل الوزراء على انهم رأوا بعد ذلك ان اختلال شعوره يتزايد فاجتمعوا في ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٣٠ اغسطس سنة ١٨٧٦ م وقرروا لزوم مبايعة السلطان عبد الحميد ثم اجتمعوا ثانية واستدعوا شيخ الاسلام خير الله افندي وجميع الكبراء والعلماء والامراء والاعيان واستفتوا شيخ الاسلام فافتى بوجوب عزله وهذا نص الفتوى « اذا جن امام المسلمين جنونًا مطبقًا ففات المقصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من عهدته » والجواب « يصح والله اعلم »

كتبه الفقير حسن خير الله

٦٦٦ — السلطان الغازى عبد الحميد خان الثانى

(اطال الله ايامه وزادها يمناً وسعداً وجعل الاقبال والرغد له رقاً وعبداً)



(ش ٣ السلطان عبد الحميد)

ولد أعزه الله في ١٦ شعبان سنة ١٢٥٨ ه (١٩ سبتمبر سنة ١٨٤٢م) وارتقى الى عرش السلطنة في ١٨ شعبان سنة ١٢٩٣ ه الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٦ م فاستلم ادارة الاعمال بهمة ونشاط واظهر للوزراء رغبته في الاصلاح فأصدر فرماناً في ٢١ شعبان سنة ١٢٩٣ ه الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٦ م موجها الى محمد رشدي باشا الصدر الاعظم بين فيه تقريره الوزراء في مناصبهم وشديد رغبته في الاصلاح . ثم استقال محمد رشدي باشا من منصب الصدارة لتقدمه في السن فعهد بهذا المنصب الى احمد مدحت باشا في ٤ ذي الحجة سنة ١٢٩٣ ه وبعد اربعة ايام اصدر اليه الخط الشريف الهمايوني مرفقاً اليه بالقانون الاساسي وامر بتنفيذه

وعند استواء جلالته على العرش العثماني كانت المملكة محفوفة بالمخاطر من قبل الثورات التي اثارها اصحاب المآرب السياسية في بلغاريا والصرب والجبل

الاسود والهرسك والبشناق واجتمع موتمر في الاستانة حضره مفوضو الدول في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ م فاقترحوا على الدولة اقتراحات مغضة من كرامتها مضرة بمصلحتها فأبى الباب العالي الا رفضها ونبذها فاشهرت روسيا الحرب على الدولة العلية بعد ان عقدت مع دولة رومانيا معاهدة سرية وضعت رومانيا بمقتضاها جميع مخازنها ومؤنها و ذخائرها تحت تصرف روسيا فارسلت الدولة العلية بعض مراكبها في الطونة لاطلاق قنابلها على سواحل رومانيا معاقبة لها على هذه الخيانة فكان ذلك داعياً لان تعلن رومانيا رسمياً الحرب ضد الدولة العلية واشتركت فعلاً مع روسيا في الحرب وانضم جيشها البالغ ٦٠ الف جندي الى الروس . وفي ٢٢ يونيو سنة ١٨٧٧ م عبرت العساكر الروسية نهر الطونة وفي ٢٧ منه احتلت مدينة ترنوه . وفي اواسط يوليو احتل البارون دي كرور مدينة نيكوبلي واحتل الجنرال جوركو مضائق البلقان الموصلة لمضيق شيبكا الشهير . وعند وصول هذه الاخبار الى الاستانة استولى الرعب والقلق على سكانها اذ لو اجتاز الروسيون مضيق شيبكا لخيف على دار السعادة نفسها من الوقوع في قبضة الروس . وفي ٢٤ مايو سنة ١٨٧٧ م وضعت الاستانة تحت الاحكام العرفية توقيفاً للفتن والقلاقل . وقد نسب تقهقر العثمانيين المستمر امام الروسيين لعدم كفاءة السردار عبد الكريم باشا وناظر الحربية رديف باشا فعزلا في ٢٢ يوليو وتعين محمد علي باشا الرومي الاصل قائداً عاماً للجيوش العثمانية وأستدعي سليمان باشا الذي كان يحارب سكان الجبل الاسود وانتصر عليهم في عدة مواقع لحضوره مع جيوشه المدربة للمساعدة على صد الروس

وفي اثناء ذلك اتى الغازي عثمان باشا من معسكره بمدينة ودين لمساعدة مدينة نيكوبلي ولما وصله خبر سقوطها في ايدي الروس قصد مدينة بلفنا لاهمية موقعها الحربي ووجودها على ملتقى الطرق العمومية الموصلة بين مضايق جبال البلقان وبلغاريا الغربية والطونة واقام حولها المعاقل والحصون المنيعة حتى ظن ان الاستيلاء عليها من رابع المستحيلات . وفي يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٧٧ م هاجم الروس مدينة

بلفنا فارتدوا عنها خاسرين وبعد هجوم ودفاع كثيرين تمكن الروس من حصر مدينة بلفنا في ١٢٤ كتوبر سنة ١٨٧٧ م واصبح وصول المدد اليها مستحيلاً فدافع عنها عثمان باشا دفاعاً خلد له ذكرًا لا تمحوه كرور الايام حتى نفد ما كان عنده من الذخائر والموءن فعزم على الخروج بجيوشه والمرور من وسط الروس المحاصرين للمدينة فاما ان يسلموا و يسلم معهم او يموتوا جميعاً شهداء الدفاع عن الوطن . فلما كان يوم ١٠ دسمبر سنة ١٨٧٧م اخلت الجنود العثمانية جميع القلاع المحيطة بالمدينة وخرجوا جميعاً من جهة واحدة مهللين مكبرين فقابلهم الروس بقذوفاتهم الجهنمية اما العساكر العثمانية فلم تعبأ بهم بل استمرت في سيرها عدوًا نحو الاستحكامات التي اقامها الروس حول المدينة على ثلاثة خطوط متعاقبة و نفذوا على مدافع الخط الاول والثاني وكادت تستولي على الخط الثالث لولا ان أصيب قائدهم عثمان باشا الغازي برصاصة نفذت من ساقه الا يسر وقتلت حصانه فسقط هذا الشجاع على الارض وظنت عساكره أنه استشهد و بمجرد ما شاع خبر موته الكاذب استولى الفشل على جميع الجنود وارادت الرجوع الى المدينة وكان قد احتلها الروس عقب خروجهم منها فقابلهم الروس بالنيران من الخلف فصار العثمانيون بين نارين و بعد ان دافعوا عن انفسهم دفاعاً حسناً التزموا برفع الراية البيضاء علامة التسليم فاوقف الروس اطلاق النيران وسلمت العساكر العثمانية سلاحها . اما عثمان باشا الغازي الذي وقع جريحاً في اثناء القتال فعاد بعد التسليم الى مدينة بلفنا ريثما يشفى من جرحه وهنالك قابل الامبراطور اسكندر الثاني بعد دخوله بلفنا وعند ما دخل على الامبراطور قام اجلالاً له وسلم عليه واظهر له اعجاباً لحسن دفاعه وصرح له ان يتقلد سيفه ثم عاد الى منزله . وفي ١٦ دسمبر سنة ١٨٧٧م انزل في قطار مخصوص الى مدينة كركوف حيث أمر بالاقامة الى انتهاء الحرب

اما في جهة آسيا فكان النصر اولاً في جانب العثمانيين وانتصر عليهم احمد مختار باشا في عدة وقائع مشهورة ولكن لما توالى ورود المدد للروس هاجم الجنرال لوريس مليكوف مدينة قارص وحاصرها وفتحها عنوة في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٧ م

وكان مختار باشا في مدينة ارضروم وحاول مساعدة قارص وانتصر على الروس في موقعة دوه بيون لكن لمـا وقعت قارص في ايدي الروس قصد جيشهم مدينة ارضروم وحاصرها وبها مختار باشا

وبمجرد وصول خبر سقوط قارص في نوفمبر وبلفنا في ١٠ دسمبر ايقن السربيون ان الفوز والنجاح سيكونان بجانب الروسيا فاعلنوا الحرب على الدولة العلية واتحدت عساكرهم مع عساكر الروس . وكذلك قام امير الجبل الاسود طالباً توسيع تخومه وناوش العساكر العثمانية وكان من جراء ذلك تعطيل جزء ليس بقليل من عساكر الدولة العلية

ولما توالت الحوادث المذكورة طلب الباب العالي من الدول التوسط بينه و بين روسيا لابرام الصلح وحقن الدماء وارسل بذلك منشوراً الى الدول الست العظام فلم يرد له جواب شاف فاستمر القتال في الشتاء بدون انقطاع ودخلت جيوش الروس الى ادرنة في ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨ م وهددت الاستانة بالحصار فارتأى الباب العالي ان يرسل نامق باشا وسرور باشا لمخابرة الغراندوق نيقولا بتوقيف الحرب فسارا اليه ومعهما نجيب باشا وعثمان باشا من جانب الجيش العثماني وفي ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨م وقع الفريقان على اتفاقين الاول وقع عليه الغراندوق نيقولا ونامق باشا وسرور باشا ومفاده منح الدولة العلية الاستقلال الاداري للبلغار والاستقلال السياسي لرومانيا والجبل الاسود وتعديل تخومها والتخلي لها عن بعض املاك الدولة وتقرير غرامة حربية لروسيا تدفع نقداً او يستعاض عنها باخذ بعض القلاع والحصون والاتفاق الثاني وقع عليه نجيب باشا وسرور باشا ومفوضان من قبل الجيش الروسي مفاده توقيف الحرب وشروط المدنة

ولما بلغ دول اوربا الاتفاق على مبادىء الصلح وحصول الهدنة طلبت النمسا الى انكلترا عقد موءتمر يجتمع فيه مفوضو الدول الموقعة على معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ م خشية ان يكون في هذا الصلح ما يجحف بحقوق الدولة فاجابت انكلترا النمسا الى هذا الطلب واقترحت ان يكون عقد المؤتمر في مدينة بادن وشاع حينئذ

ان روسيا ترغب في ان يكون الصلح مع الباب العالي بمعزل عن الدول وشاع ايضاً ان عساكر الروس احتلت الاستانة فامرت انكلترا اسطولها ان يدخل البوسفور لحماية رعاياها فدخل الاسطول جبرًا واكتفى الباب العالي باقامة الحجة على دخوله فاغتنمت روسيا فطلب قائد جيشها ادخال فرق من الجيش المخيم قريباً من الاستانة الى المدينة بحجة المحاماة عن النصارى فعارضت انكلترا كل المعارضة فعدلت روسيا عن ذلك . وطلب الغراندوق نقولا ان ينقل مركز المخابرات من ادرنة الى سان اسطفانو بجوار القسطنطينية فقبلت الدولة ذلك . وفي ٢٤ فبراير سنة ١٨٧٨ م انتقل الغراندوق الى البلدة المذكورة بالف جندي بصفة حرس له ثم تزايد عدد الجنود الروسية هناك حتى بلغ نحو عشرين الف مقاتل وحضر الى هناك صفوت باشا ناظر الخارجية وسعد الله بك سفير الباب العالي في المانيا والجنرال اينياتيف مفوض روسيا وبعد عدة اجتماعات طلب المفوض الروسي التصديق على اعمال المعاهدة قبل اليوم الثالث من شهر مارس الواقع فيه عيد جلالة قيصر الروس مهددًا بابطال الهدنة وسوق العساكر الى الاستانة اذا لم يجر التصديق في اليوم المعين فاضطر مندوبا الدولة العلية الى التوقيع قبل التروي الكافي في مواد المعاهدة

وخلاصة مواد هذه المعاهدة انه تقرر تصحيح الحدود بين الدولة العثمانية والجبل الاسود بموجب خريطة صنعت لذلك وأن يثبت الباب العالي استقلال امارة الجبل المذكور وان تكون امارة السرب مستقلة ومضبوطة تخومها بموجب خريطة وان المسلمين الذين لهم املاك في البلاد الملحقة بالسرب لهم الخيار في ان يأجروها او يقيموا وكلاء عنهم في ادارتها . وان يثبت الباب العالى استقلال رومانيا وان تكون البلغار امارة ممتازة تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية ويكون مأمورو الحكومة والعسكر من النصارى وان امير بلغاريا ينتخبه الاهلون ويثبته الباب العالي بحيث لا يكون من اقارب ملوك اوربا الجالسين على عرش الملك ولا يبقى حق لعساكر الدولة ان تقيم في القلاع القديمة . وان اصحاب الاملاك من المسلمين اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة ان يؤجروا املاكهم او يفوضوا

من ارادوا بادارتها وان الاصلاحات التي تقررت في اول مجلس من موءتمر الاستانة ينبغي تنفيذها دون تأخر في البشناق والهرسك مع التعديلات التي سوف تتقرر بين الدولة العلية ودولتي الروسيا والنمسا . وان الباب العالي يتعهد باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع لجزيرة كريت سنة ١٨٦٨ م طبق طلب الاهالي وان يصدر عفواً عاماً عن جميع المتهمين بالاحداث الاخيرة و يطلق الاسرى والمسجونين لهذا الداعي وان مبالغ التعويضات التي طلبها القيصر وتعهد الباب العالي بدفعها هي ٢٤٥٢١٧٣٩١ ليرة عثمانية . واعلن القيصر ان يأخذ بقسم كبير من هذه المبالغ املاكاً للدولة العلية جري تعيينها . وان خليج الاستانة وخليج جناق قلعة يكونان مفتوحين للسفن التجارية التي تمر الى بلاد روسيا . الى غير ذلك

وقد رأت دول اوربا هذه المعاهدة معظمة للنفوذ الروسي في الممالك المحروسة ومجلبة الخوف من استحواذ روسيا على الاستانة العلية فطلبت تعديل معاهدة سان اسطفانو هذه . وفي ٧ فبراير سنة ١٨٧٨ م دعت النمسا جميع الدول لعقد موءتمر في برلين تحت رياسة البرنس بسمارك الذائع الصيت . وطلبت انكلترا ان الموءتمر له الحق في تمحيص جميع مواد معاهدة سان اسطفانو وانكرت روسيا ذلك على انها رأت انه لا بد من الاجابة الى هذا الطلب . ودعا بسمارك الدول لارسال مفوضيهم الى برلين لعقد الموءتمر في ١٣ يونيو سنة ١٨٧٨م فعقدوا عشرين مجلساً في مدة شهر الى ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ م

واليك خلاصة ما تقرر في هذا الموءتمر . تقرر استقلال امارة البلغار في امورها الداخلية وان تدفع كل سنة خراجاً للباب العالي وتبقى تحت سيادة الحضرة السلطانية ويكون حاكمها مسيحياً وعساكرها وطنية وعين الموءتمر تخومها من كل جهاتها وقرر ان اهل البلغار لهم الحرية التامة ان ينتخبوا اميرهم والباب العالي ان يقرره برضى الدول العظام بشرط ان لا يكون من بيوت الملوك المالكة وبعد انتخابه تجتمع اعيان البلغار لتسن نظاماً لامارتهم وان اختلاف المذهب بين البلغاريين

لا يخرج احدهم من الحقوق العمومية والمدنية والخراج الذي يدفعه البلغار للحضرة السلطانية يصير تقديره عند ختام السنة الاولى من العمل بالنظام الجديد باتفاق بين الدول ومراعاة حالة الدخل وقيمة ما يتحمله البلغار من ديون الدولة العامة وان تجلى العساكر العثمانية عن البلغار وتهدم القلاع التي لها في هذه البلاد . تم تقرر ان تشكل على جنوب البلغار ولاية تسمى الروملي الشرقية تبقى على تابعيتها السياسية والعسكرية للباب العالي ولكنها حائزة على استقلال اداري و يكون واليها مسيحياً الى مدة خمس سنين منصوباً من الباب العالي برضى الدول وحدد المؤتمر حدود هذه الولاية . وتعهد الباب العالي ان يجري النظام الجديد في جزيرة كريت مع بعض التعديل الذي يرى ضرورة اجرائه . وتقرر ان تحتل عساكر النمسا والمجرولايتي البشناق والهرسك و يناط بها أمر ادارتهما وتتفق مع الدولة العثمانية على المواد المتعلقة باحتلال عساكرها هذه . واعترف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود واعترفت له بذلك الدول التي لم تقر له به قبلاً وتقرر ان اختلاف المذاهب لا يخرج احداً من اهل الجبل عن الاهلية المدنية والسياسية وعينت تخوم هذا الجبل وان المسلمين الذين يحبون السكن خارجاً عن الجبل تبقى لهم الحرية بالتصرف باملاكهم و يلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانباً من الديون العامة على الدولة العلية . ثم وطد المؤتمر استقلالية السرب وعين تخوم هذه البلاد وان تكون معاملة رعايا السرب القاطنين في السلطنة العثمانية بحسب اصول الاحكام المتداولة بين الدول . وان تتحمل السرب قسماً من ديون الدولة العامة . وتقرر ان اختلاف المذهب لا يخرج احداً رومانياً عن الحقوق المدنية والوظائف العامة في هذه الامارة وان ترد هذه الامارة على روسيا اراضي بيسارابيا التي كانت قد أخذت من روسيا في معاهدة سنة ١٨٥٦ ثم تقرر ان الباب العالي يسلم الى روسيا في اسيا واردهان وقارص وباطوم وغيرها وتعينت التخوم الفاصلة بين المملكتين وان ترد روسيا على المملكة العثمانية اودية الشغرا ومدينة بايزيد . وان الباب العالي يتعهد بان يجري دون تأخر في الولايات التي سكانها من الارمن الاصلاحات والتحسينات التي تحتاجها في

امورها الداخلية و بان يأمن الارمن من تعدي الشراكسة والاكرادوان يفيد الدول عما يصنعه بذلك وهي تراقب كيفية اجرائه . ولما كان الباب العالي اظهر رغبته في حفظ اصول حرية الدين فالدول الموقعة على هذا المؤتمر تنزل هذه الرغبة منزلة العمل فاختلاف الدين لا يخرج احد العثمانيين عن الاهلية لشيء من الحقوق المدنية والسياسية والدخول في الوظائف الاميرية او نيل مراتب الشرف او استعمال الصنائع وان يؤذن لجميع الناس ان يؤدوا الشهادة في المحاكم دون تمييز في الدين ويحق لجميعهم استعمال امور دينهم بتمام الحرية ويكون الاكليروس والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية حائزين حقوقاً متساوية ومفوض الى قناصل الدول ونوابها ان يحاموهم ويحموا محلاتهم الدينية والخيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة وغيرها اما الحقوق المقررة لفرنسا فتبقى مرعية الاجراء ومن المقرر انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة . ثم قرروا اخيراً ان تبقى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ م ومعاهدة لوندره سنة ١٨٧١ م مرعيتي الاجراء في جميع المواد التي لم تنسخها او تعدلها هذه المعاهدة . ووقع نواب الدول على هذه المعاهدة ووضعوا عليها اختامهم في ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨م

وربما استغرب القارىء الكريم كيف ان الدولة التي سادت على اغلب ممالك العالم والقت الرعب في ملوكها لم تستمر في نموها وتقدمها حتى التزمت ان ترضخ الى شروط نظير هذه والحال انه اذا نظر الى هذه الامر بعين خالية من الغرض يحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف امكن هذه الدولة ان تحتمل كل تلك الصدمات الشديد والمقاومات الرائمة من اعدائها في اوربا واسيا وافريقية مع عدم فتور الخلل في داخليتها بسبب اصحاب البغي والفساد ولم تتزعزع اركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة او سبب آخر ان يثنيها . فهذا اعظم برهان على عظمتها وقوتها

وبعد انعقاد الصلح ساد السلام في اطراف المملكة العثمانية فانتهز جلالة السلطان هذه الفرصة لاصلاح داخلية البلاد بفطنته المعهودة فنمت الزراعة والتجارة ونهضت

البلاد العثمانية نهضة علمية عظيمة فاسست المدارس والمكاتب والمطابع وترجمت الكتب الى اللغة التركية . وفي سنة ١٨٩٨م كانت حرب بين الدولة العلية واليونان بسبب جزيرة كريت ومع ان جيوش الدولة العلية هزمت عساكر اليونان مرات متوالية ولكن وساطة الدول الاوروبية اضطرت الباب العالي الى توقيف الحرب ومنح الجزيرة المذكورة نوعاً من الاستقلال وتعين البرنس جورج ابن الملك جورج ملك اليونان والياً على الجزيرة المذكورة تحت مراقبة الدول نفسها . وكثيراً ما نسمع في هذه الايام من وقت الى آخر بسعي اليونان لضم الجزيرة الى املاكها ولكنها للان لم تتحقق هذه الامنية . وفي ٢١ اغسطس سنة ١٩٠٦ استقال البرنس جورج فعينت الدول بدله المسيو زاميس . وفي سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) فترت العلائق بين مصر والدولة العلية حتى صارت الحرب على قاب قوسين او ادنى بسبب الاختلاف على الحدود بين مصر والشام فانتصرت انكلترا لمصر وتساهل جلالة السلطان في الامر فصرف هذا المشكل بحكمته بان اجاب مصر وانكلترا الى ما طلبتا وسحب عساكره من النقط التي كان قد احتلها من الحدود المصرية

٦٦٧ — الدولة الوطاسية بمراكش

(تمهيد) بنو وطاس فرقة من بني مرين غير انهم ليسوا من بني عبد الحق ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا اعماله حسبما تقدم في ذكر الدولة المرينية كان لبني وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها لنزولهم وامصارها ورعاياها لجبايتهم وكان بنو الوزير منهم يسمون الى الرياسة ويرومون الخروج على بني عبد الحق وقد تكرر ذلك منهم حسبما مر . ثم اذعنوا الى الطاعة وراضوا انفسهم على الخدمة فاستعملهم بنو عبد الحق في وجوه الولايات والاعمال واستظهروا بهم على امور دولتهم فحسن اثرهم لديها وتعدد الوزراء منهم فيها

٦٦٨ — ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا الوطاسي

من سنة ٨٧٦ — ٩١٠ ﻫ او من سنة ١٤٧٢ — ١٥٠٤ م

هو ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا يحيى بن زيان بن عمر بن علي الوطاسي كان ابوه ابو زكريا وزيرًا للسلطان عبد الحق اخر المرينيين ثم توفي فقام بالوزارة ابنه يحيى فاستراب السلطان عبد الحق من الوطاسيين فقتل وزيره يحيى وجماعة من عشيرته وفر اخوه ابو عبدالله محمد الملقب بالشيخ الى الصحراء وجعل يتردد ما بينها وبين البلاد الهبطية حتى ملك آصيلا وذلك قبل استيلاء البرتغال عليها . ولما ملك الشيخ آصيلا واستفحل امره بها تشوفت اليه الاعيان من اهل فاس والرؤساء من اهل دولة السلطان عبد الحق وصاروا يكاتبونه و يقدمون اليه الوسائل سرًّا و ربما دعوه الى القدوم على ان يبذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء واستمر الحال كذلك مدة

ولما ثقلت وطأة السلطان عبد الحق المريني على اهل المغرب وارهف في الاستبداد تشاوروا فيما بينهم وقروا على خلعه وقتله فتم لهم ذلك يوم الجمعة ٢٧ رمضان سنة ٨٦٩ ﻫ وبه انقرضت دولة بني عبد الحق المرينية . وبايع اهل المغرب من بعده ابا عبدالله محمد ابن علي الادريسي الجوطي العمراني من بني عمران فرقة من ادارسة فاس . وكان هذا الشريف يومئذ يلي نقابة الاشراف بفاس — فاستدعوه فحضر و بايعوه في اواخر رمضان سنة ٨٦٩ ﻫ . فلما علم محمد الشيخ الوطاسي بمكانه من آصيلا حدوث هذه الفتنة بفاس طمع في الاستيلاء عليها فجمع جندًا صالحًا و زحف الى فاس فبرز اليه الشريف والتقو باحواز مكناسة فوقعت بينهما حرب عظيمة كانت الكرة فيها على الوطاسي ثم جمع عسكرًا اخر وزحف به الى فاس وحاصرها نحو سنتين والشريف فيها مع ارباب دولته وفي اثناء الحصار و رد عليه الخبر باستيلاء البرتغال على اصيلا وعلى بيت ماله الذى كان بها وعلى حظاياه واولاده فافرج عن فاس ورجع مبادرًا الى آصيلا فحاصرها ولما امتنعت عليه عقد مع البرتغال هدنة وعاد سريعًا الى فاس فحاصرها وضيق على الشريف بها حتى خرج فارًّا بنفسه، واسلمها اليه في رمضان سنة ٨٧٦ ﻫ فدخلها محمد الشيخ وتمت بيعته وصفا له ملك المغرب

وفي سنة ٨٩٧ ﻫ استولى الاسبانيون على مقاطعة غرناطة وطردوا المسلمين منها

فتوافد المسلمون الى السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي هذا فاكرم ملتقاهم ورحب بهم فطلبوا منه ان يعين لهم موضعاً يسكنون فيه فعين لهم خرائب تطاوين فبنوها وسكنوها

وفي السنة المذكورة لما استولى الاسبانيون على غرناطة انتقل سلطانها ابو عبد الله ابن الاحمر الى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ بعد ان خاطبه من انشاء وزيره ابي عبد الله محمد العربي العقيلي بقصيدة بارعة يقول في صدرها

مولى الملوك ملوك العرب والعجم رعياً لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار انت لمن جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبًا وافظع الخطب ما يأتي على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له وهل مرد لحكم منه منحتم

وهي طويلة . واستمر السلطان ابن الاحمر بفاس الى ان توفي سنة ٩٤٠ ﻫ وبقيت ذريته بها الى ان انقرضوا جميعاً ولم يبق منهم احد فسبحان الدائم

وفي ايام السلطان محمد الشيخ الوطاسي استولت دولة البرتغال على كثير من ارض المغرب من ذلك البريجة التي اضطروا لتشديد الحصار عليها ان يبنوا بقربها مدينة دعوها الجديدة . ومن ذلك سواحل السوس حيث بنوا حصن فونتي قرب اكادير

وفي سنة ٩١٠ ﻫ توفي السلطان ابو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي وتولى بعده ابنه

٦٦٩ - محمد بن محمد الشيخ

من سنة ٩١٠ — ٩٣١ ﻫ او من سنة ١٥٠٤ — ١٥٢٥ م

وهو المشهور بالبرتقالي . وكان نصارى سبتة وطنجة وآصيلا قد استحوذوا على بلاد الهبط وضايقوا المسلمين بها حتى الجؤوهم الى قصر كتامة فكان هذا الثغر يومئذ بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى . وعني السلطان محمد البرتقالي هذا بجهادهم وترديد الغزو اليهم والاجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها فكان ذلك سبباً لظهور الدولة السعدية بها سنة ٩١٥ ﻫ على ما نذكره ان شاء الله تعالى

وكان دولة البرتقال علمت بضعف الدولة الوطاسية فطمعت في المغرب ورددت الغزو اليه فاستولت في مدة هذا السلطان على ثغر آسفي وثغر ازمور وثغر المعمورة ولم

يقدر السلطان محمد البرتقالي على دفعهم · وفي سنة ٩١٥ هـ ظهرت الدولة السعدية بيلاد السوس وما زال امرهم في الزيادة الى ان كانت دولة ابي العباس الاعرج منهم فاستفحل امره وبعد صيته وفتك بنصارى السوس فكاتبه امراء هنتاتة اصحاب مراكش ودخلوا في طاعته فانتقل اليهـا وملكها في حدود الثلاثين وتسعمائة · ولمـا اتصل خبره بالسلطان محمد البرتقالي وهو يومئذ بفاس قامت قيامته واقبل في جموع عديدة · فلما رأى ابو العباس السعدي مالا قبـل به تحصن بمراكش وشحن اسوارها بالرماة فتقدم السلطان محمـد ونصب الانفاط على مراكش ودام الحصار عليها اياماً · وبينما هو يحاصرها ورد عليه الخبر بان بني عمه قاموا عليـه بفاس ونبذوا دعوته فانكفأ راجعاً الى فاس لمدافعتهـم وقاتلهم فاخلدوا الى السكينة ثم عزم على جمع الجموع لاستخلاص مراكش من السعديين لكن لم يمهله القضاء لاتمـام غرضه اذ توفي سنة ٩٣١ هـ

٦٧٠ — ابو حسون بن محمد الشيخ

من سنة ٩٣١ — ٩٣٢ هـ او من سنة ١٥٢٥ — ١٥٢٦ م

وتولى بعده اخوه ابو الحسن علي بن محمـد الشيخ ويعرف بابي حسون البادسي ولم تطل مدة ملكه اذ قام عليه ابن اخيه ابو العباس احمد بن محمـد البرتقالي وقبض عليه وخلعه · واشهد عليه بالخلع في ذى الحجة سنة ٩٣٢ هـ ·

٦٧١ — ابو العباس احمد بن محمد

من سنة ٩٣٢ — ٩٥٦ هـ او من سنة ١٥٢٦ — ١٥٤٩ م

هو ابو العباس احمد بن محمد البرتقالي بن محمد الشيخ بن ابي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي بويع يوم خلع عمه آخر ذى الحجة متم سنة ٩٣٢ هـ وكانت باكورة اعماله عقده الصلح مع البرتقاليين ليتفرغ لقتال السعديين الذين زاحموا الوطاسيين في الدولة · فبعد ان تم عقـد الصلح جمع السلطان ابو العباس جيوشه وحارب السعديين في عدة وقائع كان النصر فيها متبادلاً اشهرها وقعة انماى قرب مراكش وبعد هـذه الوقعة تم

الصلح بين الوطاسيين والسعديين على ما نذكره

لما رأى اهل المغرب ما وقع بين السلطان ابي العباس احمد الوطاسي صاحب فاس وابي العباس احمد صاحب مراكش من التقاتل على الملك والتهالك عليه وفناء الخلق بينهم دخلوا في الصلح بينهم والتراضي على قسمة البلاد وحضر لذلك جماعة من العلماء والاعيان وتواسطوا في الامر وقرروا الصلح بين السلطانين ابي العباس الوطاسي وابي العباس السعدي على ان يكون للوطاسي من تادلا الى المغرب الاوسط وللسعدي من تادلا الى السوس . فلما تم عقد الصلح على الكيفية المتقدم ذكرها عكف ابو العباس احمد الوطاسي على اصلاح داخلية بلاده ومن اعظم آثار اصلاحه بناء قنطرة الرصيف بفاس سنة ٩٥١ هـ . وفي ذلك يقول الفقيه ابو مالك عبد الواحد بن احمد الوانشريسي مؤرخاً بناء هذه القنطرة

جسر الرصيف ابو العباس جدده ... فخر السلاطين من ابناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتفقاً ... لمن يمر به من عدوتي فاس
وكان تجديده في نصف عام غنا ... من هجرة المصطفى المبعوث للناس
٩٥١

الا ان الصلح بين الوطاسيين والسعديين لم يدم طويلاً لان محمداً الشيخ السعدى الملقب بالمهدي تغلب على اخيه ابي العباس احمد السعدي الاعرج وانتزع منه الملك وسجنه كما سيأتي ذكر ذلك في تاريخ الدولة السعدية . فلما استولى المهدي السعدي هذا على مراكش من يد اخيه لم يعترف بعقد الصلح المعقود بين اخيه المذكور وبين الوطاسيين بل طمع في الاستيلاء على فاس وانتزاعها من يد الوطاسيين فردد اليهم البعوث والسرايا واكثر فيهم شن الغارات وصار يستلبهم البلاد شيئاً فشيئاً واخيراً نهض سنة ٩٥٦ هـ بجموع كثيرة الى فاس وحاصرها وضيق عليها وبعد قتال شديد انهزم الوطاسيون وتحصنوا بفاس حتى قلت الاقوات عندهم وحصل لاهل فاس من جراء ذلك جهد عظيم وعجز الوطاسيون عن الدفاع فنزل اهل فاس على حكم السعدي فقبض على ابي العباس احمد الوطاسي وقتله وجماعة من اهله ولم ينج من امراء الوطاسيين الا الامير ابا حسون فانه فر الى الجزائر وكان من خبره ما نذكره

٦٧٢ — ابو حسون بن محمد الشيخ (ثانية)

من سنة ٩٥٦ — ٩٦١ ﻫ او من سنة ١٥٤٩ — ١٥٥٤ م

لما دخل السلطان محمد الشيخ السعدي الملقب بالمهدي مدينة فاس سنة ٩٥٦ ﻫ وقبض على بني وطاس بها حسبما تقدم فرّ ابو حسون هذا الى المغرب الاوسط وكان قد دخل تحت ظل السلطنة العثمانية فالتجأ ابو حسون الى الترك فاكرمه صالح باشا قائد جيوش الترك لذلك العهد . ولم يزل ابو حسون عند صالح باشا يحسن له الاستيلاء على المغرب ويعظمها في عينيه ويقول « ان المتغلب عليها قد سلبني ملكي وملك آبائي وغلبني على تراث اجدادى فلو ذهبتم معي لقتاله لكنا نرجو من الله تعالى ان يتيح لنا النصر عليه ويرزقنا الظفر به ولا تعدمون انتم مع ذلك منفعه من ملء ايديكم غنائم وذخائر » ووعدهم بمال جزيل فاجابه صالح باشا الى ما طلب ونهض معه بجيشه الظافر حتى اقتحموا حضرة فاس بعد حروب عظيمة ووقائع شديدة وفرّ عنها الشيخ السعدي . وكان دخول السلطان ابي حسون الى فاس ثالث صفر سنة ٩٦١ ﻫ والتقاه الناس بفرح لا مزيد عليه

ولما فرّ السلطان محمد الشيخ السعدي امام الاتراك بفاس وصل الى مراكش فاستقرّ بها وصرف عزمه لقتال ابي حسون فأخذ في استنفار القبائل وانتخاب الابطال وتعبئة العساكر والاجناد فاجتمع لهُ من ذلك ما اشتدّ به ازره وقوى به عضده ثم نهض بهم الى فاس فخرج اليه السلطان ابو حسون في رماة فاس ومن انضم اليهم من جيش العرب و بعد قتال شديد انهزم ابو حسون ورجع الى فاس وتحصن بها فتقدم الشيخ السعدي وحاصره الى ان ظفر به في وقعة كانت بينهما في الموضع المعروف بمسلمة فقتله واستولى على حضرة فاس وصفا له امرها وذلك يوم السبت ٢٤ شوال سنة ٩٦١ ﻫ و بقتل السلطان ابي حسون انقرضت الدولة الوطاسية بالمغرب والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٦٧٣ – الدولة الصفوية بإيران

(تمهيد) تنسب هذه الدولة الى الشيخ صفي الدين بن جبرائيل وهو اول من جمع العسكر من هذه العائلة الا انه لم يحارب احداً لان خطته كانت سلمية فكان لا يأمر بغير الطيب والاحسان وخلفه ابنه صدر الدين وهذا كان في ايام تيمورلنك التتري وقد أخذ له مقرّاً مدينة اردبيل فزاره يوماً تيمورلنك وسأله عما اذا كان يلزمه شيء وانه مستعد لانضائه في الحال فطلب منه ان يطلق سبيل الاسرى الذين اتى بهم من بلاد الاتراك ففعل تيمور باشارته وحفظ الاتراك لصدر الدين هذا الجميل وعائلته من بعده وهم السبب في توليتها الملك كما سيجيء

ثم توفي صدر الدين وخلفه ابنه خواجه علي ثم توفي وخلفه ابنه الشيخ ابراهيم ثم توفي وخلفه ابنه الشيخ جنيد وهو اول من غزا من هذه الطائفة فانه جمع عسكراً من محبيه ومحبي ابيه فغزا الكرج وقاتلهم وغنم منهم شيئاً كثيراً ثم توفي وخلفه ابنه الشيخ حيدر فسلك مسلك أبيه في جمع العسكر ومباشرة الغزاة حتى اجتمع عنده من العسكر ستة آلاف مقاتل فغزا الكرج واتخذ التاج من الجوخ الاحمر باثني عشرة رقعة وسمي بتاج الحيدرية ثم طمع في الاستيلاء على ما حوله من البلدان فهاجم مدينة شروان لكنه انهزم امام صاحبها ووقع هو واولاده اسيراً بين يديه فقتلهم صاحب شروان سوى ولديه اسماعيل وعلي . وظلت عائلة صفي الدين في خطر دائم حتى أتيح لاسماعيل بن حيدر جمع العساكر وتجنيد الجنود ولمّ شعث الدولة كما سترى وهو في عرف المؤرخين اول ملوك هذه الدولة

٦٧٤ – شاه اسماعيل بن حيدر

من سنة ٩٠٥ – ٩٣٠ هـ او من سنة ١٤٩٩ – ١٥٢٣ م

لما قتل الشيخ حيدر بقي ابناه اسماعيل وعلي مدة في زوايا النسيان حتى اتاح الله لاسماعيل قوماً دلوه على قوم من الاتراك احباء عائلته فذهب اليهم وعرفهم بنفسه

فقابلوه بترحاب عظيم واجابوه الى ما طلب من مساعدته على امره وصحبه منهم جند ليس بقليل فعاد اسماعيل بن انضم اليه الى لاهجان. وفي اواسط محرم سنة ٩٠٥ هـ توجه اسماعيل من لاهجان بطائفة من العسكر الى اذربيجان وغلب عليها واستولى على جميع نواحيها وسمي بالشاه وخطب له على منابرها . ولما قوي امره قصد في سنة ٩٠٦ هـ صاحب شروان قاتل أبيه وقتله واستولى على بلاده ثم سار الى ديار بكر وقاتل صاحبها واستولى على غالب بلاده وتوجه الى بلاد العراق واسترد بغداد واستولى على جميع العراق وعدا على صاحب خراسان وما وراء النهر فكسره وقتله وجعل جمجمة رأسه مثل القدح يشرب منه الخمر مدة حياته

وكان شاه اسماعيل صوفياً مثل افراد عائلته وليس له اعدا واعوانه كثار فاستحسن ان يدخل مذهب الشيعية الاثنا عشرية الجعفرية الى ايران ويجعلها مذهب السلطنة ففعل ذلك وفاز بمراده ولم يلاق معارضة تذكر لان الايرانيين فضلوا مذهب القائلين بتكريم الامام علي بن أبي طالب (رضه) ومن ذلك اليوم صارت بلاد ايران مقر الشيعة بين المسلمين

وفي هذه الاثناء عصى اولاد السلطان بايزيد الثاني العثماني على أبيهم فساعد شاه اسماعيل الامير احمد ابن السلطان بايزيد على ابيه ثم على اخيه السلطان سليم من بعده وقبل من فر من اولاده عنده وراسل سلطان مصر في الاتفاق والاتحاد معاً على محاربة السلطان سليم العثماني مظهراً له انه ان لم يتفقا حاربت الدولة كلاً منهما على حدته وقهرته . فلما علم السلطان سليم العثماني باجراات شاه اسماعيل العدوانية اغتاظ جداً حتى أمر بقتل جميع الشيعة في بلاده المتاخمة لبلاد العجم فقتلوا بطريقة سرية وقيل ان عدد كل من قتل بلغ ٤٠ الفاً . وبعد ذلك اعلن السلطان سليم الشاه اسماعيل بالحرب واقبل في جيوشه سنة ٩٢٠ هـ فبرز الشاه اسماعيل لمدافعته لكنه تقهقر أمامه خدعة حربية لينهك التعب الجنود العثمانية فينقض عليهم واستمر في تقهقره الى ارباض تبريز فوقع القتال بين الجيشين في ٢ رجب سنة ٩٢٠ هـ فانتصرت الجنود العثمانية نصراً مبيناً وفر الشاه اسماعيل بمن بقي معه . ودخل

السلطان سليم تبريز واستولى عليها وبعد ان مكث بها ثمانية ايام لاراحة جيوشه نهض مقتفيا اثر الشاه اسماعيل الاان عساكره لم تطاوعه على الايغال في بلاد العجم فاضطر ان يرجع الى بلاده تاركاً كل فتوحاته . فعاد الشاه اسماعيل من مفره وجلس على سرير ملكه . ولما توفي السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٦ ﻫ طمع الشاه اسماعيل في الاستيلاء على بعض بلاد الدولة العلية العثمانية والانتقام منهم فتقدم الى بلاد الاتراك فاخضع بلاد الجركس وهي يومئذٍ تابعة للدولة العثمانية وعاد عنها فعرّج على أردبيل ليزور اجداده فقضى نحبه هناك سنة ٩٣٠ ﻫ ودفن فيها مأسوفاً عليه

٦٧٥ - شاه طهماسب بن اسماعيل

من سنة ٩٣٠ — ٩٨٤ ﻫ او من سنة ١٥٢٣ — ١٥٧٦ م

وتولى بعده ابنه طهماسب وهو في العاشرة من عمره فانتهزت بلاد خراسان هذه الفرصة العصيان على عادتها فاخضعها بغير عناء كثير ثم وقعت المنافسات بين فئات الاتراك الذين ساعدوا هذه الدولة على الملك وكثر الخصام بين طائفتين منهم فانحاز طهماسب الى احداها ونجحت الاخرى فطلبت القبض عليه وعند ذلك هاج الدم في عروقه واستغاث بمروءة جنوده واعوانه الايرانيين فاغاثوه وتقدموا معه لمحاربة هؤلاء الاتراك فنكلوا بهم واذاقوهم البلاء الاكبر وانتصروا عليهم انتصارًا تاماً . وفي سنة ٩٤٠ ﻫ تقدم السلطان سليمان خان القانوني العثماني على بلاد ايران فاستولى على اذربيجان وبغداد وغيرهما من الاراضي الغربية التي كانت لايران بعد ان فتك بالعجم فتكاً ذريعاً ثم عاد الى بلاده . فلما علم طهماسب برجوعه جمع جيشاً كبيرًا وتقدم به على بلاد الترك وملك ارمينية وما يجاورها ولكنه اضطر الى الرجوع لما بلغه ان القلاقل كثرت ببلاده بسبب قيام قبائل الاوزبك من من انتثر على حكومته في الشرق بايعاز من السلطان سليمان العثماني وعصيان أخيه القاص ميرزا وهو الذي التجأ الى السلطان سليمان العثماني واتفق معه على اقتسام

ايران . وكان لهذا الامير اعوان كثيرون في ايران فخشي طهماسب العاقبة سيما بعد ان فتح جيش الاتراك تبريز وتقدم على السلطانية . ولكن التقادير خلصت ايران بخصام القاص والسلطان العثماني وفرار الاول ورجوع الثاني من بعد ان فقد معونة اعوان الامير القاص . اما القاص ففرّ الى ديار بكر فقبض عليه صاحبها وارسله الى أخيه طهماسب فامر باعدامه . وقضى طهماسب كل ايامه يحارب العثمانيين من جهة والتتر من جهة اخرى الا ان ما كان فيه من الرأي وحسن التدبير مكنه من حفظ المملكة امام أعدائه الكثيرين

وهو الذي نقل كرسي مملكة ايران الى قزوين وكان متحزباً للاسلام على الطريقة الشيعية وهو اول من زاره سفراء الفرنج من ملوك ايران جاءه انكليزي اسمه جنكنسن من قبل الملكة اليصابات ملكة انكلترا لذلك الوقت فسأله حال وقوع نظره بعد ان ظل يستأذن بالمثول لديه ستة اشهر «هل انت مسلم او كافر» قال « اني لست مسلماً ولا كافرًا بل انا نصراني » قال « ليس بي حاجة الى مخابرة الذين هم ليس على ديني فرُح في حال سبيلك » وخرج الرجل وقد تبعه ايراني يرش الرمل من ورائه في القصر حتى يعرف محل وقع اقدامه وينظف الدار بعد خروجه

وكان لطهماسب ابناء كثيرون ابعد بعضهم واعتقل بعضهم في حياته خوفاً من مزاحمته في المملكة والغريب انه وقع في ما كان يخاف منه لان ابنه الامير حيدر اوعز لوالدته بقتل ابيه ليتسلطن مكانه ففعلت هذه الغادرة باشارة ابنها وسمت زوجها شاه طهماسب فتوفي في الحال وكانت وفاته في ٧ صفر سنة ٩٨٤ هـ

٦٧٦ — شاه حيدر بن طهماسب

سنة ٩٨٤ هـ او سنة ١٥٧٦ م

وتولى بعده ابنه شاه حيدر وهو ثالث ابنائه لكنه لم يهنأ بالملك بل نال جزاء خيانته وبيان ذلك انه كان لطهماسب ابنة تدعى پري خان وكانت عاقلة فطنة

فلما علمت ما جرى لابيها ارسلت لاخيها حيدر ان يزورها فأجاب طلبها وذهب الى قصرها . وكانت قد أعدت رجالاً مسلحين للفتك به حال دخوله . فلما دخل القصر انقضّ عليه أولئك الرجال وقتلوه لايام من ولايته

٦٧٧ ـ شاه اسماعيل بن طهماسب

من سنة ٩٨٤ — ٩٨٥ هـ او من سنة ١٥٧٦ — ١٥٧٧ م

ولما قتلت بيرى خان اخاها كما تقدم أرسلت وأخرجت شقيقها اسماعيل من معتقله لانه كان محبوساً في قلعة الموت مدة حياة ابيه فأخرجته وفوضت اليه الامر جميعاً . ثم ارادت بيري خان ان تشرك شقيقها في الامر والنهي فلما انس شاه اسماعيل منها هذا الميل امر بقتلها فقتلت . وكان شاه اسماعيل سيء السيرة منهمكاً بلذاته غير ملتفت لامر المملكة فنازعه اخوه محمدخدا بندا واستولى على خراسان واستقل بها ولم يقدر شاه اسماعيل على اخذها منه

وفي ٣ رمضان سنة ٩٨٥ هـ توفي شاه اسماعيل بن طهماسب مسموماً لانه كان يتعاطى اكل الترياق ويبالغ فيه فسموه في الترياق

٦٧٨ ـ محمد خدا بندا بن طهماسب

من سنة ٩٨٥ — ٩٩٣ هـ او من سنة ١٥٧٧ — ١٥٨٥ م

ولما بلغ محمداً خدا بندا ملك خراسان وفاة اخيه شاه اسماعيل قدم من خراسان الى قزوين واستقر على سرير الملك وكان يرجى منه الخير والعدل ثم ظهر منه ما يخالف ذلك . وانتهز العثمانيون فرصة هذه الفتن الداخلية التي حصلت في بلاد ايران وطمعوا في الاستيلاء عليها فارسل السلطان مراد خان الثالث العساكر العثمانية بقيادة لا له مصطفى باشا . فسار هذا القائد بجيوشه قاصداً اقليم الكرج من بلاد الجركس سنة ٩٨٥ هـ وكانت تابعة الى مملكة العجم وفتحها واحتل مدينة تفليس

عاصمة الكرج بعد ان انتصر على جنود الشاه ولكن اضطر العثمانيون للعود الى طرابزون لدخول فصل الشتاء الذي لا يمكن استمرار القتال في غضونه لشدة البرد وتراكم الثلوج في هذه الاصقاع وقبل ان ينقضي الشتاء توفي مصطفى باشا قائد العثمانيين فأهمل اعادة الكرة على ايران

وفي سنة ٩٩٢ ﻫ ارسل السلطان مراد خان الثالث العثماني جيشاً كثيفاً بلغ مقداره ٢٦٠ الف مقاتل بقيادة عثمان باشا لمنازلة ايران . فسار هذا الجيش العرمرم قاصداً بلاد اذربيجان فاخترقها بدون كثير مقاومة ثم قصد مدينة تبريز فبرزت اليه عساكر الايرانيين بقيادة حمزة ميرزا أخي الشاه و بعد قتال شديد أظهر فيه حمزة ميرزا ما خلد له ذكراً جميلاً انتصر العثمانيون بعد ان قتل حمزة ميرزا قائد جيوش ايران ودخلوا مدينة تبريز فاضطر الشاه محمد خدابندا ان يعقد معهم صلحاً على ان يتنازل للسلطان مراد عن اقليم الكرج وشروان و لورستان وجزء من اذر بيجان ومدينة تبريز وفي هذه الاثناء توفي عثمان باشا قائد العثمانيين فقوي جانب الايرانيين نوعاً ما

ولما رأى الايرانيون ضعف سلطانهم الشاه محمد خدا بندا وعدم تمكنه من حفظ الدولة اخذوا ابنه الامير عباساً وذهبوا به الى خراسان وهناك نادوا به شاهاً عليهم ثم تقدموا الى قزوين ولما قربوا منها ثار على محمد خدا بندا العساكر التي قزوين وقتلوه شر قتله وكان ذلك سنة ٩٩٣ ﻫ

٦٧٩ ــ شاه عباس الكبير بن محمد خدابندا

من سنة ٩٩٣ — ١٠٣٧ ﻫ او من سنة ١٥٨٥ — ١٦٢٨ م

فدخل الثائرون قزوين ونادوا بالامير عباس شاهاً عليهم وهو يومئذ صغير . واختاروه صغيراً لكي يكون اطوع اليهم من غيره فجعلوا تعضيده واسطة لاعلاء كلمتهم ومنفعة انفسهم ولكن كانت علامات النجابة والشجاعة ظاهرة على الشاه عباس



(ش ٤٠ شاه عباس)

الفتى فلما لما تبوأ تخت السلطنة كانت البلاد كشعلة نار من جراء الثورات الداخلية وطلب كل قبيلة الاستقلال فنهض الشاه عباس واخضع الجميع في مدة قريبة . ثم عمد لاستخلاص ما التهمته الدولة العثمانية من املاك ايران فحارب العثمانيين وانتصر عليهم واحتل مدائن تبريز ووان وغيرها وكانت الدولة العثمانية مشتغلة في ذلك الوقت بمحاربة الثائرين عليها شرقاً وغرباً فاضطر السلطان احمد خان الاول ان يعقد مع الشاه عباس صلحاً على ان تترك الدولة العثمانية لمملكة العجم جميع الاقاليم والبلدان والقلاع والحصون التي فتحها العثمانيون من عهد السلطان الغازي سليمان الاول ليتفرغ لاصلاح داخلية بلاده . فقبل الشاه عباس هذه الشروط وصالح العثمانيين عليها ليتفرغ هو ايضاً لقتال قبائل الاوزبك وكانوا قد ضايقوا دولته . فنهض الشاه عباس الى مدينة مشهد التي كانت قد احتلتها قبائل الاوزبك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم بقرب مدينة هرات سنة ١٥٩٧ م

وفي سنة ١٠٢٦ هـ (١٦١٧ م) توفي السلطان احمد الاول سلطان العثمانيين وتولى بعده اخوه السلطان مصطفى ثم عزل سنة ١٠٢٧ هـ واقام ارباب الدولة مكانه ابن اخيه السلطان عثمان بن احمد الاول ثم عزل سنة ١٠٣١ هـ وأعيد السلطان مصطفى

ثانية ثم عزل سنة ۱۰۳۲ هـ وولي مكانه السلطان مراد خان الرابع ابن السلطان احمد الاول . فانتهز الشاه عباس هذا الاختلال في الدولة العثمانية لتوسيع املاكه من جهة حدودها فنهض بجيش كثيف الى مدينة بغداد وحاصرها ثلاثة اشهر وفتحها بخيانة ابن واليها املاً في ان يوليه الشاه عليها اذا دخلها ظافرًا ولكن الامر جاء بالعكس لان الشاه عباسًا لما دخل مدينة بغداد امر بابن الوالي المذكور فقتل جزاء خيانته . وحاول العثمانيون استرجاع بغداد لكنهم ردوا عنها خاسرين . ثم زحف شاه عباس الى نهاوند فدك حصونها دكاً واخذها من الاتراك ثم تقدم على تبريز وتفليس وغيرهما من الانحاء الشمالية لمحارب الاتراك فيها ومع ان عساكرهم كانت تقدر بضعفي عساكره انتصر عليهم وكسرهم شر كسرة وملك تلك البلاد منهم وأوقع الرعب في قلوبهم . فظل شاه عباس من بعد تلك المواقع يسترد شيئاً بعد شيء مما اخذه الاتراك من مملكة ايران القديمة حتى استرجع كل بلاد اذربيجان وشطوط بحر قزوين وبلاد الشراكسة والموصل وديار بكر وكردستان . وممن لهم الفضل في انتصار عساكر الشاه على العثمانيين المستر روبرت شارلي الانكليزى الاصل وكان قد حضر الى ايران هو واخوه المستر انتوني شارلي فالتقاهما الشاه عباس واكرمهما اكرامًا زائدًا واستشار المستر انتوني في امر الحرب مع الاتراك فاشار عليه بتعليم جنوده مبادىء العلوم العسكرية وبمجازبة دول اوربا على الاتراك فرضي شاه عباس بقوله وانتدبه سفيرًا لينوب عنه امام حكومات اوربا في عقد الاتفاق واعطاه فرمانًا بذلك يدل على ثقته التامة بهذا الشريف الانكليزي . وبقي المستر روبرت شارلي في قزوين يدرب عساكر شاه عباس ويعلمهم ما يلزمهم لاتقان فن الحرب فكان ذلك سببًا في انتصارهم على الاتراك

ومن فضائل الشاه عباس انه تساهل تساهلاً لم يسبق لهُ نظير مع الفرنج والمسيحيين اجمالاً واصدر منشورًا الى رعاياه يقول لهم فيه ان النصارى اصدقاؤه وحلفاء بلاده وانه يأمرهم باحترامهم واكرامهم اين حلوا وفتح مين بلاده لتجار الفرنج وأوصى ان لا تؤخذ الرسوم على ابضعتهم وان لا يتعرض لهم احد الحكام او الاهالي بسوء . وهو اول من فعل ذلك من سلاطين المسلمين في بلاد ايران

ومن الادلة على تساهل الشاه عباس مع المسيحيين وحسن معاملته لهم انه انعم على المستر روبرت شارلي الانكليزى الذى تقدم ذكره بفتاة شركسية رزق منها اولادًا وكان شاه عباس عراب اولهم وليس في التاريخ دليل اكبر من هذا على التساهل في

حرية الاديان وجعل شاه عباس مدينة اصفهان قاعدة ملكه وقرر الامن في البلاد ونظم احوالها واحسن التدبير في كل امورها حتى خطت البلاد في ايامه خطوة واسعة في سبيل العظمة والتقدم سيما بعد ان كثرت متاجر الفرنج في ايران وكثر تردد التجار والسياح منهم على بلاده · وكانت علاقاته طيبة مع كل الدول الاوروبية ومع سلطان الهند ايضاً ولم يحارب احدى الدول الافرنجية الأمرة واحدة وذلك ان البورتغاليين انشاؤا مستعمرة زاهرة زاهية في جزيرة ارموس في خليج العجم وكان عباس شاه يسمع بها وبكثرة مواردها فلم يرق له ان تكون لدولة اجنبية وهي في مياه بلاده فوجه همه الى امتلاكها واتفق مع حكومة الهند الانكليزية وهي يومئذ في يد شركة تجارية على اخراج البورتغاليين منها فارسلت له الشركة الانكليزية سفناً اوصلت عساكره الى الجزيرة فدمروها تدميراً وخربوا معاملها واخرجوا البورتغاليين منها واستولى عباس شاه عليها · ولكن لم يحسن اهل ايران ادارة ما فيها من المعامل فخربت واقفرت الجزيرة ولم يستفد الشاه ولا الانكليز من هذا العمل

وأنشأ عباس شاه الصروح الفخيمة وزين المدائن وامر بالعدل وترك ما يخلد له الذكر من الآثار العظيمة في البلاد منها آثاره في اصفهان التي ليس لها مثيل في بلاد الشرق وهو اشهر ملوك هذه الدولة لم يقم فيها واحد اهتم اهتمامه باصلاح شؤون البلاد ولمّ شعثها واقامة الآثار فيها حتى ان الاهالي يطلقون عليه اسم عباس شاه الكبير ويظنون الآن ان كل ما في ايران من الآثار القديمة بني في ايامه · غير ان عباساً اشتهر بالقسوة الهائلة اشتهاره بالحكمة والبسالة وحب التقدم لبلاده فقد كان يشدد الوطأة على الولاة والامراء الذين تبدو منهم هفوة توجب العقاب واكثر من ذلك قسوته على اولاده واهل بيته · وقد كان لهذا السلطان العظيم اربعة اولاد هم قرّة العين وكان ولعاً بهم الى أن شبوا وصار يرى الناس يعظمونهم حسب عادتهم في تكريم اولاد الملوك فداخلته الشكوك وبدأ يخاف من اولاده ويسيء معاملتهم · ثم توفي سنة ١٠٣٧ ﻫ في مدينة فرح آباد لسبعين سنة من عمره بعد ان حكم ٤٣ سنة

٦٨٠ — شاه صفي الثاني

من سنة ١٠٣٧ — ١٠٥١ هـ أو من سنة ١٦٢٨ — ١٦٤١ م

ولما توفي الشاه عباس الكبير تولى بعده حفيده شاه صفي الثاني وكان ظالماً عاتياً سفاكاً للدماء لا همّ له غير الاشتغال بقتل الابرياء حتى لم يبق لكبير او امير في بلاد ايران امان على نفسه في مدة هذا الظالم . وقتل من اعضاء العائلة المالكة ما بين نساء ورجال حوالي ثلثين شخصاً بلا ذنب يعرف غير خوفه من مزاحمتهم له

ولما توفي عباس شاه انتهز التتر فرصة للهجوم على خراسان ونهب اموالها ولكن عساكر الايرانيين انتصرت عليهم وردتهم على اعقابهم خاسرين . وفي سنة ١٠٤٥ هـ تقدم السلطان مراد الرابع العثماني بنفسه في جيش كثيف لاسترجاع فتوحات سليمان الاول القانوني ببلاد العجم ففتح مدينة اريوان في ٢٥ صفر سنة ١٠٤٥ هـ ثم تقدم الى مدينة تبريز وفتحها عنوة في ٢٨ ربيع الاول من السنة ثم عاد الى القسطنطينية فاشتد عزم العجم برجوع السلطان وحاربوا الجيوش العثمانية وانتصروا عليها واستردوا مدينة اريوان وتعقبوا العثمانيين حتى كسروهم كسرة شنيعة في وادي مهربان سنة ١٠٤٦ هـ . ولما علم السلطان مراد الرابع العثماني بانهزام جيوشه امام عساكر الشاه عاد بجيش عظيم وحاصر مدينة بغداد في ٨ رجب سنة ١٠٤٨ هـ وفتحها عنوة في ١٨ شعبان من السنة فخاف الشاه صفي من تقدم السلطان مراد على بلاده وارسل يعرض له الصلح على ان تكون بغداد تابعة للدولة العلية العثمانية واريوان تابعة للدولة الصفوية فقبل السلطان ذلك وتم عقد الصلح في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٠٤٩ هـ

وكان الشاه صفي الثاني منغمساً في الشهوات مسلماً الادارة كلها الى وزرائه الذين كان يأمر بقتلهم لاقل علة . ثم مات في مدينة كاشان سنة ١٠٥١ هـ

٦٨١ — شاه عباس الثاني بن صفي

من سنة ١٠٥١ — ١٠٧٥ هـ او من سنة ١٦٤١ — ١٦٦٤ م

وتولى بعده ابنه شاه عباس الثاني بن شاه صفي الثاني وعمره اذ ذاك عشر سنين فتولى الامر في مدة صغر هذا الشاه الوزراء وكانوا من اصحاب العقل والذمة واشتهروا بالفضائل والتقوى فامروا بابطال شرب الخمر من القصر وشددوا في عقاب الذين يسكرون . وكان السكر رذيلة عمت في ايام عباس شاه الاول وحفيده ولما بلغ عباس الثاني اشده تولى الامر بيده فافرط في التمتع باللذات وعاد الى المسكر فارتكب الهفوات الكثيرة واسقط مقام الملك ولكنه لم يصل الى درجة ابيه . ومع ذلك كان عباس الثاني حسن التدبير شديد البطش على الاعداء فاسترجع الايرانيون في ايامه مدينة قندهار وكان والده شاه صفي اضاعها في ايامه . وتمكن شاه عباس من عقد الصلح مع الاتراك من جهة والتتر من جهة اخرى فساد الامن في مدة حكمه السعيد ونمت المتاجر وتقدمت العلوم والصنائع ورتعت البلاد في بحبوحة الامن والراحة الى ان توفي سنة ١٠٧٥ هـ

٦٨٢ — شاه سليمان بن عباس

من سنة ١٠٧٥ — ١١٠٦ هـ أو من سنة ١٦٦٤ — ١٦٩٤ م

وكان لعباس الثاني ابنان اكبرهما صفي ميرزا فاتفق ارباب الدولة على تولية اصغرهما حمزة ميرزا فعارض في ذلك الخصي مبارك آغا واقنع الجميع بضرورة مبايعة صفي ميرزا لانه أحق من اخيه لكبر سنه فوافقوه على ذلك وانتهت الدسيسة ورقي صفي ميرزا على كرسي اجداده بشهامة هذا الخصي وافضل ما يروى عن صفي ميرزا انه لم ينتقم من الاشراف على خيانتهم ودسيستهم هذه . واتخذ صفي ميرزا يوم رقي عرش السلطنة اسم شاه سليمان ولم يحدث في ايامه شيء يستحق الذكر غير انه كان خاملاً ضعيف الرأي ولماً بالانغماس في الملذات والشهوات الى ان توفي سنة ١١٠٦ هـ

٦٨٣ – شاه حسين بن سليمان

من سنة ١١٠٦ – ١١٣٥ هـ او من سنة ١٦٩٤ – ١٧٢٢

وتولى بعده ابنه شاه حسين بن شاه سليمان (او صفي ميرزا) . وكان الشاه حسين طيب القلب سليم النية شديد التمسك بدينه فامر حال صعوده على تخت المملكة بابطال السكر وكسر انية الخمر التي وجدها في قصوره وقرب المشائخ والعلماء فاعطاهم المناصب العالية وحرم الامراء والقواد منها فظلت البلاد عشرين عاماً في ايامه متمتعة بالراحة الى ان ظهر الامير محمود سلطان افغانستان الغلجائي واغار على ايران بجيوشه واكتسحها امامه ووصل اخيرًا الى مدينة اصفهان وحاصرها مدة ودافع عنها الشاه حسين دفاعًا محمودًا الا ان خيانة بعض بطانته افسدت عليه الحال حتى اضطر اخيرا ان يتنازل عن الملك للامير محمود الغلجائي ولكنه قبل ان يخلع نفسه عن كرسي المملكة نزل الى الاسواق حافياً واخذ يطوف في شوارع اصفهان وهو يصيح قائلاً « لا تحزنوا ايها الناس على فراقي عنكم لان الشاه محمودًا هو اخبر مني وادرى في تدبير اموركم واصلاح شأنكم لاسيما في ادارة الحروب وسياسة الاحكام » وكان اكثر سكان المدينة يمشون وراءه وهم يبكون وينتحبون على فراقه . وسنذكر استيلاء الشاه محمود على دولة ايران باكثر تفصيل في ذكر الدولة الغلجائية فراجعه هناك

وكان الشاه حسين اخر ملوك الدولة الصفوية الشهيرة وباستيلاء الافغانيين على اصفهان سنة ١١٣٥ هـ انقرضت هذه الدولة والبقا لله وحده

٦٨٤ – الدولة السعدية بمراكش

(تمهيد) تدعى هذه الدولة بدولة لاشراف السعديين ويقال لها دولة الاشراف لاتصال نسبهم بآل البيت الكريم ويقال لها دولة السعديين او الدولة السعدية لسعد الناس بهم واول من قام بالملك من هذه الدولة ابوعبد الله محمد القائم بامرالله

ابن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن احمد بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن حسن بن احمد بن اسماعيل بن القاسم بن محمد بن عبد الله الاشتر ابن محمد النفس الزكية ابن عبدالله بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب . واول من دخل المغرب منهم الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة الخ وهو الجد الثامن لابي عبد الله محمد القائم بأمر الله رأس هذه الدولة وكان دخوله اليه سنة ٦٦٤ ﻫ فاقام بدرعة ولم يزل نسله بها الى ان كانت المائة التاسعة للهجرة وانقرضت دولة بني مرين وتولى المغرب الدولة الوطاسية ولم تكن شوكتها كافية لضبط بلاد المغرب جميعه وضايقتها دولة البورتقال واستولت على كثير من ثغور ومدن المغرب كما مر ذكر ذلك في اخبار الدولة الوطاسية فلما رأى ابو عبد الله محمد القائم بامر الله فشل ريح الوطاسيين حدثته نفسه بالملك . وكان اهل السوس يشعرون بعدم مقدرة الدولة الوطاسية على رد هجمات البورتقاليين عنهم فضاق بهم الامر جداً وصاروا يبحثون عمن يولونه امرهم حتى استدلوا على الشريف ابي عبدالله محمد القائم بامر الله بدرعة فذهبوا اليه و بايعوه سنة ٩١٥ ﻫ

(٦٨٥) ابو عبد الله محمد القائم بامر الله بن عبد الرحمن

من سنة ٩١٥ — ٩٢٣ ﻫ او من سنة ١٥٠٩ — ١٥١٧ م

ولما بايعه اهل السوس سنة ٩١٥ ﻫ جمع الجموع وجند الجنود مظهراً للجهاد البرتقال واخراجهم من المغرب وقتال من سالمهم من المسلمين (اذ لم يتأت له اذ ذاك التصريح بخلع السلطان الوطاسي) فحارب البرتقاليين وانتصر عليهم في عدة مواقع فتيمن الناس بطلعته وتفاءلوا بطائره الميمون ونقيبته . واجتمع الناس عليه واطمأنت به في البلاد السوسية الدار وطاب له بها المقام والقرار . فلما رأى من الناس حسن الولاء اليه ندبهم الى بيعة اكبر ولديه وهو الامير ابو العباس المعروف بالاعرج . ثم وفد عليه اشياخ حاحة والشياظمة لما بلغهم من حسن سيرته ونصرة لوائه

فشكوا اليه امر البرتقال ببلادهم وشدة شوكتهم واستطالتهم عليهم وطلبوا منه ان ينتقل اليهم هو وولده ولي العهد المذكور فاجابهم الى ذلك ونهض معهم هو وابنه ابو العباس الى الموضع المعروف بآفغال من بلاد حاحة بعد ان استخلف ابنه الاصغر ابا عبد الله محمدًا الشيخ بالسوس ليرتب الامور ويمهد المملكة . واستمر ابو عبد الله القائم بامر الله بمكانه من آفغال مسموع الكلمة الى ان توفي سنة ٩٢٣ هـ

(٦٨٦) ابو العباس احمد بن ابي عبد الله محمد

من سنة ٩٢٣ — ٩٤٦ هـ او من سنة ١٥١٧ — ١٥٣٩ م

وتولى بعده ابنه وولي عهده ابو العباس احمد الاعرج ابن ابي عبد الله القائم بامر الله فسلك مسلك ابيه من جهاد البرتقال وكانت له معهم وقائع مشهورة انتصر في جميعها حتى بعد صيته وانتشر في البلاد ذكره واهرع اليه الناس من كل جانب ودخلت في طاعته سائر البلاد السوسية وكاتبه امراء هنتاتة اصحاب مراكش يخطبون مودته ويرومون الدخول في طاعته فاجاب داعيهم وانتقل الى مراكش فدخلها سنة ٩٣٠ هـ واستولى عليها

ولما استولى السلطان ابو العباس احمد الاعرج على مراكش وصفا له امرها اتصل خبره بصاحب فاس ابي عبد الله الوطاسي المعروف بالبرتقالي فاقبل في جموع عديدة . فلما رأى ابو العباس ما لا طاقة له به تحصن بمراكش وشحن اسوارها بالرماة والمقاتلة وزحف الوطاسي الى الحضرة فنصب عليها الانفاض ووالى عليها الرمي اياماً واشتد الامر على الناس . ثم بلغ ابا عبد الله الوطاسي بان بني عمه قاموا عليه بفاس فأفرج عن مراكش وانكفأ مسرعاً الى فاس وبعدان اسكن الفتنة بها عزم على اعادة الكرة على السعديين لكنه توفي قبل اتمام غرضه سنة ٩٣١ وتولى بعده اخوه ابوحسون ثم خلع سنة ٩٣٢ هـ وتولى بعده ابن اخيه ابو العباس احمد بن ابي عبد الله وهذا حالما جلس على كرسي السلطنة بفاس اهتم بامر السعديين وجمع الجموع لقتالهم فكانت له معهم وقائع مشهوره كوقعة آنماي ووقعة ابي عقبة وغيرهما انتصر السعديون في جميعها فاضطر ابو العباس الوطاسي ان يعقد مع ابي العباس السعدي صلحاً يعترف له بمراكش والسوس واستقر كلٌ منهما بعمله الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

كان السلطان ابو العباس شهماً شجاعاً حسن التدبير وكان اخوه ابو عبد الله الشيخ اصغر منه سناً وكان تحت طاعته . وكان السلطان ابو العباس يستشيره في اموره ويفاوضه في مهماته و يستعين بنجدته في الحروب والمعارك و يسضيء برأيه في الحوادث الحوالك فكانت كلمتها واحدة الى ان دخل بينهما الوشاة فافسدوا قلوبهما وافضي الحال الى الحرب والقتال وانقسم الجند حزبين وانصرفت كل طائفة الى متبوعها وتقاتلا مدة . وكانت جل القبائل السوسية الى الشيخ منذ تركه ابوه عندهم عند انتقاله الى آفغال كما مر فاستفحل أمره وغلب على اخيه ابي العباس واستولى على مابيده واجتمعت كلمة اهل السوس عليه ثم اودع اخاه واولاده السجن وكان ذلك سنة ٩٤٦ ﻫ

٦٨٧ — ابو عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ ابنه ابي عبد الله

من سنة سنة ٩٤٦ — ٩٦٤ ﻫ او من سنة ٥٣٩ — ١٥٥٧ م

ولما استقل ابو عبد الله الشيخ بالمملكة صرف عزمه الى جهاد البرتقاليين واخراجهم من المغرب لحاربهم وانتصر عليهم واخرجهم من حصن فونتي سنة ٩٤٧ ﻫ ومن حصن اسفى سنة ٩٤٨ ﻫ . ولما رأى البرتقاليون شدة نكايته فيهم خافوا سطوته وتركوا اغلب ما ملكوه بالمغرب مثل حصن ازمور وغيره . وكان السلطان ابو عبد الله الشيخ بعد القبض على اخيه واستقلاله بالامر قد اقام بالبلاد السوسية مثابراً على جهاد البرتقال حتى قلع عروقهم منها . وكانت مراكش في هذه المدة قد توقفت عن بيعته وتربصت عن الدخول في طاعته القاءة للوطاسيين وارتياباً من امره الى ماذا يؤول واستمر الحال الى سنة ٩٥١ ﻫ فانقادت له حينئذ وبايعه اهلها فقدمها واستولى عليها . ولما صفت له مراكش واعمالها طمحت نفسه الى الاستيلاء على بقية بلاد الغرب وامصاره وقطع جرثومة الوطاسيين من سائر اقطاره فجمع الجموع وتقدم بهم الى اعمال فاس فافتتح مكناسة ثم تقدم يفتح بلداً بلداً ومصراً مصراً الى ان اتى عليها اجمع واخيراً حاصر حضرة فاس والح عليها القتال حتى ضاق الامر على اهلها جداً فنزلوا على حكم السلطان ابي عبد الله الشيخ السعدي وفتحوا له ابواب المدينة فدخلها وذلك سنة ٩٥٦ ﻫ وقبض على ابي العباس احمد الوطاسي وقتله وجماعة من اهله ولم ينج منهم الا ابو حسون بن محمد الشيخ الوطاسي فانه تمكن من الهرب ولحق بالجزائر

ولما فتح السلطان ابو عبد الله حضرة فاس في التاريخ المقدم تاقت نفسه الى الاستيلاء على المغرب الاوسط وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه مع انهم اجانب من هذا الاقليم ودخلاء فيه فيقبح باهله وملوكه ان يتركوهم يغلبون على بلادهم لا سيما وقد فرّ اليهم عدو من اعدائه وعيص من اعياص اقتاله فرأى الشيخ من الرأي واظهار القوة في الحرب ان يبدأهم قبل ان يبدأوه فنهض من فاس قاصدًا تلمسان في جموعه الى ان نزل عليها وحاصرها تسعة اشهر وفتحها عنوة يوم الاثنين ٢٣ جمادي الاولى سنة ٩٥٧ ﻫ واخرج الترك منها . لكنه لم يستقرّ بها طويلاً حتى كرت عليه الاتراك واخرجوه من تلمسان فعاد الى مقره في فاس

ولم يزل ابو حسون بالجزائر عند تركها يحسن لهم الاستيلاء على المغرب حتى وافقوه واجابوه الى ماطلب وتقدم ابو حسون وجيش الترك بقيادة صالح باشا حتى اتوا فاسًا فبرز اليهم السلطان ابو عبد الله الشيخ وقاتلهم لكنه انهزم اخيرًا وفرّ من امامهم فاستولى ابو حسون والترك على فاس ودخلوها في ٣ صفر سنة ٩٦١ ﻫ اما السلطان ابو عبد الله الشيخ فلحق بمراكش وصرف عزمه لقتال ابي حسون فاستنفر قبائل السوس وجمع الجموع وزحف الى فاس فدارت بينه وبين سلطانها ابي حسون حروب شديدة كان الظفر في آخرها للشيخ فقتل ابا حسون واستولى على فاس وصفا له المغرب . وكان استيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت ٢٤ شوال سنة ٩٦١ ﻫ واستمر بها الى ان توفي مقتولاً قتله غيلة بعض مواليه سنة ٩٦٤ ﻫ في آخر ذي الحجة من السنة المذكورة

(٦٨٨) ابو محمد عبد الله الغالب بالله بن محمد الشيخ

من سنة ٩٦٥ – ٩٨١ ﻫ أو من سنة ١٥٥٧ – ١٥٧٤ م

وتولى بعده ابنه ابو محمد عبد الله ولقب الغالب بالله ولم يحدث في أيامه فتن ولا حروب فساد الامن في البلاد وعم العدل وصرف هو همه الى اصلاح البلاد و بناء العمارات وتنشيط الزراعة والصناعة فخطت مراكش في ايامه خطوة واسعة في سبيل العظمة والتقدم وتوفي يوم الجمعة ٢٨ رمضان سنة ٩٨١ ﻫ فدفن مأسوفًا

عليه في قبور اجداده ومما كتب بالنقش على رخامة قبره هذه الابيات :

أيا زائري هب لي الدعاء ترحماً　فاني الى فضل الدعاء فقيرُ
وقد كان أمر المؤمنين وملكهم　اليّ وصيتي في البلاد شهير
فها آنا ذا قدصرت ملقى بحفرة　ولم يغن عني قائد ووزير
تزودت حسن الظن بالله راحمي　وزادي بحسن الظن فيه كثير
ومن كان مثلي عالماً بحنانه　فهو بنيل العفو منه جدير
وقد جاء ان الله قال ترحماً　الى ما يظن العبد بي سيصير

(٦٨٩) ابو عبد الله محمد المتوكل على الله بن عبد الله

من سنة ٩٨١ — ٩٨٣ ﻫ أو من سنة ١٥٧٤ — ١٥٧٦ م

لما توفي السلطان الغالب بالله بحضرة مراكش كان ابنه محمد بفاس وكان ولي عهد ابيه فاجتمع اهل الحل والعقد بمراكش واستأنفوا له البيعة وكتبوا بها اليه وهو بفاس أوائل شوال سنة ٩٨١ ﻫ فبايعه اهل فاس وتم أمره وتلقب المتوكل على الله

ولما توفي السلطان الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ كان اخواه ابو مروان عبد الملك بن محمد الشيخ وابو العباس احمد بن محمد الشيخ مقيمين بالجزائر وقد هربا اليها خوفاً على انفسهما منه فلما علما خبر موته داخلا الترك المستولين على المغرب الاوسط في مساعدتهما على استخلاص المغرب لهما فاجاب الترك صريخهما وبعثوا معهما العساكر فتقدم أبو مروان عبد الملك واخوه ابو العباس بعساكر الترك حتى انتهوا الى الموضع المعروف بالركن من احواز فاس . فلما سمع السلطان أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بذلك برز للقائهم بنفسه ولما التقى الجمعان خالف على المتوكل على الله اغلب عساكره وانضموا الى جيش عميه فلما رأى المتوكل على الله ذلك ارتاع جداً وأيقن الهزيمة وانقلب راجعاً الى فاس وبعد أن أخذ

منها ما يعز عليه من الذخيرة خرج على وجهه الى مراكش لا يلوي على شيء وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٩٨٣ ﻫ

٦٩٠ — ابو مروان عبد الملك المعتصم بالله بن محمد الشيخ

من سنة ٩٨٣ — ٩٨٦ ﻫ أو من سنة ١٥٧٦ — ١٥٧٨ م

ولما انهزم المتوكل على الله واجفل الى مراكش تقدم عمه ابو مروان الى فاس فدخلها واستولى عليها يوم الاحد ٧ ذي الحجة سنة ٩٨٣ ﻫ و بايعه اهلها وتلقب بالمعتصم بالله ثم طمحت نفسه الى اتباع ابن اخيه الى مراكش ولما عزم على النهوض اليه طالبه الترك بأن يردهم الى بلادهم وان يعطيهم ما اشترط عليه من المال فأعطاهم ما طابت به نفوسهم وركب لوداعهم الى نهر سيوا ثم رجع الى فاس

ثم نهض السلطان عبد الملك من فاس في جنده وتقدم الى البلاد المراكشية قاصداً حرب ابن اخيه وتشريده عنها . ولما سمع ابن اخيه بخروجه اليه وقصده اياه تهيأ لملاقاته وسار الى منازلته فالتقى الجمعان بموضع يسمى خندق الريحان بالقرب من احواز سلا فكانت الهزيمة ايضاً على المتوكل على الله وفر من المعركة ولحق بمراكش فتبعه أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ فلما سمع المتوكل باتباعه فر عنها الى جبل درن ودخل ابو العباس احمد مراكش نائباً عن أخيه وأخذ له البيعة على اهلها ثم لحق به السلطان أبو مروان عبد الملك فدخلها يوم الاثنين ١٩ ربيع الثاني سنة ٩٨٤ ﻫ و بعد أن أقام بها أياماً خرج في طلب ابن أخيه فلم يقف له على أثر فعاد الى مراكش وأقام بها و بعث أخاه ابا العباس احمد الى فاس نائباً عنه بها

اما ابو عبد الله المتوكل على الله فبعد فراره عن مراكش جعل يجول بلاد السوس و يتنقل في قبائلها واحيائها الى أن التفت حوله عصابة قوية فقادهم وجاء

بهم الى مراكش فسمع به السلطان أبو مروان فخرج للقائه فخالفه المتوكل وسلك طريقاً غير طريقه وقصد مراكش فدخلها باتفاق أهلها . وبلغ الخبر ابا مروان باستيلاء المتوكل على مراكش فرجع عوده على بدئه الى أن وافى الحضرة فحاصره بها وكتب الى اخيه ابي العباس أحمد عامله على فاس أن يأتيه بجيش منها فأتاه به أحمد مسرعاً . ولما جاء احمد بجيش فاس اسلم المتوكل شيعته من اهل مراكش وفر الى السوس وتبعه احمد وكانت بينهما حروب انتصر فيها احمد . اما اهل مراكش فبقوا متمادين على الحصار الى ان اتفق السلطان ابو مروان مع اعيان جراوة فادخلوه من بعض الاسوار والانقاب واستولى عليها

اما المتوكل على الله فانه بعد توالي الهزائم عليه فر الى جبل درن ومنه الى باديس فاقام بها مدة ثم ذهب الى سبتة ثم دخل طنجة واستنجد بدون سباستيان ملك البرتقال فاغتنمها فرصة للتداخل في شؤون المغرب فنهض بجيش كثيف قيل بلغ ٤٠ الفاً واجاز البحر الى طنجة ومن هناك تقدم بجيشه ومعه أبو عبد الله محمد المتوكل على الله الى داخل بلاد المغرب واكتسح أطرافه . ولما علم السلطان عبد الملك بقدوم هذا الجيش العرمرم استنهض همة أهل المغرب لجهاد العدو وطاول الفرنج حيلة منه لكي يتوغلوا في داخلية البلاد فينقض عليهم . فلما وصل البرتقاليون الى وادي المخازن وجدوا جيش المسلمين على استعداد تام لقتالهم فالتقى الجمعان يوم الاثنين منسلخ جمادى الاولى سنة ٩٨٦ هـ الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٥٧٨ م فدارت بينهما حرب شديدة انتصر فيها المسلمون انتصارا مبيناً وكسروا البرتقاليين كسرة شنيعة وقتلوا ملكهم سباستيان ولم ينج منهم الا طويل العمر . ومن الغريب ان السلطان ابا مروان عبد الملك لم يعلم بنتيجة هذه الحرب لانه توفي عند الصدمة الاولى وكان مريضاً فكتم حاجبه مولاه رضوان خبر موته وصار يصدر الاوامر الى قواد الجيش عن لسانه حتى تم الظفر للمسلمين وقتل المتوكل في هذه الوقعة أيضاً

٦٩١ ـ ابو العباس احمد المنصور بن محمد الشيخ

من سنة ٩٨٦ — ١٠١٢ هـ او من سنة ١٥٧٨ — ١٦٠٣م

و بعد ان توفي السلطان ابومروان عبدالملك وكتم حاجبه خبر موته حتى تم النصر للمسلمين كما تقدم ذاع الخبر حينئذ و بايع اهل المغرب لاخيه ابي العباس احمد ولقب المنصور

وكان السلطان المنصور شجاعاً مقداماً حسن التدبير عظيم السياسة فساس الرعية بحكمة وفطنة لامزيد عليهما حتى عم العدل وساد الامن و بلغت دولة مراكش في ايامه الى اعلى درجات القوة والعظمة وهو اعظم سلاطين هذه الدولة السعدية لم يقم قبله منها ولا قام بعده من هو اعظم منه . وكان محباً للغزو والفتح فطمحت انظاره الى التغلب على بلاد تيكورارين وتوات من ارض الصحراء فبعث اليها جيشاً كثيفاً و بعد قتال شديد انتصر جيش المنصور واستولى على تلك النواحي سنة ٩٩٠ هـ فذاع صيت السلطان المنصور في اقطار السودان وارسل اليه سلطان برنو يهاديه و يدخل في بيعته فقبل المنصور منه ذلك . ثم سمت همة المنصور الى الاستيلاء على جميع بلاد السودان ولكنه تهيب من ذلك وصار يقدم رجلاً و يؤخر اخرى الى ان كانت سنة ٩٩٧ هـ فقوي عزمه واشتغل بتجهيز آلة الحرب وما يحتاج اليه الجيش من آلة السفر ومهماته و بعد ان تم له تجهيز ما اراد ارسل جيشاً كثيفاً بقيادة مولاه جوذر باشا فنهضوا من مراكش في يوم ١٦ ذي الحجة سنة ٩٩٨ هـ فمروا بتانسفيت ثم بدرعة ثم دخلوا القفر وساروا الى مدينة تنبكتو ثغر السودان فاراحوا بها اياماً ثم ساروا قاصدين كاغو وملكها اسحق سكية . ولما سمع اسحق سكية بقدومهم اليه احتشد امم السودان وقبائله و برز لقتال اهل المغرب والتقى الجمعان وتقاتلا وصبر اهل سودان امام نار المدافع صبراً لم يسمع بمثله حتى فني اغلبهم فلاذ الباقون بالفرار ودخل السلطان اسحق سكية كاغو وتحصن بها و تقدم جوذر باشا بعساكره وحاصره وضيق عليه فلما رأى اسحق سكية ماهو

فيه من الشدة راسل جوذر باشا في الصلح على ان يدفع له حالا مصاريف الحرب وجزية سنوية وكانت عساكر جوذر باشا قد تعبت من القتال بعد هذا السفر الطويل فقبل منه هذا الصلح وعاد الى تنبكتو ومن هناك كتب الى السلطان المنصور بالنصر وبما اتفق عليه من امر الصلح وانتظر الجواب . ولما بلغ المنصور خبر الصلح اشتد غيظه على جوذر باشا وبعث عسكراً آخر بقيادة محمود باشا أخي جوذر باشا وقلده القيادة العامة لعساكره وعزل جوذر باشا وأمره أن يستولي على كاغو ويقطع منها دابر آل سكية المستولين عليها . فخرج محمود باشا في من معه وقطع القفر في نصف المدة التي قطعه فيها جوذر باشا ووصل الى تنبكتو سنة ١٠٠٠هـ فاراح بها ثلثا واتحد مع عساكر جوذر باشا ثم تقدم بالجميع الى مدينة كاغو قاعدة ملك السلطان اسحق سكية . فجمع اسحق جيشاً اكثر من الاول وبرز للقاء محمود باشا ومن معه وبعد قتال شديد انهزم اسحق سكية وفر الى القفر فتقدم محمود باشا ودخل مدينة كاغو واستولى عليها باسم السلطان المنصور . وبعد ان استراح بها اياماً ترك اخاه جوذر باشا بمدينة كاغو وخرج هو يتتبع السلطان اسحق سكية فكانت له معه ثلاث وقائع انتصر محمود باشا في جميعها واستولى على اموال اسحق سكية وحرمه وفر الى القفر وهلك فيه . ثم عاد محمود باشا الى مدينة كاغو وكتب الى مولاه المنصور بالفتح . ولما بلغه هذا الفتح كان عنده ذلك اليوم عيداً من الاعياد اخرج فيه الصدقات واعتق العبيد واقام مهرجاناً عظيماً بظاهر الحضرة ونظم الشعراء قصائدهم ورفعوا امداحهم واجازهم بما تحدث به الناس دهراً طويلا ومما قيل في ذلك من الشعر ما انشده الكاتب ابو فارس الفشتالي

جيش الصباح على الدجا متدفق	فبياض ذا لسواد ذلك يمحق
وكأنه رايات عسكرك التي	طلعت على السودان بيضاً تخفق
نشرت لتطوي منه ليلا دامساً	اضحى بسيفك ذي الفقار يمزق
ارسلتهن جوانحاً وجوارحاً	في كل مخلبها غراب ينعق
سحقا لاسحق الشقي وحزبه	فلقد غدا بالسيف وهو مطوق

رام النجاة وكيف ذاك وخلفه　　من جيش جوذرك الغضنفر فيلق
جيش اواخره ببابك سيله　　عرم واوله بكاغو محدق

وهي طويلة :

ومن آثار المنصور قصر البديع الذي بناه في حضرة مراكش وصرف عليه اموالاً طائلة واستغرق بناؤه من سنة ٩٨٦ — ١٠٠٢ هـ حتى جاء قصراً يقصر اللسان عن وصفه ومما قيل فيه

كل قصر بعد البديع يذم　　فيه طاب المجني وطاب المشم
منظر رائق وماء نمير　　وثرى عاطر وقصر اشم
ان مراكشاً به قد تباهت　　مفخراً فهي لملا الدهر تسمو

وبقي المنصور كل مدة ملكه سلطاناً مطاعاً مهيباً لم ينازعه الامر احد الى ان كانت سنة ١٠٠٣ هـ فثار عليه الناصر ابن السلطان الغالب بالله وكان من خبره انه كان في ايام ابيه عاملاً له على تادلا ولما توفي ابوه وقام بالامر اخوه المتوكل قبض على الناصر فاعتقله فلم يزل معتقلاً عنده سائر ايامه الى ان قدم المعتصم بالله بجيش الترك وانتزع الملك من يد المتوكل كما مرّ فاطلق الناصر من اعتقاله واحسن اليه فلم يزل عنده في ارغد عيش الى ان توفي المعتصم يوم وادي المخازن وافضى الامر الى المنصور ففر الناصر الى آصيلا وهي للفرنج يومئذ ثم عبر البحر منها الى اسبانيا وبقي بها مدة طويلة الى ان سرحه ملك اسبانيا الى المغرب بقصد تفريق كلمة المسلمين واحداث الشقاق بينهم فخرج الناصر بمليلة ونزل بها في ٣ شعبان سنة ١٠٠٣ وتسامعت به الغوغاء والطغام من اهل تلك البلاد فاقبلوا اليه وتوفرت جيوشه واهتز المغرب بأسره لذلك . ثم خرج الناصر من مليلة قاصداً تازا فدخلها واستولى عليها ونزحت اليه القبائل المجاورة كالبرانس وغيرهم ولما بلغ المنصور خبره اهمه الامر جداً وخاف العاقبة وبعث اليه جيشاً وافراً فهزمهم الناصر واستفحل امره وتمكن ناموسه . فارسل المنصور اليه جيشاً كثيفاً بقيادة ابنه وولي عهده المأمون فخرج اليه في تعبية حسنة وهيئة تامة فلما التقى الجمعان انهزم الناصر وفر

من المعركة فتتبعه المأمون حتى قبض عليه واحتز رأسه وارسله الى ابيه المنصور بمراكش وذلك سنة ١٠٠٥ هـ ورجع المأمون الى فاس واستقر بها الى ان كان من ثورته على ابيه ما يأتي ذكره

كان محمد الشيخ ابن السلطان المنصور الملقب بالمأمون عاملاً لابيه على فاس ولكنه كان سيء السيرة مدمناً للخمر سفاكاً للدماء غير مكترث بامور الدين . فلما علم الناس منه هذا الفساد شكوا امره الى والده المنصور فارسل اليه ينصحه فلم ينتصح ويردعه فلم يرتدع . فلما رأى المنصور ما عليه ابنه من خلافه وعدم طاعته لاوامره عزم على الذهاب الى فاس ليؤدب ابنه بما يكون رادعاً له وعبرة لغيره فسمع المأمون بالخبر فعزم على اللحاق بتلمسان واستنجاد الترك على ابيه . فلما بلغ المنصور ما عزم عليه ابنه المأمون من الذهاب الى تلمسان تخلف عن الخروج من مراكش وكتب الى ابنه يلاطفه ويأمره ان لا يفعل وولاه سجلماسة ودرعة وتخلى له عن خراجهما فاظهر المأمون الامتثال وخرج يوم سجلماسة فلما انفصل عن فاس ندم ورجع اليها واجمع على الانتقاض . ولما علم المنصور بالخبر خرج في جيش كثيف الى فاس وسبق خبره وبغت المأمون على حين غفلة منه فلما رأى عساكر ابيه قد احاطت به لاذ بالفرار فارسل المأمون من يتعقبه فقبض عليه واتى به الى ابيه في خبر طويل فاعتقله بسجلماسة ودخل المنصور دار الملك من فاس الجديد وشكر الله على ما اولاه من الظفر والنصر من غير اراقة دماء وذلك سنة ١٠١١ هـ

وفي سنة ١٠١٢ هـ انتشر الوباء بالمغرب فتوفي به المنصور بفاس يوم الاثنين ١٦ ربيع سنة ١٠١٢ هـ ودفن بفاس ومما نقش على رخامة قبره هذه الابيات

هذا ضريح من غدت به المعالي تفتخر
احمد منصور اللوا لكل مجد مبتكر
يا رحمة الله اسرعي بكل نعمى تستمر
وباكري الرمس بما من رضاه منهمر

وطيبي ثراه من ... ندىً كذكره العطار

وافق تاريخ الوفا ... ة دون تفنيد ذكر

مقعد صدق داره ... عند مليك مقتدر

٦٩٢ — ابو المعالي زيدان بن احمد المنصور

سنة ١٠١٢ هـ أو سنة ١٦٠٣ م

لما توفي احمد المنصور تولى بعده ابنه ابو المعالي زيدان بفاس وكان اخوه ابو فارس بمراكش فاخذ البيعة على اهلها لنفسه . ولما علم زيدان بمبايعة اهل مراكش لاخيه ابي فارس خرج من فاس لقتالهم فاخرج ابو فارس اخاه المأمون من محبسه وامدّه بجيش كثيف لقتال زيدان بعد ان اخذ عليه المواثيق ان لا ينتقض عليه اذا تم له النصر فبرز المأمون وقاتل زيدان وانتصر عليه وهرب زيدان الى فاس فتعقبه المأمون اليها فهرب منها ولحق بتلمسان واقام بها الى ان كان من خبره ما نذكره ان شاء الله تعالى

٦٩٣ — ابو فارس بن احمد المنصور

من سنة ١٠١٢ — ١٠١٥ هـ او من سنة ١٦٠٣ — ١٦٠٦ م

واستقر ابو فارس بملك مراكش واستتب امره الا انه لم يهنأ بالملك لان اخاه محمداً الشيخ المأمون لما طرد ابا المعالي زيدان من فاس واستولى عليها طلب البيعة من اهلها لنفسه فاجابوه الى ما طلب و بعد ان استقر امره بها ارسل جيشاً بقيادة ابنه عبدالله لاستخلاص مراكش من اخيه ابي فارس . فسار عبدالله بن الشيخ لحرب عمه وبرز عمه ابو فارس للقائه وبعد قتال شديد انهزم ابو فارس ونهبت محلة وفر هو بنفسه الى مسفيوة ودخل عبدالله بن الشيخ مراكش في ٢٠

شعبان سنة ١٠١٥ هـ واخذ البيعة على اهلها لابيه . اما ابوفارس فبقي فارًا الى ان قتل سنة ١٠١٨ هـ

٦٩٤ — محمد الشيخ المامون بن احمد المنصور

من سنة ١٠١٥ — ١٠١٧ هـ او من سنة ١٦٠٦ — ١٦٠٩ م

فخاص المغرب للسلطان محمد الشيخ الملقب بالمأمون . وكان السلطان زيدان ابن احمد (فصل ٦٩٢) لما فر من فاس الى تلمسان كما مرّ اقام بها مدة واستمد ترك الجزائر فلم يصغوا له فلما يئس منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال ثم انتقل عنها الى درعة ومنها الى السوس . وكان عبدالله بن الشيخ لما استولى على مراكش من يد عمه ابي فارس واستولى عليها وخطب فيها لابيه اساء السيرة بما لا طاقة للناس باحتماله فلما اشتدت وطأته على المراكشيين بعثوا الى السلطان زيدان بمكانه من بلاد السوس وطلبوا اليه ان يقدم اليهم على ان ينصروه على امره فقدم اليهم واخرج عبدالله بن الشيخ من مراكش واستقر بها وذلك في اواخر سنة ١٠١٥ هـ

اما عبد الله بن الشيخ ففر ناجيا بنفسه الى ابيه بفاس فلما رأى السلطان محمد الشيخ ما حل بابنه قامت قيامته وجهز جيشاً كثيفاً وسيره بقيادة ابنه عبد الله المذكور لقتال السلطان زيدان فتقدم عبد الله بن الشيخ في عساكر ابيه الى مراكش فوصلها في شعبان سنة ١٠١٦ هـ وبرز السلطان زيدان لقتاله لكنه انهزم امامه وفر ناجياً بنفسه وظل يتنقل بالجبال الشاهقة الى ان كان من خبره ما سنذكره ان شاء الله تعالى . ودخل عبد الله بن الشيخ مراكش واستولى عليها واساء السيرة في اهلها اكثر من الاول حتى ضاق الامر على المراكشيين جداً . واخيرًا هربت شرذمة من اهل مراكش الى جبل جبليز واجتمع هنالك منهم عصابة واتفق رأيهم على ان يقدموا للخلافة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد

الشيخ (فصل ٦٨٧) وكان رجلاً خيرًا دينًا فبايعه اهل مراكش هنالك واتفقوا عليه فخرج عبد الله بن الشيخ لقتالهم والقبض على اميرهم المذكور ولما التقى الجمعان انهزم عبد الله وولى اصحابه الادبار فخرج من مراكش مهزومًا في ٦ شوال سنة ١٠١٦ ھ ودخل محمد بن عبد المؤمن مراكش واستولى عليها لكنه احسن الى من بقي فيها من اصحاب عبد الله بن الشيخ فأساء ذلك اهل مراكش وكاتبوا السلطان زيدان بالجبل سرًا فاتاهم وخيم بظاهر البلد فخرج محمد بن عبد المؤمن الى لقائه فانهزم ابن عبد المؤمن ودخل السلطان زيدان مراكش واستولى عليها. ولما بلغ السلطان محمد الشيخ صاحب فاس خبر استيلاء السلطان زيدان على مراكش ثانية ارسل اليه جيشًا كثيفًا بقيادة ابنه عبد الله بن الشيخ فبرز السلطان زيدان وقاتلهم وهزمهم واثخن فيهم وفر عبد الله ناجيًا بنفسه وسمع الشيخ بهزيمة ابنه فخاف العاقبة وخرج من فاس ولحق بالعرائش واحتل بالقصر الكبير ولحق به هنالك ابنه عبد الله منهزمًا امام السلطان زيدان . ثم بعث السلطان زيدان جيشًا بقيادة قائد عساكره مصطفى باشا لمنازلة فاس فسار اليها واستولى عليها في ذى القعدة سنة ١٠١٧ ھ

---

٦٩٥ ابو المعالي زيدان بن احمد المنصور (ثانية)

من سنة ١٠١٧ — ١٠٣٧ ھ او من سنة ١٦٠٩ - ١٦٢٧م

وتقدم السلطان زيدان ودخل مدينة فاس واقام بها الى فاتح سنة ١٠١٨ ھ ثم اتصل به خبر قيام بعض الثوار عليه بناحية مراكش فنهض اليها بعد ان استخلف على فاس قائد جيوشه مصطفى باشا ولما اتصل خبر نهوضه بعبد الله بن الشيخ زحف الى فاس في من انضم اليه فبرز اليه مصطفى باشا والتقى الجمعان ودارت بينهما رحى الحرب واجلت الوقعة عن مقتل مصطفى باشا وانهزام عساكره ودخل عبد الله بن الشيخ فاسًا وذلك في يوم ١٧ ربيع الثاني سنة ١٠١٨ ھ

ولما سمع السلطان زيدان وهو بمراكش بمقتل مصطفى باشا نهض الى فاس وجاء على طريق الجبل وكان الاسبانيون يومئذ قد نزلوا على العرائش وحاولوا الاستيلاء عليها وذلك باذن الشيخ كما سيأتي . وكان عبد الله بن الشيخ بفاس فسمع بنزول الاسبانيين على العرائش فتهيأ لجهادهم . و بينما هو قد نهض لذلك اذ أقبل السلطان زيدان من ناحية أدخسان وقد انزل بها محلته وتقدم الى جهة فاس وضرب بانقاضه فانهزم الناس عن عبد الله ودخل السلطان زيدان فاساً وامر عساكره بنهبها فلم يبقوا لاهلها شيئاً . ثم جمع عبدالله بن الشيخ جموعاً واعاد الكرة وقاتل السلطان زيدان وهزمه واخرجه عن فاس واستولى عليها . اما السلطان زيدان فلما اعياه أمر فاس أعرض عنه وصرف عنايته الى ضبط ما خلف وادي أم ربيع الى مراكش واعمالها وتوارث بنوه سلطته على ذلك النحو من بعده . و بقي عبد الله بن الشيخ بفاس الى أن توفي وقام بأمر فاس من بعده ثوارها وسيأتي على ما نذكره ان شاء الله تعالى . والآن نذكر خبر استيلاء الاسبانيين على العرائش فنقول . قد تقدم لنا ما كان من خبر السلطان محمد الشيخ المأمون وفراره الى العرائش فبعد ان أقام بها مدة ركب البحر الى اسبانيا مستنجداً بملكها فاشترط عليه فيليب الثالث ملك اسبانيا أن ينزل له عن ثغر العرائش فاجابه الشيخ الى ما طلب فسير معه عسكراً فاستولى على العرائش في ٤ رمضان سنة ١٠١٩ هـ وسلمها الى الاسبانيين كما شترط على نفسه ثم تقدم الى تطاوين واستولى عليها . ولم يزل السلطان الشيخ يجول في بلاد الفحص ويعسف اهلها الى ان ملته القلوب واتفق الناس على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته فقتلوه في ٥ رجب سنة ١٠٢٢ هـ

وفي سنة ١٠٢٠ هـ ثار على السلطان زيدان شخص يدعى ابا العباس احمد ويعرف بابي محلي وادعى انه من نسل العباس بن عبد المطلب فكثر جمعه وقوى امره وطمع في الملك فتقدم الى سجلماسة واستولى عليها . ثم استولى على درعة وتقدم الى مراكش فبرز السلطان زيدان لقتاله فانهزم امامه ودخل ابن ابي محلي مراكش

واستولى عليها سنة ١٠٢١هـ . اما السلطان زيدان فلحق ببلاد السوس واستنجد بكبيرها ابي زكريا يحيى بن عبد المنعم فانجده بجيش من اهل النجدة فتقدم بهم الى مراكش وقاتل ابن ابي محلي وقتله واستخلص منه مراكش سنة ١٠٢٢ هـ وفي المحرم فاتح سنة ١٠٣٧ هـ توفي السلطان زيدان

٦٩٦ — ابو مروان عبد الملك بن مروان

من سنة ١٠٣٧ — ١٠٤٠ هـ او من سنة ١٦٢٧ — ١٦٣١ م

ولما توفي السلطان زيدان بويع بعده ابنه عبد الملك ولما تمت له البيعة ثار عليه اخواه الوليد واحمد فوقعت بينه وبينهما معارك وحروب الى ان هزمهما واستولى على ما كان بيدهما وفر احمد الى بلاد الغرب فدخل حضرة فاس يوم الجمعة ٢٥ صفر سنة ١٠٣٩ هـ فاتسم بسمة السلطان وضرب سكته . وفي ٣ شوال من السنة عدا احمد المذكور على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة فقتله غدرًا بالقصبة . ولما كان ١١ ذي الحجة سنة ١٠٣٩ هـ اخذ احمد المذكور وسجن بفاس الجديد على يد قائدهم عابوو باها وبقي مسجونًا سبع سنين ثم خرج مستخفيًا بين نساء سنة ١٠٤٦ هـ واعان العامة بنصره ولم يتم امره ثم توفى قتيلاً في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٠٥١ هـ . وقد اتينا على ذكر اخبار احمد المذكور ملخصًا فيما مر وان تجاوزنا التاريخ وذلك لقلة اخباره وعدم تشتيت فكر القارئ الكريم

ولنعود الى ذكر السلطان عبد الملك فانه لما استقر امره بمراكش اساء السيرة في اهلها جدًا فانتهز أخوه الوليد الفرصة وأخذ يستميل رؤساء الدولة ووجوهها الى نفسه ويعدهم بالاحسان حتى وافقوه على الفتك باخيه فترصدوه حتى غفل البوابون ودخلوا عليه قبته وهو متكئ على طنفسته فرموه برصاصة وتناولوه بالخناجر وقامت الهيعة بالمشور والقصبة فخاف الوليد على نفسه من بعض قواد الجند فاخرج جنازة اخيه الى المشور حتى شاهده الناس ميتا فسكتوا وانقطع امامهم . وكان مقتل عبد الملك يوم الاحد ١٦ شعبان سنة ١٠٤٠ هـ

٦٩٧ — ابو يزيد الوليد بن زيدان

من سنة ١٠٤٠ — ١٠٤٥ هـ او من سنة ١٦٣١ — ١٦٣٦ م

لما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان في التاريخ المتقدم بويع اخوه الوليد ابن زيدان وكان الوليد ابن العريكة متظاهرًا بالديانة حتى رضيته الخاصة والعامة الا انه كان شديد الوطأة على الاشراف من اخوته وبني عمه حتى افنى اكثرهم وكان مع ذلك محبًا للعلم والعلماء مائلا اليهم بكليته متواضعًا لهم . ولم يزل امره مستقرًا بمراكش الى ان قتله بعض ممائيكه يوم الخميس ١٤ رمضان سنة ١٠٤٥هـ

٦٩٨ — ابو عبد الله محمد بن زيدان

من سنة ١٠٤٥ — ١٠٦٤ هـ او من سنة ١٦٣٦ —١٦٥٣ م

لما قتل السلطان الوليد كما تقدم اختلف الناس في من يولونه عليهم ثم اجمع رأيهم على مبايعة اخيه محمد الشيخ فاخرجوه من السجن وكان اخوه الوليد قد سجنه اذ كان يتخوف منه الخروج عليه فبويع بمراكش يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ١٠٤٥ هـ . فسلر في الناس سيرة حميدة وكان متواضعاً في نفسه صفوحاً عن الهفوات محباً للسلم غير ميال لسفك الدماء الا انه كان منكوس الراية مهزوم الجيش وبسبب ذلك لم يصف له مما كان بيد ابيه واخوته الا مراكش وبعض اعمالها وقد ثار عليه رجل من هشتوكة خارج باب الخميس من مراكش وقاسى في محاربته تعبًا شديدًا ولم يزل يناوشه القتال الى ان كانت له عليه الكرة ففرق جمعه

ثم خرجت عليه ايضاً قبيلة الشياظمة فقصدهم والتقى بجموعهم عند جبل الحديد فانهزم هزيمة شنعاء . وفي ايام السلطان محمد الشيخ ابن زيدان قويت شوكة اهل الدلاء وزحف كبيرهم محمد الحاج الدلائي بعساكر البربر الى مكناسة فاستولى

عليها ثم تقدم الى فاس فاعترضه ابو عبدالله العياشي المستولي عليها في ذلك الوقت بجموع اهل المغرب ووقعت الحرب بينهما فانهزم العياشي وسار محمد الحاج لحصار فاس فرجع العياشي واعاد حرباً ثانية فانهزم محمد الحاج وعاد الى بلاده وذلك سنة ١٠٥٠ هـ. وفي سنة ١٠٥١ هـ توفي العياشي صاحب فاس فطمع محمد الدلائي في الاستيلاء عليها وتقدم اليها في جموعه وحاصرها ستة اشهر حتى ضاق الامر باهلها وغلت الاسعار فطلبوا الامان فامنهم واستولى على فاس واستفحل امره وكان بينه و بين السلطان محمد الشيخ وقعة ابي عقبة فانهزم فيها السلطان وعجز عن مقاومة اهل الدلاء

وفي سنة ١٠٦٤ توفي السلطان محمد الشيخ ابن زيدان وتولى بعده ابنه

٦٩٩ — ابو العباس احمد بن محمد الشيخ

من سنة ١٠٦٤ — ١٠٦٩ هـ او من سنة ١٦٥٣ — ١٦٥٨ م

فقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده الا ان حي الشبانات وهم اخواله قويت شوكتهم في ايامه وغلظ امرهم عليه ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به فضايقوه وحاصروه بمراكش اشهراً . ولما رأت امه ان الامر لا يزيد الا شدة كلمته في ان يذهب الى اخواله و يأخذ بقلوبهم و يزيل ما في نفوسهم عليه . فذهب اليهم فلما تمكنوا منه قتلوه في سنة ١٠٦٩ هـ وهو آخر من ملك من هذه الدولة وبموته انقرضت الدولة السعدية وسبحان من لا يزول ملكه ولا يبيد سلطانه لا اله الا هو هو العزيز الحكيم

و بما ان دولة الشبانات التي استولت على مراكش بعد انقراض الدولة السعدية لم تطل مدتها رأيت ان اذكرها هنا اتماماً للفائدة

لما قتل ابو العباس احمد بن محمد الشيخ في التاريخ المتقدم تقدم كبير حي الشبانات وهو الرئيس عبد الكريم فدخل مراكش ودعا الناس الى بيعته فبايعوه بها

وانتظمت له مملكة مراكش ونواحيها · وفي ايامه في سنة ١٠٧٠ هـ حدث قحط مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى اكلوا الجيف ولم يزل مستقيم الرأي بمراكش الى ان توفي بها سنة ١٠٧٩ هـ · ولما توفي بايع الناس ولده ابا بكر بن عبد الكريم فبقي الى ان قدم المولى الرشيد بن الشريف وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم · ثم تتبع الشبانات فافناهم قتلاً واخرج عبد الكريم من قبره فاحرقه بالنار وانقرضت دولة الشبانات والبقاء لله وحده

٧٠٠ — دولة الاشراف العلوية الفيلالية بمراكش

(تمهيد) تدعى هذه الدولة بدولة الاشراف لاتصال نسبهم بالبيت النبوي الشريف و بالعلوية نسبة الى الامام علي بن ابي طالب و بالفيلالية لقيامها بتافيلالت · وأول من ملك من هذه الدولة المولى محمد بن محمد الشريف بن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل ابن القاسم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن عبدالله بن ابي محمد بن عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن حسن بن احمد بن اسماعيل بن القاسم بن محمد بن عبدالله الاشتر ابن محمد النفس الذكية ابن عبدالله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن ابي طالب · واول من دخل منهم بلاد المغرب الحسن الداخل ابن القاسم بن محمد بن القاسم الى آخر النسب · وكان دخوله في اواخر المائة السابعة فاقام بسجلماسة واعاقب بها نسله الى ان فشلت ريح السعديين وانحصر ملكهم في مقاطعة مراكش و بقي باقي المغرب تحت رحمة الثوار يتغلب عليه كل من حدثته نفسه بالسيادة وساعده الوقت · وفي ايام السلطان زيدان بن المنصور السعدي ظهر شخص يقال له ابو حسون السملالي واستولى على القطر السوسي اولاً ثم تناول درعة · وكان محمد الشريف بن علي بسجلماسة · وكان له اعداء يقال لهم بنو الزبير اهل حصن تابوعصامت فضايقوه وهو لم يقدر على دفعهم فاستدعى ابا

حسون السملالي صاحب السوس ودرعة ونزل له عن سجلماسة على ان يدفع عنه اعداءه وكان ذلك سنة ١٠٤١ هـ فاستولى ابو حسون السملالي على سجلماسة وصارت بينه و بين المولى محمد الشريف بن علي صداقة متينة فاغتاظ بنو الزبير اهل حصن تابو عصامت وسعوا جهدهم في الوشاية لدى السملالي حتى وقعت بينه و بين الشريف عداوة عظيمة . وكان للشريف ابن يدعى محمدًا فهذا لما رأى سعي اهل الحصن بالفساد على ابيه جمع جمعاً ممن وافقوه وهجم على الحصن المذكور على حين غفلة من اهله واثخن فيهم و بالغ في النكاية حتى شفى صدر ابيه مما كان يجده عليهم . ولما بلغ الخبر لابي حسون السملالي اغتاظ جدًّا وارسل لعامله على سجلماسة ان يحتال في القبض على الشريف . فامتثل امره وتقبض على المولى الشريف و بعث به الى السوس فاعتقله ابو حسون في قلعته هنالك مدة الى ان افتكه ولده المولى محمد بمال جزيل وعاد المولى الشريف الى سجلماسة في خبر طويل وكان ذلك في حدود سنة ١٠٤٧ هـ

٧٠١ – المولى محمد بن الشريف

من سنة ١٠٥٠ — ١٠٧٥ هـ او من سنة ١٦٤٠ — ١٦٦٤ م

لما قبض ابو حسون على المولى الشريف وسجنه عنده كان ولده المولى محمد مجمعاً على اهلاك من بقي من اهل حصن تابو عصامت واستئصال شأفتهم وكان قد تقوى عضده ببعض الشيء مما اخذه من اموالهم في الوقعة السالفة فاتخذ بعد تغريب ابيه الى السوس جيشاً لا بأس به . وانضم اليه جمع من اهل سجلماسة واعمالها . وكان اصحاب ابي حسون السملالي قد اساؤا السيرة بسجلماسة ونصبوا حبالة الطمع في الناس حتى ملئتهم القلوب . فلما قام المولى محمد واجتمع اليه من ذكرنا دعاهم الى الايقاع باهل السوس فاجابوه واعصوصبوا عليه وصرفوا عزمهم الى محو دعوة ابي حسون من بلادهم فثاروا بعماله للحين واخرجوهم عنها صاغرين بعد قتال شديد

ثم اجمع رأيهم على بيعة المولى محمد فبايعوه سنة ١٠٥٠ هـ في حياة ابيه فاستتب امره واستحكمت بيعته

ثم شمر المولى محمد بن الشريف لمضايقة ابي حسون السملالي واهل السوس ببلاد درعة فنهض في جمع كثيف ووقعت بينهما حروب شديدة اجلت عن انتصار المولى محمد وانهزام ابي حسون وفراره الى مسقط رأسه من ارض السوس فاستولى المولى محمد على درعة واعمالها وعظم صيته . ثم سمت همة المولى محمد بالاستيلاء على المغرب . وكان الرئيس ابو عبدالله محمد الحاج الدلائي يومئذ مستوليًا على فاس ومكناسة واعمالها وكان اشد قوة من الشريف واكثر جمعًا فحصلت بين الفريقين وقائع مشهورة اجلت عن انهزام الشريف واستيلاء الدلائي على سجلماسة سنة ١٠٥٦ هـ ثم انعقد الصلح بينهما على ان ما حاذى الصحراء الى جبل بني عياش فهو للمولى محمد بن الشريف وما دون ذلك الى ناحية الغرب فهو لاهل الدلاء واستمر الحال على ذلك الى سنة ١٠٥٩ هـ . وفيها وقع الخلاف بين اهل فاس والدلائي صاحبها فراسل اهل فاس المولى محمد بن الشريف ليقدم عليهم على ان ينصروه ويدخلوا في دعوته فاسرع المولى محمد اليهم ودخل فاسًا في غيبة الدلائي . فلما سمع الدلائي بما تم جمع جيشًا كثيفًا وتقدم نحو فاس واخرج محمد بن الشريف منها واستولى عليها فلحق المولى محمد بسجلماسة واستقر بها

ولما يئس المولى محمد بن الشريف من فاس والمغرب صرف عزمه لتمهيد عمائر الصحراء و بلاد الشرق فاستولى على وجدة وشن الغارات على بلاد المغرب الاوسط حتى امتلأت ايدي اصحابه من الغنائم ثم انكفأ راجعًا الى تافيلات واستقر بسجلماسة قاعدتها

وفي سنة ١٠٦٩ هـ توفي المولى الشريف بن علي والد المولى محمد بن الشريف فتجددت البيعة للمولى محمد ولكن فارقه اخوه المولى الرشيد فخرج الى الجبال وبقي متنقلاً في احيائها الى ان كان من امره ما نذكره

لما فر المولى الرشيد من اخيه بقي متنقلاً الى ان انتهى به المطاف الى قصبة اليهودي ابن مشعل وكان لهذا اليهودي اموال طائلة وذخائر نفيسة فلم يزل المولى الرشيد يفكر في كيفية اغتيال هذا اليهودي حتى تمكن منه في خبر طويل فقتله واستولى على امواله وذخائره وفرقها فيمن تبعه وانضاف اليه فقوي عضده وكثر جمعه ثم نزل وجدة واستولى عليها . واتصل الخبر باخيه المولى محمد الشريف فتخوف منه لما يعلم من صرامته وشهامته فنهض لقتاله والقبض عليه والتقى الجمعان ببسيط آنكاد فكانت اول رصاصة في نحر المولى محمد بن الشريف فكان فيها حتفه وذلك يوم الجمعة ٩ محرم سنة ١٠٧٥ هـ . وكان المولى محمد شجاعاً مقداماً لا يبالي بالمظائم ولا يخطر بباله خوف الرجال ولا يدري ما هي النكبات والاوجال

٧٠٣ — المولى الرشيد بن الشريف

من سنة ١٠٧٥ — ١٠٨٢ هـ او من سنة ١٦٦٤ — ١٦٧٢ م

ولما قتل المولى محمد بن الشريف انضمت جموعه الى اخيه المولى الرشيد ابن الشريف وبايعوه . وتقدم الرشيد الى تازا وافتتحها بعد قتال شديد ثم قصد سجلماسة واستولى عليها . وبعد ان استولى على جميع اطراف المغرب قصد فاساً سنة ١٠٧٦ هـ وبعد ان حاصرها حصاراً شديداً اقتحمها في ٣ ذي الحجة من السنة وتتبع الدلائيين وافنام وفر من بقي منهم . ثم قصد زاوية الدلائي واستولى عليها بعد حرب شديدة وازال شوكة الدلائيين من المغرب . ثم قصد مراكش في ٢٢ صفر سنة ١٠٧٩ هـ فاستولى عليها وقتل رئيسها ابا بكر الشباني وجماعة من اهل بيته وخلصت له الاقطار المغربية

واستقر المولى الرشيد بن الشريف بمراكش الى ان كان عيد الاضحى من سنة ١٠٨٢ هـ فلما كان ثاني يوم النحر وهو يوم الخميس ركب فرساً له واجراه فجمح في بستان المسرة ولم يملك عنانه فاصابه فرع شجرة نارنج فهشم رأسه ومات لوقته

٧٠٣ - المظفر بالله ابو النصر المولى اسماعيل بن الشريف

من سنة ١٠٨٢ - ١١٣٩ هـ او من سنة ١٦٧٢ - ١٧٢٧ م

لما توفي المولى الرشيد بن الشريف كان اخوه المولى اسماعيل بن الشريف بمكناسة الزيتون عاملا على بلاد المغرب فبلغه خبر موته فاجتمع الناس عليه و بايعوه واتفقت كلمتهم عليه . ثم قدم عليه اعيان فاس واعلامها واشرافها ببيعتهم وقدم عليه اهل المغرب كذلك الا مراكش واعمالها فانه لم يات منها احد لانهم كانوا قد بايعوا بعد وفاة الرشيد لابي العباس احمد بن محرز بن الشريف . فلما تحقق المولى اسماعيل خبر بيعة ابي العباس بن محرز بمراكش نهض اليها في اواخر ذي الحجة سنة ١٠٨٢ هـ فبرز اليه اهلها فيمن انضم اليهم وقاتلوه فانتصر عليهم وهزمهم ودخل مراكش عنوة يوم الجمعة ٧ صفر سنة ١٠٨٣ هـ ونجا ابن محرز فارا بنفسه . ثم قفل السلطان الى مكناسة منسلخ ربيع اول من السنة . ولم يستقر بها طويلاً حتى بلغه خبر انتقاض اهل فاس عليه ومبايعتهم لابي العباس احمد بن محرز المتقدم ذكره فنهض اليهم في جموعه وحاصر فاساً مدة واطال عليها الحصار حتى طلب اهلها الامان والنزول على حكمه فاجابهم الى ما طلبوا وعفا عنهم وذلك في ١٧ رجب سنة ١٠٨٤ هـ . ثم عاد المولى اسماعيل الى مكناسة لانه كان لا يبغي بها بدلاً و بنى فيها قصوره واتخذها داراً لملكه . وفي سنة ١٠٨٥ هـ ورد الخبر على المولى اسماعيل وهو بمكناسة بدخول ابن اخيه المولى احمد بن محرز مراكش واستيلائه عليها فنهض في عساكره اليها وحاصرها طويلاً وتمادى الحصار الى ثاني ربيع الثاني سنة ١٠٨٨ هـ فاشتد الامر على ابن محرز وضاق ذرعاً فخرج فاراً عن مراكش ناجياً فيمن ابقته الحرب من جموعه ودخل السلطان المولى اسماعيل المدينة عنوة فاستباحها و بعد ان امتلأت أيدي جنوده من الغنائم امر بكف النهب ونادى في الناس بالامان فهدأت الاحوال و بقي فيها مدة يرتب احوالها ثم عاد الى مكناسة كرسي مملكته . وفي سنة ١٠٨٩ هـ ثار على السلطان المولى اسماعيل اخوته

الثلاثة المولى الحران والمولى هاشم والمولى احمد بنو الشريف بن علي مع ثلاثة اخرين من بني عمهم والتفت عليهم قبائل البربر فنهض السلطان بالعساكر وهزم الثائرين عليه وشتت شملهم وفر اخوته الثلاثة الى الصحراء . وفي سنة ١٠٩٢ هـ افتتح المولى اسماعيل المعمورة (المهدية) واستخلصها من يد الاسبانيين المستولين عليها وفي سنة ١٠٩٥ هـ افتتح ثغر طنجة واخرج منه الانكليز المستولين عليه

وفي سنة ١٠٩٦ هـ بلغ السلطان المولى اسماعيل وهو بمكناسة ان اخاه المولى الحران وابن اخيه المولى احمد بن محرز قد دخلا قصبة تارودانت واستحوذا على تلك الجهات فنهض اليهما ووالى السير حتى اناخ على تارودانت وحاصرهما بها فقتل ابن محرز في اثناء الحصار واستمر المولى الحران محصوراً والحرب قائمة على قدم وساق واستمر الحال الى جمادى الاولى سنة ١٠٩٨ هـ فاقتحم السلطان تارودانت عنوة بالسيف واستباحها واستولى عليها وفر المولى الحران الى حيث امن على نفسه . وفي سنة ١٠٩٩ هـ قفل السلطان الى دار ملكه

وفي سنة ١١٠٠ هـ ارسل السلطان المولى اسماعيل جيشاً بقيادة ابي العباس احمد بن حدو البطوئي لحصار العرائش وكانت بيد الاسبانيين مذ نزل لهم عنها السلطان محمد الشيخ السعدي كما تقدم . فنزل القائد ابو العباس بجيشه عليها وحاصرها خمسة اشهر وافتتحها عنوة وطرد منها الاسبانيين . ولما فتح ابو العباس المذكور العرائش عمد الى مدينة آصيلا فنزل عليها بجيشه وحاصر الفرنج الذين بها سنة كاملة حتى جهدهم الحصار وطلبوا الامان فامنهم على ان يخلوا المدينة في مدة محدودة فاخلوها ودخلها المسلمون وذلك سنة ١١٠٢ هـ . ثم سار هذا الجيش المظفر الي سبتة و بعد حصار وقتال شديدين لم يتمكنوا منها بطائل فعادوا عنها

وفي هذه المدة كان السلطان المولى اسماعيل مشتغلاً بقتال البربر حتى انزلهم على حكمه و بنى الحصون العديدة في بلادهم فاتسعت مملكته واشتدت شوكته

وفي سنة ١١١١ هـ فرق السلطان المولى اسماعيل اعمال المغرب على اولاده فعقد لابنه المولى احمد على تادلا ولابنه المولى عبد الملك على درعة ولابنه المولى

محمد المدعو بالعالم على اقليم السوس ولابنه المأمون الكبير على سجلماسة ولابنه المولى زيدان على بلاد المشرق فكان هذا التقسيم داعياً لزيادة مطامع هؤلاء الابناء . ولم يقتصر الحال بينهم على منازعة بعضهم بعضا بل ثار في سنة ١١١٤ ه المولى محمد المدعو بالعالم ببلاد السوس ودعا لنفسه وزحف الى مراكش لحاصرها في رمضان من السنة المذكورة وفي العشرين من شوال اقتحمها عنوة بالسيف فقتل ونهب . ولما اتصل خبره بالسلطان بعث ولده المولى زيدان في العساكر لقتاله فقدم مراكش وكان المولى محمد العالم قد خرج عنها وعاد الي تارودانت فتبعه اخوه زيدان ودامت الحرب بينهما الى ٢١ صفر سنة ١١١٦ ه فاقتحم المولى زيدان تارودانت عنوة وقبض على اخيه المولى محمد العالم وبعثه الى والده السلطان المولى اسماعيل فأمر به فقتل

وفي سنة ١١١٣ ه ثار على السلطان ابنه المولى ابو النصر ببلاد السوس واستمر عاصيا مدة حتى هزمته عساكر ابيه وقتلته . ولما رأى السلطان المولى اسماعيل المتاعب التي جرها عليه تقسيم المملكة على ابنائه عزلهم عن الاعمال التي بايديهم سنة ١١٣٠ ه ولم يترك الا ولي العهد المولى احمد بتادلا فاستقامت الامور وسكنت الرعية وهدأت البلاد واشتغل السلطان ببناء قصوره وغرس بساتينه . وساد الامن وعم العدل مع الرخاء المفرط فلا قيمة للقمح ولا للماشية والعمال تجبي الاموال والرعايا تدفع بلا كلفة واستمر الحال على ذلك الى ان توفي السلطان المولى اسماعيل يوم السبت ٢٨ رجب سنة ١١٣٩ ه وهو من اشهر سلاطين هذه الدولة استجمع لحكمه المغرب والسودان . وكانت مدة ملكه ٥٧ سنة

٧٠٤ – المولى ابو العباس احمد الذهبي بن اسماعيل

من سنة ١١٣٩ – ١١٤٠ ه او من سنة ١٧٢٧ – ١٧٢٨ م

ولما توفي السلطان المولى اسماعيل تولى بعده ابنه المولى ابو العباس المعروف

بالذهبي لقب كذلك لبسط يده بالعطاء وكان للعبيد سطوة في دولته وكان يستشيرهم في اغلب امور المملكة فنال الناس من جورهم ما لا يوصف

وفي سنة ١١٤٠ هـ ثار اهل فاس على ه ل ابي العباس لظلمهم وعسفهم واتفقوا على مبايعة المولى عبد الملك بن اسماعيل فبايعوه ونقضوا بيعة ابي العباس ولما رأى اهل مكناسة مبايعة اهل فاس لعبد الملك ثاروا بالمولى ابي العباس وقبضوا عليه واعتقلوه وذلك في شعبان سنة ١١٤٠ هـ

٧٠٥ - المولى ابو مروان عبد الملك بن اسماعيل

سنة ١١٤٠ هـ او سنة ١٧٢٨ م

ولما خلع السلطان المولى احمد وسجن كما مر تقدم اخوه المولى ابو مروان عبد الملك الى مكناسة ودخلها واستولى عليها و بعث باخيه المولى احمد الى سجلماسة ليسجن بها . ثم طالبه الجند باعطياتهم كعادتهم عند تولية كل سلطان فدفع لهم شيئاً يسيرًا بالنسبة لما اعتادوا على اخذه ايام ابيه واخيه فأسقط في يدهم وتحققوا انهم غلطوا بخلع المولى احمد الذهبي فاتفقوا فيما بينهم على خلع السلطان المولى عبد الملك وارجاع اخيه المولى احمد الى السلطنة وعلم السلطان المولى عبد الملك بمؤامرتهم هذه ففر الى فاس واستولى الجند على مكناسة وراسلوا المولى احمد بسجلماسة في القدوم عليهم وكان ذلك في ذي الحجة سنة ١١٤٠ هـ

٧٠٦ - المولى ابو العباس الذهبي بن اسماعيل (ثانية)

من سنة ١١٤٠ - ١١٤١ هـ او من سنة ١٧٢٨ - ١٧٢٩ م

فاسرع المولى ابو العباس احمد باجابة طلب جند مكناسة واغذا السير اليهم ودخل مكناسة واستولى عليها وأخذ البيعة على اهلها ثانيةً ثم اتاه وفود اهل المغرب

مهنئين ومعظمين بيعتهم الا اهل فاس لان المولى عبد الملك كان قد استولى عليها و بايع اهلها له فارسل اليهم السلطان يأمرهم ان يسلموا اليه اخاه ويدخلوا فيما دخل فيه الناس فلم يجيبوا الى ما طلب وجاهروا بخلافه فنهض السلطان المولى احمد فاتح محرم سنة ١١٤١ ھ في عساكره وزحف الى فاس وحاصرها ونصب عليها المدافع واصلاها نارًا حامية حتى عمها الخراب وتهدم الكثير من دورها ومع ذلك استمر الحصار نحو خمسة اشهر حتي ضاق الامر باهل فاس وقلت بها الاقوات وغلت الاسعار فاذعنوا للطاعة وصالحوا السلطان المولى احمد على اسلام اخيه اليه وتمكينه منه فدخل السلطان فاساً ظافرا وقبض على اخيه واعتقله . وبعد ان هدأت الاحوال بفاس قفل السلطان الى مكناسة وعند حلوله بها مرض مرض الموت . ولما احس من نفسه بالموت امر بخنق اخيه المولى عبد الملك فخنق ليلة الثلاثاء اول شعبان سنة ١١٤١ ھ ثم توفي السلطان احمد يوم السبت ٤ شعبان المذكور

٧٠٧ — المولى عبد الله بن اسماعيل (اولا)

من سنة ١١٤١ — ١١٤٧ ھ او من سنة ١٧٢٩ — ١٧٣٤ م

لما توفي السلطان المولى احمد بن اسماعيل بويع بعده اخوه المولى عبدالله بن اسماعيل ولم يتخلف عن بيعته احد من اهل المغرب لكنه استعمل الظلم والعسف وارهف الحد في القتل والسلب والنهب حتى ثار عليه اهل فاس وجاهروا بخلافه وتهيأوا لقتاله فزحف اليهم بعساكره في شوال سنة ١١٤١ ھ فحاصر فاساً وضيق عليها ودافع الفاسيون عنها دفاعاً محمودًا حتى كانوا لا يستريحون بالنهار ولا ينامون بالليل واستمر الحال كذلك الى ان دخلت سنة ١١٤٢ ھ فازداد الامر شدة وارتفعت الاسعار وانعدمت الاقوات وكثر الهرج فطلبوا من السلطان الصلح على أن يؤمنهم على انفسهم وعيالهم واموالهم فاجابهم الى ذلك ودخل السلطان فاساً وبعد ان

استراح بها اياماً استخلف عليها احد اخصائه وانكفأ راجعاً الى مكناسة ٠ولم يزل السلطان المولى عبدالله متبعاً خطة العسف والظلم والايقاع بالكبير والصغير حتى سئمت نفوس الرعية منه واتفقوا فيما بينهم على خلعه وقتله واتصل الخبر بالسلطان ففر ليلاً من مكناسة الى بلاد السوس فنزل بوادي نول على اخواله المغافرة فاقام هنالك الى ان كان من خبره ما ستراه قريباً ان شاء الله تعالى. وكان ذلك سنة ١١٤٧ هـ

٧٠٨ – المولى ابو الحسن علي بن اسماعيل

من سنة ١١٤٧ – ١١٤٩ هـ او من سنة ١٧٣٤ – ١٧٣٧ م

لما فر السلطان المولى عبدالله بن اسماعيل من مكناسة الى وادي نول اجتمع ارباب الدولة واتفقوا على بيعة المولى ابي الحسن علي بن اسماعيل المعروف بالاعرج وكان يومئذ بسجلماسة فكتبوا اليه بذلك فاسرع بالمجيء اليهم ومر بفاس فدخلها وبايعه اهلها بعد ان وعدهم بازالة المكوس التي جددها سلفه ثم نهض الى مكناسة ولما قدمها بايعه بها الجند البيعة العامة

وفي سنة ١١٤٨ هـ نهض السلطان المولى ابو الحسن بن اسماعيل لغزو البربر اهل جبل فازاز في جيش كثيف من العبيد وبعد قتال شديد انهزم العبيد اصحاب السلطان ورجع هو مفلولاً الى مكناسة ٠ وفي سنة ١١٤٩ هـ في شهر ذي الحجة ورد الخبر بان السلطان المولى عبدالله قد اقبل من وادي نول الى تادلا فاهتز العبيد له وتحدثت فرقة منهم برده الى الملك وخالفهم آخرون ثم قويت شيعة المولى عبدالله وكثروا واعلنوا بيعته ٠ ولما سمع السلطان المولى ابو الحسن علي بذلك فر من مكناسة وبقي تائهاً الى ان قبض عليه العبيد وبعثوا به الى اخيه السلطان المولى عبدالله فسرحه الى تافيلالات فاستقر بها الى ان توفي

٧٠٩ – المولى عبد الله بن اسماعيل (ثانية)

من سنة ١١٤٩ – ١١٥٠ هـ أو من سنة ١٧٣٧ – ١٧٣٧ م

لما فر المولى ابو الحسن علي من مكناسة اجتمعت كلمة العبيد وارباب الدولة على بيعة السلطان المولى عبدالله فبايعوه وهو بتادلا وراسلوه في القدوم فاقبل اليهم مسرعاً وخرج للقائه اهل فاس وفيهم الاشراف والعلماء وكذلك اهل مكناسة فوافوه بقصبة ابي فكران ولما مثلوا بين يديه عاتبهم وعدد ما سلف منهم ثم امر باعيانهم فقتلوا وفعل مثل ذلك باعيان مكناسة واستباحهم ورجع اهل فاس وعلماؤها مذعورين مما نابهم . واستمر السلطان مقيماً بقصبة ابي فكران ولم يتقدم الى فاس لعدم ثقته بهم

ولما رأى اهل فاس ما نزل بهم اجتمعوا وتحالفوا على خلع السلطان المولى عبدالله وبيعة اخيه المولى محمد بن اسماعيل المعروف بابن عربية فبايعوه في ١٠ جمادي الاولى سنة ١١٥٠ هـ ثم كتب اهل فاس الى عبيد الديوان يعرفونهم ما صنعوا ويطلبون منهم موافقتهم فاجابوهم الى ذلك وبايعوا السلطان المولى محمد بن عربية وتم امره . ولما رأى السلطان المولى عبدالله امر اخيه قد تم فر الى جبال البربر وأقام هنالك

٧١٠ – المولى محمد بن اسماعيل المعروف بابن عربية

من سنة ١١٥٠ – ١١٥١ هـ او من سنة ١٧٣٧ – ١٧٣٨ م

ثم نهض المولى محمد الى مكناسة فاحتل بها وبايعه العبيد البيعة العامة . ثم طالبه العبيد باعطياتهم ففرق فيهم ما كان معه فلم يقنعهم ذلك واستزادوه فاطلق النهب في اموال المسلمين واخذ في استخراج الحبوب والاقوات من دور اهل مكناسة غصباً فكثر الهرج وعمت الفتنة وفر الناس من مدينتهم وعم النهب في

خارجها وانقطعت السبل ووقع الناس في حيص بيص ثم ان السلطان المولى عبدالله الذي كان مقيما عند البربر قدم ذات ليلة في جماعة من اصحابه حتى دخل الاصطبل من مكناسة وقتل من وجد به من العبيد وحرق اخصاصهم ورجع عوده على بدئه . ولما شعر به السلطان المولى محمد بن عربية ركب في خيله ورجله وقصد السلطان المولى عبدالله وهو بالموضع المعروف بالحاجب فلما رأى المولى عبدالله مالا قبل له به فر بنفسه وتبعه العبيد الى وادي ملوية فلم يقفوا له على اثر ولما قفلوا راجعين اعترضهم البربر وقاتلوهم وهزموهم واستلبوا ما معهم من الاثقال فرجعوا بخفي حنين . ودخل السلطان المولى محمد بن عربية مكناسة وزاد ظلمه وطغيانه فيها وفي جميع المغرب الاقصى حتى خلت الديار من ساكنيها واشتد الأمر على اهل المغرب واستمر الحال كذلك الى ان دخلت سنة ١١٥١ ﻫ وفي ٢٤ صفر منها ثار العبيد على السلطان المولى محمد بن عربية وخلعوه وقبضوا عليه واعتقلوه بوادي ويسلن ووكلوا به من يحرسه

٧١١ ــ المولى المستضيء بن اسماعيل

من سنة ١١٥١ – ١١٥٢ ﻫ او من سنة ١٧٣٨ ــ ١٧٤٠م

ثم اعلنوا بيعة اخيه المولى المستضيء بن اسماعيل وارسلوا يستدعونه فاقبل اليهم مسرعا وتم امره الا انه لم يكن اقل من اخيه في الظلم والعسف والاستبداد ان لم يكن اكثر منه فلم تطل مدة حكمه هذه المرة اذ شغب عليه العبيد في منتصف ذي القعدة سنة ١١٥٢ ﻫ وتآمروا في عزله ومراجعة طاعة اخيه المولى عبدالله فلما علم السلطان بمؤامرتهم فر الى مراكش واقام بها الى ان كان من خبره ما سيأتي ذكره ان شاء الله

٧١٢ — المولى عبد الله بن اسماعيل (ثالثة)

من سنة ١١٥٢ — ١١٥٤ ﻫ او من سنة ١٧٤٠ — ١٧٤١ م

وكان المولى عبدالله مقيماً عند البربر كما تقدم فلما اتفق العبيد على البيعة له راسلوه في المعنى فقدم الى مكناسة في اوائل سنة ١١٥٣ ﻫ وغب حلوله بها قبض على قاضيها وبعض اشرافها وخلع عمائمهم وفضحهم وحبسهم . والغريب في هذا السلطان انه لم يتعلم مما مضى كيف ينبغي ان يسالم رعاياه لكنه ارهف حده في الاستبداد حتى سئمته رعاياه ولم يكن احد يود استمراره في الملك الا العبيد لانهم انتهزوا الفرصة في مدته وملاوا ايديهم من اموال المسلمين ومع ذلك فهؤلاء ايضاً شغبوا عليه في شهر ربيع الاول سنة ١١٥٤ ﻫ وهموا بخلعه والايقاع به فشعر السلطان منهم هذا الميل ففر ناجياً بنفسه الى البربر

٧١٣ — المولى زين العابدين بن اسماعيل

سنة ١١٥٤ ﻫ او سنة ١٧٤١ م

واتفق العبيد على البيعة لاخيه المولى زين العابدين وكان مقيما بطنجة فراسلوه في المعنى فاسرع في القدوم اليهم ودخل مكناسة وتم امره بها . وكان فيه اناة وحلم ولم يظهر منه عسف ولا امتدت يده الى مال احد الا انه انقذات يده نقص العبيد من راتبهم فكان ذلك سبب انحرافهم عنه

ولما استقر المولى زين العابدين بحضرة مكناسة وتم امره بها اقام نحو الشهرين ثم تهيأ لغزو اهل فاس لانهم تخلفوا عن بيعته فنهض اليهم في جيش العبيد منتصف جمادى الاولى سنة ١١٥٤ ﻫ وقبل ان يصلوا فاساً اختلفت كلمة العبيد وعادوا الى مكناسة ونهبوا ثمار جناتها وافسدوا ما قدروا عليه منها . ثم طالبوا السلطان في الراتب وشددوا في اقتضائه فلم يكن عنده ما يرضيهم به فشغبوا عليه ومرضوا

في طاعته . هذا والسلطان المولى عبدالله مقيم بجبال البربر مطل على الحضرة ومتحفز للوثبة فلما علم بما المولى زين العابدين فيه من الاضطراب نزل من الجبل وتقدم حتى دخل فاساً الجديد وذلك في ١٦ جمادى الاخرى من السنة فلقيه اهل فاس واهتزوا لمقدمه وطاروا به سروراً ولما اتصل خبره باخيه المولى زين العابدين ضاق ذرعه وخشعت نفسه واصبح غادياً من مكناسة الى حيث يأمن على نفسه معرضاً عن الملك واسبابه فكان آخر العهد به

٧١٤ — المولى عبد الله بن اسماعيل (رابعة)

من سنة ١١٥٤ — ١١٧١ ﻫ او من سنة ١٧٤١ — ١٧٥٧ م

ولما فر المولى زين العابدين من مكناسة اجتمع العبيد واتفقوا ان يراجعوا طاعة السلطان المولى عبد الله فارسلوا اليه ببيعتهم بمكانه من فاس الجديد فقبلها منهم واستقر امره ونازعه الامر اخوه المستضيء بن اسماعيل واستولى على كثير من البلاد وحدثت بينهما حروب ووقائع يطول شرحها كان من نهايتها انتصار المولى عبدالله على اخيه المولى المستضيء واستتباب الامر له . وكان قد نعلم طبعاً مما مضى من اين تؤكل الكتف فطالت مدة ملكه هذه المرة الى ان توفي يوم الخميس ٢٧ صفر سنة ١١٧١ ﻫ

٧١٥ — المولى محمد بن عبد الله

من سنة ١١٧١ — ١٢٠٤ ﻫ او من سنة ١٧٥٧ — ١٧٩٠ م

لما توفي المولى عبدالله بن اسماعيل بويع بعده ابنه سيدي محمد بن عبدالله وكان عاقلا حازماً فساد الامن في ايامه وعم العدل واستراحت البلاد بعد طول الفتن والحروب وساح السلطان المولى محمد بن عبدالله في بلاد المغرب وثغوره

متفقداً احواله وممهداً اموره فاجتمعت على حبه القلوب وخلصت له الضمائر . وهذا أهم ما حدث في أيامه مرتباً حسب السنين . في سنة ١١٧٨ ﻫ غنم قرصان المغرب مركباً فرنساوياً واتوا به الى العرائش فهجم الاسطول الفرنساوي على ثغر العرائش ورماها من مدافعه ناراً حامية ولكنه اضطر الى الرجوع عنها لما اجابته طوابي العرائش بمثل مارماها به . وكانت هذه الحادثة سبباً في تنبيه السلطان المولى محمد بالاعتناء بامر البحر وتحصين ثغر العرائش فبنى بها الطوابي والمعاقل وشحنها بالمدافع والعساكر حتى صارت أهم حصون المغرب

وفي سنة ١١٨٢ ﻫ حاصر جيش السلطان سيدي محمد مدينة الجديدة وكانت في ذلك الوقت بيد البرتقاليين واستمر الحصار من اول رمضان الى ٢ ذي القعدة من السنة ولما ضاق الامر باهل المعمورة لغموا ارضها بالبارود وهربوا في الاسطول الى بلادهم فدخل المسلمون المدينة وغب دخولهم اليها التهب البارود الملغومة به ارض المعمورة فقتل منهم اكثر من خمسة آلاف نفس وتهدم السور الجنوبي منها

وفي سنة ١١٨٤ ﻫ غزا السلطان سيدي محمد بن عبد الله مدينة مليلة وحاصر الاسبانيين فيها لكنه لم يفز منها بطائل فكر راجعاً الى حضرته

وفي سنة ١١٨٩ ﻫ ثار العبيد على السلطان سيدي محمد وبايعوا لابنه يزيد ففرّق فيهم يزيد اموالاً طائلة حتى جعلهم يتمسكون بدعوته وعزم يزيد على استخلاص المغرب من يد ابيه فسار الى فاس فبرز له اهلها وقاتلوه هو وعبيده وهزموهم وانقلبوا مفلولين واتصل الخبر بالسلطان وكان وقتئذ بمراكش فخرج منها في عساكره يريد مكناسة ولما وصل الى سلا وسمع المولى يزيد بقدومه فر الى زرهون فلما قرب منها اتاه اشراف زرهون بابنه المولى يزيد فعفا عنه وسامحه واستصحبه الى مكناسة . ورأى السلطان المولى محمد شدة وطأة العبيد في الدولة فلا يحدث فيها شغب ان لم يكونوا هم مثيريه فاستعمل معهم الشدة وأدبهم بعصاً من حديد وفرق جموعهم

ثم انتقض المولى يزيد على ابيه ثانية ولما رأى عدم مقدرته على المقاومة لحق بالمشرق واستقر بالحجاز الى ان كانت سنة ١٢٠٣ ﻫ وفيها قدم المولى يزيد من الحجاز في ركب الحاج الفيلالي فلما وصل المغرب نزل بضريح الشيخ عبد السلام ابن مشيش . وعلم والده السلطان سيدي محمد بقدومه فارسل اليه يراوده النزول على طاعته فابى فنهض اليه من مراكش وأراد ان يحضر عنده بنفسه لعله يرعوي ويذهب ما بصدره من الجزع والنفرة . وكان عند خروجه من مراكش به مرض خفيف فتحمل المشقة وجد السير فتزايد به المرض في الطريق فوصل الى اعمال رباط الفتح في ستة ايام فادركته منيته وهو في محفته على نحو نصف يوم أو أقل من رباط الفتح . وكانت وفاته يوم الاحد ٢٤ رجب سنة ١٢٠٤ ﻫ فاسرعوا به الى داره من يومه ذلك ودفن بها مأسوفاً عليه . وكان السلطان سيدي محمد محباً للعلماء واهل الخير مقرباً لهم لا يغيبون عن مجلسه الا نادرًا

٧١٦ المولى يزيد بن محمد

من سنة ١٢٠٤ — ١٢٠٦ ﻫ او من سنة ١٧٨٩ — ١٧٩٢ م

ولما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله في التاريخ المتقدم وبلغ خبر موته الى ابنه المولى يزيد وهو بالحرم المشيشي بايعه الاشراف هناك وسائر اهل الجبل واتته بيعة هل المغرب الاقصى جميعه على يد اشرافه واعيانه فخرج من سكانه وتقدم الى مكناسة ودخلها في احتفال عظيم واستقر امره بها . وهناك قدمت عليه قبائل الحوز ببيعتهم وكان في قلب السلطان منهم شيء فلم يقابلهم كما يجب فساءت ظنونهم به وفسدت قلوبهم عليه . ولما رجعوا الى بلادهم اتفقوا فيما بينهم على بيعة اخي السلطان المولى هشام فبايعوه واعطوه صفقة ايديهم . فاستتب امر المولى هشام بمراكش . ولكن لما سمع المولى يزيد بالخبر نهض في عساكره وسار الى الحوز فشرَّد قبائله ووصل الى مراكش فدخلها عنوة واثخن في اهلها . ثم استجاش عليه اخوه المولى هشام قبائل دكالة وعبدة وقصده بمراكش فبرز اليه المولى يزيد . ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازكودت انهزم جمع المولى هشام وتبعهم المولى يزيد فأصيب برصاصة كانت القاضية عليه فتوفي اواخر جمادى الثانية سنة ١٢٠٦ ﻫ ودفن بمراكش

٧١٧ المولى سليمان بن محمد

من سنة ١٢٠٦ — ١٢٣٨ هـ او من سنة ١٧٩٢ — ١٨٢٢ م

لما توفي المولى يزيد بن محمد كان اخوه المولى سليمان بفاس فاتفق اهل فاس على البيعة له لما يعلمونه من دينه وحسن سياسته فبايعوه يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ١٢٠٦ هـ . ولما تمت بيعته انتقل الى فاس الجديد فاستقر بدار الملك منها وقدمت عليه وفود القبائل من العرب والبربر بهداياهم . وتوقف اهل الثغور الهبطية عن بيعته لانهم كانوا قد بايعوا لاخيه المولى مسلمة فنهض اليهم المولى سليمان واوقع بهم حتى نزلوا على طاعته وفرّ اخوه المولى مسلمة الى تلمسان واقام بها . فعاد المولى سليمان الى مكناسة واستقرّ بها الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

قد قدمنا ان اهل مراكش وقبائل الحوز كانوا قد خرجوا على السلطان المولى يزيد و بايعوا اخاه المولى هشام بن محمد ولما قتل المولى يزيد بمراكش استقرت قدم المولى هشام بها واطاعته قبائل الحوز كلها . واستمرّ الحال على ذلك مدة الى ان حدثت نفرة بين اهل الحوز والمولى هشام وانقسموا لذلك قسمين قسماً بقي على طاعة المولى هشام وقسماً بايع لاخيه المولى حسين بن محمد ونشأت بينهم لهذا السبب حروب تفانى فيها الخلق . فلما كانت سنة ١٢١٠ هـ قدم على السلطان بمكناسة جماعة من اعيان الرحامنة من اهل الحوز مبايعين له وسائلين منه المسير معهم الى بلادهم لتجتمع كلمتهم عليه فاجاب السلطان طلبهم ونهض سنة ١٢١١ هـ في جيش كثيف الى مراكش . ولما قاربها فرّ سلطانها المولى حسين بن محمد فدخل السلطان المولى سليمان الى مراكش واستولى عليها وبايعه اهلها ثم قدم عليه اخوه المولى هشام مستأمناً فاكرم ملتقاه وسكنت الفتنة واستقامت الامور . واقام السلطان بمراكش ثم استوبأ البلد فعاد الى مكناسة . وفي سنة ١٢١٢ هـ حدث الوباء ببلاد المغرب وعم حواضره و بواديه وتوفي به اخوة السلطان الاربعة المولى الطيب والمولى هشام والمولى حسين والمولى عبد الرحمن الثلاثة الاول بمراكش والرابع بالسوس

وفي ايام السلطان المولى سليمان عمت الفتن سائر المغرب عربه وبربره وأتعب السلطان جداً في اخماد نار هذه الثورات حتى عزم على التخلي عن الملك لابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام ولكنه رأى الوقت احوج اليه فأجل ذلك الى فرصة اخرى

وخيرًا فعل لانهُ لم يمضِ وقت طويل حتى انتقض عليه اهل فاس و بايعوا لابن اخيه المولى ابراهيم بن يزيد بن محمد سنة ١٢٣٦ ﻫ وخرجوا من فاس بسلطانهم الجديد الذي لم يكن لهُ من السلطنة سوى الاسم فقط والامر والنهي لرؤساء الثورة قاصدين المراسي بقصد الفتح والاستيلاء عليها فوصلوا تطاوين واستولوا عليها ومن هناك بعثوا لاهل العرائش وطنجة في الدخول في طاعة سلطانهم فمنهم من امتنع ومنهم من اجاب . ثم توفي المولى ابراهيم بن يزيد بعد سبعة وار بعين يومًا من دخولهم تطاوين فاخفى رؤساء الثورة موته ثلاثة ايام ثم بايعوا لاخيه المولى السعيد بن يزيد و بينما هم في ذلك اذ ورد عليهم الخبر بمجيء السلطان سليمان من مراكش وانهُ قد وصل الى قصر كتامة ففت ذلك في عضدهم وخرجوا مبادرين الى فاس على طريق الجبل وكان من امرهم ما نذكره ان شاء الله تعالى

وكان السلطان المولى سليمان في هذه المدة مقيماً بمراكش ولما علم بما كان من بيعة المولى ابراهيم بن يزيد تربص قليلاً حتى اذا بلغه خروجه الى المراسي قلق وخرج من مراكش في جيش من العبيد و بعض قبائل الحوز يبادره اليها ولما وصل الى قصر كتامة اتاه الخبر بدخول المولى ابراهيم الى تطاوين فتقدم الى تطاوين حتى اذا صار على مرحلتين منها بلغته وفاة المولى ابراهيم ومبايعة الثائرين للمولى السعيد بن يزيد وعودتهم به الى فاس فاسرع يؤم فاساً ويسابق السعيد اليها حتى والاه في يوم واحد فنزل السعيد بجموعه بقنطرة سبوا ودخل السلطان دار الامارة بفاس الجديد . ولما كان لفجر الغد اغارت عساكر السلطان على محلة السعيد فانتسفوها بما فيها وقتلوا من اصحابه خلقاً كثيرًا وافلت المولى السعيد و بطانته ودخلوا فاساً فاغلقوها عليهم وحاصرهم السلطان بفاس واستمر محاصرًا لهم عشرة اشهر ثم بلغه خبر خروج اهل تطاوين عليه فترك بعضاً من عسكره لمحاصرة فاس ونهض هو الى طنجة واستقر بها و بعث الى اهل تطاوين وراودهم على الرجوع الى الطاعة فأبوا واستمروا على عصيانهم فبعث اليهم جيشاً كثيفاً لحاصرهم مدة وكانت الحرب بينهم سجالاً مرة لعسكر السلطان ومرة عليهم حتى هلك خلق كثير من الفريقين . وفي هذه الاثناء ارسل السلطان الى ابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام وكان عاملاً له على الصويرة في القدوم اليه بجيشه فقدم المولى عبد الرحمن بجيش كثيف فارسل السلطان بعضهم لمساعدة المحاصرين لتطاوين وتقدم هو وابن اخيه في باقي الجيش الى فاس لاتمام فتحها . وكان اهل فاس قد ملوا الحصار وسئموا الحرب ووقع الاختلاف

بينهم فانتهز عسكر السلطان هذه الفرصة واغاروا على فاس واقتحموها عنوة واستولوا عليها وجاء المولى السعيد في جوار المولى عبد الرحمن بن هشام فعفا السلطان عنه وعن اهل فاس وهدأت الفتن وبعد ان اقام بها اياماً استخلف فيها ابن اخيه المولى عبد الرحمن ونهض هو الى تطاوين فلما قربها وفد عليه اهل تطاوين تائبين فصفح عنهم واحسن اليهم ولما صفا امر تطاوين ولم يبق ببلاد الغرب منازع انقلب السلطان راجعاً الى بلاد الحوز وجد السير الى مراكش فدخلها في رمضان سنة ١٢٣٧ هـ

وفي يوم ١٣ ربيع الاول سنة ١٢٣٨ هـ توفي السلطان المولى سليمان بن محمد . وكان عاقلاً حسن السياسة شجاعاً مقداماً . وكان قد عهد بولاية العهد من بعده لابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام

٧١٨ المولى عبد الرحمن بن هشام

من سنة ١٢٣٨ — ١٢٧٦ هـ أو من سنة ١٨٢٢ — ١٨٥٩ م

لما توفي السلطان المولى سليمان بن محمد كان ولي عهده المولى عبد الرحمن بن هشام بفاس فلما بلغ اهل فاس وفاة السلطان بايعوا المولى عبد الرحمن واعطوه صفقة أيديهم وامتّه وفود اهل المغرب الاقصى جميعه ببيعتهم واستبشر الناس بهذا السلطان وأتته البشائر من كل صقع وناد فمن ذلك ماقاله وزيره الفقيه ابو عبد الله بن ادريس الفاسي

مولاي بشراك بالتأييد بشراك قد أكمل الله بالتوفيق مسراكا
الفتح والنصر قد وافاك جيشهما والسعد واليمن قد حيا محيّاكا
الله ألبسك الاقبال تكرمة وبالتقى والنهى والعلم حلاّكا
فراسة الملك المرحوم قد صدقت لما تفرس فيك حين ولاّكا
أعدت للدين والدنيا جمالهما فاصبحا في حلى من حسن معناكا
وزادك الغيث غوثاً في سحائبه فجاد بالقطر قطراً فيه مأواكا

ولما فرغ السلطان المولى عبد الرحمن من امر الوفود والتهاني خرج من حضرة فاس وساح في البلاد المغربية متفقداً مثقفاً اطرافها حتى اذا قضى وطره من ذلك قصد مراكش واستقر بها . وساد الامن في ايام هذا السلطان وعمّ العدل وهدأت احوال المغرب الاقصى فلم تحدث فيه فتن ولا حروب وانتهز السلطان هذه الفرصة في تنشيط

العلم و الزراعة والصناعة فخطا المغرب في ايامه خطوة محمودة

واهم ما حدث في ايام السلطان المولى عبد الرحمن استيلاء فرنسا على المغرب الاوسط (اقليم الجزائر) سنة ١٨٣٠ م (سنة ١٢٤٦ هـ) بعد ان دافع عنه الامير عبد القادر الجزائرلي دفاعاً محموداً فأدى ذلك الى طلب اهل تلمسان من السلطان المولى عبد الرحمن الدخول في طاعته على ان يرسل لهم جيشاً ينقذهم مما هم فيه فاجاب السلطان صريخهم وارسل جيشاً الى تلمسان ولكن لان الامير عبد القادر الجزائرلي كان يجر النار لقرصه عرقب مساعي هذا الجيش فرجع من حيث اتى . ولما استقر الفرنساويون بالجزائر اغاروا على اطراف المغرب انتقاماً من السلطان لتداخله في امر المغرب الاوسط وحصلت بين الفريقين عدة مواقع اهمها موقعة ايسلي التي انهزمت فيها عساكر السلطان هزيمة شنعاء

واستقرّ السلطان المولى عبد الرحمن بمراكش الى ان توفي يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ١٢٧٦ هـ

٧١٩ المولى محمد بن عبد الرحمن

من سنة ١٢٧٦ — ١٢٩٠ هـ او من سنة ١٨٥٩ — ١٨٧٣ م

وتولى بعده ابنه المولى محمد بن عبد الرحمن وفي اول ولايته اشتعلت نار الحرب بين اسبانيا وبينه وانجلت عن هزيمة عسكر السلطان بوادي الراس واستيلاء اسبانيا على مدينة تطاوين ضحوة يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٢٧٦ هـ . ولم يبرحوها الا بعد فرض غرامة قدرها ١٠٠ مليون فرنك

وفي ايامه ثار الجيلاني الروكي واصله رجل من عرب سفيان خامل الذكر وحرفته رعي البهائم ونحو ذلك من عمل اهل البادية ثم أغواه سلطان المفاسد فثار ببلاد كورت واتعب عساكر السلطان مدة وانتهى الحال بقتله

وكان بين السلطان المولى محمد وبين نابليون الثالث امبراطور فرنسا مخابرات ودادية وكثر قدوم التجار الفرنساويين الى المغرب في ايامه ومنحهم بعض امتيازات حسنة . وكان النصارى واليهود في المغرب الاقصى يسامون انواع العذاب فمنحهم هذا السلطان الحرية ووزع المنشورات في رعيته بهذا المعنى . ثم توفي السلطان المولى محمد

يوم الخميس ١٨ رجب سنة ١٢٩٠ هـ . وكان السلطان محمد عاقلاً ديناً خيراً حسن السياسة

٧٢٠ المولى الحسن بن محمد

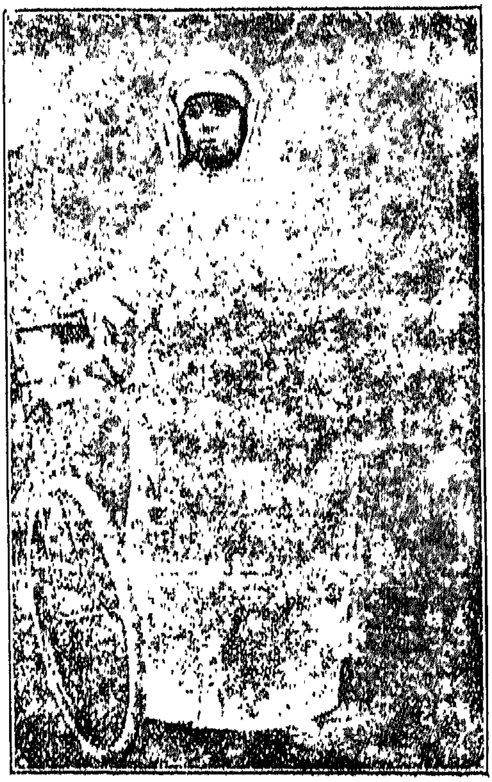
من سنة ١٢٩٠ — ١٣١١ هـ او من سنة ١٨٧٣ — ١٨٩٤ م

وتولى بعده ابنه المولى الحسن بن محمد وفي اول ولايته ثار عليه اهل فاس واهل آزمور وكادت الفتنة تمتد الى جميع اطراف المغرب الاّ انهُ تمكن بحكمته من اخماد نارها ثم نازعه اخوه المولى عثمان في الامر وحصلت بينهما فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها انهزام المولى عثمان واستتباب الامر للسلطان المولى الحسن ومع ذلك بقي مدة ولايته كلها في حروب دائمة مع القبائل العاصية وشغل شاغل لاحباط مساعي الثائرين عليه ثم توفي ليلة الخميس ثالث ذي الحجة سنة ١٣١١ هـ

٧٢١ المولى عبد العزيز بن الحسن

حفظه الله

ولما توفي المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام في التاريخ المتقدم بويع بعده ابنه السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن وهو السلطان الحالي واخباره وتواريخه من ثورة ابي حمارة والريسوني عليه وعقد موءتمر الجزيرة ودخول الفرنساويين البيضاء واحتلالهم لها وقيام اخيه مولاي الحفيظ ومنازعته السلطة وتعضيد بعض القبائل للاخير فمعلومة للجميع مما تنشرهُ الجرائد عنهُ .



(ش ٥) مولاي عبد العزيز

(٧٢٢) الدولة الغلجائية بافغانستان

(تمهيد) افغانستان بلاد جبلية الى الجهة الشرقية من ايران وكانت تارة تحت حكم سلاطين الهند وأخرى تحت حكم دولة ايران . ويذهب اكثر مؤرخي المسلمين ان أصل اهلها يهود من الذين سباهم نبوخذ نصر الى بابل ثم اراد ابعادهم الى اقصى ممالكه فارسلهم الى هذه البلاد القاصية ولكن ذلك غير مثبت بالادلة بل هم بقايا قوم البرثة وبلادهم قطعة اصلية من ولاية خراسان . وتتألف هذه الامة من عدة قبائل اشهرها قبيلتا الغلجائية والعبدالية . وجميعهم قوم نشأوا على الجلادة والاقدام لا يحاذرون الضيم ولا يدينون للاجنبي . وكانت الغلجائية اشد ميلاً من العبدالية الى

الاستقلال وهم الذين استوطنوا قندهار وما يليها من تلك البلاد وظلوا يعاندون الدولة الايرانية حتى حار وزراء ايران في امرهم وقرّ رأيهم في ايام السلطان شاه حسين آخر ملوك الدولة الصفوية التي تقدم ذكرها على تعيين والٍ شديد العزم كثير الاقدام ليحكم بلادهم فانتدبوا لذلك كركين خان (المسيحي الاصل) الذي كان حاكماً من طرف الشاه على كرجستان وكان قد اظهر العصيان على الشاه وحاول الاستقلال بتلك الامارة ولكنه لم ينجح ثم اعتنق الدين الاسلامي فصفح الشاه عنه وعينه لهذه الوظيفة في افغانستان . فتقدم كركين خان على هذه البلاد بعشرين الف مقاتل من الايرانيين ونخبة من ابطال اهل بلاده فلم تبدُ اقل معارضة من الافغانيين في الخضوع له ولكنه اساء معاملتهم في الحال واعتبرهم كلهم من العصاة والمارقين فاطلق يد عساكره ومن معه في ابتزاز المال منهم وظلمهم . فاستغاث الاهالي من ظلم هذا الوالي بالسلطان وبعثوا بالوفود من مشائخهم الى اصفهان ليعرضوا على جلالة الشاه حال البلاد وما صارت اليه . ووجد هؤلاء المندوبون ان الوصول الى السلطان من اعسر الامور ولكنهم تمكنوا في آخر الامر من نيل بغيتهم . وكان اصحاب كركين خان قد سبقوهم الى القصر وافهموا السلطان اموراً غيرت افكاره فيهم ، فلما سمع شكواهم اجابهم بما معناه انهم عصاة كاذبون وان ثقته بالوالي عظيمة وتهددهم بعقاب صارم اذا عادوا الى مثل هذا التشكي فعاد المندوبون الى بلادهم وقد امتلأت صدورهم حنقاً وغيظاً وبسطوا الامر لاخوانهم فكثر الحقد وتعاظم الشر وعزم الافغانيون من ذلك اليوم على الخلاص من ايران وحكومتها . ولما علم كركين خان بما كان من الاهالي وقيامهم للشكوى عليه عزم على البطش بهم والانتقام منهم فوجه همه في اول الامر الى اذلال امرائهم وخصوصاً الامير ويس وهو من اشهر عائلات الافغان يعد عندهم حاكم قندهار الشرعي والناس كلهم يجلون قدره لما اتصف به من حميد الخصال . فعزم كركين على التخلص منه لانه كان زعيم القوم وله بأس وسطوة عظيمة فقبض عليه في احدى الليالي بدعوى تآمره على سلامة السلطنة وارسله مكبلاً بالقيود الى اصفهان وكتب الى السلطان يقول : « ان هذا الامير هو زعيم العصاة والذين يدبرون للمملكة المكائد . وانه مادام في اصفهان فلا خوف على البلاد من اعوانه واما اذا عاد من اصفهان فلا بد من الثورة العظيمة » ولما وصل الامير ويس الى اصفهان تمكن بدهائه من معرفة الاحوال ورأى ان المقربين الى السلطان قسمان قسم يميل الى كركين خان وقسم عليه فاتفق في الحال مع اعداء

كركين وتمكن بواسطتهم من اكتساب نفوذ عظيم وقرب كثير من السلطان . وتمكن الامير من مقابلة السلطان بعد ان استمال الوزراء بالرشوة فبسط له حكاية كركين وظلمه وشكى مر الشكوى مما اصابه واصاب اهل بلاده . وكان ويس فصيحا طلق المحيا فسحر شاه حسين واستماله اليه حتى صار من اشهر المقربين الى السلطان وكان يمكنه اذ ذاك الرجوع الى قندهار الا انه بعد اطلاعه على ضعف دولة ايران واختلال امورها تمكن من نفسه فكر أعلى من هذا وهو انه يمكن أن يخلص بلاد الافغان بتمامها و يفصل حكومتها عن حكومة الشاه . وعلم ان هذا الامر العظيم لا يصح الاستعجال فيه فطلب من الشاه ان يرخص له في السفر للحج فلما وصل الى مكة المكرمة رأى من المناسب ان يأخذ بعض الفتاوي من علماء اهل السنة بوجوب محاربة الشيعة ليدعو بذلك قومه الى حرب دولة الشاه التي هي دولة شيعية و يجمع كلمتهم على ذلك . فتحصل على فتاو بذلك واخفاها لحين اللزوم وبعد قضاء فريضة الحج رجع الى اصفهان مخفيا امره مظهرا للشاه غاية الاخلاص

ولما وصل الامير ويس اصفهان ساعدته التقادير على ما يريد وذلك ان رجلا أرمنيا اسمه اسرائيل اوري تقدمت له خدمات للدولة الروسية في الممالك العثمانية فتوسل الى امبراطور الروس (بطرس الاكبر) في ان يجعله سفيرا لدى الشاه . ولحسن خدمته اقترن طلبه بالقبول فبعثه الامبراطور الى ايران وزيرا وزاد في مكافأته ان اعفى جميع الاموال التجارية المتعلقة به من الرسوم الجمركية . فجمع هذا السفير كثيرا من تجار الارمن وتوجه بهم الى بلاد ايران ولما قرب من حدودها شهر نفسه بانه من أولاد سلاطين الارمن

فاتخذ الامير ويس دخول هذا السفير بهذه الكيفية احسن وسيلة لنيل مقاصده وذلك انه اخذ يتكلم في المجامع والمحافل سرا وعلانية بان النصارى يريدون ان ينزعوا كرجستان وارمنستان من ايدي دولة الشاه ولا بد أن يكون كركين خان حاكم قندهار هو الواسطة الفعالة في ذلك . ولقرب عهد كركين خان بالاسلام اخذ هذا الكلام من النفوس موقعا وغلب على ظن اولياء الدولة صدقه . وعزم الشاه على خلع كركين خان في الحال ولكنه خاف عاقبة التهور وبعد ان شاور وزراءه في الامر قر رايهم على ارجاع الامير ويس الى بلاده وجعله رقيبا على كركين خان . فاوعز السلطان الى ويس بالقيام الى وطنه . وقام ويس وصدره قد امتلا فرحا وحبورا على حين انه

كان يظهر عدم الرضا من هذا الامر ولما رجع الامير ويس الى قندهار اشتد غضب كركين خان واراد ان يتخذ وسيلة لهلاكه . وكان للامير ويس ابنة بارعة الجمال نادرة المثال فسمع كركين خان بجمالها وتمني ان تكون زوجة له فخطر في باله ان يقترن بالفتاة قسرًا فينال منها غايته و يذل اباها . فارسل اليه امرًا لا يقبل الرد ولا التردد مفاده ان يرسل ابنته في الحال واذراى الامير ويس ان هذا الطلب على وجه قهري وان اذعانه له يحط من قدره جمع الافغانيين وحدثهم بالقصة فاغتاظوا لذلك وحثوه على المقاومة والمدافعة عن شرفه فامتلأ لذلك مسرورًا ولكنه امرهم بالصبر والتأني وقال: الاولى ان نقتل الاسد في النوم الا انه يلزمكم الثبات على ما انتم عليه واعتمدوا علي فاني سانتقم من العدو : فاطمانوا وحلفوا له بالخبز والملح والسيف والقرآن على معاضدته والقيام بطاعته وقالوا « ومن رجع عن ذلك فزوجته طالق بالثلاث »

وكان من خادمات الامير و يس بنت جميلة ارسلها الى كركين خان ليتزوجها باسم انها ابنته واظهر غاية السرور والبشاشة وانه غير حاقد على كركين خان . فمحا بذلك ما في قلب كركين خان وازال احتقاده ولم يمض زمن طويل حتى صار الامير و يس من اخصاء كركين خان واصحابه يجتمع به كل يوم و يتحدث معه في الامور الهامة . وظل على ذلك زمانًا وكركين لا يحسب للشر حسابًا . ولما احس و يس باتمام الامر دعى خصمه الى وليمة فاخرة في احدى جنائنه ودعى معه الاخصاء والاعوان من الحكام الذين كان الافغانيون يكرهونهم فقبلوا الدعوة وجاؤا الحديقة واكلوا وشربوا وطربوا حتى اذا دارت الخمرة في الرؤوس اشار ويس الى اصحابه بالذي كان ينويه . وكان قد احاط البلدة كلها باعوانه وجاء بنخبة من الابطال فاخفاهم في انحاء الحديقة . فلما سكر الوالي ومن معه وصدرت لهم الاشارة من و يس هجموا على ضيوفهم وقتلوهم عن اخرهم . ثم ترددوا بملابس المقتولين وذهبوا ليلاً الى سراي الحكومة وقلعتها والحراس يظنونهم كركين واصحابه ثم نادوا في اعوانهم ممن كانوا في قندهار وحولها فاعملوا السيف في عساكر الايرانيين وقتلوا اكثرهم في يومين . ثم شرعوا بقتل من استوطنوا في الولاية من الفرس ومن تمذهب من الافغانيين بمذهب الشيعة وكانوا جمهورًا غفيرًا ولم ينج من كل جيش كركين خان غير ٦٠٠ شركسي اتوا المعجزات في محاربة اهل افغانستان ومكافحتهم حتى تمكنوا من الفرار الى بلاد خراسان وهكذا تم انسلاخ افغانستان عن ايران واستتب الامر للامير و يس الغلجائي فيها . وهو رأس الدولة الغلجائية التي

نحن بصددها، وكان ذلك حوالى سنة ١١١٦ هـ

٧٢٣ - الامير ويس الغلجائى

ولما خلا جو قندهار من المعارضين بعث الامير ويس الى رؤساء القبائل الافغانية فحضروا ثم قام فيهم خطيباً يبين فضائل الحرية ومزاياها وشدائد العبودية وبلاياها ثم قال: ان وازرتموني واتفقتم معي نستخلص اعناقنا من غل الذل وننشر اعلام العز والحرية ونتخلص من سلطة الايرانيين الشيعيين: ثم ابرز ما عنده من الفتاوي الحاكمة بقتال الشيعة التي سبق اخذها من علماء مكة وأذن فيهم قائلاً « الا من رجع جانب الايرانيين واختار ان يكون في ربقة عبوديتهم فليقطع الامل من ان يساكننا في ديارنا اذ لا يمكن له معاشرتنا ويستحيل ان ينال ودتنا ومصافاتنا» فوافقه جميع الامراء واكدوا الموافقة بالايمان . ولما بلغ الخبر الى الشاه حسين وحاشيته فعوضاً عن أن يرسلوا عسكرًا لتأديب العصاة ارسلوا سفيرًا لتهديد الامير ويس . فلما وصل السفير الى قندهار ألقى القبض عليه وسجن . فلما علم اهل البلاط في اصفهان بسجن الامير ويس للسفير ارسلوا اليه سفيرًا آخر فسجنه ايضاً . فلما رأى السلطان حسين واعوانه انه لا مفر من القتال أوعزوا الى حاكم خراسان ان يبدأ بمقاتلة الافغانيين فصدع الحاكم للامر ولكنه لقي مالم يكن في حسابه من جرأة الافغانيين واستعدادهم للحرب وانهزم في موقعة جرت له معهم . وبلغ الخبر اصفهان فأمر السلطان بجمع كل قوات السلطنة وجيش جيشاً عظيماً جعله تحت قيادة خسرو خان والي كرجستان وهو ابن اخي كركين خان الذي قتله ويس كما مر وكان هذا الوالي بطلاً مقداماً يتمنى محاربة الافغانيين حتى ينتقم منهم على قتل عمه . وتقدم هذا الجيش الجرار على مواقع الافغانيين فطردهم منها وتقدم الى مدينة قندهار وحاصرها فطلب محافظوها الافغانيون من خسرو خان ان يسلموا له المدينة على شرط ان يأمنهم على حياتهم فلم يرض بهذا الشرط . فلما علموا ان لا مفر من الموت اخذوا اهبة الدفاع وكانوا كل يوم يهاجمون محاصريهم والامير ويس بعد جمع العساكر المتفرقة شرع في الهجوم عليهم من الخارج حتى نفدت ذخائر خسرو خان فاضطر لترك المحاصرة وعوّل على الانسحاب ولحظ الافغانيون منه ذلك فتأثروه وحاربوه حرباً عنيفة كان النصر في آخرها لهم وقتل في هذه المعركة خسرو

خان ولم ينجُ من عساكره الايرانية التي كان مقـدارها ٢٥ الفاً سوى ٥٠٠ شخص . ثم ارسل الشاه جيشاً آخر لمقاتلة الافغانيين تحت قيادة محمد رستم خان فاصابه ما اصاب الجيوش السابقة

واستقل الامير ويس استقلالاً تاماً بامارة قندهار وعزم من ذلك الحين على الاستعداد للتقدم على امتلاك بلاد ايران ولكن عاجلته المنية قبل اتمام قصده فحزن عليه الافغانيون حزناً مفرطاً وله عندهم شهرة في البسالة والفطنة يذكرونه بها الى هذا اليوم

٧٣٩ — الامير عبد الله

وكان للامير ويس ولدان اكبرهما في الثامنة عشرة من عمره ولهذا اختار الافغانيون ان يخلفه في الحكومة اخوه الامير عبدالله . وكان هذا الامير جباناً شتان بينه وبين اخيه فما عتم ان استلم زمام الامر حتى بدأ بمخابرة اصفهان في اعادة الامارة الى حكم الشاه حسين وعارضه قومه في ذلك معارضة شديدة فلم يرجع عن قصده وارسل نواباً من قبله الى عاصمة ايران لعرض شروط المصالحة واهمها ان تعود الولاية الى الخضوع لاوامر الدولة الايرانية على شرط ان ترفع عنها الجزية وان تكون الامارة وراثة في ذرية الامير عبدالله المذكور . فلما اطلع على ذلك الامراء الافغانيون اشتد غيظهم منه وانحرفت قلوبهم عنه واجتمع بعضهم على الشاب محمود وهو بكر اولاد الامير ويس فاتفقوا معه على المجاهرة بالعصيان والمناداة به اميراً على قندهار قبل ان تعود البلاد الى قبضة اهل ايران وكان محمود عاقلاً نجيباً وباسلاً مقداماً فتروى في الامر على صغر سنه وصرف قومه على ان ينظر في الحكاية . ثم انتخب اربعين بطلاً من اصدقائه واخبرهم بعزمه على قتل عمه فوافقوه على ذلك فاخذهم ودخل بهم الى بيت عمه على حين غفلة وذبحه

٧٢٥ - شاه محمود بهه ويس

و باطلاع الافغانيين على ذلك اقاموه حاكماً على انفسهم والقبوه بشاه قندهار وفي الوقت الذي جلس فيه الامير محمود على كرسي سلطنة قندهار كانت دولة ايران في اسوأ حال و بلغ منها الضعف والفساد مبلغاً عظيماً واستولى حب الترف والخمول على اهلها وكثر الثائرون عليها فانتهز الامير محمود هذه الفرصة لتحقيق اماني المرحوم والده بالاستيلاء على ايران . وتقدم بجيشه على طريق الصحراء فوصل الى مدينة كرمان و بدأ بمحاصرتها ولكن السعد لم يخدمه وقتئذ لان جيش ايران وصل لاغاثة المدينة تحت قيادة لطف علي خان وكان بطلاً مقداماً فحارب محموداً الافغاني واضطره الى الفرار والعود الى بلاده . ثم دخل جيش ايران مدينة كرمان فاساً معاملة الاهالي واكثر من الظلم والفحش حتى تمنى الاهالي لو يعود الافغانيون اليهم و يملكون مدينتهم . وعاد لطف علي بعد هذا النصر الى شيراز ونواحيها ليجيش جيشاً كبيراً يقاتل به الاعداء فاطلق السراح لعساكره لنهب الاهالي وظلمهم على عادته وشكاه الناس الى السلطان فأمر بعزله . ولم تقم للجيش الايرني قائمة بعد عزل هذا البطل . أما محمود فكان في هذه الاثناء يلم شعث جيشه وتجديد ما يقدر على تجديده حتى جمع في اشهر قليلة جيشاً لا بأس به ثم زحف على بلاد ايران بهذا الجيش الذي بلغ عدده عشرين الف مقاتل في الشهر الاول من سنة ١٧٢١ م عن طريق الصحراء ايضاً وسمع الايرانيون بقدومه فمانت قلوبهم من الخوف . وحدث يومئذ ان الشمس كسفت وكثر احمرارها مدة ايام فأول الناس ذلك الى سخط الاله عليهم وكثرت مخاوفهم ودار الواعظون بينهم يحضونهم على التقوى وترك المعاصي حتى يتحول غضب الاله عنهم . وحكم المنجمون ان مدينة اصفهان ستخرب فضعفت القلوب وتدانت الهمم وانقطعت آمال هذه الامة الكبيرة من الحياة والنجاة . فلما علموا بقدوم الامير محمود بجيشه الجديد ايقن الاهالي ان محموداً هذا هو غضب الله النازل على دولة

ايران لخراب اصفهان كما اخبر به العلماء والمنجمون

اما الامير محمود فتقدم في مسيره بلا مقاوم ولا معارض حتى صار على مسافة اربعة ايام من اصفهان فارسل اليه الشاه رسولاً يعرض عليه المال الكثير والمصالحة على شرط ان يعود الى بلاده فلم يصغ محمود لقول هذا السفير وظل سائرًا في سبيله حتى صار على ابواب اصفهان واستعد لمحاصرتها والهجوم عليها . فخاف الشاه جدًا من وقوع اصفهان في قبضة هذا البطل الافغاني فجمع الوزراء والاعيان واستشارهم في الامر فاشار عليه محمد قلي خان بالامتناع داخل الاسوار ومحاربة الافغانيين بالصبر الى ان يضجر رجالهم او يقتل بعضهم على طول المدة و يعودوا عن المدينة وعزز رأيه بالادلة على ضعف الافغانيين في الحصار وقوتهم في الهجوم والحرب بالسلاح الابيض وكان مصيباً في رأيه الا ان والي عربستان (خان اهواز) غير هذا الرأي وقام في المجلس محرضاً القوم على البسالة والقتال يذم في الذي يقول باتخاذ خطة الدفاع والتساهل مع الافغانيين الى هذا الحد . واحتد الامير في كلامه فتحرك عرق حمية الشاه و بعث بخمسين الفاً مع عشرين مدفعاً لملاقاة محمود فالتقى الجمعان و بعد قتال شديد انهزمت عساكر الشاه وجمع وزراءه للاستشارة وكان من رأيه الرحيل عن اصفهان الى جهة امنع حيث يمكن اجتماع الانصار والاعوان حوله ووافقه العقلاء على ذلك ما خلا والي عربستان فانه هزأ بهذا الفكر وعده موجباً لضعف الجنود ونفرة قلوب الاهالي من الشاه واشار بالحرب والقتال فانصاع السلطان لرأيه . وكان البعض يظنون ان والي عربستان خائن متفق سرًا مع الامير محمود الافغاني على قلب الدولة والذي سيذكر من فعاله بعد هذا يؤيد القول بخيانته : ثم ابتدأ الامير محمود بحصار اصفهان وهجم في اليوم الثاني مع بعض ابطاله على بعض الاستحكامات واظهروا جلادة وشدة حتى كادت المدينة تفتح لولا حسن دفاع احمد اغا احد اغوات الحريم فانه قاوم ببسالة وجبر الافغانيين على التقهقر فوقع الرعب في قلب محمود وارسل يطلب المصالحة على شرط ان تكون حكومة قندهار وكرمان وخراسان وراثة في ذريته

وان يزوجه الشاه بابنته ويعطيه ٥٠ الف تومان (التومان يساوي نصف جنيه انكليزي) . ولكن لم تقبل هذه المطالب عند الشاه

فتشاور محمود واعوانه في الامر فقروا على اتلاف كل المزروعات والقرى والعمائر المحيطة باصفهان من كل جانب حتى يتعذر وصول المدد والزاد اليها او يستحيل وقد فعلوا . ففر اهالي البلاد من اماكنهم وقصد بعضهم الانحاء القاصية والبعض لاذ بمدينة اصفهان فقبلهم الشاه بكل ترحاب ظناً منه انهم يزيدون في عدد المدافعين ولم يحسب لحصول القحط في المدينة حساباً

ثم شدد الافغانيون الحصار وتقدموا علي اصفهان من كل جانب ولم يبقَ في وجههم معاند غير أهل قرية صغيرة تدعى اصفهانك على مقربة من اصفهان . هؤلاء القوم اظهروا بسالة واقداماً غريبين حتى انهم هجموا على قافلة افغانية كانت تنقل الزاد الى جيش محمود وملكوها فلما علم الامير الافغاني بذلك سار بنفسه وا كابر اعوانه للانتقام من هؤلاء الاشداء ولكنه لقي من بسالتهم مالم يكن يخطر على باله واضطر الى القهقرى بعد ان قتل عدد كبير من رجاله وأسر عمه واخوه وابن عمه في ساعة واحدة . وفرّ المحاربون بهؤلاء الاسرى فلم يمكن لمحمود ان يخلصهم ورأى انه ان لم يسرع الى انقاذ اقاربه ذبحهم اعداؤه عن آخرهم فاستغاث بعدوه الشاه حسين ورجاه ان يأمر الاهالي بالافراج عن هؤلاء الاسرى ففرح الشاه بذلك لانه كان يؤمل ان يكون هذا سبباً في خلاصه وخلاص اصفهان من الضيق فبعث بالاوامر الى اهالي القرية يأمرهم بالافراج عن الاسرى ولكن اوامره وصلت بعد ان قضي الامر وضربت اعناق الافغانيين فلما علم الامير محمود بذلك اشتد غيظه وامر رجاله بقتل كل اسير في قبضتهم وضيق على اهالي اصفهانك بكل قوته حتى اضطرهم الى الفرار وقتل كل من وقع في يده منهم

ولما طالت مدة الحصار اخذت الاسعار ترتفع شيئاً فشيئاً وظهرت علائم القحط في المدينة ولم يجد الشاه سوى ان ارسل ولده شاه طهماسب ولي العهد

سراً الى سائر البلاد الايرانية ليدعو الناس الى حرب الافغانيين وتخليص كرسي المملكة من ايديهم فلم يتمكن من جمع كلمة الاهالي على القيام بتخليص ابيه وكثر الضيق والجوع في اصفهان وانقطع عنها الزاد انقطاعاً تاماً فاجتمع الاهالي حول السراي السلطاني ونادوا على الشاه بالخروج الى الحرب لتخليص المدينة من ايدي الاعداء فامرهم الشاه بالانصراف ريثما يتدبر الامر فلم ينصرفوا واضطر الى امر حراسه ان يطلقوا النار عليهم فعظم الخطب واوشك الاهالي ان يهجموا على السراي ومن فيها ويخربوا دولتهم بايديهم لولا ان يتدارك احمد اغا الذي مر ذكره الامر بحكمته بان وقف بين الجمهور وصاح فيهم ان هيا الى محاربة الافغانيين فعرفه القوم وداروا به من كل جانب وتبعوه الى خارج الاسوار فهجموا على الافغانيين هجوماً عنيفاً واستخلصوا بعض الاستحكامات من ايديهم الا ان عساكر العرب التي كانت تحت امرة والي عربستان تقهقروا عمداً فغضب احمد اغا لذلك وامر باطلاق البنادق على الفرقة العربية من عساكره . فلما وقع النزاع بين العساكر واشتغل بعضهم ببعض هجم الافغانيون وهزموهم . فذهب احمد اغا الى الشاه وعرفه ان والي عربستان هو سبب هذه الهزيمة لاتحاده مع محمود في المذهب . ولكن والي عربستان القى الى الشاه مازين له عزل احمد اغا عن رئاسة المحافظين للقلعة فعزله فتناول السم ومات . وحزن الايرانيون جداً لموت احمد اغا ويئسوا من النجاة وصغرت نفوسهم حتى اضطر الشاه ان يراسل الامير محموداً في الصلح على الشروط التي سبق محمود وطلبها منه فرفض الامير محمود اجابة طلب الشاه رفضاً باتاً مدعياً ان كل شيء صار له بلا شروط ولا قيد واشتد الامر على اهالي اصفهان ووقع القحط فيها حتى اكل الناس القطط والكلاب وجذور الاشجار واخيراً اضطروا لاكل لحم الآدميين فكان الاب يذبح ابنه والام تذبح ابنتها طلباً للقوت وزاد عدد الموتى زيادة هائلة حتى امتلأ النهر من الجثث وتغيرت مياهه ولم يستطع احد ان يشرب منه . فلما بلغ الحال الى هذا الحد وذلك في ٢١ اكتوبر سنة ١٧٢٢ م (سنة ١١٣٥ هـ) خرج

شاه سلطان حسين من قصره لابساً لباس الحداد مع جميع امرائه واخذ يدور في ازقة اصفهان وهو يبكي من المصائب التي نزلت في ايام دولته على البلاد والعباد ويقول « ان كل ذلك من خيانة الناصحين وعدم ديانة المشيرين » ويبين للناس انه يريد ان يتنازل عن الملك والتاج للافغانيين . فكبر ذلك على الناس ونسوا مصائبهم ومصائبه واكثروا من البكاء والنحيب ولكنهم رأوا ان التسليم اولى بهم من الموت وبهذا قضي الامر

وفي يوم ٢٣ اكتوبر سنة ١٧٢٢ م خرج شاه سلطان حسين مع جميع العظماء وثلثمائة من خيالة ايران وذهبوا الى الامير محمود في فرح آباد فلما دخلوا عليه في قصره لم يتحرك من مجلسه الى ان وصلوا وسط الديوان . ثم ان الشاه خلع ريشة الملك عن رأسه وقال لمحمود « يا ابني ان الله تعالى لا يريد ان املك زمانا اكثر من هذا وقد جاءت ساعة صعودك على عرش ايران فانا اتنازل لك عنه وعن السلطنة جعل الله حكمك سعيداً » فاجابه محمود « ان الله يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء » ثم غرز الشاه الريشة في عمامة الامير محمود ثم تصافيا وزوجه الشاه بابنته في ذلك المجلس . وفي اليوم الثاني دخل محمود مدينة اصفهان وجعل همه الاول انقاذ اهلها المساكين من غائلة الجوع والبلاء الذي حاق بهم وفي ارضاء خواطر الناس حتى مال الجميع اليه . وابقى الموظفين الايرانيين في مناصبهم الا انه جعل مع كل واحد منهم رجلاً افغانياً ليتدرب الافغانيون على الاعمال الدولية من جهة وليكن مطمئناً من جهة ما يعمل من جهة اخرى . ثم عاقب بالقتل كل من خان الشاه ودلّس عليه في الحرب الا والي عربستان فانه سلبه جميع امواله وفضحه فضيحة شنعاء ولكنه لم يقتله كانه عاهده على ابقاء نفسه

ثم ارسل الامير محمود ستة الاف جندي بقيادة امان الله خان لفتح مدينة قزوين فسار اليها وفي اثناء الطريق فتح مدينة قاشان وقم واخيراً دخل مدينة قزوين بلا معارض . واساء الافغانيون السيرة في قزوين وكان اهلها لا يحتملون الضيم فقاموا على الافغانيين وطردوهم من المدينة بعد قتل الف شخص منهم وذلك سنة ١١٣٦ هـ

وفي اثناء عودة الافغانيين المنهزمين انفصل اشرف ابن عم الامير محمود عن امان الله خان وقصد قندهار

وبعد واقعة قزوين قام سائر الاهالي وعملوا بالافغانيين مثل ما عمل اهل قزوين واجتمع جمع الافغانيين في اصفهان . ولما رأى الامير محمود ذلك توهم ان اهالي اصفهان ربما يفعلون معه ما فعل غيرهم بقومه فقتل جميع المستخدمين الايرانيين في الحكومة من الامراء والعساكر حتى صارت مدينة اصفهان خراباً . فلما اقفرت اصفهان من اهلها جاء محمود بقبائل من الاكراد واسكنها تلك المنازل الخالية وهو يؤمل الفوز بواسطتها . ولما اجتمع الاكراد وجاءه الامداد من جهة قندهار وجه بعض العساكر لفتح حلبايكان وخنسار وقاشان ففتحوها وارسل جيشاً اخر لفتح مدينة شيراز وبعد حصار طويل فتحوا البلد عنوة واثخنوا في اهلها . ولكن السعد لم يخدم محموداً طويلاً لان عساكره انهزمت بعد ذلك في موقعتين عظيمتين فنفرت عنه قلوب الافغانيين واجبروه على ارجاع شرف من قندهار وجعله ولي العهد . ثم غلب الوسواس على الامير محمود فطلب العزلة ولم يخرج من عزلته حتى ازداد فيه الوسواس وسوء الظن حتى انه لخبر واه امر بقتل تسعة وثلاثين من اولاد السلاطين الصفوية ومازال به لوسواس حتى اورثه خبلاً وجنوناً . وبلغ به الجنون الى درجة ان كان ينهش لحم نفسه باسنانه . وفي اثناء ذلك سمع الافغانيون بأن شاه طهماسب ابن الشاه حسين آخذ في جمع شتات الايرانيين لاستخلاص ايران من يد الافغانيين فاضطروا ان يجلسوا اشرف ابن عم الامير محمود وولي عهده علي كرسي السلطنة في حياة محمود فابى قبول السلطنة مالم يقتلوا محموداً لانه هو الذي قتل اباه الامير عبدالله فقطعوا رأس محمود سنة ١١٣٨ ه وقدموها اليه فقبل الجلوس على كرسي السلطنة . وهكذا انتهت حياة هذا الامير الافغاني العجيب وفاتح ايران الشهير لسبع وعشرين سنة من عمره

٧/٦ شاه اشرف بن عبد الله

من سنة ١١٣٨ — ١١٤٢ ه او من سنة ١٧٢٥ — ١٧٢٩ م

وابتدأ اشرف عمله بان اخذ يستقبح اعمال الامير محمود التي صدرت منهُ في آخر عمره و يبث التشنيع عليها في الملأ العام · واستمالة لقلوب الاهالي اخـذ تاج الملك ووضعه على رجل شاه سلطان حسين والح عليه في لبسه · فلم يرض الشاه بذلك ورفع التاج بيـده ووضعه على راس اشرف وقال « اني اخترت العزلة على العزة » وزوّجه بابنته الثانية

وكان طهماسب ابن شاه سلطان حسين يسعى من يوم فراره من اصفهان برد الملك الى عائلته فلم ينجح في اول الامر وكان على وشك الانزواء حتى اذا علم بتقـدم الاتراك على بلاد ايران في ايام الامير محمود السابق الذكر وسمع بهجوم الروس من جهة اخرى خطر له ان يتحد مع هاتين الدولتين وان يعطيهما ما تبغيان من البلاد على شرط ان تسعيا برد الباقي منها اليه · فخابر سلطان الاتراك ولم يفلح في الامر واما اسماعيل بك سفيره في بطرسبرج فنجح وعقد باسم مولاه معاهدة مع القيصر بطرس الاكبر مؤداها ان تتنازل ايران عن ولاياتها الشمالية لروسيا وان يسعى قيصر الروس مقابل ذلك في طرد الافغانيين من ايران وردها الى العائلة الصفوية · وكان الاتراك وقتئذٍ يفتحون البلدان المجاورة لاملاكهم ففتحوا بلاد كردستان وخوى وتحجوان وايروان ومراغة وارمينية ومعظم اذربيجان واخيرًا دخلوا مدينة تبريز بعد ان تعبوا كثيرًا في الاستيلاء على هذه المدينة

كل هذا حدث في ايام الامير محمود · وكانت روسيا وتركيا متفقتين على تقسيم ايران وترك القليل الباقي منها لطهماسب بن حسين الصفوي وطرد الافغانيين من ايران

فلما جلس اشرف على كرسي السلطنة اراد ان يخـدع طهماسب فكاتبه يدعوه للاتفاق معه واذ علم بذلك بعض الامراء الايرانيين الذين كانوا في خدمة اشرف كتبوا الى طهماسب يحذرونه من الاعتماد على قول اشرف · ولما استشعر اشرف بهذا امر بقتل بقيـة الامراء الايرانيين الذين تخلصوا من سيف محمود متعللاً بانهم يراسلون عدوه · فلما خاب امل اشرف من الغدر بطهماسب ارسل سفيرًا الى

القسطنطينية معترضاً على اتحاد السلطان مع دولة روسيا المسيحية على قتال سلطان مسلم سني مثله فوافق العلماء هذا السفير وضموا صوتهم الى صوته الاّ ان الوزراء صرفوا هذا الوزير بدعوى ان السلطان العثماني هو امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وظل الله في الارضين ومن لم يطع امره ولم يخطب باسمه ولم يعطِ الخراج فهو عدو للدين والجهاد فيه افضل من الجهاد في النصارى ٠ فاقتنع العلماء بهذه الحجة وعاد السفير بخفي حنين ٠ وصدر امر السلطان العثماني لاحمد باشا والي مراغة وقزوين بسوق العساكر الى اصفهان ٠ ولما سمع اشرف بذلك امر بحرق القرى وجمع عساكره واستقبل العساكر العثمانية فتلاقى اولاً مع الفين من مقدمة جيوشهم على بعد خمسة عشر فرسخاً من اصفهان فقتلهم عن آخرهم فوقع الرعب في قلوب الاتراك لهذا الخبر وامر احمد باشا بتوقيف العسكر وحفر الخنادق حولهم ٠ اما اشرف فقد بعث باناس سرًّا ليسعوا في جمع قلوب الاكراد على ولائه وليذيعوا في المعسكر العثماني ان هذه الحرب مضادة للدين الحنيفي وبعث بآخرين من العلماء جهرًا الى احمد باشا ليستميلوا فؤاده الى السلم و يبينوا له ان الصلح خيرٌ فلم يسمع مقالتهم بل امر بسوق العساكر وكانت ٦٠ الفًا يصحبها ٧٠ مدفعاً ولم يكن مع اشرف سوى ٢٠ الفًا يصحبها ٤٠ زنبوركاً (وهو شيء يشبه المدفع يحمل على الجمل و يطلق وهو فوقه) ٠ فلما تلاقى العسكران انهزم العثمانيون شر هزيمة بعد ان قتل منهم ١٢ الفًا وتركوا جميع اسلابهم وادواتهم وفرّ احمد باشا الى كرمان شاهان وخوفًا من ان يتعقبه اشرف لم يقم فيها بل ذهب الى بغداد ٠ فاتخذ اشرف من ذلك فرصة لاستمالة افئدة العثمانيين فكتب الى احمد باشا يقول « انني لا احب التصرف في اموال المسلمين فارسل امينًا من طرفك يستلم جميع ما تركتم سوى الآلات الحربية » واطلق اسرى العثمانيين فاوجب ذلك اشتهاره عند العثمانيين بحسن السيرة فالتزموا ان يصالحوه على ان يعترفوا له بكونه شاه ايران وان يعترف هو بكون السلطان العثماني ظل الله في الارضين

كل هذا وطهماسب ابن شاه سلطان حسين لم ينفك عن السعي وراء ارجاع الملك الى عائلته وكأن السعد اراد خدمته فسخر له نادرخان (الذي صار فيما بعد نادر شاه وهو الفاتح الشهير وسيأتي ذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى) فحالما اتحد نادرخان المذكور مع عسكر طهماسب استولى على عدة مدن مثل مشهد وهرات واستفحل امره في تلك البلاد ٠ فلما سمع اشرف بذلك وكان قد انتهى من حرب الاتراك وعقد الصلح

معهم على ماتقدم اضطرب وأخذ يحشد العساكر فجمع ٣٠ الفًا وسار بهم الى خراسان وتلاقى مع عساكر نادر بقرب دامغان فهاجمها مرات متعددة الا ان عساكره لم تقدر على مقاومة عساكر نادر فانهزم ورجع الى اصفهان وامر بجمع الافغانيين وعسكر في شمال المدينة بقرب مودجه خوار وحفر خنادق واقام استحكامات . فتوجه اليه نادر فلما وصل الى معسكر اشرف وجده في غاية المناعة ومع ذلك امر بالهجوم عليه فلم تكن الا ساعة واحدة حتى انهزم الافغانيون هزيمة شنعاء وتقهقروا الى اصفهان وعلموا علم اليقين ان لا مقام لهم بها فباتوا ليلتهم يتأهبون للرحيل وقبل طلوع الشمس خرجوا من المدينة وارتكب اشرف اثمًا فظيعًا قبل فراره من اصفهان هو انه قتل السلطان شاه حسين السيئ البخت الذي رأى من المصائب مالم يره ملك من ملوك ايران

و بعد ان استولى نادر على اصفهان تقدم وراء الفارين من الافغانيين فلحق بهم في مدينة شيراز وحاصرهم ولما خابروه في الصلح لم يسمع لهم قولاً . فانقسم الافغانيون الى عدة فرق بأمر اشرف وفرت كل فرقة من ناحية . وهب الايرانيون في وجه هؤلاء الفارين من كل ناحية حتى قتلوا اكثرهم واذاقوهم البلاء الاكبر

اما شاه اشرف فكان يقاتل مع القبائل الى ان وصل الى بلوخستان فقابله اهلها بالقتل والسلب حتى لم يبق معه الا شخصان واخيرًا عثربه واحد من اهل بلوخستان وعرفه فقتله في الحال و بعث برأسه مع قطعة ماس كانت معه الى شاه طهماسب . وكان ذلك في سنة ١١٤٢ هـ . وهكذا انقرضت الدولة الغلجائية الافغانية والبقاء لله وحده

٧٢٧ – الدولة الحسينية بتونس

(تمهيد) لما فتح سنان باشا تونس (راجع فصل ٥٢١) . واراد العودة الى القسطنطينية ترك فيها حرسًا من الترك مؤلفًا من ٤٠٠٠ جندي وجعل لكل مائة منهم اميرًا يسمى الداي وعين لضبط الامور وجباية الاموال اميرلوا يسمى الباي وجعل النظر في امور العسكر للاغاء وخطب باسم السلطان سليم وضرب السكة باسمه واستمر الحال على ذلك الى سنة ٩٩٩ هـ حيث ثار الجند لما وقع عليهم من

الضيم والخسف واجتمع الدايات منهم وكانوا اربعين دايا فعقد لاحدهم ابراهيم رودسلي على قيادة الجيش مشاركة مع الاغا فاصبح زمام الحكومة في قبضته واتخذ لنفسه مساعدين احدهما الباي وخص بالنظر في شؤون الاعراب والجند والثاني القبطان وخص بالنظر في الشؤون البحرية . الا ان مدة حكمه لم تطل لانه احس بعد ثلاث سنوات من حكمه بحرج موقفه فبرح البلاد بدعوى الحج . وخلفه موسى وهذا لما رأى حرج الموقف اقتدى بسلفه . وتنازع الخطة من بعده عثمان داي وقرة صفر داي فانتصر عثمان داي على خصمه وخلصت له الرياسة سنة ١٠٠٧ هـ فاحسن السيرة في الرعية ثم توفي سنة ١٠١٩ هـ فخلفه صهره يوسف داي وكان ذا همة وعقل فصلحت تونس في ايامه ثم توفي سنة ١٠٤٧ هـ فخلفه مراد داي ثم احمد خوجه داي سنة ١٠٥٠ هـ الذي لم يكن له من الرياسة الا اسمها فقط والامر والنهي لحموده باي . وفي ايامه قويت شوكة الامراء البحريين وتواترت شكوى اوروبا من القرصنة فجاء اسطول انكليزي الى حلق الوادي سنة ١٦٥٤ م والزم حكومة تونس بقبول تعيين قنصل بريطاني لديها . ثم توفي احمد خوجه سنة ١٠٥٧ هـ وخلفه محمد لاز داي الذي توفي سنة ١٠٦٣ هـ وخلفه مصطفى لاز داي ثم توفي سنة ١٠٧٥ هـ فخلفه مصطفى قره قوز داي وكان ظالما عاتيا فخلعوه ومات سنة ١٠٧٧ هـ وخلفه حاج اوغلي داي وخلع سنة ١٠٨١ هـ وخلفه شعبان خوجه داي وخلع سنة ١٠٨٣ هـ وخلفه الحاج محمد امتشالي داي وخلع سنة ١٠٨٣ هـ وخلفه الحاج علي لاز داى وكان النفوذ في هذه المدة لمراد باي بن حموده باشا الذي ضعف بشوكته نفوذ الدايات من هذا العهد . ثم خلع الحاج علي لاز الداي واقام الجند مكانه عسكريا اسمه محمد اغا ولما علم مراد باي بذلك شتت جموعه ثم قتله وولى الحاج مامي جمل الذى غلب مراداً على امره واستاثر بالسلطة دونه فظل كذلك حتى توفي وتنازع السلطة بعده ولداه محمد باي وعلي باي فبويع محمد باي الذي خلع فخلفه عمه محمد الحفصي وبعد ولايته ذهب سلفه الى الكاف ورام عمه يحشد من اهلها فاضطرب امره واشهد على نفسه بالخلع فقدم محمد وجددت بيعته واخذ على من بايعوه العهد في عدم قبول عمه ولو بامر الدولة العلية . وغض

من اخيه علي فاستعان على مطالبه بشيخ الحنانشة الذي زوجه ابنته . و بينما هـو يدبر في امره معه اذ جاء عمه محمد الحفصي في سبع سفن عثمانيـة متقلدًا منصب الباشا من السلطان محمد خان فبعث الداي والاهالي وفدًا الى الاستانة لطلب رد الحفصي عنهم . ووصل علي باي في جمعه فهزم محمدًا ولما بويع له عزل الداي مامي جمل وولي بشارة ثم اعاد مامي وتوالى الاضطراب . واراد محمد الانتقام فانتصر عليه اخوه علي ثم عزل علي باي مامي جمل ثانية وولى بعده ازن احمد ثم محمـد طاباق . واعاد محمد كرة القتال جملة مرار لكنه رد بالخيبة وصفا الجو لعلي وطاباق ثم فتك الاول بالثاني وولى بعده احمد جلبي وكان شجاعًا غير مستسلم لعلي حتى عاقب احد اتباعه بالسجن لارتكابه امرًا دنيًا فعظم ذلك على الباى فقدم الى الحاضرة في ٢٥ الف فارس فاستصرخ الداى بمحمد باى وحدثت حروب بين هذا واخيه علي انتهت باتفاق الاثنين على اقتسام البلاد وقتال الداي الذى خرج لقتالهما لكن الداى انتصر عليهما فهزم محمدًا وفر علي لتخاذل قومه . ولما استتب الامر للداى جعل خازنداره محمد منيوط بايًا فشرد الاخوين فذهبا الى صاحب الجزائر واستصرخاه علي قتال عدوهما فاعانهما صاحب الجزائر على قتاله فاستولوا على الحاضرة واسروا الداى والباى وولوا الحاج بكطاش دايًا . ولكن الجند لم ترق هذه الشركة في اعينهم فنادوا بولاية محمد وقتلوا عليًا ثم قتل احمد جلبي وصفا لمحمد الجو فبني جملة من المدارس والمساجد والاسواق . وفي عهده ثار محمد بن شكر وتوجه الى الجزائر مستنجدًا متوليها فأنجده فهزم محمدًا قرب الكاف سنة ١١٠٥ هـ وفر محمد الى الصحراء وتم الامر لابن شكر فولى دايًا اسمه محمود وآخر اسمه محمد طاطار فتصرفوا في العمالة بالسلب والنهب واحقدوا عليهـم الخواطر . فأرسل الاهالي الى محمد باي ينادونه من وراء الصحراء فجاء وهزم محمد بن شكر الى فاس حيث مات واستتب الامر لمحمد باي الى ان توفي سنة ١١٠٨ هـ فخلفه الباي رمضان بن مراد وكان عاكفًا على الملاهي واجتلب الآلة المعروفة بالارغن واستولى على عقله مزهود المغني فتصرف بالقتل وغيره وكانت أم رمضان مسيحية

وماتت على دينها فبنى لها كنيسة في قرطاجنة . وكان مراد بن علي باي في كنف عمه رمضان المذكور فسمل عينيه ثم شفي وفر من حبسه فمالت اليه جموع الناس الذين نقموا على رمضان . فتمكن مراد المذكور من الانتصار على عمه رمضان وقتله وتولى مكانه سنة ١١١٠ هـ فانتهك الحرمات وجاهر بالفاحشة وعذب مزهودًا المفتي ومن وافقوا على سمل عينيه وقتل بيده الشريف محمدًا العواني واكل من لحمه مع ندمائه . ثم زحف على قسنطينة وهزم بايها ولكن وردت الى هذا الاخير الامداد ففتكت برجاله وعاد هو فخرب القيروان وابث يعثو في البلاد حتى فتك به ابراهيم الشريف بواطاة كبراء الجند سنة ١١١٣ هـ فبايع الجند ابراهيم الشريف واصله من جند الجزائريين الذين قدموا مع ابن شكر فخدم محمد باي حتى ترقي لمنصب الاغا . ولما تمت بيعته عزل الداي وولى مكانه مصطفى داي وسار بالظلم حيث استباح الناس قتلاً ونهبًا . ثم عزل مصطفى داي وأضاف منصب الداى الى نفسه وصار يوقع في أوامره : ابراهيم الشريف باي داي : ثم أتاه تقليد منصب الباشا فصار يكتب : الباشا ابراهيم الشريف باي داي : وقاتل صاحب طرابلس وانتصر عليه وخرج لقتال الجزائريين سنة ١١١٧ هـ وكان كاهيته حسين بن علي يثبطه على المبادرة بالقتال لانفضاض أنصاره من حوله فأبى الا التقدم فهزمه الجزائريون فارتاع اهل تونس لهذه الهزيمة واتفقوا على تقليد امير فقلدوا حسين بن علي السالف الذكر في ٢٠ ربيع سنة ١١١٧ هـ وهو رأس العائلة الحسينية التي نحن بصددها

٧٢٨ حسين باى بن على

من سنة ١١١٧ — ١١٥٣ هـ أو من سنة ١٧٠٥ — ١٧٤٠ م

كان أبوه علي يوناني الاصل واعتنق الاسلام وقد أظهر في ولايته الحكمة والرصانة وألغى لقب لداي وجعل الولاية وراثية في عائلته للاكبر من أولاده

الذكور وكان لا عقب له فعهد بالولاية لابن اخيه علي ثم رزق بأولاده الثلاثة محمد وعلي ومحمود من زوجته الجنوية الاصل فمنح ابن اخيه اقب الباشا تعزية له ولكن حقد عليه وثار فانهزم هو وابنه يونس الى الصحراء وبعد ان اقام بالصحراء مدة استفزته نزغات المطامع الى الاستيلاء على القيروان فلم يفلح فقصد الجزائر فاعنته له دايها مقابل جعل قدره ١٠٠٠٠ محبوب يؤديه اليه الباي سنوياً . وبعد أن استمر الحال على ذلك مدة اتفق ان اهمل الباي الارسال فأطلق الداي سراح علي وطلب من باي قسنطينة امداده فأمده ودخل تونس وصار تابعاً لداي الجزائر يؤدي اليه الجزية وكان حسين باي قد نجا الى القيروان حيث التف عليه اهل الساحل فحاربه يونس بن علي باي عدة سنوات وقتله في وقعة ٦ صفر سنة ١١٥٣ ه ونجا ابناه الى الجزائر وقسنطينة

٧٢٩　علي باشا باي

من سنة ١١٥٣ — ١١٦٩ ه او من سنة ١٧٤٠ — ١٧٥٦ م

نازع عمه حسين باي وانتزع منه الولاية واستتب امره بعد مقتل عمه المذكور سنة ١١٥٣ ه وحالما جلس على كرسي ولاية تونس ارهف الحد في شيعة عمه وبنيه وحاول نسخ بعض المعاهدات المبرمة مع فرنسا فبعثت اليه اسطولاً لاخذ طبرقة التي كان انتزعها من الجنويين فلم يفلح وأسر قائده ولكن اضطر الباي اخيرًا على التوقيع على عهدة ١٣ نوفمبر سنة ١٧٤٢ م . وكان ابنا حسين باي قد نجوا الى الجزائر كما قلنا فاغتنم دايها ابراهيم كچوك هذه الفرصة وسير جيشاً الى الكاف لمحاربة علي باشا ولكن باي قسنطينة حليفه في السر تثاقل عن الحصار بما أوجب تقهقر الجيش فمات محمود أحد ابناء حسين باي كمدًا وغماً وبعد قليل من ذلك ثار يونس على أبيه فأرهف ابوه الحد في النكاية باشياعه وشرده الى قسنطينة . وتلت هذه الثورة عصيان الاترك من الجند فاستعان الباي

عليهم بقبائل الاعراب واذنهم بعد الانتصار بنهب بيوت المسيحيين واليهود . وفي هذه الاثناء عين بابا علي دايا للجزائر وكان ناقماً على علي باشا فأنفذ اليه جيشاً بقيادة محمد وعلي ابني عمه حسين باي وكانت خواطر اهل تونس منصرفة اليهما فتعمدوا الجبن في الدفاع عن علي باشا فانتصر محمد وعلي عليه ودخلا تونس مع الجزائريين وقتلا علي باشا وابنه محمداً وذلك في ذي الحجة سنة ١١٦٩ ﻫ

٧٣٠ محمد باى بن حسين

من سنة ١١٦٩ — ١١٧٢ ﻫ او من سنة ١٧٥٦ — ١٧٥٩ م

وبعد مقتل علي باشا وابنه بايع التونسيون لاكبر أبناء حسين باي محمد باي وكان عالي الهمة واسع العلم أديباً شاعراً . لكنه لم يهنأ بالولاية طويلاً لان الجزائريين الذين كانوا السبب في اتصال الولاية اليه اثقلوا عليه المطالب ولما لم يجبهم الى ما طلبوا هجموا على القصبة ونهبوها ودمروا دور القناصل وخربوا الكنائس والمساجد . فأسرع أخوه علي لنجدته وألزم الجزائريين بالجلاء بعد أن تعهد الباي لهم بأتاوة سنوية من الزيت ثم توفي محمد باي في ١٤ جمادي الثانية سنة ١١٧٢ ﻫ (١١ فبراير سنة ١٧٥٩ م) فحزن الناس كثيراً لوفاته وكتب على قبره قصيدة مطلعها

هذا ضريح للامام الامجد   نجم الملوك السيد ابن السيد

وختامها بشرى له اذ جاء في تاريخه   يا حسن حور زينت لمحمد

٧٣١ على باى بن حسين

من سنة ١١٧٢ - ١١٩٦ ﻫ أو من سنة ١٧٥٩ — ١٧٨٢ م

وتولى بعده أخوه علي باي فسار على خطة والده وأخيه في تعضيد الزراعة والصناعة واطلق حرية الاتجار للاوروبيين ورفع شأن البحرية والجيش وحسن

العلائق بينه و بين الدول لا سيما فرنسا . ولكن حدث بعد قليل ما كدر صفو هذه العلائق فان جزيرة قرسقة ألحقت بفرنسا وكانت تونس في حرب معها سنة ١٧٦٨ م فلم يصادق الباي على الحاقها ولا على اعطاء الجنسية الفرنساوية للاسرى القرسقيين وكانت نتيجة ذلك أن أرسلت فرنسا أسطولاً فرنساوياً أطلق القنابل على حلق الوادي و بنزرت وسوسة وانجلى الامر عن عقد معاهدة باردو والتي قضت باطلاق القرسقيين وتجديد الامتياز بصيد المرجان . ولما عادت العلائق الودادية بينه و بين فرنسا الى مجراها أشرك ابنه حمودة في الحكم كمالة لحقه في وراثة المملكة . ومن مآثر علي باي انشاؤه التكية الموجودة الآن وغيرها من أعمال البر والخير ثم توفي في ١٢ جمادى الثانية سنة ١١٩٦ هـ

٧٣٢ . حموده باى بن علي

من سنة ١١٩٦ ـــ ١٢٢٩ هـ أو من سنة ١٧٨٢ ـــ ١٨١٤ م

فخلفه ابنه حمودة باي ولاول ولايته جدد المعاهدات بينه و بين فرنسا . وحدثت بينه و بين جمهورية البندقية حرب بسبب سفينة تجارية فجاء الاميرال البندقي ايمو باسطوله وضرب سوسة وصفاقس وحلق الوادي ولم يرض الباي بالصلح واتفق ان مات الاميرال فكانت وفاته سبباً في عقد الصلح سنة ١٧٩٢ م . وفي ايامه حصلت الثورة الفرنساوية الكبرى واستولت فرنسا على مالطة واحتلت مصر فتغيرت خواطر التونسيين عليها وأخذت حكومات طرابلس والجزائر تعامل الفرنساويين بالقسوة . ثم امتنع حمودة باي عن دفع الاتاوة السنوية للجزائر فسير احمد داي جيشاً اليه فخرج التونسيون في ٥٠٠٠٠ مقاتل بقيادة سليمان كاهية وزحفوا على قسنطينة ولكنهم ردوا عنها مدحورين سنة ١٨٠٧ م فطمع الجزائريون في تونس واغاروا عليها فقهرهم التونسيون في الكاف وغنموا منهم ١٠ مدافع وقتل الداي احمد وخلفه الحاج علي داي فانفذ جيشاً آخر تلقاه حمودة

بجنان ثابت . ولم يصل الجزائريون الى حدود تونس حتى بلغهم خبر ثورة الاعراب في الجزائر فانكفأوا راجعين الى بلادهم لتسكين الثوار فيها . وما خلص حمودة باي من الجزائريين حتى تآمر البعض على اغتياله ولكنهم قتلوا عن آخرهم

ثم قدم اسطول جزائري ليلزم الباي الاعتراف بسيادة الجزائر عليه فقبل بتوريد الزيت اللازم للمساجد كل سنة الا ان الجزائريين عادوا لمهاجمته براً وبحراً سنة ١٨١٣ م ثم اضطروا للعود الى بلادهم لثورة القبائل مرة ثانية . ثم توفي حمودة باي في غرة شوال سنة ١٢٢٩ هـ (١٤ سبتمبر سنة ١٨١٤ م) ورثاه الشيخ ابراهيم الرياحي بقصيدة يقول في مطلعها

حكم المنية نافذ الاحكام	والدار ما جعلت بدار مقام

وختمها بتاريخ وفاته فقال :

ولقولتي حقق بفضلك فيه اذ	ارخت قيل ادخلنا بسلام

٧٣٣ – عثمان باشا باي بن علي

من سنة ١٢٢٩ – ١٢٣٠ هـ او سنة ١٨١٤ م

فتولى بعده اخوه عثمان باشا ولم يحدث في ايامه حادث يذكر لانه بعد اسابيع من ولايته خلع وقتل هو وابناؤه الارضيعاً منهم ليلة عاشوراء سنة ١٢٣٠ هـ

٧٣٤ – محمود باشا باي

من سنة ١٢٣٠ – ١٢٣٩ هـ او من سنة ١٨١٤ – ١٨٢٤ م

فبويع بعده محمود باشا باي . وأهم ما حدث في ايامه اعتداء القرصان على سردنيا ومجيء اسطول انكليزي لطلب اطلاق الاسرى فاطلقهم الباي فعصاه الاهالي لذلك واستولوا على حلق الوادي . وفي سنة ١٨١٩ م وقع الباي على معاهدة قدمها اليه الاميرال والاجرافيير بالنيابة عن اوربا . وفي سنة ١٨٢١ م تم

الصلح بين تونس والجزائر بمساعي الدولة العلية وزالت الشحناء القديمة وفرح الاهالي لذلك فرحاً عظيماً . ومن اعمال محمود باشا ارساله اسطولاً لمساعدة الدولة العلية لاطفاء ثورة اليونان ثم توفي في ٨ رجب سنة ١٢٣٩ هـ

٧٣٥ – حسين باي بن محمود

من سنة ١١٣٩ – ١٢٥١ هـ او من سنة ١٨٢٤ – ١٨٣٥ م

فخلفه ابنه حسين باي واهم ما يذكر عنه ارساله وفداً لحضور تكليل شارل العاشر ملك فرنسا ومنح شركة انكليزية امتياز صيد المرجان على السواحل . ولما حدثت واقعة ناڤرين ببلاد اليونان واحرق الاسطول التونسي ضمن الدونمة الاسلامية التي أحرقت فيها حدث فتور في العلائق بينه و بين فرنسا . وفي ايامه فتحت فرنسا الجزائر فارسل الباي تهنئة للقائد الفرنساوي ثم جدد كافة المعاهدات مع فرنسا . وتوفي في ١١ محرم سنة ١٢٥١ هـ (سنة ١٨٣٥ م)

٧٣٦ – مصطفى باي بن محمود

من سنة ١٢٥١ – ١٢٥٣ هـ او من سنة ١٨٣٥ – ١٨٣٧ م

وتولى بعده اخوه مصطفى باي بن محمود وكان يعتمد على مصطفى صاحب الطابع وصهره مصطفى اغا وجرى على سنن اخيه في الاعتناء بالعسكر النظامي وهو اول من صاغ نيشان افتخار وله مآثر مشهورة في العمران الا ان مدة ولايته لم تطل لانه توفي في ١٠ رجب سنة ١٢٥٣ هـ

٧٣٧ احمد باي بن مصطفى

من سنة ١٢٥٣ — ١٢٧١ هـ او من سنة ١٨٣٧ — ١٨٥٥ م

وخلفه إبنه احمد باي بن مصطفى وكان عاقلاً محباً للتقدم وثق العلاقات بينه وبين فرنسا . وصدر له الخط الهمايوني الشريف باستقلاله . وناط بضباط فرنسا وبين ترتيب جيشه وانشأ عمارة بحرية قوية . ثم ثار عليه القبائل لكثرة اموال الجباية فاثخن فيهم حتى اخلدوا الى السكينة . وامر بابطال الاتجار في الرقيق ونسخ القوانين الخاصة بمحاكمة اليهود . ثم زار فرنسا سنة ١٨٤٦ م فاحتفلت الحكومة باستقباله واستعرضت امامه حامية باريس . ولما شبت حرب القرم بعث بعشرة الاف مقاتل لنجدة الجنود العثمانية ثم توفي في ١٦ رمضان سنة ١٢٧١ هـ (مايو سنة ١٨٥٥ م)

٧٣٨ — محمد باي بن حسين

من سنة ١٢٧١ — ١٢٧٦ أو من سنة ١٨٥٥ — ١٨٥٩

وتولى بعده ابن عمه محمد باي بن حسين وهذا جنح الى سياسة وزيره مصطفى الخازندار وكانت سياسة عقيمة فناط مؤتمر الدول الذي اجتمع في باريس بالمسيو ليون روش قنصل فرنسا في تونس نصح الباي الى العدول عن خطته وقبول بعض الاصلاحات الادارية فساعده على اداء هذه المهمة خير الدين باشا . وفي ايام هـذا الباي عادت الجنود التونسية التي كانت في حرب القرم ناقصاً منها نحو اربعة الالاف

وفي ١٠ سبتمبر سنة ١٨٥٧ م تلي النظام الاساسي الذي وضعه قنصل فرنسا للحكومة التونسية بحضور القناصل الاوربيين واكابر الموظفين التونسيين . وكان السبب الموجب لوضع هذا النظام انه اتفق ان يهودياً سب الدين الاسلامي فحكم عليه بالاعدام كما حكم به على ايطالي ثبت عليه الزنا فتداخل قنصل فرنسا في الامر وانجلى الحال بوضع النظام المذكور . وفي سنة ١٨٥٨ م أنشئ مجلس بلدي لمدينة تونس . وفي ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٥٩ . توفي محمد باي (٢٦ صفر سنة ١٢٧٦ هـ)

٧٣٩ - محمد الصادق باى

من سنة ١٢٧٦ — ١٢٩٩ ﻫ او من سنة ١٨٥٩ — ١٨٨٢ م

وتولى بعده محمد الصادق باي وكان كثير الدعة واللين فترك زمام الامر لمصطفى خزندار الذي اساء التصرف بعقد القروض حتى نتج عن ذلك تشكيل لجنة دولية لادارة ايرادات الايالة التونسية وتنبه الباي للاخطار المحدقة به فعزل الخزندار المذكور وولى في الوزارة خير الدين باشا . وفي ايامه ثار الاعراب على الحكومة ولم تتمكن حكومة تونس من قمع هذه الثورة حتى اصبحت ارواح واموال الفرنجة في خطر دائم فلما رأت فرنسا التي يتبع معظم الافرنج في تونس لها هذه الحالة الخطرة ساقت عساكرها الى تونس بدعوى حماية الفرنساويين وقمع ثورة الاعراب وكانت نتيجة هذه الحملة احتلال فرنسا لتونس احتلالاً عسكريّاً واعترف الباي بحماية فرنسا على الايالة التونسية بمعاهدة وقع عليها في القصر السعيد في ١٢ مايو سنة ١٨٨١ م . ومن ذلك الحين صارت فرنسا صاحبة الحل والعقد في تونس ليس للباي معها الا الاسم فقط . وفي ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٨٢ م (١٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٩ ﻫ) توفي محمد الصادق باي

٧٤٠ - على الصادق باى

من سنة ١٢٩٩ — ١٣٢٠ ﻫ او من سنة ١٨٨٢ — ١٩٠٢ م

وتولى بعده اخوه علي الصادق باي الذي اضطر ان يسير على ما تقتضيه معاهدة القصر السعيد المعروفة بمعاهدة باردو واتفاقية ٨ يونيو سنة ١٨٨٣ م التي تحددان سلطته وتلزمانه بقبول الاصلاحات الادارية والقضائية والمالية . وسمي قنصل فرنسا بالوزير المقيم وهو الذي يسن القوانين و يراقب تنفيذها وترجع اليه السلطة العامة في الامور الداخلية والخارجية والشؤون الحربية برية وبحرية . وقد اخذت ثروة البلاد في اتساع النطاق ، والتفت الناس الى تربية ابنائهم مجاراة لمجاورهم من الاوربيين ومنافسة لهم في معترك الحياة . ولم يزل الحال كذلك الى أن توفي علي الصادق باي في ١٢ يونيو سنة ١٩٠٢ م (١٣٢٠ ﻫ)



(ش ٦ علي الصادق باي)

٧٤١ — محمد الهادي باشا باي

من سنة ١٣٢٠ — ١٣٢٤ هـ او من سنة ١٩٠٢ — ١٩٠٦

وخلفه صاحب السمو محمد الهادي باشاباي فسار على خطة سلفه من سياسة البلاد بالحكمة والروية وتعضيد الزراعة والصناعة . ومن اهم الحوادث في عهده زيارة رئيس الفرنساوية له ورده لهذه الزيارة واستقبال الحكومة الفرنساوية لسموه بمظاهر الحفاوة الملوكية . ولم يزل رحمه الله موضع احترام التونسيين حتى توفاه الله في شهر مايو سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٤ هـ) فكانت مدة امارته اربع سنين واثنى عشر يوماً وعملاً بالنظام

الاساسي التونسي الذي يقضي بان الباي المتوفي يرثه اكبر امراء العائلة الحسينية سنًا فقد خلفه صاحب السمو سيدي محمد الناصر المولود في ١٤ يوليو سنة ١٨٥٥ م وهو الباي الحالي

٧٤٣ — دولة نادر شاه بايران

من سنة ١١٤٩ — ١١٦٠ ه او من سنة ١٧٣٦ — ١٧٤٧ م ·



(ش ٧ نادر شاه)

ولد هذا الرجل العظيم في ١١ نوفمبر سنة ١٦٨٧ م وكان والده من عشيرة الافشار ومن عامة الناس · فلما شب رأى بلاده في حالة الفوضى من ضعف الحكومة وهجوم قبائل التتر عليها حيناً بعد حين فصارت الاحوال تتقلب عليه وهو

يوماً يؤخذ اسيرًا و يوماً يخدم عمال السلطان و يوماً يترأس عصابة فرقة من اللصوص و يسطو بها على البلاد و ينهب الاموال حتى اشتهر امره مثل اكثر اللصوص المشهورين واستدعاه حاكم خراسان اليه فجاءه ولقي منه الاكرام واستعان به الحاكم المذكور على محاربة التتار مدة ثم ظهرت منه امور اوجبت خلعه من وظيفته واهانته فصعب ذلك على نادر وعاد الى حاله الاول فانشأ عصبة من اللصوص جعل الرجال ينضمون اليها الوفاً حتى صار عدد جيشه نيفاً وثلاثة الاف محارب وخافت الحكومة سطوته فسعى بعض اقاربه في ضم قوته الى قوة طهماسب يوم كان هذا الامير يحاول طرد الافغانيين من ايران وتم الامر على ذلك وصار نادر من اعظم اعوان طهماسب • فاغار معه على الافغانيين وطردهم من ايران كما تقدم ذكر ذلك في الدولة القاجائية واجلس مولاه طهماسب بن حسين الصفوي على كرسي اجداده . وكانت افكار نادر موجهة الى الجلوس على عرش ايران العظيم فاخذ يترقب الفرص لاتمام مقصده . وكان الاتراك في ذلك الوقت يهاجمون الجهات الغربية من بلاد ايران فزحف اليهم نادر وردهم على اعقابهم الا انه بلغه اثناء ذلك ان الافغانيين هاجموا خراسان وان الثورة عمت انحاءها ولان خراسان من الاعمال الخاصة به اضطر ان يترك الاتراك ففعل وتقدم الى خراسان ونكل بالافغانيين واعاد السلام الى البلاد . وفي اثناء غياب نادر بخراسان تقدم شاه طهماسب باشارة بعض مريديه على جيش الاتراك لاتمام طردهم من ايران الا انه كسر كسرة هائلة وخسر كل الذي ربحه نادر حتى انه اضطر الى عقد الصلح مع والي بغداد على ان يترك للاتراك الاراضي الواقعة وراء نهر اركس ولم يشترط على الاتراك رد الاسرى الايرانيين الذين كانوا في قبضتهم . فلما رجع نادر من خراسان وعلم بما كان انتهز هذه الفرصة للتشنيع باعمال طهماسب تمهيدًا لما يريده فارسل الكتب الى كل الحكام في الولايات يعلمهم بانه لا يرضى لبلاده وقومه مثل هذا الصلح المزري وانه عازم على حرب الاتراك ومصالحتهم على شروط انسب من هذه او اخضاعهم وطلب مساعدة الحكام . فاهاج هذا

المنشور على شاه طهماسب . ثم تقدم نادر الى مدينة اصفهان وحالما وقع نظره على مولاه السلطان شاه طهماسب اخذ يوبخه على مسمع من الخدام والاعوان ثم تظاهر بالصفح عنه

وبعد قليل دعا نادر السلطان الى وليمة في حديقة قصره فلبى السلطان الدعوة في ذلك المساء فالقى نادر القبض عليه ونفاه الى خراسان بدعوى عدم كفائته وولى مكانه ابنه الطفل عباس ميرزا واقام نفسه وصياً عليه

وبعد ان تم تتويج الطفل عباس شاه زحف نادر لمحاربة الاتراك وحاصر مدينة بغداد وكاد يفتحها لولا وصول المدد العظيم لجيش الاتراك حتى صار جيشهم يزيد عن جيشه زيادة كبرى في العدد والمدد فتقهقر الايرانيون مع ان نادرًا فعل فعل الابطال ولكنه اضطر اخيرًا الى الرجوع عن بغداد ونواحيها بعد ان تفرق جيشه ايدي سبا وبلغ عدد قتلاهم ٤٠ الفاً . ولم يؤثر هذا الفشل الكبير بنادر بل انه زاد همته وشدد عزيمته فانه حال وصوله الى همزان شرع في لم شعثه وازاحة العلل حتى اجتمع لديه خلق كثير وبدأ ينظمهم ويعلمهم الحركات العسكرية حتى صار جيشه قوياً . فلما سمع الاتراك باستعداد نادر لاعادة الكرة عليهم ارسلوا جيشاً عظيما بقيادة المشير توبال عثمان باشا وكان بطلاً مقداماً الا ان الحظ لم يخدمه لان نادرًا التقى بطلائع جيشه فهزمها . ووصل المنهزمون الى مركز الجيش والايرانيون يطاردونهم حتى اذا التقى الجيشان وانتشب القتال فاز الايرانيون فوزًا مبيناً وقتل من الاتراك عدد عظيم وفي جملتهم قائد الحملة وانتهت الحرب بعقد الصلح بين نادر وبين والي بغداد . وبعد عقد الصلح زحف نادر على بعض القبائل الثائرة ليخضعها وتم له ذلك . ولكنه علم حال انتصاره على الثائرين ان سلطان الاتراك ابى التسليم بالصلح المنعقد بينه وبين والي بغداد فارسل جيشاً آخر بقيادة عبدالله باشا لمحاربته والفوز عليه . ولما تحقق نادر هذا الخبر عاد بكل جيشه الى محاربة الاتراك والتقى بجموعهم في سهول ارمينية وكان الاتراك اكثر عددا من رجاله ولكن قوة نادر وشجاعته رجحت جانب الايرانيين

فهزموا الاتراك شر هزيمة وقتلوا قائدهم عبدالله باشا . واستولى نادر بعد هذا الانتصار العظيم على مدينتي كنجه وتفليس وجميع بلاد القوقاس حتى اضطر الاتراك ان يعقدوا معه صلحاً تعهدوا بموجبه بترك مدائن ايروان والقارص وكافة الاملاك الايرانية التي استولوا عليها . وعاد هذا الفاتح العظيم بعد النصر الى اصفهان سالماً غانماً واحتفل الايرانيون بدخوله احتفالاً عظيما

واتفق في هذه الاثناء وفاة الطفل عباس شاه الذي أقامه نادر شاهاً فانتهز نادر هذه الفرصة للجلوس على عرش ايران لكنه رأى بعد الامعان انه الافضل أن يأتي هذا الامر من جانب الايرانيين فأرسل الكتب الى امراء ايران واعيانها يدعوهم الى حضور الاحتفال بيوم النوروز المشهور فجاء منهم نحو مائة الف رجل في صحراء مغان باذربيجان . فلما تكامل الجمع وانقضى دور الاحتفال وقف نادر في وسطهم واعلمهم بوفاة ملكهم عباس وطلب اليهم أن ينتخبوا لهم ملكاً غيره يقدر على حفظ كرامة المملكة واشترط عليهم أن ينتخبوا غيره (تأمل حسن سياسته) متظاهراً بالتعب من ادارة الاحكام والميل الى الراحة . ثم انسحب هو الى خيمته ليتداول الامراء في غيابه . ولم يمض الا القليل حتى بعث الامراء يطلبونه وأعلموه انهم أجمعوا على تنصيبه ملكا دون سواه . فتظاهر بعدم الرضا وتمنع كثيراً حتى انه بقي شهراً كاملاً يأبى قبول هذا الشرف العظيم حتى تحقق ان الافكار كلها استعدت لما يريد فجاهر حينئذ بالقبول . ولكنه اشترط على أهل بلاده لقاء ذلك ان يتحدوا قلباً وقالباً مع السنيين وشدد في ذلك فتبعه بعض الناس ولم يرَ مقاومة في هذا الامر . وعلى ذلك جلس نادر على كرسي مملكة ايران باحتفال كبير وذلك في شهر صفر سنة ١١٤٩ هـ (الموافق سنة ١٧٣٦ م) . ولقب من ذلك اليوم بنادر شاه ولاول ولايته أصدر أمراً مطولاً يدعو فيه اهل ايران الى استعمال السلاح وتعلم المعارف والمواخاة مع السنيين

وابتدأ نادر شاه يستعد لفتح الممالك فأراد التخلص قبل كل شيء من الافغانيين وسحق قوتهم فجمع جيشاً لا يقل عن ٨٠ الفاً قصد به اخضاع امارة

قندهار وهي يومئذ لاخي السلطان محمود الفاتح الافغاني الشهير . وكانت قندهار حصينة جدًّا ولاهلها بسالة وعزم شديد فحاصرها نادر وبنى حولها الحصون والقلاع ومكث حولهـا حولاً كاملاً يحاول امتلاكها وهي لا تخضع حتى تعب من طول الحصار وأشار الى جنوده بالهجوم العنيف فهجمت عساكره هجمة الاسود الكواسر وافتتحوا البلدة عنوة فسلم حاكم المدينة لمـا لم يبق له امل في الخلاص وعامله نادر بالرفق والمودة وضم بعض الفرق الافغانية الى جيشه فكانوا من اعظم المساعدين له على افتتاح المدائن التي افتتحها في بلاد الهند بعد ذلك بقليل

وكان رضاقلي ميرزا بن نادر شاه بطلاً مقداماً مثل أبيه وله جنود واعوان يساعد بها والده على النصر . فبينما كان نادر شاه محاصرًا قندهار كان ابنه البطل المذكور يحارب باقي بلاد الافغان فدوخ البلدان وهزم الجيوش وامتلك الحصون ثم تقدم الى بلاد التتار ليفعل فيها فعله في بلاد الافغان فلما سمع والده نادر شاه بتقدمه على بلاد التتر ارسل اليه ينهاه عن محاربتهم اكراماً لجنكزخان وتيمورلنك الذين يجب اكرامها واحترام اقوامهما . فرجع رضاقلي ميرزا عنهم . واكتسب نادر شاه مودتهم من ذلك اليوم فلم يلق منهم ما لقيه غيرة من الهجوم المستمر على حدود مملكته وتمكن بذلك من التفرغ لاخضاع البلدان . وأول ما فكر نادر شاه في افتتاحه من البـلاد الاجنبية بلاد الهنـد وصار يترقب الفرص المناسبة للهجوم عليها . واتفق بينما كان نادر شاه يحاصر مدينة قندهار أن فر بعض الافغانيين الى بلاد الهند محتمين بولاتها فكتب نادر شاه الى محمد شاه سلطان الهند (هو من اسرة تيمورلنك وبابر الشهيرين) أن لا يسمح لحكام بلاده بقبول اعدائه الافغانيين ومساعدتهم . وكرر نادر شاه الكتابة اليه فلم يتنازل محمد شاه الى اجابته وأوجد بذلك سبباً للضغينة وفتح لنادر شاه باباً طالما تمنى افتتاحه

وزحف نادر شاه سنة ١٧٤٠ م بكل مالديه من القوة على بلاد الهند ولم يلق في طريقه الى دهلي مقاومة تذكر لان سلطان الهند كان غارقاً في ملذاته

ووزراءه واعيان دولته مثله لا يهتمون بغير الحظ والمسرات ولا يحسبون لغوائل الدهر حساباً و يظنون ان نادر شاه لا يتجاسر على التقدم الى بلادهم . ولكن نادر شاه كان يتقدم بسرعة غريبة الى عاصمة بلاد الهند وكلما مر بولاية او مدينة أخضعها حتى قرب من دهلي . فأفاق حينئذ محمد شاه من غفلته فجمع جيشاً كبيرا و برز لقتال الايرانيين فالتقى الجمعان و بعد قتال شديد انهزم الهنود بعد ان قتل منهم نحو ٢٠ الفاً وأسر عدد كبير وفر الباقون هاربين . فلما رأى سلطان الهند انه لا بد مأخوذ عوّل على مصالحة الفاتح الايراني العظيم وأرسل اليه الامراء والوزراء ليخابروه في أمر الصلح ثم حضر هو بنفسه الى خيمة نادر شاه فاحتفل سلطان ايران به واحتفالاً عظيماً واكرمه اكراماً زائداً حتى انه وقف بنفسه في خدمته . ثم عقد معه صلحاً وأقره على سلطنة الهند وجعله حليفاً له يصدع بأوامره وأخذ منه قسماً كبيراً من الولايات الهندية الواقعة الى جهة حدود ايران . وغنم نادر شاه في هذه الحملة من الاموال والتحف مالا يوصف لان سلطان الهند أراد الاعراب عن شكره لجميل نادر فلم يبق في خزائنه شيئاً من التحف والجواهر المشهورة الا ووهبه لهذا الفاتح العظيم واقتدى الامراء والاغنياء وكل ذي وجاهة وثروة بالسلطان فجمعوا مالاً لا يحصى وأعطوه للسلطان ثمن رقابهم واقراراً بالخضوع لسيفه و بلغت قيمة هذه الاموال مبلغاً هائلا حتى قيل انها لا تقل عن ٤٠ مليون جنيه . وكان مما جمعه نادر شاه من الجواهر والتحف تخت الطاووس الشهير وجوهرة (درياي نور) وجوهرة (كوه نور) اللتان ليس لهما نظير في العالم

ثم أصدر نادر شاه منشوراً بالصلح واقراره محمد شاه بالسلطنة وكان على وشك الرجوع الى بلاده فحدثت فتنة في مدينة دهلي وقام جهلاء الاهالي على جنود نادر شاه فقتلوا بعضهم وساعدهم في ذلك اناس من الاعيان والامراء . فاشتد غيظ نادر وأقسم أن لا يترك المدينة حتى ينتقم لرجاله من أهلها . ولذلك جمع عساكره وأصدر لهم أمراً بقتل كل من وجدوه من أهالي دهلي فثار الجنود

في كل جهة يقتلون و يذبحون ونادر شاه قاعد في غرفة مظلمة وقد تولاه الغيظ والقلق . وظل الايرانيون يشتغلون في الذبح زماناً طويلاً حتى هلك من أهل دهلي بنحو ٥٠ الف نفس وقيل اكثر . فلم يبق لمحمد شاه سلطان الهند صبر على هذه الاحوال فأسرع الى قصر نادر شاه ودخل غرفته مستغيثا بشهامته ومسترجيا أن يبقي على من بقي من أهل دهلي فأكرم نادر شاه مقدمه وأمر في الحال بتوقيف هذه المجازرالبشرية فصدع الايرانيون لامره وامتنعوا عن القتل والذبح وهدأت الاحوال . ومن غرائب الامور ان ابن نادر شاه الثاني اقترن بابنة محمد شاه واحتفل بزفافها احتفالاً باهرًا فيمدينة دهلي بعد هذه الحوادث الهائلة بأيام قليلة . ثم بارح نادر شاه عاصمة الهند بعد أن أقام فيها ٥٨ يوما

واحتفل الايرانيون بدخول ملكهم مدينة أصفهان احتفالاً شائقا . وظل نادر شاه أشهرًا في أصفهان لاهم له غير ايلام الولائم والتمتع بلذة الملك ولكنه خاف أخيرًا أن يستولي الخمول على عساكره فقام بجيشه لمحاربة ملك بخارا واسمه يومئذٍ أبو الفيض خان وتمكن من اخضاعه ومحالفته . ثم تقدم على بلاد خوارزم و بلاد خيوة وقهر حاكمها ايلبارص وقتله وولى مكانه أحد أقارب أبي الفيض ملك بخارى بعد أن صاهره وولاه . وتقدم بعد هذا لمحاربة أهل داغستان ورد غاراتهم عن الانحاء المجاورة لهم ولكنه لم يلاق النجاح الذي تعوده في حروبه السابقة . وحدث في أثناء هذه الحرب الاخيرة حادث أقلقه . ذلك ان أحد الاعداء كمن له ولولا القليل امتلك به الا ان ابنه رضاقلي ميرزا أسرع لانقاذه . ولكن من الغريب ان نادر شاه أساء الظن بابنه الباسل بعد هذه الحادثة وظل يزيد كرها له يوما بعد يوم حتى أمر بسمل عينيه فخسر بهذا الصنيع اكبر مساعد له ثم ندم نادر شاه على هذه القسوة الوحشية بعد حين ولكنه على ما يظهر أصيب بمرض الوهم والقسوة مثل غيره الذين رقوا سلم المجد بالاقدام والجرأة ونشأ عن ذلك تأخر احواله فانه اشتبك بعد ذلك بحرب مع الاتراك لم يظهر فيها شيئاً من بسالته المعهودة وانهزم الاتراك لمجرد توهمهم انهم لا يقدرون على الوقوف في

وجه نادر شاه

وجعل نادر شاه مدينة مشهد (طوس القديمة) عاصمة ملكه وعول على العدول عن مضادة اهل المذهب السني ولكنه رأى ان مجاهرته بالعدوان لمذهب الايرانيين (الشيعي) سبب نفور القوم منه فشدد في اضطهاد بعض المشائخ والائمة وكان ذلك داعيا الى انتشار الثورة فعصته ولايات فارس وشيروان ومازندان وسيستان . وظهر ان الايرانيين كلهم بدأوا يكرهونه لانه كان يسيء الظن بهم حتى أنه قدم الافغانيين عليهم . ولهذا زاد العتو في صدر نادر شاه وصار يقتل الناس بالجماعات ولا يشفي غليله حتى خاف الامراء شر الآخرة وتآمروا على قتله وفي جملتهم بعض القواد ورئيس الحرس وهم من قبيلة الافشار التي نشأ منها نادر فدخلوا مخدعه في احدى الليالي وقتلوه سنة ١٧٤٧ م (سنة ١١٦٠ هـ) . وأخذ احد الافغانيين من تاجه الجوهرة المسماة درياي نور (اي بحر النور) السابق ذكرها وهي الآن في تاج ملكة انكلترا

وكان نادر شاه من اعظم ملوك الارض واشتهر بحبه للجواهر والمال وبدهائه في استمالة الشعوب التي يخضعها . كما انه اشتهر بكرهه للاديان عموما حتى انه ترجم بعض اسفار الانجيل ليرى اذا كانت اقرب الى ذوقه من القرآن وجمع ارباب الاديان الثلاثة الالهية يوما و باحثهم في الاديان ثم صرفهم . ولم تزل اثاره العظيمة في كل انحاء ايران الى اليوم

و بعد موت نادر شاه ارسل القواد الى ابن اخيه علي شاه فحكموه على ايران وحالما جلس على كرسي السلطنة لقب نفسه عادل شاه وقتل كل آل نادر ما خلا حفيده شاه رخ ميرزا وهو يومئذ ولد صغير . ثم ظهر ان عادل شاه ضعيف خامل فلم يقوَ على الحكم زماناً حتى جاء أخوه ابراهيم خان الذي حكم العراق باسمه وعزله وجلس مكانه الا ان هذا المعتدي لم يذق طعم العز زمانا فقام عليه حراسه وقتلوه وولوا مكانه شاه رخ الذي ذكرناه : وكان شاه رخ يوم رقي العرش صغيراً وكان له خصم عنيد هو ميرزا سيد محمد أحد قواد نادر شاه فتمكن هذا الخصم من

اسر شاه رخ واطفاء بصره والجلوس على عرش المملكة . ولكن لقي سيد محمد ميرز في الحال ما يلقاه الظالمون لان يوسف علي خان وهو رئيس جيش ايران يومئذ اسرع الى الانتقام من ظالم شاه رخ فاسره وقتله واعاد شاه رخ الاعمى الى العرش على ان الطامعين في العرش كثروا في تلك الاثناء واضطر شاه رخ بعد العناء الكثير ان يرضى ببلاد خراسان فنقل اليها وظل حاكماً عليها زماناً وصارت ايران الى قبضة كريم خان زند رأس الدولة الزندية وسيأتي ذكرها . ثم مات شاه رخ بخراسان وبموته انقرض الملك من عائلة نادر شاه الشهير والملك لله يؤتيه من يشأ وهو العزيز الحكيم

٧٤٣ الدولة العبدالية (ابدالية) السدوزائية بافغانستان

(تمهيد) ذكرنا في فصل (٧٢٢) ان افغانستان تتألف من عدة قبائل اشهرها قبيلتا الغلجائي والعبدل وانهم استمروا تحت حكم الدولة الصفوية مدة . فلما كانت ايام شاه عباس الكبير اساء الحاكم الايراني السيرة في اهل افغانستان وارهف حده في الاستبداد بدرجة لا تطاق فذهب احد الامراء العبدالية (ابدالية) واسمه سدو الى اصفهان ليلقي امر بلاده الى شاه عباس ويحاول انقاذها من ظلم الولاة فحظي بمقابلة جلالة الشاه المذكور وشرح له حكاية بلاده ورجاه ان يخلصها من يد الظالمين ووعده برضوخ الاهالي بلا معارضة لكل حاكم يوليه عليهم على شرط ان يكون من اهل الانصاف والذمة فسمع عباس شكواه واهتم بانصاف بلاده ثم سر من فصاحة سدو في المقابلات الاخرى ومن نبالة مقاصده فعينه والياً على افغانستان واعطاه فرماناً بذلك جعله في مقام الامراء المستقلين تحت سيادة سلاطين ايران وفرح اهل افغانستان بذلك فرحاً عظيماً فجعلوا طاعة سدو واولاده من بعده فرضاً واجباً عليهم وهم الى الآن يعتبرون السدوزية او نسل سدو من اهل الكرمات الذين لا تمد اليهم يد السوء ولا تجوز معاقبتهم او الانتقام منهم على جناية وان تكن

جناية القتل بنفسها . ومن نسل سدو المذكور خرج احمد شاه العبدالي رأس هذه الدولة العبدالية السدوزائية التي نحن بصددها . و بيان ذلك انه لما قامت الدولة الغلجائية واستولت على ولاية قندهار ثم اغارت على بلاد ايران واستولت عليها على ما تقدم ذكر ذلك قام ازادخان العبدالي في الوقت نفسه واستولى على مدينة هرات ورفع لواء الاستقلال ولم يزل نسله بها الى ان انقرضت الدولة الغلجائية بقيام نادر شاه الفاتح الايراني الشهير الذي استولى على جميع بلاد افغانستان وضمها الى مملكة ايران ولكن لم تطل مدة دولة هذا الفاتح لانها انقرضت بوفاته سنة ١١٦٠ ﻫ كما تقدم ولما مات نادر شاه قام احمد خان العبدالي واستولى على افغانستان سنة ١١٦١ ﻫ وهو رأس هذه الدولة

٧٤٤ ـ احمد شاه بابا

من سنة ١١٦١ — ١١٨٧ ﻫ او من سنة ١٧٤٧ — ١٧٧٣ م

لما توفي نادر شاه قام احمد خان العبدالي السدوزاي الذي كان في معسكر نادر شاه مع جموع من الافغانيين والازبك وهاجم الايرانيين ونازلهم منازلة عنيفة ثم انعطف بغاية السرعة الى قندهار واستولى عليها ووضع يده على الاموال الخراجية التي كانت تحمل من كابل و بلاد السند الى نادر شاه عند مرورها بقندهار و بذلك عظم صيته وقوي جانبه واعلن استقلاله ولقب نفسه شاه افغان

ثم ارسل عساكره الى هرات ومشهد وسجستان وغيرها من بلاد خراسان وافتتح الجميع فلما دانت له جميع بلاد افغانستان اشتغل بتدبير داخلية البلاد حتى اذا تم له ما اراد طمحت نفسه الى الغزو والفتح فساق عساكره ست مرات الى الاقطار الهندية ونال الظفر في كل مرة خصوصاً في الواقعة التي وقعت بصحراء بني بتان الواقعة بالقرب من مدينة دهلي . وكانت تلك الواقعة مع المراتيين من عبدة الاوثان الذين اعجزوا اعاظم السلاطين التيمورية في الهند اذ كانوا يرومون نزع السلطة من ايدي المسلمين . وكانت عساكرهم في تلك الواقعة ٨٠ الفاً وكانت عساكر احمد شاه ٦٠ الفاً نصفها فقط

من الافغان ولم يكن احمد شاه يعتمد الاّ عليهم · فهزم بهم عساكر المراتيين شر هزيمة وبالغ في النكاية حتى صارت هذه الواقعة سدّاً لسبيل فتوحاتهم · وذاع صيت احمد شاه بعد هذه الواقعة حتى تمكن بسهولة من الاستيلاء على كثير من الاقطار الهندية كبنجاب وقشمير وسند وما يتاخمها

ثم فتح بلوخستان ومكران و بلخ واتسعت في ايامه الدولة الافغانية اتساعاً كبيراً وكان احمد شاه المذكور شجاعاً ذا عزم وحزم وكان واسع الاخلاق طيب النفس ذا انصاف وعدل ورحمة بالضعفاء وعناية بشأن الرعية وإصلاحها · ومن اجل ذلك تمكنت محبته من قلوب رعاياه عموماً مع اختلافهم في الاجناس والمشارب ومن قلوب الافغانيين خصوصاً حتى انهم كانوا يعتقدونه من المقربين الى الله و يعدونه ابّاً لعموم الافغانيين · ومن ثم لقبوه ببابا وهو الى الآن يعرف عندهم بهذا اللقب اذ يدعونه احمد شاه بابا

واستقر عرش ملكه وسلطنته على دعائم الثبات والتمكن · ولكن الممالك القائمة بقوة سلطانها فقط لا تلبث اذا هو مات ان تسقط حتى يقوم من يقيمها بعده خلافاً للحكومات المؤسسة على النظام والمقيدة بالشورى فان موت الملك قلما يؤثر فيها · ولم يكن في عقب احمد شاه من يقوم بتدبير المملكة وحفظها مثله فوقعت المملكة بعده في ارتباك واضطراب · وكانت وفاته سنة ١١٨٧ هـ

٧٤٥ ـ سليمان بن احمد

سنة ١١٨٧ هـ أو سنة ١٧٧٣ م

وتولى بعده ابنه سليمان وكان ابنه الاكبر تيمور في ذلك الوقت في هرات فلما بلغه خبر وفاة ابيه واستيلاء اخيه على كرسي المملكة جمع اعوانه وحضهم على مساعدته واستخلاص حقه من اخيه فاجابوه بالسمع والطاعة ونادوا باسمه ملكاً عليهم من ذلك اليوم · ثم تقدم الى قندهار وظفر باخيه سليمان وسجنه وجلس على كرسي المملكة

٧٤٦ — شاه تيمور بن احمد

من سنة ١١٨٧ — ١٢٠٧ ﻫ او من سنة ١٧٧٣ — ١٧٩٣ م

وكانت الولايات الهندية التي اخضعها احمد شاه بابا قد عصت الافغانيين بعد وفاته فحالما جلس تيمور على كرسي السلطنة ساق عساكره الى هندستان وقشمير ولاهور والجأ الهنود الى الدخول في طاعته · وبعد ذلك ببضع سنوات قلد ولده الثاني محمودًا ولاية هرات ونقل كرسي السلطنة من قندهار الى كابل وجعل المتصرف في قندهار ولده الثالث زمان الذي كان على جانب عظيم من مكارم الاخلاق

واتفق في تلك الايام ان شاه مراد بك امير بخارى اغار على مدينة مرو فدمرها واسر جميع اهلها فاستغاثوا بتيمور شاه فهمّ لاستنقاذهم ولكن حال بينه وبين ذلك فيض الله احد القضاة حيث افتى انه لا يجوز لسني ان يسعى لخلاص شيعي · وتوفي تيمور شاه بكابل ليلة ٨ شوال سنة ١٢٠٧ ﻫ وكان حسن السيرة لين العريكة

٧٤٧ — شاه زمان بن تيمور

وكان همايون بن تيمور في قندهار فلما سمع خبر وفاة والده اخذ البيعة لنفسه على اهل قندهار وحشد الجنود وتوجه بها الى كابل ليستولي عليها فبلغ ذلك اخاه زمان فخرج لمقابلته بجيش جرار فتلاقيا واقتتلا شديدًا فانهزم همايون وفرّ الى هرات والتجأ باخيه الآخر محمود والتمس منه ان يعينه على زمان فلم يجبه ولما يئس منه ترك هرات وسلك طريق قندهار واتخذ له مقامًا بين المدينتين · فاتفق ان قافلة كانت تأتي من قندهار الى هرات فاعترضها همايون وقتل رجالها وسلب اموالها واستعان بها على حشد جيش ليعاود قتال اخيه زمان · فبلغ ذلك حيدر بن زمان فخرج لصده فلم يقو عليه بل انهزم ودخل همايون مدينة قندهار وعامل اهلها بالخشونة وعذب تجارها ونهب اموالهم وجيش بها الجيوش · ولما سمع بذلك شاه زمان ساق جيشه نحو قندهار وحارب همايون وهزمه ففرّ همايون الى ملتان فقاومه واليها حتى هزمه واخذه اسيرًا و بعث به الى زمان شاه فسمل عينيه · وخلص عرش المملكة لشاه زمان · ولكن بعد قليل ثار عليه اخوه

محمود في هرات وادعى الاستقلال وحشد العساكر وسيّرها نحو قندهار . فلما احس لذلك شاه زمان برز اليه في عساكره فتلاقيا بين كرشك وزمين داود فطلب شاه زمان اولاً المصالحة من اخيه محمود فأبى اتكالاً على قوته فدارت رحى الحرب بين العسكرين وانجلت عن هزيمة محمود ففر الى هرات ووقع كثير من امرائه في الاسر . و بعد قليل تم الصلح بين الاخوين على ان تكون هرات لمحمود خاصة انما يخطب فيها لاخيه شاه زمان . وانتهز شاه زمان هذه الفرصة لتوسيع دائرة مملكته فاغار على لاهور واستولى عليها وعلى الممالك القريبة منها .

و بينما هو في نواحي لاهور اذ بلغه ان محموداً نقض المعاهدة و يريد فتح قندهار فاسرع بالرجوع اليها ومنها توجه الى هرات . فلما سمع بذلك محمود جمع عساكره و برز من هرات لمقاتلته الاّ انه بلغه ان الامراء الذين تركهم في مدينة هرات قد اثاروا الفتنة فيها ونزعوا في تسليمها فاضطر الى الرجوع . ولما دخل المدينة اظهرت عساكره العصيان عليه وفي الاثناء تقدم قيصر بن شاه زمان فلم يجد محمود بدّاً من الهرب ففر هو وابنه كامران الى بلاد العجم والتجأ الى فتح علي شاه سلطانها لذلك الوقت فدخل قيصر بن شاه زمان مدينة هرات بلا ممانع ثم لحقه ابوه بها وجعله والياً فيها . و بعد مدة رجع محمود الى نواحي هرات وجمع بعضاً من العساكر لفتحها . الا انه لم ينجح بل انهزم وذهب الى مراد شاه امير بخاري و بعد ان مكث عنده ثمانية اشهر استأذن منه في الذهاب الى خوارزم . ثم توجه من خوارزم قاصداً فتح علي شاه سلطان ايران مرة ثانية ورجاه ان يعينه على اخيه زمان فارسل معه جيشاً ايرانياً جراراً فقدم محمود بذلك الجيش ودخل مدينة قندهار بلا ممانع ثم تقدم الى كابل فخرج شاه زمان لقتاله ولما التقى الجمعان وقعت بينهما حرب هائلة انتهت بهزيمة شاه زمان ووقوعه اسيراً بيد اخيه شاه محمود فامر بسمل عينيه . ودخل محمود كابل وجلس على كرسي السلطنة

٧٤٨ - شاه محمود بن تيمور

وقاوم قيصر بن شاه زمان عمه محموداً مدة لكنه لما لم يقو عليه لحق بايران وتمت السلطة لمحمود وتسلط على كرسي كابل . وكان شاه محمود يميل الى مذهب الشيعة فنفرت منه قلوب السنيين وثاروا عليه ثم خذله الشيعيون ايضاً واجمع راي الجميع على عزله فالقوا

القبض عليه وحبسوه في بالاحصار واخرجوا شاه زمان الاعمى من الحبس ليحكم فيهم الى ان يصل اليهم شاه شجاع

٧٤٩ ـ شاه شجاع بن تيمور

وبعد خمسة ايام قدم شاه شجاع من البنجاب فاخرج الامراء محموداً من السجن وقدموه الى شاه زمان ليقتص منه فعفا عنه رحمة به وامر برده ليحبس في بالاحصار وبعد زمن قليل توجه شاه شجاع بجيش جرار الى قشمير لتأديب واليها عطا محمد خان حيث بلغه عصيانه فلما وصل الى مدينة مظفر آباد بقرب قشمير واناه سفير من قبل عطا محمد ليعتذر للملك عن عصيانه ويعرض عليه طاعة سيده وعبوديته له فرجع شاه شجاع بعد ما وثق من معاهدته . وبينما هو في الطريق اذ بلغه ان محموداً ومن كان معه من الامراء في الحبس قتلوا حرس القلعة وفروا الى قندهار وانه قد وقع اضطراب شديد في مدينة كابل فلما وصل شاه شجاع كابل وشاهد القلق المستولي على اهلها تأسف لذلك اسفاً شديداً . اما محمود فاقام يتردد بين قندهار وهرات ويقطع الطريق على القوافل التجارية بين هاتين المدينتين حتى اغتنى في وقت قريب من اموال السلب والنهب وساعدته هذه الاموال على تجييش جيش بلغ عدده اربعة الاف مقاتل فتقدم بهم الى مدينة قندهار واستولى عليها وامر عاملها ثم قوي جانبه وذاع صيته فلم يمض زمن طويل حتى بلغ عدد جيشه ماية الف مقاتل فساقهم الى كابل لمحاربة شاه شجاع وبرز شاه شجاع في عساكره وبعد قتال شديد انهزم شاه شجاع وفر الى كابل ولانه لم يكن على ثقة تامه من الاهالي بارحها ولحق ببيشاور بعد ان ترك فيها الامير حيدر بن شاه زمان

٧٥٠ ـ شاه محمود بن تيمور (ثانية)

فدخل محمود كابل واستولى على عرش الملك ونصب ابنه كامران والياً على قندهار . اما شاه شجاع الذى ذكرنا خبر هربه الى بيشاور فطرد منها بعد مدة فراسل عطا محمد خان والي قشمير ان يمده بالمال والرجال فلم يشا عطا محمد خان ان يعطيه مالاً مالم يودع

عنده بعض جواهره على سبيل الرهن فاضطر شاه شجاع ان يرسل الى عطا محمد خان الجوهرة المسماة در باي نور (وكانت وصلت الى يده في خبر طويل) فاقرضه الخان خمسة عشر لك روبيه (اللك يساوى عشرة الاف جنيه) ولم يرسل له رجالاً . فاخذ شاه شجاع المال وجهز به جيشاً ورجع به الى بيشاور ليسير منها الى كابل . فلما سمع شاه محمود بخبر تقدم اخيه ارسل اليه يطلب عقد الصلح بدعوى انه حاق بالمملكة الخراب وأريقت دماء المسلمين هدراً لتوالى الحروب بينهم . فاتخذ شاه شجاع هذا الجواب وسيلة لتهديد عطا محمد خان والى قشمير فارسل اليه يقول « ان لم تفي بالمال والرجال لاتفقت مع اخي على قلع اساسك » . فاهتم لذلك عطا محمد خان وجهز خمسة الاف مقاتل وسار بهم الى بيشاور . ففرح لذلك شاه شجاع ظناً منه ان عطا محمد خان قادم لامداده ولم يعلم انه مضمر الغدر فانه حالما وصل الى بيشاور هجم على الشاه وأخذه أسيرًا الى قشمير واجتهد في تحصينها . وكاتب حكومة الانكليز في الهند للاتفاق معه على حرب رنجيت سنك الوثني (الذي اغتصب في اثناء تلك المناوشات الاهلية بعض البنجاب من بلاد الافغانيين) وتخليص البلاد التي استولى عليها وتركها بقبضة الانكليز بشرط تعضيده اذا قصده شاه محمود بسوء . واتفق ان وقعت الرساله بيد جواسيس رنجيت سنك فقدموها له فبعث بها الى شاه محمود طالباً منه ان يتحد معه في الهجوم على عطا محمد خان فجهز كل منهما جيشاً وفاجآه فاخذاه اسيرًا . الا ان محمودًا عفا عنه وخلص اخاه شاه شجاع من الاسر واقام عظيم خان اخا وزيره فتح خان والياً على قشمير واستصحب رنجيت سنك شاه شجاع وذهبا الى مدينة لاهور

و بعد مضي سنتين من هذه الحادثة طمع رنجيت سنك في الاستيلاء على قشمير فجهز ثمانين الفًا من عبدة الاوثان البابانا كيين وسار بهم الى تلك المدينة ولم يكن عند واليها عظيم خان سوى عشرة الاف من المسلمين فكمن بهم حتى دخل الجيش الوثني الوادي فاحدقت بهم العساكر الكامنة من الجهات الاربع واوقع بهم قتلاً واسرًا حتى بلغ من قتل واسر اربعين الفًا وفر باقي العساكر الى بلادهم ناجين بانفسهم فانفعل لهذه الهزيمة رنجيت سنك وكتب يستعطف محمودًا و يعتذر اليه مما فعل مدعياً ان ما فعله فعله باغراء شاه شجاع . فلما استشعر بذلك شاه شجاع فرّ ليلاً والتجأ الى حكومة الانكليز في الهند فاكرم الانكليز مقدمه

وفي سنة ١٢٢٢ هـ طمع فيروز الدين بن تيمور الذي كان والياً في هراة من

طرف اخيه شاه محمود في الاستيلاء على خراسان فساق عساكره اليها ولكنه انهزم امام الايرانيين شر هزيمة واضطر فيروز الدين ان يرسل الى شاه ايران هدايا فاخرة استمالة لقلبه واتقاء لضرره بكف عساكره عنه . وتعهد ايضاً ان يقدم الى سدة الشاه كل سنة جزءاً وافراً من الخراج فصارت هرات بذلك احدى ايالات ايران . وكان فيروز بعد هذه المصالحة مع الايرانيين بين اقدام واحجام ومحاربة ومصالحة وتسنن وتشيع الى ان اشتدت المنافسة بينه و بين حسن علي ميرزا بن فتح علي شاه والي خراسان وخاف من اغارته على بلاده . فارسل سفيراً الى اخيه شاه محمود يستنجده فاتخذ محمود هذه الفرصة وسيلة للاستيلاء على مدينة هرات فارسل وزيره فتح محمد خان بجيش جرار ولما وصل الى المدينة استوحش منه فيروز ولم يسمح بدخوله فيها بل امره ان يتوجه لاخذ غوريان من يد الايرانيين . الأ ان فتح محمد خان كان مأموراً من طرف سيده بدخول مدينة هرات فلم يرَ بدّاً من اعمال الحيلة لاخذها فارسل الى فيروز يطلب منه القدوم الى المعسكر ليستشيره فلما خرج اليه قبض عليه وارسله مع اهله اسيراً الى قندهار ودخل المدينة واقام بها وجهز اخاه كهندل خان لتسخير غوريان ونشر مكاتيب في بلاد خراسان يدعو بها القبائل للاتحاد معه على محاربة الايرانيين . ولما سمع بذلك حسن علي ميرزا ارسل جيشاً للمدافعة عن مدينة غوريان . ثم جهز فتح محمد خان جيشاً كبيراً وسار به للاتحاد مع اخيه كهندل على فتح غوريان فلما وصل الى كوسية بلغه ان حسن علي ميرزا وصل بعساكره الى كافر قلعة لمقاومته وكان بينهما اذ ذاك فرسخان فارسل اليه سفيراً يطلب منه تسليم غوريان ويهدده بالحرب قائلاً « من ذا الذي يدري عاقبة الحرب اهي لك او عليك وربما اوقعك كبرك واشمئزازك الناشئان عن رؤيتك نفسك ابن سلطان في امر يوجب تزلزل سلطنة ابيك » فاجابه حسن علي ميرزا على لسان سفيره « بان سيدك محموداً المتربي بنعمة الشاه لا يليق به ان يتكلم بمثل هذا الكلام فضلاً عن خائن مثلك قد حارب ساداته السدوزائية » فلما رجع السفير خائباً ساق فتح محمد خان عساكره الى كافر قلعة و بعد قتال شديد انهزم فتح محمد خان فتقهقر الى هرات فاضطرب شاه محمود وولده كامران اللذان كانا وقتئذ في المدينة المذكورة . فارسل ملا شمس مفتي هرات وخان ملاخان (أي شيخ الاسلام) الى فتح علي شاه ليخبراه ان هذه الجرأة من فتح خان ولم تكن بعلم من محمود و يستعطفا قلبه اليه . فطلب فتح علي شاه من السفير الذي أدى اليه الرسالة ان يخبر شاه محمود احد امرين حتى يكون راضياً

عنه اما ان يبعث اليه فتح خان المذكور واما ان يُسمل عينيه . فلما اطلع كامران بن شاه محمود على رسالة شاه ايران حمله الضعف والجبن على سمل عيني هذا البطل الشجاع الذي كان سببًا في اتصال الملك الى ابيه . ولما شاع خبر سمل عيني فتح خان ووصل الى مسامع اخيه عظيم خان والي قشمير ارسل اثنين من اخوته وهم دوست محمد (جد العائلة المالكة الآن في افغانستان) وياور محمد خان الى بيشاور لطلب شاه زاده ايوب اخي محمود ليقلداه السلطنة ففعلا ونادياً باسمه ودخلا في حدود جلال آباد . وهجم دوست محمد خان على كابل وافتتحها سنة ١٨٢٦ م وارسل ايضًا اخاه محمد زمان خان لطلب شاه شجاع الذي كان مقيماً في البلاد الهندية التي كانت تحت سلطة الانكليز فجاء شاه شجاع المذكور وحارب سمندر خان والي درة وغلبه وبالجملة فقد قام اخوة فتح خان الذين يبلغ عددهم عشرين رجلاً واتحد كل واحد منهم بواحد من ابناء تيمور شاه الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين رجلاً وداروا بهم في البلاد الافغانية شرقًا وغربًا وقلعوا اساس ملك محمود ولم يبقَ في يده سوى قندهار وهرات . ثم انتزعوا الملك من ابناء تيمور واستقل كل واحد في ولاية من ولايات افغانستان . كل هذا اخذًا بثار عيني اخيهم وبعد قليل استولوا على قندهار وانتزعوها من يد محمود ايضًا فانحصرت سلطة محمود على هرات ونواحيها

وفي سنة ١٢٤١ هـ ساء ظن محمود بابنه كامران وتفرس منه العصيان وخاف من ان يقبض عليه فخرج من هرات وجمع بعضًا من قبائل قرة وتوجه لمحاربته فاضطر ابنه الالتجاء بحسن علي ميرزا والاستغاثة به فاغاثه فغلب اباه وهزمه واستولى على هرات

١٥٧ — شاه كامران بن محمود

وحاول محمود انتزاع الامر من ابنه ولكنه لم يفلح ولم يزل يسعى في رد كرسي المملكة حتى توفي بالوباء سنة ١٢٤٥ هـ

وفي سنة ١٢٤٨ هـ عزم عباس ميرزا على ان يفتح هرات فوقعت بينه وبين الافغانيين عدة وقائع مشهورة آلت الى حصار مدينة هرات سنة ١٢٥٠ هـ فحاصرها عباس ميرزا ابن شاه ايران وتداخل سفير انكلترا في الامر لمنعه عن بحثها بدعوى ان ذلك مضر بحكومة الهند الانكليزية فلما لم يصغ الشاه لكلام

هذا السفير داخل كامران في الثبات في المدينة واعداً اياه بالنصر القريب وقد حدث ذلك فعلاً فانه بينما كان الشاه مجداً في حصار هرات وكادت المدينة تفتح ابوابها له لما اعترى اهلها من التعب والنصب جاءت مراكب الانكليز في خليج فارس واستولت على جزيرة خارق فلما بلغ الخبر مسامع الشاه رأى من الاولى ان يترك المحاصرة و يشتغل بمدافعة الانكليز عن بلاده فافرج عن هرات وذهب الى بلاده وكان ذلك سنة ١٢٥٥ هـ . ورأى الانكليز من امراء الافغانيين الميل الى الايرانيين اذ كان دوست محمد خان امير كابل وكهندل خان والي قندهار وسائر اخوتهما الذين نالوا الملك بعد تفرق كلمة ابناء تيمور يراسلون الشاه في خلال محاصرته لمدينة هرات و يوادونه و يرسلون السفراء اليه فأهمهم الامر وصاروا يترقبون الفرص لرفع رايتهم على افغانستان حتى يأمنوا على الهند من هذه الجهة . فلما احسوا من الافغانيين النفور والاشمئزاز من امرائهم الجدد رأوا اذعنت لهم الفرصة ان يتخذوا شاه شجاع واسطة يتوصلون بها الى غرضهم من الاستيلاء على تلك البلاد . فجهزوه في جيش جرار بقيادة المهرة من الانكليز فسار شاه شجاع بذلك الجيش من طريق البلوج وسجستان الى قندهار فلما رأى واليها كهندل خان عدم المقدرة على المقاومة خرج منها هو وعائلته وقصد طهران فاكرم الشاه مقدمه . وقلده ولاية شهر بابك من بلاد فارس . فدخل شاه شجاع قندهار واستولى عليها و بعد ان استراح بها اياماً قصد مدينة كابل ورأى أميرها دوست محمد خان من نفسه عدم المقدرة على المدافعة فاضطر الى الخروج منها وقصد بخارى ليستعين بأميرها فلم ينجح قصده ورأى منه عدم الاحتفال به بل الاهانة والتحقير فانقلب راجعاً وسلم نفسه الى الانكليز فأخذوه أسيراً و بعثوا به الى كلكوتا . وانقسمت مملكة افغانستان الى قسمين هرات وأعمالها بيد كامران شاه بن محمود و باقي المملكة الافغانية وقاعدتها كابل بيد شاه شجاع اسماً و بيد الانكليز فعلاً . الا ان شاه شجاع والانكليز لم يهنأوا طويلاً في افغانستان لان محمد اكبر خان بن دوست محمد خان الذي أسره الانكليز وأرسلوه الى كلكوتا

على ماتقدم جمع جيشاً من الافغانيين الاشداء وأذاق عساكر الانكليز الامرين والجأهم الى عقد صلح معه سنة ١٢٥٨ هـ تعهدوا بموجبه برد دوست محمد خان من الاسر و بالخروج من افغانستان وقد تم ذلك فعلاً وخرج الانكليز من افغانستان بعد أن قتل منهم خلق كثير وأطلقوا سراح دوست محمد خان من الاسر فرجع الى افغانستان وتم له الاستيلاء على ما كان بيد شاه شجاع (لان المذكور توفي اثناء المناوشات والحروب التي حدثت بين الانكليز والافغانيين) وحاول الاستيلاء على هرات من يد كامران فلم يتمكن

وبقي كامران بن محمود بمدينة هرات يقاوم الاعداء من الايرانيين تارة والافغانيين أخرى حتى غلبت عليه الشهوة واستولى عليه الهوى وانهمك في السكر فنفرت منه قلوب الناس فانتهز وزيره ياور محمد خان البامي زائي هذه الفرصة للجلوس على كرسي سلطنة هرات فخنق كامران شاه في قرية خارج المدينة واستولى على الملك . و بموت كامران انقرضت الدولة الابدالية السدوزائية والبقاء لله وحده

٧٥٢　الدولة الزندية بايران

(تمهيد) لما مات نادر شاه كثرت القلاقل في بلاد ايران وتسابق الطامعون في الملك الى نوال المركز الاعلى فقام شخص يقال له احمد خان وسعى في اخضاع خراسان وقام محمد حسن خان القاجاري (جد العائلة القاجارية المالكة الآن في ايران) وجعل نفسه اميرًا على استراباد وما يليها من بلاد مازندران موطن قبيلته وكان نادر شاه قد نكل بكثيرين من رؤساء هذه القبيلة فنفر افرادها منه ومن عائلته وعولوا على مقاومة دولته ولهذا انضم اكثرهم الى محمد حسن خان حتى عظمت سطوته وخشي احمد خان شره فبعث اليه جيشاً ليحاربه ويملك مازندران من يده ولم ينجح الجيش فزادت بذلك قوة هذا الامير القاجاري . وكانت

الولايات الاخرى تستقل واحدة بعد أخرى حتى ان اذربيجان وكيلان و بلاد الجراكسة أصبحت ممالك منفردة لا سلطة لصاحب ايران عليها . وكانت أصفهان في هذه الاثناء بلا قائد شهير يعرف الى أن تم امرها لاحد مشاهير القواد واسمه علي مراد خان وأصله من طائفة البختيارية ثم خطر له ان ينصب احد افراد العائلة الصفوية ملكاً عليها و يكون هو المدبر للمملكة ولكنه رأى انه لا يقدر على القيام بهذا الامر الخطير وحده فاستدعى بعض الامراء لمساعدته وكان بينهم شيخ قبيلة الزندية التي هي قبيلة فارسية اصلية واسمه كريم خان ومع ان هذا الشيخ لم يشتهر بالحسب والنسب ولكنه اشتهر بالبسالة والاقدام . فاتفق علي مراد خان وكريم خان على اقتسام البلاد الايرانيـة بينهما واقامة ملك يحكم بالاسم من العائلة الصفوية وظلا على ذلك مدة . وكانت القوة والشهرة في اول الامر كلها لعلي مراد خان الا ان كريم خان اشتهر بالحلم والانصاف وحب الرعية فاجتذب القلوب حيثما حل وساد الامن والعـدل في الاجزاء التي حكمها حتى تعلقت به القلوب . و بدأ علي مراد خان يخشى شر هذه الشهرة و يظهر لكريم خان نفوراً وعداء حتى اشتهر أمر هذا العداء وأصبح الزميلان عدوين معروفين . ولكن كريم خان امتاز على خصمه بحب الذين يحكمهم له ونفور اهل اصفهان من علي مراد خان وكانت مزايا كريم خان هذه اكبر أسباب نجاحه . وانتشب القتال بين الاميرين يوماً فلم تطل مدته حتى قام أعوان علي مراد خان على رئيسهم وقتلوه فخلا الجو لكريم خان وأصبح هو صاحب اصفهان والحاكم المطلق على جميع الولايات الجنوبية . وكريم خان هذا هو رأس الدولة الزندية التي نحن بصددها . وكان ذلك حوالي سنة ١١٧٧ ﻫ

٧٥٣ ـ كريم خان زند

من سنة ١١٧٧ — ١١٩٣ ﻫ أو من سنة ١٧٦٣ — ١٧٧٩ م

ولكن لم يتم الامر لكريم خان بمجرد موت خصمه علي مراد خان لان الطامعين في الملك كانوا كثيرين كما تقدم وفي جملتهم ازاد خان صاحب اذربيجان فحارب الاميران وانهزم كريم خان واضطر الى الفرار وترك اصفهان وشيراز وغيرها لعدوه . وبينما كان جيش ازاد خان يطارده ورأى ان قوته لا تكفي لمقاومته عزم على اللحاق ببلاد الهند والبقاء فيها بقية عمره بعيداً عن متاعب الملك والقتال ولكن لحسن حظه التقى في طريقه برجل باسل اسمه رستم خان كان شيخاً على مدينة خشت وما يليها على حدود ايران وبلوخستان فأشار رستم عليه ان يتربص للعدو في تلك الناحية حتى اذا جاء جيش خصمه تركه يتقدم الى وادي كوماردج ومتى صار الجيش الى هذا الوادي أمكن لعدد قليل من المحاربين ان يحصروه فيه من الجانبين ويقتلوا افراده عن آخرهم فسمع كريم خان رأي رستم واستعد للمخاطرة بحياته وحياة الذين تبعوه من الاعوان والامناء في ذلك المضيق وتعهد له رستم بالمساعدة وتحقيق الاماني . فقدم ازاد خان وجيشه الى تلك البقعة ودخل ذلك الوادي بعينه . وكان رستم خان قد وزع الرجال في الجبال من الناحيتين ووضعهم بين الاشجار والصخور حتى يمنعوا الاعداء من الفرار ساعة القتال . فلما دخل جيش ازاد خان ذلك الوادي هجم عليه رجال رستم وكريم من كل ناحية وأعملوا السيف فيهم حتى قتلوهم عن آخرهم ولكن ازاد خان تمكن من الفرار وقصد بلاد العراق فحارب فيها بعض الامراء ودار في جوانب البلاد يوماً ينتصر ويوماً يرى الاهوال حتى كره الحياة وسلم نفسه الى كريم خان طالباً منه الصفح فصفح عنه وأحسن معاملته وجعله صديقاً له

ولما انتصر كريم خان على خصمه ازاد خان على ما تقدم قام محمد حسن خان القاجاري ورفع راية العصيان على كريم خان وساق عساكره الى اصفهان فاضطر

كريم خان أن يتركها ويذهب الى شيراز . فدخل محمد حسن خان القاجارى مدينة أصفهان وعامل أهلها بكل قسوة وخشونة حتى نفرت قلوبهم منه وبعد أن أقام بها اياماً ساق عساكره الى شيراز للقبض على كريم خان فتحصن كريم خان بالمدينة فحاصره محمد حسن خان فيها ولكن تمكن كريم خان من حفظ المدينة مدة طويلة استعمل في أثنائها كل حيلة لاستمالة أصحاب محمد حسن خان اليه فنجح كثيراً حتى اضطر محمد حسن خان أن يفرج عن المدينة . وعاد محمد حسن خان الى أصفهان ولعدم ثقته بأهلها ولان قوته قلت تركها وعاد الى مازندران وهي بلاده الاصلية . وعاد كريم خان الى أصفهان ملاقاه الاهلي بالترحاب والاكرام الزائدين وسمت المدائن الاخرى بفوزه فأظهرت له خضوعاً وسروراً . وكثر عدد جيش كريم خان والمتطوعين لخدمته فأرسل جيشاً بقيادة أحد أخصائه لمحاربة محمد حسن خان واسترجاع مازندران منه . فبرز محمد حسن خان القاجارى للمدافعة عن بلاده الا ان الدهر خانه وكبا به الجواد فتمكن اعداؤه من قتله . فلما قتل سقطت قلوب جنوده وفروا من امام اعدائهم فتم النصر بذلك لكريم خان وأصبح هو ملك ايران المطلق لا ينازعه في الملك منازع

وسكنت القلاقل في ايران بعد هذه الاضطرابات المستمرة فانتهز كريم خان هذه الفرصة لتحسين حال الرعية فنشط الزراعة والصناعة والتجارة وساد الامن وعم العدل واغتنى الاهالي في هذه المدة واقبل تجار الافرنج على انشاء المعامل والمتاجرة في كل انحاء ايران

ولم يتخلل هذا السلام الذي ساد في زمن كريم خان شيء من القلاقل والحروب سوى الحرب مع الترك . وكان السبب في الحرب ان والي البصرة اساء معاملة بعض الايرانيين فطلب كريم خان من سلطان الاتراك ان يأمر بقطع رأس والي البصرة المذكور ولما لم يجب طلبه ارسل جيشاً بقيادة اخيه صادق خان لاخضاع البصرة وقتل واليها فتم له ذلك بعد عناء كبير وحصار ثلاثة عشر شهراً وضم البصرة الى املاك ايران ولم يهتم سلطان الاتراك باسترجاعها . وبعد هذه

الحرب عادت السكينة الى بلاد ايران واستراح كريم خان راحة تامة وكانت البلاد كلها راضية بحكمه

وجعل كريم خان مدينة شيراز عاصمة لملكه وبنى فيهـا ابنية فخيمة مثل البساتين والاسواق والحمامات والجوامع التى لا تزال باقية الى الآن . واستمر كريم خان بمدينة شيراز الى ان توفي سنة ١١٩٣ هـ

٧٥٤ — زكي خان

من سنة ١١٩٣ — ١١٩٦ هـ او من سنة ١٧٧٩ — ١٧٨١ م

وبعد وفاة كريم خان اختلس الملك ابن عمه زكي خان وكان ظالماً عاتياً فكرهه الاهالي فلم يتمتع بالسلطنة زماناً طويلاً لان صادق خان اخا كريم خان الذي ذكرنا ان اخاه ارسله لفتح البصرة تقدم لخلع زكي خان وسمع في طريقه ان زكي خان قتل كل الامراء من عائلة كريم خان فخاف ان يقترب منه فظل يحاربه عن بعد ولم ينجح في اول الامر فاضطر الى الفرار

وظل زكي خان حاكماً حتى قام له خصم عنيـد قوي هو آقا محمد خان القاجاري (رأس العائلة القاجارية المالكة الآن في ايران) وكان هـذا الامير اسيراً في قبضة كريم خان مدة حياته فلما سمع بوفاته فرّ الى مازندران والف جيشاً قوياً كسر به شوكة زكي خان واضطره الى القيام بنفسه لمحاربته . واكثر زكي خان الظلم والعسف في رعيته فقام عليه عساكره وقتلوه

٧٥٥ — صادق خان

من سنة ١١٩٦ — ١١٩٨ هـ أو من سنة ١٧٨١ — ١٧٨٤ م

وملك بعده صادق خان ولكنه لم يتمتع بلذة الملك طويلاً لان اخصامه من

عائلته كانوا كثيرين واشهرهم علي مراد خان فارسل اليه صادق خان جيشاً بقيادة ابنه تقي خان لمحاربته فهزم علي مراد خان وشتت شمله . ولما لم يقدر علي مراد خان على استخلاص كرسي المملكة بالقوة ظل يترقب الفرص لاعمال الحيلة حتى رأى من صادق خان ضعفاً وميلاً الى التمتع بالملذات وترك الحكومة الى اولاده يديرونها حسب اهوائهم وطيشهم . فعمل علي مراد خان الحيلة في التشنيع على اعمال صادق خان واولاده حتى مال الناس اليه وصاروا ينتهزون الفرص للتخلص من صادق خان فلما تحقق علي مراد خان منهم هذا الميل جمع جيشه وقام لمحاربة صادق خان واولاده وحاصرهم بشيراز واستولى على المدينة بلا كثير عناء واضطر صادق واولاده ان يخضعوا له فقتلهم عن آخرهم ولم يبق منهم سوى جعفر خان ابن صادق خان لانه اظهرله ميلاً وكان ذلك في ١٨ ربيع اول سنة ١١٩٨ هـ

٧٥٦ — على مراد خان

من سنة ١١٩٨ — ١١٩٩ هـ او من سنة ١٧٨٤ — ١٧٨٥ م

وحالما جلس علي مراد خان على كرسي السلطنة نقل كرسي المملكة من شيراز الى اصفهان ثم وجه همه لمحاربة آغا محمد خان القاجاري الذي قوي امره في هذه الاثناء . فانتهز جعفرخان بن صادق خان فرصة اشتغال علي مراد خان مع القاجارية وجمع جيشاً ليأخذ بثار ابيه واخوته من علي مراد خان فعاد علي مراد خان لقتال هذا الخصم الذي لم يكن ينتظره وكان مريضاً فاشتد عليه المرض في الطريق وتوفي في ١١ فبراير سنة ١٧٨٥ م الموافق سنة ١١٩٩ هـ في قرية صغيرة على مقربة من اصفهان

٧٥٧ — جعفر خان بن صادق خان

من سنة ١١٩٩ — ١٢٠٠ ﻫ او من سنة ١٧٨٥ — ١٧٨٦ م

فاستولى جعفر خان على كرسي المملكة وكان حكيما عادلاً يحب ترقية البلاد الا ان ايامه كانت ايام شوءم وبوءس فثارت عليه ولايات كثيرة . وانتهز آقا محمد خان القاجاري فرصة وفاة علي مراد خان واستولى على عدة ولايات . وكان قواد جيش جعفر خان ناقمين عليه لاسباب كثيرة فتآمروا عليه وقتلوه وطرحوا رأسه في احد شوارع شيراز وذلك سنة ١٢٠٠ ﻫ

٧٥٨ — لطف علي خان بن جعفر خان

من سنة ١٢٠٠ — ١٢٠٢ ﻫ او من سنة ١٧٨٦ — ١٧٨٨ م

ولما توفي جعفر خان تولى بعده ابنه لطف علي خان وكان بطلاً مقداماً الا ان الايام لم تساعده لانه وجد في اتعس الاوقات . ذلك لان آقا محمد خان القاجاري الذي تقدم ذكره مراراً كان قد قوي امره وعظم شأنه وبعد صيته واراد ان يستولي على البقية الباقية من بلاد ايران وينتزعها من الدولة الزندية فاشهر الحرب على لطف علي خان . وكان عامل شيراز يدعى الحاج ابراهيم وهو من صنائع الدولة الزندية فقام هذا الخائن نعمة اسياده وسلم مدينة شيراز الى اقا محمد القاجاري ففت ذلك في عضد لطف علي خان البطل الشهير ومع ذلك بقي لطف علي خان مدة يقاتل خصمه ويظهر من غرائب البسالة والاقدام ما لم يروَ عن غيره من ابطال الزمان فقد كان يحارب عشرين الفاً من ابطال آقا محمد خان وليس معه غير بضع مئات ولا يفر من امامهم وكثيراً ما خرق الصفوف واجتاز الالوف والحسام مشهر بيده وهو وحيد يقاتل الابطال من هنا ومن هنا حتى هجره الخلان وخانه الزمان فاضطر الى الاختفاء والبعد عن الاعداء

وكان يختفي و يعود حيناً بعد حين ومعه ما لا يتجاوز المئتين من المقاتلين فيفوز و يظفر ولكن تاني خصمه وكثرة معداته تغلبت على بسالته . واخيرًا عول لطف علي خان على البعد عن متاعب الملك والحروب وظل سائرًا بمفرده حتى وصل مدينة نرماشير على مقربة من افغانستان فقابله حاكمها بالترحاب فاستراح عنده ليلة . ولكن هذا الحاكم طمع في الجائزة التي جعلها آقا محمد خان لمن يأتيه بلطف علي خان . فغدر بضيفه وهجم عليه مع بعض اعوانه فقاتل لطف علي خان عن نفسه قتال الابطال حتى اثخنه العدو بالجراح فسقط من الالم فربطه القوم وساقوه وهو على هذا الحال الى آقا محمد خان فأمر بسمل عينيه وزجه في السجن ثم امر بقتله بعد قليل وهكذا انقرضت الدولة الزندية وصارت ايران ملكا للدولة القاجارية من ذلك الحين الى الان . والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الدولة القاجارية بايران

(تمهيد) اصل هذه الدولة من قبيلة قاجار الشهيرة التي سكنت بلاد استراباد وشمالي ايران اجيالاً من قبل ان يقوم مؤسسها . ومؤسس هذه الدولة هو آقا محمد خان ابن امير من امراء القاجارية . وسبب اتصال الملك اليه هو انه لما ملك عادل شاه بلاد ايران ارسل يطلب اثنين من امراء القاجارية فارسلوا له محمد خان واخاه فاساء عادل شاه معاملة محمد خان حتى عرف باسم آقا محمد خان . ولما صارت دولة ايران الى قبضة كريم خان زند اعتقل آقا محمد خان وبقي في اعتقاله حتى توفي كريم خان ففر حينئذٍ محمد خان من شيراز بسرعة فائقة ووصل الى طهران بعد ثلاثة ايام فاشهر في الحال استقلاله وجعل من ذلك اليوم ينازع الدولة الزندية وتألب حوله ابطال القاجارية لانه اكبر امرائهم ونصروه بجنودهم فجعل يستعد لمحاربة الخصوم وكان اول من حاول محاربته بعض اخوته فلم يفلحوا سعياً واضطروا الى الفرار وذهب احدهم وهو مرتضى قلي خان الى امبراطورة الروس كاترينا فاتخذته هذه الامبراطورة آلة في يدها بدعوى تنصيبه ملكا على ايران في الظاهر و بقصد ضمها الى املاك الروس في الباطن ولكن ذهبت هذه

المساعي ادراج الرياح كما سيجيء . وكان بين اخوة محمد خان اثنان مخلصان له واحدهما جعفر خان وكان بطلاً صنديداً ولولاه لما تم لمحمد خان الاستيلاء على ايران

وبعد ان خلص محمد خان من متاعب اخوته وجه همه في محاربة القبائل والولايات المجاورة له حتى تمكن بعد مدة قليلة من ضم جزء كبير من بلاد ايران الى طاعته وجعل عاصمة ملكه مدينة طهران فصارت مملكة ايران قسمين القسم الشمالي تحت حكم محمد خان المذكور والقسم الجنوبي بيد الدولة الزندية وقاعدته اصفهان . فوجه محمد خان همه لافتتاح باقي المملكة واستخلاصها من يد الدولة الزندية فحارب ملوكها مراراً وانتصر عليهم في وقائع مشهورة حتى صارت الدولة الزندية الى لطف علي خان آخر ملوكها وكان بطلاً مقداماً فقاوم محمد خان مقاومة الابطال ولولا تأني محمد خان وكثرة جموعه لما تمكن من قهر لطف علي خان الذي لما رأى غدر رجاله به خصوصاً بعد خيانة الحاج ابراهيم والي شيراز وتسليمه هذه المدينة الى محمد خان ان المقاومة لا تجديه نفعاً عزم على البعد عن متاعب الملك وظل سائراً بمفرده حتى وصل مدينة نرماشير على مقربة من افغانستان فقابله حاكمها بالترحاب واستراح عنده ليلة . ولكن طمع الحاكم المذكور في الجائزة التي جعلها محمد خان لمن يأتيه بلطف علي خان فغدر بضيفه وهجم عليه هو وبعض اعوانه فدافع لطف علي خان عن نفسه مدافعة الاسود الكواسر حتى اثخنه العدو بالجراح فسقط من الالم فربطه القوم وساقوه وهو على هذه الحالة الى محمد خان كما تقدم . فلما صار الى قبضته امر ان تسمل عينيه ويزج في السجن ثم قتله بعد ذلك بقليل وبموته انقرضت الدولة الزندية وصارت ايران ملكا للدولة القاجارية وذلك سنة ١٧٨٨ م (١٢٠٢ هـ)

٧٦٠ — آقا محمد خان

من سنة ١٢٠٢ — ١٢١٢ هـ أو من سنة ١٧٨٨ — ١٧٩٧ م

وبموت لطف علي خان آخر الدولة الزندية استتب الامر لمحمد خان في كل مملكة ايران فجعل همه تنظيم البلاد والضرب على ايدي الاشقياء حتى عم الأمن وساد السلام

الا ان محمد خان اتى امراً أغضب اخاه جعفر قلي خان الذي قلنا انه ساعده على

الاستيلاء على كرسي المملكة وذلك انه عهد بولاية العهد من بعده لابن اخيه الثاني فتأثر جعفرقلي خان وطلب الى اخيه محمد خان ان ينقله الى اصفهان ليكون حاكما عليها فابى السلطان عليه ذلك وولاه على قسم من بلاد مازندران . وحدث بعد هذا ان محمد خان استدعى اخاه جعفرًا ليأخذ رأيه في احدى المسائل فلم يحضر فاتخذ ذلك دليلاً على عصيانه ولكن جعل يستميله بالحيلة حتى اقنعه بالقدوم الى طهران ولو ليلة واحدة فغدر السلطان باخيه وقتله شر قتله . ولما سمع اهل طهران بها هاجوا وماجوا وكاد يقع مالا تحمد عقباه ولولا اقناع السلطان لهم ان اخاه قتل غدرًا بيد جان اثيم والكثرة بكائه ونحيبه صدق اهل طهران قوله فلم يتعد هياجهم حد الكلام

وحارب آقا خان قبائل التركمان المجاورة لاستراباد و بالغ في النكاية حتى اخلدوا الى السكينة ورجعوا عما كان مشهورًا عنهم من قطع الطرق ومساعدة اعداء السلطان

وكانت بلاد الكرج والقوقاس من الممالك التابعة لايران ولكن اميرها وقتئذٍ واسمه هرقل لما رأى اشتغال سلاطين ايران بمحاربة احدهم الآخر فاوض دولة الروس في استقلال دولته تحت سيادتها . فعقدت الامبراطورة كاترينا معه محالفة مشهورة أهم بنودها ان بلاد الكرج اصبحت تحت سيادة روسيا وروسيا تضمن مقابل ذلك الملك على تلك الامارة لهرقل ونسله من بعده . فلما سمع محمد خان بهذا التحالف سار الى بلاد الكرج وحاربها قبل ان تصلها نجدات الروس فاخضعها واقتص من اهلها واضطر اميرها الى الفرار . ودخل محمد خان تفليس وخرّبها واعمل السيف في اهلها وسبى منهم ٣٠ الفًا اكثرهم من النساء والاولاد

وكان آقا محمد خان الى ما بعد اخضاع بلاد الكرج لم يلبس التاج ولم يعد سلطانًا على ايران رسميًا فالح عليه الاعوان بذلك ورضي بعد التمنع الكثير . فتم ذلك في مدينة اورمية في يوم حافل ولكنه لم يلبس تاج نادر شاه لكثرة جواهره وزخرفته بل اكتفى بتقلد السيف الذي كان ملوك الدولة الصفوية يتقلدونه ودل بذلك على احترامه للعقائد الشيعية • ودعي شاهًا من ذلك الوقت . وكان ذلك سنة ١٧٩٤ م

و بعد قليل اتفق محمد شاه مع امير افغانستان على فتح بخارى و بلاد تركستان المستقلة واقتسامها بينهما وشرع في ذلك ولكن بلغه قبل ان يتقدم اليها ان الروس هاجموا بلاده فاضطر الى التقدم لمحاربتهم . وكان الروس بعد فرار هرقل امير الكرج قد زحفوا على الولايات الشمالية من ايران وملكوا عدة مواقع فارسل محمد شاه الاوامر المشددة

الى كل انحاء السلطنة الايرانية بجمع الذخائر والرجال ليستعد استعداداً هائلاً للحرب مع أعظم دولة اوربية . وبينما الاستعداد جارٍ في ايران على قدم وساق توفيت كاترينه امبراطورة الروس وخلفها بولس الاول وهذا حالما جلس على عرش السلطنة انفذ امراً الى جيشه بالرجوع عن ايران وانتهت المسألة بلا مصائب واهوال

اما هرقل امير الكرج فتوفي اثناء فراره وتولى امارة الكرج بعده كركين خان وهذا لما رأى الجنود الروسية تقدمت على املاك الدولة الايرانية اشهر راية العصيان فلما عادت العساكر الروسية عن ايران كامر مليكها بولس الاول كما مرّ انتهز محمد شاه الفرصة لاخضاع هذا الامير وساق عساكره الى بلاد الكرج ومع انه قاسي الاهوال في محاربتها لكنه تمكن من اخضاعها اخضاعاً تاماً . وبينما هو في تلك البلاد حدث ان اثنين من خدامه تخاصما فحنق عليهما وامر بشنقهما في اليوم التالي . ومن الغريب انه تركهما في خدمته وكانا من المنوطين بخدمة سريره وتقديم اطعمته . فلما جن الليل تشاور الخادمان في الخلاص من القتل فقرَّ رأيهما على قتل السلطان فدخلا غرفته في منتصف الليل وقتلاه في تلك الليلة وكان ذلك سنة ١٧٩٧ م

٧٦١　فتح على شاه

من سنة ١٢١٢ — ١٢٥٠ ه او من سنة ١٧٩٧ — ١٨٣٤ م

ولما توفي آقا محمد شاه تولى الملك بعده ابن اخيه فتح علي شاه ولأول ولايته اعتدت روسيا على حدود دولة ايران وهاجمت شطوط بحر الخزر واستولت على كرجستان سنة ١٨٠٠ م فهاجت عواطف الايرانيين على روسيا واعلنت الحرب بينهما سنة ١٨٠٣ م فانتصر الايرانيون في اول الامر في عدة معارك فزاد الروس قوتهم زيادة عظيمة وعززوا جيوشهم فهزموا الايرانيين واستولوا على كرجستان وداغستان وشيروان . وفي سنة ١٨٠٥ م سلمت قره باغ الى روسيا فأوقفت الحرب . وتظاهرت فرنسا بمساعدة ايران في هذه الحرب وارسل نابوليون بونابرت بعض القواد الفرنساويين لكي ينظموا الجيش الايراني على النسق الاوربي

وخافت انكلترا من زيادة مداخلة روسيا وفرانسا في ايران واهتمت بالامر وبعثت سفيراً الى فتح علي شاه فكانت نتيجة مساعي هذا السفير الانكليزي ابرام معاهدة

كلستان في شهر اكتوبر سنة ١٨١٣ م بين الروسيين والايرانيين . ومع ذلك بقيت العلاقات بين روسيا وايران في فتور والمناوشات مستمرة وداخلية ايران مضطربة من جراء ذلك . ولما توفي امبراطور الروسيا اسكندر الاول ازداد اعتداء الروس على الاملاك الايرانية فاشتد هياج الايرانيين على روسيا وقبضوا على البرنس منشيكوف الذي كان قد بعثه الامبراطور الى ايران سنة ١٨٢٦ م لتحديد التخوم . ولم يطلقوا سبيله الاّ بامر مشدد من فتح علي شاه . وقد الزم الايرانيون جلالة الشاه باعلان الحرب ضد روسيا لان اعتداء هذه الدولة صار لا يحتمل . فارسل الشاه جيشاً عرمرماً بقيادة ابنه عباس ميرزا فسار وعبر نهر الرس وقاتل الروس وانتصر عليهم في عدة مواقع انتصاراً مبيناً . ثم ترك عباس ميرزا قيادة الجيش لابنه محمد ميرزا . ولما نمي الخبر الى عاصمة الروس جندوا جيشاً جراراً وساقوه الى مواقع القتال . وكانت العساكر الايرانية قد تعبت من القتال ولكنهم التزموا اضطراراً ان يقاتلوا الجيش الروسي الجديد فالتقى الجمعان في شمخال على مسافة خمسة فراسخ من تفليس في ٢ سبتمبر سنة ١٨٢٦ م ودارت رحى الحرب فاظهر الايرانيون من البسالة والاقدام ما حير عقول اعدائهم ولكن الشجاعة لا تغني اذا كثر العدد وزاد . فانهزموا امام الروس بعد ان قتل منهم خلق كثير

ولما بلغ الخبر الى عباس ميرزا بن فتح علي شاه اغتاظ جداً وسار بنفسه لمحاربة الروس فالتقى بجيش الجنرال بسكاويتش في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٢٦ م وبعد قتال شديد انتصر الروس واعاد عباس ميرزا الكرة على الروس لكنه التزم ان يرجع القهقرى بمن معه فتقدم الروس كثيراً . وفي شهر يوليو سنة ١٨٢٧ م حاصر الجنرال بسكاويتش قائد الروس عباس آباد فخرج اليه عباس ميرزا باربعين الف مقاتل فالتقى الجيشان في ١٧ يوليو المذكور وبعد مواقع دموية هائلة انهزم الايرانيون وتقدم الروس وفي سبتمبر سنة ١٨٢٧ م دخل الروس مدينة تبريز بقيادة الجنرال بنكراتيف بعد حرب عنيفة قتل فيها من الروس ١٤ الفاً

ولما توالت الهزائم على الجيش الايراني اهتم عباس ميرزا بابرام الصلح مع الروس وبعد مفاوضات كثيرة تم عقد الصلح في ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٨ م وسمي بمعاهدة تركماني جاني واهم شروط هذه المعاهدة ان تخلي ايران خانيتي ايروان ونقجوان وان تدفع الى روسيا غرامة حربية قدرها ثمانية ملايين روبل (الروبل يساوي فرنكين) وان لروسيا

الحق في ادخال سفنها الحربية في بحر الخزر . وهكذا انتهت هذه الحرب المشؤومة .
وبعد ان وضعت الحرب مع الروسيا اوزارها اراد جلالة الشاه ان يعوض بلاده ما خسرته لروسيا فاعتدأ على املاك الدولة العلية العثمانية واستولى على ولاية عراق العرب ووقعت بين الايرانيين والعثمانيين عدة وقائع مشهورة كان النصر في اغلبها للايرانيين واهم هذه الوقائع واقعة تراق قلعة . وكان الاوردي العثماني (اوردي كلمة تركية معناها معسكر وقد استعملها العامة فتقول اوردي او عرضي) مؤلفاً من ٥١ الفاً من العساكر و٢٠٠ من المدافع الضخمة بقوده جلال الدين محمد باشا الشهير بچوبان اوغلي . وكان معسكر الايرانيين ١٤ الفاً من المشاة و١٠ آلاف من الفرسان ومعهم ستون مدفعاً وهم بقيادة البطل الشهير عباس ميرزا بن فتح علي شاه وولي عهده فانتشبت الحرب بين الفريقين وكادت تنهزم العساكر الايرانية في بادىء الامر الا ان عباس ميرزا هجم بنفسه على مواقف الاعداء فتحركت الحمية في عسكره وهجموا على العثمانيين بقلوب لا تهاب الردى واستعملوا السلاح الابيض بدل الاحمر ودامت المعركة ٣ ساعات وانجلت عن هزيمة العثمانيين وانتصار الايرانيين انتصاراً تاماً ثم عطف عباس ميرزا الى جهات الوان والموصل وفتحها عنوة ثم عُقدت شروط الصلح بين الدولتين بمعاهدة سميت معاهدة ارضروم

وفي سنة ١٨٣٢ م توفي عباس ميرزا ولي عهد المملكة الايرانية فحزن عليه والده حزناً أدى بحياته في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٣٤ م (١٢٥٠ هـ) وكان كريماً حليماً عادلاً في ملكه وله جملة آثار من الابنية في طهران . وتوفي عن ٥٧ ابناً و٤٦ بنتاً . وكان عدد نسله حين مماته ١٠٠٠ نفس وقد بلغ عددهم سنة ١٣٠٠هـ عشرة آلاف

٧٦٣　محمد شاه بن عباس

من سنة ١٢٥٠ — ١٢٦٤ هـ او من سنة ١٨٣٤ — ١٨٤٨ م

وتولى بعده حفيده محمد ميرزا بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه فثار عليه اعمامه لكنه انتصر عليهم واستتب له الامر ولُقب محمد شاه

وفي ايامه اعتدأ حاكم هرات الافغاني على بعض بلاد الدولة الايرانية فساق الشاه عساكره لتأديب هذا المعتدي وافتتح عدة مدن في طريقه واخيراً حاصر مدينة

هرات وكاد يفتحها لولا انتصار انكلترا للافغانيين زعماً منها ان هرات مفتاح الهند . فجاءت السفن الانكليزية الى خليج فارس وضربت بعض الثغور الايرانية فاضطر الشاه برفع الحصار عن هرات في ٩ سبتمبر سنة ١٨٣٨ م . وفي سنة ١٢٦٠ ه ظهر رجل من اهالي شيراز كان مشهوراً بالزهد واعمال الرياضة الشاقة اسمه ميرزا علي محمد بن ميرزا رضا البزاز وادعى انه نائب المهدي المنتظر وسمى نفسه الباب رمزاً الى الحديث النبوي « انا مدينة العلم وعلي بابها » فثار الناس عليه وسجنته الحكومة باصفهان ثم في جهريق . ثم ادعى ايضاً وهو في السجن انه المهدي نفسه فانحاز اليه حزب : هم البابية : ووقع بين الحزب المذكور والحكومة مشاغب واخيراً قتل الباب بتبريز رمياً بالرصاص

وفي ٦ شوال سنة ١٢٦٤ ه توفي محمد شاه بعد ان ملك ١٤ سنة وثلاثة اشهر . وكان رحمه الله تقياً يضرب به المثل في الزهد والتقوى . وكان يقود عمماً كره بنفسه

٧٦٣ - ناصر الدين شاه بن محمد

من سنة ١٢٦٤ — ١٣١٣ ه او من سنة ١٨٤٨ — ١٨٩٦ م



(ش ٨) ناصر الدين شاه (نقلا عن الهلال)

ولد رحمه الله في مدينة تبريز في ٦ صفر سنة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٦ يوليو سنة ١٨٣١ م وخلف والده في ١٣ اكتوبر سنة ١٨٤٨ أ . ولما استتب الملك لجلالته نادى في البلاد بالامن على الارواح والاموال واطلق الحرية للاديان والتجارة فاطمأنت خواطر الرعية بملكه وتيمنت بجلوسه على عرش ايران المعظم

وكان في اوائل حكمه كثير الاعتماد على مشورة وزيره الاعظم الامير ميرزا تقي خان وكان وزيره هذا رجلاً محنكاً عاقلاً فكانت له باع طولى في سائر الاصلاحات التي احدثها الشاه في بلاده وعرف الشاه له ذلك فكافأه بتزويجه اخته فحسده بعض زملائه فوشوا به الى الشاه فنفاه الى كاشان . وفي سنة ١٨٥٠ م شاع ان شهر شوال سيكون سيئ الطالع على جلالة الشاه وكان في طهران وقد خرج على عادته ليروح النفس من عناء الاشغال ويغتنم لذة الصيد والقنص فمر بجماعة من العمال يفلحون الارض ويظهرون كدًّا ونشاطاً في منتصف النهار وهم لا يبالون بالحر فاعجب باجتهادهم وامر الذين كانوا بمعيته ان يعطوهم ما يدل على انعطافه . الا ان هؤلاء الرجال لما رأوا جلالة الشاه مقبلاً اليهم امتنعوا عن الشغل وتقدم واحد منهم وفي يده عريضة وهو يستغيث ويطلب الرحمة فاشفق عليه الشاه وأمره ان يتقدم اليه بالعريضة فتقدم الرجل وتبعه اثنان آخران وراءه حتى اذا وقفوا حوله أمسك احدهم بيد جلالته وحاول الآخران قتله وأطلق احدهم رصاصة عليه اصابت فخذه وقيل احدى ذراعيه ولكنه دافع عن نفسه دفاع الابطال حتى قدم الحراس والضباط الذين كانوا بمعية جلالته وانقضوا على هؤلاء الخونة الذين كانوا من البابية وقتلوهم

وبعد ان خلص الشاه من هذه الدسيسة شرع في الاصلاح الداخلي وابدل كل العمال الذين ارتاب بامانتهم وحث الناس على الاجتهاد وكسب المعارف وسهل لهم سبل الترقي ما أمكن ثم بدأ جلالة الشاه يفكر في اخذ الثار والانتقام من انكلترا جزاء ما ظهر منها في حرب هرات وارسالها السفن الحربية الى الخليج الفارسي ومنع المرحوم والده من اتمام مشروعاته الجليلة فاخذ يبث الجواسيس في

البلاد الهندية ويحض امراء الهند على الثورة والقيام في وجه الحكومة الانكليزية واعداً اياهم بتحرير بلادهم وتنصيب ملك منهم عليهم . ولما انس منهم القبول ارسل عمه سلطان مراد ميرزا الملقب بحسام السلطنة بجيش جرار الى هرات وامره بالتوغل في المفاوز والدروب الافغانية كي يصل باقرب زمن الى التخوم الهندية فقامت وقتئذٍ قيامة الحرب بين حاكم هرات وبين عساكر الشاه من جهة وبين الهنود والحكومة الانكليزية من جهة اخرى . ولما علمت حكومة الانكليز بدخول العساكر الايرانية الى هرات عنوة وتقدمها نحو الجنوب اسرعت بارسال المدرعات الحربية الى الخليج الفارسي واستولت على بندر ابي شهر واسرت محافظها حسن علي خان وارسلته الى بومباي واشاعت انها اسرت جلالة ناصر الدين شاه وجملت المحافظ موكباً ملكياً وانزلته في احدى سرايات الحكومة وعينت من يرافقه في الدخول والخروج ويمنعه من التكلم لتموه على الناس انه الشاه فنجحت بذلك تمام النجاح واخمدت الثورة الهندية المشهورة . ثم دخل نابوليون الثالث بين الدولتين وتوسط في الصلح حتى تم بينهما بمعاهدة امضيت بباريس تحت رئاسته

وفي سنة ١٨٧١ م اصاب مملكة ايران قحط رافقه الهواء الاصفر والحمى فاصاب الناس جهد شديد فبلغ عدد الذين ماتوا في اصفهان وحدها ١٦٠٠٠ وفي وفي تبريز ١١٠٠٠٠ نفس

فلما زالت النكبات وعاد الخصب عزم ناصر الدين شاه على السياحة في اوربا فسار في ١٢ مايو سنة ١٨٧٣ م من طهران شمالاً فقطع بحر الخزر (بحر قزبين) الى استراخان ومنها الى موسكو فبطرسبرج فالمانيا فبلجيكا فانكلترا ففرنسا فسويسرا فايطاليا فسالسبورج ففينا ثم عاد الى ايطاليا وسار منها الى الاستانة ومنها الى تفليس ومنها الى باكو بالعربة ثم عاد الى طهران فوصلها في ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٣ م

وفي سنة ١٨٧٨ م ساح سياحة اخرى في روسيا . وفي سنة ١٨٨٠ م ثار عليه الاكراد فابلى فيهم بلاءً حسناً فثابوا الى السكون . وفي سنة ١٨٨٨ م مد

اول خط حديدي بين طهران وشاه عبد العزيز . وفي اوائل ١٨٨٩ م خرج للسياحة في اوربا مرة ثالثة فلاقى ترحاباً عظيماً وحضر معرض باريس الشهير ثم عاد الى بلاده . وكان في كل مرة يأتي بلاده بالفنون والصنائع ويأخذ من الاسلحة الجديدة و يستأجر الضباط والعلماء لبث نور التمدن وتدريب العساكر في بلاده ومما يستحق المدح والاعجاب ان جلالته كان يكتب حوادث اسفاره بقلمه يومياً في كل مدة ويسرد فيه الحقائق والحوادث سرداً بديعاً و يصف الآلات المركبة وصفاً واضحاً و يذكر انساب الرجال العظام والقابهم في كل بلاد بغير خطأ

ومن جملة مآثره الجليلة في اوائل سلطنته انه أمر بانتخاب اربعين نفراً من الشبان النجباء من اولاد الامراء أعيان مملكته وارسلهم الى باريس تحت رئاسة حسن علي خان امير نظام احد العلماء الايرانيين فمكث التلامذة سبعة اعوام في مدارس شتى افرنسية ونالوا شهادات (دبلومة) حسنة بعد اتمام دروسهم ثم عادوا الى بلادهم ومعهم جملة علماء ومعلمين من الفرنساويين في علوم شتى فاكرم الشاه وفادتهم وامرهم بترجمة الكتب النفيسة من الافرنجية الى الفارسية ثم انشأ بناء رحيباً فسيحاً سماه دار الفنون وهي تشتمل على عدة مدارس مختلفة الدرجات كمدرسة طبية عالية ومدرسة حربية ومدرسة كلية للهندسة والهيئة والفلك ومدرسة صنائع ومدرسة ابتدائية كبيرة ومدرسة تجهيزية اعدادية . ثم امر جلالته بان يكون ٧٥ في المائة من تلامذة تلك المدارس من ابناء مشاهير البلاد والبقية من ابناء الفقراء على نفقة خزينته الخاصة

ثم وجه انظاره الى اصلاح الطرق والسبل العمومية لتسهيل المواصلات ومد الاسلاك البرقية في انحاء السلطنة ونظم البريد احسن نظام حتى صار يضاهي احسن مصلحة بريدية في اوربا و بالجملة فان دولة ايران تقدمت في ايامه تقدماً بيناً وخطت خطوة واسعة الى سبيل الرقي والتقدم

و بينما كان الايرانيون يشتغلون في اعداد المعدات للاحتفال بالعام الخمسين لملك سلطانهم جلالة ناصر الدين شاه فاجأهم ذلك المصاب بقتله بغتة . قتله رجل

معتوه في يوم الجمعة أول مايو سنة ١٨٩٦ م وهو داخل مسجد عبد العظيم ليصلي الظهر فاصابت الرصاصة قلبه فمات . أما حزن الايرانيين على جلالته فما اتركه لفطنة القارئ الكريم

٧٦٤ — جلالة مظفر الدين شاه بن ناصر الدين

من سنة ١٣١٣ — ١٣٢٤ ه او من سنة ١٨٩٦ — ١٩٠٧ م



(ش ٩)　مظفر الدين شاه (نقلا عن الهلال)

ولد جلالة مظفر الدين شاه يوم الجمعة ١٤ جمادى الثاني سنة ١٢٦٩ ه وخلف

المرحوم والده على عرش المملكة واحتفل بذلك رسمياً يوم ٨ يونيو سنة ١٨٩٦ م اما المراثي والتهاني التي رفعت الى اعتابه السنية فكثيرة جداً نخص منها بالذكر تعزئة وتهنئة لسعادة شاهين بك مكاريوس وهي : —

شلت يمينك يا يزيد الثاني　　فلقد غدرت بصاحب الايوان
شلت يمينك هل علمت بما اتيـ　　ـت اليوم من اثم ومن طغيان
خنت النبي وآل بيت المصطفى　　ونقضت حكم شريعة القرآن
لولا المقدر لم تنل ايدي العدى　　ماتبتغي من (ناصر) الاديان
غدروك يا سيف الامام ولواتوا　　جهراً سقيتهم النجيع القاني
قتلوك في المحراب جهلا و يلهم　　افما خشوا من هيبة الديان
قتلوا علياً قبلكم بمكيدة　　من مكرهم واستشهد الحسنان
قتلوك ظلماً اذ رأوك متمماً　　فرض الصلاة وواجب الايمان
قد البسوا الدنيا السواد وسوّدوا　　بفعالهم صفحات كل زمان
فلذا الخلائق والملائك والثوا　　قب كلها اضطربت من الاحزان
في يوم مصرع (ناصر الدين) الذي　　غمر الانام بفضله المتان
قد كان ركناً يستظل بظله　　هذا الورى من طارق الحدثان
اضحى ضحية عدله في ملكه　　افهذا جزاء العدل والاحسان
غدر اللئيم به فعاجله القضا　　تبت يداه من أثيم جان
هلاّ درى ان (المظفر) بعده　　يردي العدى بالسيف والمرّان
هلا درى ان (المظفر) نجله　　فخر الملوك وقدوة الاعيان
هلاّ درى ان المظفر شبله　　ليث الشرى من اعظم الشجعان
غوث العوالم بل وليث عرينها　　غيث المراحم مصدر العرفان
ملكٌ تحلت بالكمال صفاته　　وسمت معاليه على كيوان
بطل تذل له الضراغم هيبةً　　بالبأس منه يشهد الثقلان
ان غاب بدر ابيه عن هذا الملا　　فلقد بدا من وجهه القمران

عمت فضائله فكان قليلها	بحرًا كبيرًا دائم الفيضان
(بمظفر الدين) العباد استبشرت	فتوسمت خيرًا ونيل اماني
وتسابقت رسل التهاني نحوه	لما تولى العرش في طهران
وطىء المقام بيأسه فكأنه	في عرشه كسرى انو شروان
هذي يمين الله يا ابن سفيه	مدت لترفعكم لاعلى الشان
ابشر فان الله يحفظ ملككم	طول الزمان مشيد الاركان
ونعزّ عن فقد لاطهر والد	من ربه قد فاز بالغفران
لا زلت ما بين الملوك معظمًا	ومظفرًا بعناية الرحمن
أدم لنا باليين دولة ملكه	و بلاده يا خالق الاكوان
وانصره مولانا على اعدائه	ابدًا وصنه سائدًا بأمان
وبمصلحي و زرائه اشدد ازره	ما غردت و رق على الاغصان

وحالما جلس رحمه الله على كرسي اجداده الغى كثيرًا من الضرائب مثل ضرائب الخبز واللحم وغيرها وابطل تلازيم الاعشار وجعلها تعطى عينًا او بدلا ومنح حكام الاقاليم نوعًا من الاستقلال في حكوماتهم . وزاد في تنظيم الجند الفارسي على النظام الافرنجي الجديد . وانشأ كثيرًا من المدارس ينفق عليها من الجيب الخاص في طهران وتبريز وبوشهر وغيرهما

ولم يكتف رحمه الله بكل ذلك بل عمل عملا جديرا ان يكتب بماء الذهب الا وهو منحه الحرية والدستور لبلاده فاستبشر الايرانيون بهذا الشاه وتعلقوا به واخلصوا له نياتهم • وقد ارخ الدكتور مهدي خان منح الدستور لبلاده بقوله

هو الامر شوري بيننا جاءنا بها	محمد المختار من خير معشر
محا آيها استبدادنا فاعادها	وزان بها التاريخ عدل مظفر

١٣٢٤

وبينما الايرانيون جزلون بدستورهم الجديد وحريتهم الممنوحة لهم من جلالة

مظفر الدين ينتظرون الخير العميم على يديه اذ تبدل فرحهم بحزن وطربهم بجزع لوفاة جلالة مظفر الدين شاه اسبع بقين من ذي القعدة سنة ١٣٢٤ (الموافق ٨ يناير سنة ١٩٠٧)

وكان جلالة محمد علي شاه ولي العهد مقيما بتبريز فلما اشتد المرض على جلالة والده استقدمه الى طهران فجاءها . فلما توفي والده تتوج جلالة محمد علي شاهاً على كرسي ايران المظيم باحتفال فخيم وصفته الجرائد في حينه ويقولون ان جلالة محمد علي شاه غير راض عن الدستور والاغلب غير ذلك كما سبق وتعهد لجلالة المرحوم والده . لكن يظهر ان بين بطانته قوماً يرغبون بقاء القديم على قدمه لغاية في النفس وهؤلاء كثيراً مايؤثرون على جلالته وحزب الاصلاح قوي بايران وبسبب الخلاف بين هذين الحزبين نتجت الفتن الحاصلة الآن وفق الله جلالة الشاه الجديد لما فيه خير بلاده

٧٦٥ ـ الدولة المحمدية العلوية بمصر

(تمهيد) ذكرنا في فصل (٦٢٩) خبر استيلاء السلطان سليم العثماني على مصر ودخوله اياها ظافراً بعد تغلبه على دولة المماليك . وبعد ان اقام بها مدة ينظم احوالها بارحها الى عاصمة سلطنته واناب عنه من يدعى خير بك الجركسي والياً عليها من قبله وبقي خير بك في ولاية مصر الى ان توفي سنة ٩٢٩ هـ فولى بعده السلطان سليمان مصطفى باشا وبعد تسعة اشهر و ٢٥ يوماً أبدل باحمد باشا . وكان احمد باشا المذكور صدراً اعظم قبل توليته مصر ثم عهد اليه السلطان سليمان ولاية مصر واسند منصب الصدارة الى ابراهيم باشا وكان بينه وبين احمد باشا عداوة حدث بسببها اشياء يطول شرحها فعصي احمد باشا وادعى السلطنة لنفسه بمصر واخيراً هجم عليه بعض العساكر في الحمام وقتلوه سنة ٩٣٠ هـ ثم عهدت ولاية مصر بعده الى قاسم باشا واستبدل بابراهيم باشا سنة ٩٣٢ هـ ثم عزل وأقيم بعده سليمان باشا سنة ٩٣٣ هـ فبقي الى سنة ٩٤٤ هـ وفيها استقدمه السلطان ليسلمه قيادة حملة اعدها لمحاربة العجم وناب عنه مدة غيابه

خسرو باشا نحو سنة وعشرة اشهر . وفي سنة ٩٤٥ هـ عهدت ولاية مصر الى داود باشا فبقي بها الى ان توفي سنة ٩٥٦ هـ وتولى بعده علي باشا ثم عزل سنة ٩٦١ هـ وتولى بعده محمد باشا وهذا عزل عن ولاية مصر وقتل بالاستانة سنة ٩٦٣ هـ وعهدت ولاية مصر بعده الى اسكندر باشا فاقام الى سنة ٩٦٨ هـ وأبدل بعلي باشا الخادم وهذا عزل سنة ٩٦٩ هـ وتولى بعده مصطفى باشا . وفي سنة ٩٧١ هـ ابدل هذا بعلي باشا الصوفي ثم عزل سنة ٩٧٣ هـ وتولى بعده محمود باشا . وفي سنة ٩٧٥ استبدل بسنان باشا ثم حسين باشا سنة ٩٨٠ هـ ثم مسيح باشا سنة ٩٨٢ هـ وهذا استمر الى سنة ٩٨٨ هـ ثم ابدل بحسين باشا الخادم ثم ابراهيم باشا سنة ٩٩١ هـ ثم سنان باشا سنة ٩٩٢ هـ ثم عويس باشا سنة ٩٩٤ هـ ثم حافظ احمد باشا سنة ٩٩٩ هـ ثم قورط باشا سنة ١٠٠٣ هـ ثم السيد محمد باشا سنة ١٠٠٤ هـ ثم خضر باشا سنة ١٠٠٦ هـ ثم علي باشا السلحدار سنة ١٠٠٩ ثم ابراهيم باشا سنة ١٠١٢ ثم محمد باشا الكورجي سنة ١٠١٣ هـ ثم حسن باشا في السنة المذكورة ثم محمد باشا الصوفي سنة ١٠١٦ هـ ثم احمد باشا سنة ١٠٢٢ هـ ثم مصطفى باشا لفغلي سنة ١٠٢٦ هـ ثم جعفر باشا سنة ١٠٢٧ هـ ثم مصطفى باشا سنة ١٠٢٨ هـ ثم حسين باشا في السنة المذكورة ثم محمد باشا سنة ١٠٣١ هـ ثم ابراهيم باشا سنة ١٠٣١ ثم مصطفى باشا الخامس سنة ١٠٣٢ هـ ثم علي باشا الخامس في سنة ١٠٣٢ هـ المذكورة ثم اعيد مصطفى باشا الخامس ثانية في ذات السنة وعزل وقتل بالاستانة سنة ١٠٣٧ هـ ومن بعده اسندت ولاية مصر الى بيرام باشا ثم استدعي الى الاستانة في ذات السنة واقيم بعده محمد باشا ثم موسى باشا سنة ١٠٤٠ هـ ثم خليل باشا سنة ١٠٤١ هـ ثم احمد باشا الكورجي سنة ١٠٤٢ هـ ثم حسين باشا سنة ١٠٤٣ هـ ثم محمد باشا سنة ١٠٤٥ هـ ثم مصطفى باشا البستانجي سنة ١٠٤٩ هـ ثم مقصود باشا سنة ١٠٥١ هـ ثم ايوب باشا سنة ١٠٥٤ هـ ثم محمد باشا في ذات السنة ثم احمد باشا سنة ١٠٥٨ هـ ثم عبد الرحمن باشا سنة ١٠٦٢ هـ ثم محمد باشا في ذات السنة ثم غازي باشا سنة ١٠٦٧ هـ ثم عمر باشا سنة ١٠٧٧ هـ ثم احمد باشا سنة ١٠٧٨ هـ ثم ابراهيم باشا في ذات السنة ثم حسين باشا الجنبلاط سنة ١٠٨٧ هـ ثم عثمان باشا سنة ١٠٩١ هـ ثم حسن باشا السلحدار سنة ١٠٩٩ هـ ثم احمد باشا سنة ١١٠١ هـ ثم علي باشا سنة ١١٠٢ هـ ثم اسماعيل باشا سنة ١١٠٧ هـ ثم حسين باشا سنة ١١٠٩ هـ ثم محمد قره باشا سنة ١١١١ هـ ثم محمد رامي باشا سنة ١١١٦ هـ ثم مسلم علي باشا سنة ١١١٨ هـ ثم حسين باشا سنة ١١١٩ هـ ثم ابراهيم باشا القبودان سنة ١١٢١ هـ ثم خليل باشا سنة ١١٢٢ هـ ثم ولي باشا سنة ١١٢٣ هـ ثم عابدين

باشا سنة ١١٢٧ هـ ثم علي باشا الازمرلي سنة ١١٢٩ هـ ثم رجب باشا سنة ١١٣٠ هـ ثم محمد باشا النشنجي سنة ١١٣٢ هـ ثم علي باشا سنة ١١٣٨ هـ ثم باكير باشا عام ١١٤١ هـ ثم عبدالله باشا الكيورلي سنة ١١٤٢ هـ ثم محمد باشا السلحدار سنة ١١٤٤ هـ ثم عثمان باشا الحلبي عام ١١٤٦ هـ ثم باكير باشا ثانية عام ١١٤٨ هـ ثم مصطفى باشا عام ١١٤٩ هـ ثم سليمان باشا الشهير بابن العظم عام ١١٥٢ هـ ثم علي باشا حكيم اوغلي عام ١١٥٣ هـ ثم يحيى باشا عام ١١٥٤ ثم محمد باشا اليدكسي عام ١١٥٦ هـ ثم محمد راغب باشا عام ١١٥٨ هـ ثم احمد باشا المعروف بكور وزير عام ١١٦١ هـ ثم شريف عبد الله باشا عام ١١٦٣ هـ ثم محمد امين باشا عام ١١٦٦ هـ ثم مصطفى باشا في ذات السنة ثم علي باشا حكيم اوغلي ثانية عام ١١٦٩ هـ ثم محمد سعيد باشا عام ١١٧١ هـ ثم مصطفى باشا عام ١١٧٣ هـ ثم احمد كامل باشا عام ١١٧٢ هـ ثم باكير باشا عام ١١٧٥ هـ ثم حسن باشا عام ١١٧٦ هـ ثم حمزة باشا عام ١١٧٩ هـ ثم محمد راقم باشا عام ١١٨١ هـ ثم محمد باشا الاورلي عام ١١٨٢ هـ ثم احمد باشا عام ١١٨٣ هـ ثم قرا خليل باشا عام ١١٨٤ هـ ثم مصطفى باشا النابلسي عام ١١٨٨ هـ ثم مصطفى باشا عرب كيدلي عام ١١٨٩ هـ ثم محمد عزت باشا عام ١١٩٠ هـ ثم اسماعيل باشا اولاً عام ١١٩٣ هـ ثم ابراهيم باشا في ذات السنة ثم اسماعيل باشا ثانية عام ١١٩٤ هـ ثم محمد باشا ملك عام ١١٩٥ هـ ثم الشريف علي باشا القصاب عام ١١٩٦ هـ ثم محمد باشا السلحدار عام ١١٩٨ هـ ثم الشريف محمد باشا يكن عام ١١٩٩ هـ ثم الشريف عبدي باشا عام ١٢٠١ هـ ثم اسماعيل باشا التونسي عام ١٢٠٣ هـ ثم محمد عزت باشا عام ١٢٠٥ هـ ثم صالح باشا القيصرلي عام ١٢٠٩ هـ ثم ابو بكر باشا عام ١٢١١ هـ وفي ايامه في سنة ١٢١٣ هـ استولى الفرنساويون على مصر بقيادة بطلهم الشهير نابوليون بونابرت . وقبل ان نتكلم على هذه الحملة الفرنساوية يليق بنا التلميح الى ما كان للمماليك من السطوة في مصر حتى لم يكن للولاة العثمانيين منهم الا الاسم فقط فنقول

اعلم ان سبب قصر مدة الولاة بمصر هو تغلب المماليك على امر الدولة فيها حتى انه لم يكن الباشا العثماني الا اسما بلا رسم وتفصيل ذلك يطول شرحه فاذا اردت الوقوف عليه فراجعه في التواريخ الخاصة بمصر كتاريخ الجبرتي وتاريخ مصر الحديث لحضرة المؤرخ المحقق جرجي افندي زيدان . اما هنا فسأقتصر على ذكر حالتهم مذ استبداد علي بك بلوط مملوك ابراهيم كتخدا امير الامراء وكبير السناجق واستئثاره بالسلطنة في مصر سنة ١١٧٤ هـ

بعد ان ثبت قدم علي بك بولاية مصر وتم له امرها جرد جيشاً بقيادة محمد بك ابي الذهب الى الحجاز لاخراج الشريف من مكة . ولما وصل الى جدة ملكها بالامان ثم سار الى مكة المكرمة وطرد الشريف منها واقام غيره مكانه ورجع الى مصر. فاشتهر علي بك بعد هذا الفتح بسطوته وصولته ولان الدولة العثمانيـــة العلية كانت مشتغلة في ذلك الوقت بحرب الروسيا فلم تهتم بامر مصر وكان ذلك داعيا لظهور علي بك كما مر . وفي ذلك الوقت كان الوالي على عكا الشيخ ظاهر العمر ولوقوع النفرة بينه وبين عثمان باشا الصادق والي دمشق سولت له نفسه بالخروج على الدولة العلية ولعدم مقدرته بالقيام بهذا الامر بلا مساعدة ارسل الى علي بك والي مصر هدايا وتحفاً نفيسة وزين له الخروج الى سورية على ان يساعده على امتلاكها فطمع علي بك بالشام وجهز جيشاً عظيماً ارسله بقيادة محمد بك ابي الذهب المذكور فوصل هذا الجيش سنة ١٧٧٠ م الى جهة الرملة وهناك انضم اليه الشيخ ظاهر العمر بعسكره حتى بلغ الجيش على ما قيل ٦٠ الفاً ولما علم عثمان باشا بقدومهم لقتاله ارتاع ومع ذلك خرج بعسكره للقتال فلم يثبت رجاله الا قليلاً وانهزموا وخيم ابو الذهب ظاهر دمشق فخرج اليه اهل دمشق طالبين الامان فامنهم ودخل المدينة واستقر في دار الوزارة وامر باطلاق المدافع على القلعة فطلب من بها الامان وتسلم القلعة ايضاً

وبعد ان دخل محمد بك ابو الذهب دمشق وتسلم قلعتها خوفه اسماعيل بك (احد قواد العساكر المصرية) من عواقب الامور بان الدولة العلية لا بد من ان يخلو بالها من الحرب فتلتفت الى مصر بعين الانتقام ومن عصى السلطان فقد عصى الله وما زال به حتى نهض ابو الذهب ليلاً بعساكره مفارقاً دمشق فعجب الناس كثيراً لهذا التغيير الغير منتظر ورجع الشيخ ظاهر العمر ومن معه كل الى محله • ولما بلغ عثمان باشا خبر رحيل ابي الذهب اسرع الى دمشق ودخلها بلا مانع

ووصل محمد ابو الذهب مصر فجأة فتعجب الامير علي بك كل العجب اذ كان يعلم دخوله الى دمشق وطرده عثمان باشا عنها وساله عن سبب عودته بغتة فجعل السبب تصلف الشيخ ظاهر العمر وعشيرته ونسبهم الى الخيانة والمكر فكتب الامير علي بك الى الشيخ ظاهر يعاتبه فاجابه منكراً ما عزاه اليه ابو الذهب وارسل اليه ابنه الشيخ عثمان رهينة على صدق قوله واخلاصه • فتحقق علي بك خيانة ابي الذهب • ولم يلبث ابو الذهب حتى خرج الى الصعيد وابتدأ يحشد الرجال فجمع الامير علي بك عسكراً

وارسلهم بقيادة اسماعيل بك المتقدم ذكره لقتال محمد ابي الذهب فاتفق اسماعيل بك مع محمد ابي الذهب على الامير علي بك وعادوا الى القاهرة بالجيوش الكثيفة فاضطر علي بك ان يفر من القاهرة الى عكا عند الشيخ ظاهر العمر ودخل محمد ابو الذهب القاهرة واستولى عليها وخطب له فيها ٠ وكتب علي بك والشيخ ظاهر الى الكونت ارلوف امير الاسطول الرومي في البحر المتوسط ان ينجدهما فلبي دعوتهما بارتياح وامد علي بك بالمال والرجال وساعد الشيخ ظاهر على اخذ يافا من مدن الشام ٠ ولما رأى علي بك مساعدة الروس له ايقن بالظفر وسار قاصدًا مصر لاستخلاصها من محمد بك ابي الذهب وبرز محمد بك لقتاله فالتقى الجمعان بجوار غزة وبعد قتال شديد انهزم علي بك وفر من معه ووقع هو جريحًا فاخذه محمد بك ابو الذهب الى القاهرة واحضر له الجراحين يداوون جرحه حتى اذا اوشك ان يبرأ امرهم بوضع السم في جراحه فوضعوا كامره فمات علي بك للحال واستتب امر مصر لمحمد بك ابي الذهب ٠ وفي سنة ١١٨٩ هـ سار محمد بك ابو الذهب الى الشام بجيوش كثيرة لاستخلاص البلاد من ايدي الذين تغلبوا عليها ٠ فحاصر يافا وضيق عليها وافتتحها عنوة واثخن في اهلها قتلاً ونهبًا مما لم يسمع بمثله ثم تقدم قاصدًا عكا فخاف واليها الشيخ ظاهر العمر وخرج منها هاربًا فوصل اليها محمد بك ودخلها من غير ممانع واذعنت له باقي البلاد وخاف الاهالي سطوته ودخلوا تحت طاعته ٠ ثم ارسل الى الاستانة يطلب التقرير على مصر والشام فاجيب الى ذلك الا انه لم يهنأ بالولاية طويلاً لانه توفي في ٨ ربيع الثاني سنة ١١٨٩ المذكورة فحمل العساكر جثته واتوا بها الى القاهرة ودفنوه في مدرسة تجاه الازهر وتولى مصر بعده مراد بك وابراهيم بك الاول امير الحج والثاني شيخ البلد وفي ايامهما في سنة ١٢١٣ هـ اتي الفرنساويون بقيادة نابوليون بونابرت كما سيأتي ذكر ذلك الآن

في سنة ١٧٩٨ م جهز نابوليون بونابرت بناء على امر الجمهورية الفرنساوية في ثغر طولون جيشاً مؤلفاً من ٣٦٠٠٠ مقاتل وكثيرًا من المراكب والسفن لنقل الجنود والذخائر وعدد الحرب واردف بجيشه نحو ١٢٠ عالماً بارعين في علوم مختلفة ٠ وفي ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ م المذكورة سار نابوليون بهذا الجيش دون ان يعلم احد وجهة سيره فبلغ في ٢٠ يونيو الى جزيرة مالطة فاحتلها بعد ان دافع من كان فيها من جمعية فرسان القديس يوحنا الاورشليمي شديد الدفاع ٠ وفي ٢ يوليو رست مراكبه امام الاسكندرية وانزل جنوده على مقربة منها ثم دخلها عنوة وترك فيها القائد كليبر وسار الى القاهرة

فاعترضه مراد بك بشرذمة من المماليك فهزمه وواصل سيره الى مدينة امبابة قبالة القاهرة فكانت الوقعة المعروفة بواقعة الاهرام بينه وبين ابراهيم بك ومراد بك في ٢١ يوليو من السنة المذكورة وابدى المماليك ايات الشجاعة بالدفاع الا انهم لم يقووا على مدافع الافرنسيين فدخل بونابرت وجنوده القاهرة وأعلن انه حليف السلطان ولم يأت لفتح مصر بل لتوطيد سلطته فيها ومحاربة المماليك الذين عصوا اوامره اما مراد بك فلحق بالصعيد فارسل نابوليون من يتتبع اثاره واما ابراهيم بك فلحق بالشام ٠ واستتب الامر بمصر للفرنساويين

ولما علمت انكلترا بخروج بونابرت من طولون الى جهة غير معلومة امرت مراكبها التي كانت محاصرة مدينة قادس باسبانيا بامرة الاميرال نلسن الشهيران يتعقب المراكب الفرنساوية ويضربها حيثما وجدها فالتقى بها في ابي قير قرب الاسكندرية فكانت وقعة هائلة بين الاسطول الفرنساوي والاسطول الانكليزي انجلت عن تدمير الاسطول الفرنساوي

وكانت الدولة العلية قد اخذت في الاستعداد لمحاربة فرلسا واخراج جيشها من مصر وعرضت عليها انكلترا مساعدتها على اخراج الفرنساويين من مصر خوفاً من قطع طريقها الى الهند وعرضت عليها روسيا معاضدتها وامدادها بمراكبها فابرمت معاهدة بين الدول الثلاث واشهر الباب العالي الحرب على فرلسا في ٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨م وسار الاسطول العثماني والاسطول الروسي نحو مصر وأخذ الباب العالي في حشد الجيوش في دمشق وردوس لتزحف الى مصر وكانت المراكب الانكليزية باقيـة في البحر المتوسط وقطعت مع الاسطولين العثماني والروسي خط الاتصال بين فرلسا وجيشها الذي احتل مصر

ولما رأى بونابرت اجتماع الجيوش ومراكب الدول المذكورة لمحاربته اراد ان يباغت الدولة باخذ سورية ايضاً قبل ان يكمل استعدادها لحربه ٠ فنهض من مصر بثلاثة عشر الف مقاتل الى سورية بطريق العريش فاحتل هذا البلد في اوائل سنة ١٧٩٩ م ثم اخذ غزة ثم الرملة ثم يافا ثم بلغ الى عكا واقام الحصار عليها فدافع عنها واليها الجزار دفاعاً محموداً وعاكسته قنابل المراكب المتحدة الراسية بميناء هذه المدينة فلم يتمكن بونابرت من فتحها ثم فشا الطاعون في عسكره فلم يجد بدا من العود الى مصر فعاد بمن بقي من جيشه الى القاهرة ودخلها في ٢١ مايو سنة ١٧٩٩ م ٠ ثم وصل الجيش

العثماني الذي كان قد تألب في رودس وحل في ابي قير فهب بونابرت من القاهرة لمناواتهم واصلى عليهم نار الحرب فتغلب عليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وانهزم الى المراكب من بقي منهم حياً وأسر مصطفى باشا قائدهم وذلك في ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٩م وفي ٢٤ اغسطس من السنة المذكورة بلغ بونابرت ان احوال الجمهورية الفرنساوية مضطربة فانسل خفية ومعه بعض قواد جيشه وسافر بهم متنكراً ولم يشعر بهم الانكليز مع شديد مراقبتهم وانتشار مراكبهم في البحر المتوسط فظهر بغتة في باريس في اواخر سنة ١٧٩٩ م • وترك قيادة الجيش المحتل بمصر لكليبر • • وكان هذا الجيش قد هلك اصفه بالحروب والوباء ولا امل له بنجدة او امداد لقطع خط الاتصال بينه وبين فرنسا • وكانت الدولة العلية مجدة في اعداد حملة اخرى لاستخلاص مصر من الفرنساويين وانكلترا وروسيا ساعدتها بما في الامكان فيئس كليبر من الثبات في هذا الموقف فاتفق مع يوسف باشا الصدر الاعظم الذي كان قد حضر الى العريش والاميرال سميث الانكليزي في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ م في العريش على ان ينسحب العسكر الفرنساوي بسلاحه راجعاً الى فرنسا على مراكب الانكليز • ولكن لما اخذ الفرنساويون في الجلاء عن بعض القلاع ارسل الاميرال سميث الانكليزي يبلغ كليبر ان دولته لا تجيز الاتفاق السابق عقده الا ان يلقي العسكر الفرنساوي سلاحه بيد الانكليز • فاستشاط كليبر غضباً وهب لمحاربة العسكر العثماني الذي كان اتى الى مصر بقيادة الصدر الاعظم لاستلامها من يد الفرنساويين • ومع ان الجيش العثماني كان يربو اضعافاً على عدد الفرنساويين لكن لما تقابل الجيشان عند المطرية في ٢٤ مارس سنة ١٨٠٠ م انتصر الفرنساويون انتصاراً باهراً وكسروا العثمانيين شر كسرة • وعاد كليبر بعسكره ظافراً الى القاهرة فوجد ان ابراهيم بك قد استحوذ عليها في غيبته فاضرم الناس عليها وخرب قسماً كبيراً منها واستمرت الحرب في شوارعها عشرة ايام ودخل الفرنساويون الجامع الازهر وربطوا خيولهم فيه واثخنوا في اهل البلد قتلاً ونهباً حتى انهزم امراء الثورة وقتل بعضهم وفر بعضهم فدخل كليبر القاهرة واستولى عليها ثم قتل بعض المشائخ ممن ثبت اتحادهم مع الثائرين وهدات الاحوال وعادت السكينة الى ماكانت عليه قبل هذه الفتنة • وبينما كان كليبر يفكر في تمكين موقف جنوده بمصر وتثبيت سلطته فيها دخل عليه صعلوك حلبي اسمه سليمان وهو يتنزه ببستان وطعنه بمدية فكانت القاضية عليه وكان مقتله في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ م وهرب القاتل

فوجدوه في بستان قريب من البستان الذي وقع فيه القتل وبعد المحاكمة القانونية قتلوه هو وثلاثة ثبتت عليهم تهمة التستر على هذا القاتل الاثيم

وبعد مقتل كليبر اقام العسكر الفرنساوي الجنرال مينو موضعه وهذا كان قد اسلم وتسمى عبد الله فايقن العثمانيون والانكليز بعد هذا التغيير النصر على الفرنساويين وأنزلوا بابي قير ثلاثين الف مقاتل فسار الجنرال مينو لقتالهم فهزموه في ٣١ مارس سنة ١٨٠١ م وسار الى الاسكندرية وتحصن بها . وتقدم العسكر العثماني الانكليزي الى القاهرة فحاصروا من بقي فيها من الفرنساويين ورأى قائدهم بيليار ان لا مناص له من التسليم فخابر القائدين العثماني والانكليزي بامر التسليم فوافقاه على الشروط التي كانت أبرمت في الاتفاق بين كليبر والحلي الفرنسيس عن مصر في شهر يوليو سنة ١٨٠١ م بسلاحهم وعددهم ومالهم وبقي الجنرال مينو محصورًا في الاسكندرية الى ان سلم في ٣ سبتمبر سنة ١٨٠١ م بعد وقعة كانت مع الجيش العثماني الانكليزي هلك فيها خلق كثير من الفريقين وبمقتضى الشروط المار ذكرها خرجوا من الاسكندرية بسلاحهم وعددهم ومالهم وحملتهم جميعًا المراكب الانكليزية الى فرنسا وهكذا انتهت هذه الحملة وعادت مصر ولاية عثمانية كما كانت

وبعد انسحاب العساكر الفرنساوية من مصر استلم يوسف باشا الصدر الاعظم زمام الاحكام في القاهرة باسم جلالة السلطان ودبر يوسف باشا وحسين قبطان باشا مكيدة لاغتيال المماليك فدعا الاخير امراءهم لوليمة باسطوله بابي قير وقتل بعضهم بينما كان الاول قدامر عساكره فنهبوا واحرقوا بيوتهم بالجيزة . ثم انسحبت العساكر الانكليزية من مصر بامر الاميرال كيث وبقيت مصر يتنازعها الجنود العثمانية والمماليك . ولما كان لابد من تولية وال عثماني يقوم باعباء الولاية سعى يوسف باشا الى تولية خسرو باشا كخيا حسين باشا قبطان وكتب بذلك الى الاستانة فاجاب الباب العالي طلبه وارسل الفرمان المؤذن بذلك

فتولى خسرو باشا على مصر في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢١٦ ﻫ واذ تحقق انه لا يستتب امره الا اذا أفنى البقية الباقية من المماليك سعي مذ جلس على كرسي الولاية في ابادتهم . وكان المماليك في ذلك الوقت بأمرة عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالفي وقد استأثروا بالصعيد . ولم يكن اذ ذاك في سلطة الباب العالي الا القاهرة والاسكندرية وما بينهما . فلم يستطع خسرو باشا تحصيل ما يقوم بدفع مرتبات

العساكر فثاروا في ٢ مايو سنة ١٨٠٣ م واحاطوا بالخازندار وحبسوه في بيته • فامر خسرو باشا ان تطلق عليهم المدافع حتى علت الضوضا واشتد الخصام فتداخل طاهر باشا اركان حرب خسرو باشا يريد صرف ذلك المشكل بالتي هي احسن فلم يوافقه خسرو باشا واتهمه باتحاده مع العصاة • فاغتاظ طاهر باشا واتحد مع العصاة فعلاً وامرهم ان يهدموا الاسوار فخاف خسرو باشا وفر بحريمه وحاشيته الى المنصورة ثم سار منها الى دمياط فانتهز طاهر باشا تلك الفرصة وجمع ارباب الديوان فاقروه على مصر بصفة قائمقام موقتاً حتى ترد الاوامر بتولية من يتولى عوضاً عن خسرو باشا على كرسي ولاية مصر وطلبت العساكر منه مرتباتهم واذ لم يكن لديه ما يدفعه لهم ثاروا عليه وقتلوه في شهر صفر سنة ١٢١٨ هـ ومن سنة ١٢١٨ هـ الى سنة ١٢٢٠ هـ حصلت عدة فتن وحروب وقام بعض الولاة على ولاية مصر ولان في هذه المدة تداخل المرحوم المغفور له محمد علي باشا رأس العائلة المحمدية العلوية التي نحن بصددها في امر مصر تداخلاً فعلياً فسنذكر ذلك بالتفصيل في تاريخ محمد علي باشا المذكور



(ش ١٠) محمد علي باشا (نقلا عن الهلال)

٧٦٦ — محمد علي باشا

من سنة ١٢٢٠ — ١٢٦٤ هـ او من سنة ١٨٠٥ — ١٨٤٨ م

ولد رحمه الله في قواله من اعمال مكدونيا سنة ١١٨٢ هـ او سنة ١٧٦٩ م ولذا كان يفخر كثيرًا بقوله انه ولد في وطن اسكندر الكبير وفي يوم ميلاد نابوليون بونابرت . وكان والده المدعو ابراهيم آغا متوليًا خفارة الطرق وقد ولد له ١٧ ولدًا لم يعش منهم الا محمد علي . وفي سنة ١٧٧٣ م توفي ابراهيم آغا وامرأته وابنه محمد علي لم يتجاوز الرابعة . فكفله عمه طوسون آغا الذي كان متسلمًا على قواله غير انه قتل بعد ذلك بقليل بامر الباب العالي فاصبح محمد علي يتيمًا ليس له من يعوله

وكان محافظ البلدة المعروف بجربتجي براوسطة صديقًا قديمًا لوالد محمد علي فشفق عليه واخذه الى منزله وعني بتربيته مع ابنه فابدى من ايات الهمة والنشاط ما حمل الوالي ذات يوم على انفاذه الى قرية من الضواحي يأبى اهلها دفع الرسوم وكان مسيره اليها في عشرة رجال مسلحين فلما بلغها دخل مسجدها لاداء الصلاة ثم استدعى اليه اعيان البلدة الاربعة فلما حضروا اليه كبلهم بالاغلال وسار بهم بين الاهالي شاهرًا سيفه متهددًا بقتلهم اذا هم هموا بتخليصهم فلم تكن الا ليلة وضحاها حتى اديت الرسوم المتأخرة كلها . فرقاه الوالي عقب ذلك الى رتبة بلوك باشا وزوجه احدى قريباته وكانت مطلقة ولها مال وعقار فوسعت حاله فترك الخدمة العسكرية وتعاطى التجارة : واتفق ان تعرف في هذه الاثناء بالتاجر الفرنساوي ليون الذي كان في آن واحد قنصلًا لفرنسا في قواله فاتجر في اصناف التبغ (الدخان) وحصل منها على ربح وافر

وفي سنة ١٨٠٠ م كان الباب العالي يجهز حملة لتسير الى مصر لاخراج الفرنساويين منها فوردت الاوامر الى جربتجي براوسطة ان يجمع ٣٠٠ مقاتل ففعل وجعل ابنه علي آغا قائدًا ومحمد علي مساعدًا . فسارت تلك الكتيبة ضمن

العمارة العثمانية تحت قيادة حسين قبطان باشا الى ابي قير ولكن انتصر الفرنساويون على تلك الحملة . فترك علي آغا كتيبته بعد ان عهد قيادتها لمحمد علي وعاد الى بلاده فارتقى محمد علي الى رتبة بيك باشي . ثم كانت محاربة العساكر العثمانية والانكليزية مع العساكر الفرنساوية في عهد الجنرال منو وانتصارهم عليهم وانتهى الحال بانسحاب الفرنساويين من مصر كما مر بك

ولما تعين خسرو باشا والياً على مصر دخل محمد علي في خدمته فارتقى الى رتبة قبي بلوك باشي ثم نال رتبة سرششمه فاصبح قائداً لثلاثة او اربعة الاف من الالبانيين . وكان خسرو باشا يهتم بتخليص مصر من عيث المماليك وقد نجح في ذلك ولكن ليس تماماً فرأى محمد علي ان يتقرب الى المماليك ليساعدوه على تنفيذ ما يدور بخلده من استخلاص مصر لنفسه فحالف البرديسي احد زعماء المماليك . وفي سنة ١٢١٨ هـ حصلت فتنة لطلب العساكر مرتباتهم انتهت بفرار خسرو باشا وتولية طاهر باشا موقتاً ولكن هذا لم يقم بالولاية الا ١٦ يوماً حتى قام عليه العسكر طالبين منه مرتباتهم وانتهى الحال بقتله . فانتهز محمد علي هذه الفرصة ودخل القلعة واستولى عليها . ولما قتل طاهر باشا اقام العسكر بعده احمد باشا فاتحد محمد علي والمماليك على معارضته حتى ارغموه ان يترك المدينة

فلما علم الباب العالي بذلك ارسل علي باشا الجزائرلي (الطرابلسي) ليتولى ولاية مصر بدلاً عن خسرو باشا . ولما وصل هذا الى مصر عمد الى الكيد بالمماليك ومحمد علي فوقع هو في الشراك التي نصبها لهم وعادت العائدة عليه

وكانت انكلترا ترقب الحوادث بطرف خفي فلما رأت فوز البرديسي ومحمد علي وانهما شرعا في اقتسام القطر المصري بينهما وجهت اليهما خصماً عنيداً وهو الالفي واصله كان مملوكاً لمراد بك فجمع بعد عتقه مالاً كثيراً من الفلاحين والبدو بطريق الاغتصاب وقد أبلى بلاء حسناً في واقعة الاهرام وانسحب الى الصعيد مع مولاه حتى اذا انجلى الفرنساويون عن مصر تزلف الى الانكليز فعينوه حاكماً على الوجه القبلي وكان يضرب المثل بترفه وبذخه حتى انه كان

اذا تنقل من بلد الى اخر اخذ ضمن متاعه كشكاً مفكك الاجزاء فتركب له اجزاؤه اذا اراد الاقامة اوتحل اذا ارتحل . وبعد خلاصه من المكيدة التي اعدها خسرو باشا بواسطة قبطان باشا لاعدام المماليك سنة ١٨٠١ م سار في الاسطول الانكليزي الى لوندرا فانتهز الانكليز هذه الفرصة لاتخاذه آلة في ايديهم فشجعوه وامدوه فعاد الى القطر المصري من انكلترا فوصل الى ابي قير في ١٢ فبراير سنة ١٨٠٤ م . فلما علم البرديسي بقدوم الالفي خاف على سطوته من الضياع وانتهز محمد علي هذه الفرصة للتخلص من احد هذين الخصمين فاوعز الى البرديسي بعمل المكائد للالفي وساعده بجنده الالباني فدبر البرديسي مكيدة قتل فيها اهل الالفي ونجا هو الى الصعيد . واصبح محمد علي مع عساكره الالبانيين والبرديسي مع مماليكه اصحاب السيادة على مصر . وحينما خلص الامر للبرديسي ومحمد علي لم يشاء محمد علي ان يكون له المظهر الاول بل ترك مقاليد الامر للبرديسي وهي حيلة لطيفة منه لانه كان يعلم سوء الحالة المالية التي تستحيل معها استقامة الامر . وكان للجند الالباني متأخرات ثمانية شهور فطالبوا البرديسي بها واذ كان لا بد من دفع استحقاق الجند لهم وهو ليس معه ما يكفي لذلك ضرب على الاهالي ضريبة جديدة . وكانت نفوس الاهالي قد سئمت هذه الحالة فابوا دفع هذه الضريبة وقتلوا بعض الجباة . ورأى محمد علي هذه الفرصة مناسبة لبذر بذور مقاصده فذهب الى احد المساجد وأعلن الغاء الضريبة فسرّ الاهالي منه وانحازوا اليه . وقد احس البرديسي واصحابه بالغاية التي يرمي محمد علي اليها بفعله فدبروا له المكائد ولكن محمد علي اسرع بمحاصرة بيت البرديسي فلم يسع البرديسي الا ان فتح ابواب هذا البيت فجأة وخرج منه مع رجاله وامواله قاصداً القلعة ومنها الى الصحراء . ومع ان الامر خلص لمحمد علي وكان في امكانه الجلوس على ولاية مصر الا ان لبعد نظره لم يشأ ان يضع نفسه في موضع الظنة ويمهد اليها سبيل التهمة بالغدر فاستخرج خسرو باشا من مكمنه بعد ان نسي الناس ذكره واجلسه في منصبه باحتفال حافل . غير انه لم تمض ثلاثة ايام حتى ثار

الجند عليه وارسلوه الى رشيد فالاستانة ثم انتخبوا خورشيد باشا حاكم الاسكندرية والياً على مصر ولما جلس هذا على منصة الاحكام حسب لمحمد علي وجنوده الالبانيين الف حساب واراد ان يتخذ لنفسه جيشاً ليرد به هجمات المعتدين عليه وقت الحاجة فاستقدم اليه جنداً من الدلاة (المغاربة) فوصلوا مصر اول سنة ١٢٢٠ هـ . وكان محمد علي في جهات الصعيد يحارب المماليك فبلغه ان خورشيد باشا استقدم هؤلاء الدلاة يستعين بهم على الالبانيين فاسرع بالعود الى القاهرة برجاله فاوجس خورشيد باشا خيفة من عودة محمد علي على هذه الصورة لكنه كظم غيظه ولم يفتحه شيء . اما الدلاة عسكر خورشيد باشا الجديد فأساؤا السيرة في الاهالي بدرجة لا تطاق حتى سئم الاهالي هذه الحالة وترقبوا الفرص لتغييرها

وفي ٢ صفر ورد لمحمد علي خط شريف بولاية جدة فالبسه خورشيد باشا الفروة والقاووق المختصين بهذه الرتبة . فخرج محمد علي كانه يريد الذهاب الى جدة وفي نفسه ان لا يخرج من مصر وبينما هو راجع الى منزله من عند خورشيد باشا ليستعد للسفر ثارت العساكر وطالبوه بالعلوفة فقال لهم هذا هو الباشا عندكم فطالبوه وسار قاصداً بيته وصار ينثر الذهب على الناس طول الطريق فازداد تعلق قلوب الاهالي به

ولما علم الاهالي وخصوصاً المشائخ والعلماء ان محمد علي تعين والياً على ولاية جدة وانه سيفارقهم عن قريب استاؤا جداً لهذا الخبر وعزموا على الزام محمد علي بعدم الخروج من مصر (ويقال ان محمد علي هو الذي حركهم الى هذا الفعل) فاجتمعوا في ٦ صفر سنة ١٢٢٠ هـ وساروا الى منزل محمد علي وقالوا له « نحن لا نقبل خورشيد باشا والياً علينا » فقال لهم « ومن تريدون اذاً » فقالوا جميعاً « لا نقبل سواك » فامتنع اولاً ثم قبل فالبسوه الكرك والقفطان المختصين بهذه الرتبة ونادوا به والياً على مصر وارسلوا الى خورشيد باشا ان ينزل من القلعة فأبى فحاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالي بذلك فورد الفرمان بتولية محمد علي على

ولاية مصر في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ وعزل خورشيد باشا عنها فخرج هذا من القلعة بأمر من الاستانة وتسلمها محمد علي واستتب له امره

واشتد غيظ المماليك بولاية محمد علي لما يعلمونه من شجاعته وسطوته فايقنوا انه اذا بقي بمصر يضيع نفوذهم منها كلية فعمدوا الى دس الدسائس لاخراجه . وكان الالفي أحد زعماء المماليك المتقدم ذكره أشد خوفاً على مصالحهم . فهذا حالما علم بتولية محمد علي خابر حكومة انكلترا لتسعى بخلع محمد علي واشترط على نفسه ان يكون بمصر كنائب لانكلترا فيها اذا تم هذا الامر . فعلم قنصل فرنسا بمساعي انكلترا فعرقل مسعاها . فلما علم الالفي بعدم نجاح مساعي انكلترا عزم على مصالحة محمد علي على شيء يرضاه الاثنان فلم يتفقا . فعاد الالفي لمخابرة سفير انكلترا فاقنع هذا الباب العالي فبعث والياً اسمه موسى باشا ومعه العفو عن المماليك ولولا قيام سفير فرنسا بالاستانة بتفهيم الباب العالي بمقاصد المماليك من جهة وعدم قبول اهل مصر لوال غير محمد علي باشا من جهة اخرى لتم الامر وفاز الالفي بقصده . ولكن قيام سفير فرنسا المذكور وهياج اهل مصر اضطر الباب العالي بتثبيت محمد علي على ولاية مصر . وبعد قليل توفي البرديسي ثم الالفي فضعفت شوكة المماليك ولم يعودوا قادرين على معارضة محمد علي

الا ان انكلترا كانت تنظر الى اعمال محمد علي بعين الاهتمام وكانت تنتهز الفرص لافتتاح المسألة الشرقية وتقسيم املاك الدولة العلية . وكان الجنرال سبستياني سفير فرنسا في الاستانة قد نال حظوة عظمى لدى جلالة السلطان فخافت انكلترا امتداد النفوذ الفرنسوي واتحدت مع الروسيا على فتح المسألة الشرقية . فساقت روسيا عساكرها واحتلت امارتي الفلاخ والبغدان بدون اعلان حرب . وارسلت انكلترا اسطولاً بقيادة اللورد دوك فسطا على مدخل الدردنيل . ورفع سفير انكلترا بالاستانة الى الباب العالي بلاغاً يطلب عقد محالفة بين الدولة العلية وانكلترا وتسليم الاساطيل وقلاع الدردنيل لانكلترا وطرد الجنرال سبستياني من الاستانة الى غير ذلك . والا فتضطر انكلترا ان تجتاز

بوغاز الدردنيل وتطلق مدافعها على الاستانة . فأبت الدولة العلية اجابة هذه المطالب وأخذت بتحصين البوغاز المذكور وانشاء القلاع على ضفتيه . على ان الانكليز لم يتركوا لهم وقتاً كافياً لهذه التحصينات بل اخترق اميرال الاسطول الانكليزي بوغاز الدردنيل دون ان تنساله مضرة تذكر وضرب ميناء كاليبولي بقنابله ودمر السفن العثمانية الراسية فيها ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ اللائحة التي قدمها الى الباب العالي . ومع انه وقع الهرج والمرج في الاستانة لكن اقنع الجنرال سبستياني جلالة السلطان بوجوب المدافعة وعدم التسليم لمطالب انكلترا ووعده بانتصار نابوليون له . فأمر جلالة السلطان بتحصين الاستانة ومدخل البوسفور فلم يمض وقت طويل حتى صار يستحيل على المراكب الانكليزية دخول البوصفور . فلما تحقق الاميرال الانكليزي ذلك خاف ان يحصره اسطول آخر من الخارج فاضطر ان يرجع عن قصده فقفل راجعاً الى البحر المتوسط

واراد الاميرال الانكليزي ان يداري هزيمته فقصد ثغر الاسكندرية ومعه خمسة آلاف جندي عدا البحرية بامر الجنرال فريزر فاحتل هذا الثغر في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٧ م وارسل فرقة من الجند لاحتلال رشيد فلم تنل منهم مأرباً ولما علم محمد علي باحتلال الانكليز الاسكندرية ومحاولتهم احتلال رشيد اتحد مع اعدائه المماليك على قتالهم وارسل النجدات الى رشيد فحاربت عساكره الانكليز الذين حاولوا مرة اخرى الاستيلاء على رشيد فهزموهم وقتلوا بعضهم واسروا بعضهم واتوا بهم الى القاهرة فاضطر الذين بقوا من الحملة ان يفتدوا الاسرى بالخروج من الاسكندرية فتم ذلك وخرج الانكليز من الاسكندرية في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ م

وبعد خروج الانكليز من مصر استتب الامر لمحمد علي ولم يبق امامه الا ان يلاشي البقية الباقية من المماليك حتى يأمن على سطوته ونفوذه في القطر المصري ولكنه استعمل الحزم في هذه المسألة بما دلَّ على حسن تدبيره وذلك انه استمال اليه المماليك وقربهم وحالف كبيرهم لذلك الوقت شاهين بك واسكنه معه في

القاهرة في قصر بناه له ، مترقباً الفرص لاستئصال شأفتهم . وفي هذه الاثناء استفحل امر الوهابيين في شبه جزيرة العرب وهم قوم من العرب اتبعوا طريقة عبد الوهاب وهو رجل ولد بالدرعية بارض العرب من بلاد الحجاز كان من وقت صغره تظهر عليه النجابة وعلو الهمة . وبعد ان درس مذهب ابي حنيفة في بلاده سافر الى اصفهان ولاذ بعلمائها واخذ عنهم حتى اتسعت معلوماته في فروع الشريعة وخصوصاً في تفسير القرآن ثم عاد الى بلاده في سنة ١١٧١ هـ فأخذ يقرر مذهب ابي حنيفة مدة . ثم بدا له ان ينشئ مذهباً مستقلاً فانشأ ذلك المذهب وقرر قواعده . وموضوع هذا المذهب اغفال كل الكتب الدينية الاسلامية الا القرآن الشريف فهو بمنزلة الطائفة الانجيلية عند المسيحيين فدخل الناس في هذا المذهب بكثرة وشاع امره في نجد والاحساء والقطيف وكثير من بلاد العرب مثل عمان و بني عتبة من ارض اليمن ولم يزل امره شائعاً حتى خاف السلطان محمود امتداد سطوتهم فكلف محمد علي باخضاعهم وتوقيفهم عند حدهم فاجاب محمد علي طلب جلالة السلطان وابتدأ بالاستعداد لتسيير حملة لقتال الوهابيين فامر بانشاء السفن بالسويس لنقل الجنود الى ينبع فكانت الاخشاب الصالحة لعمل المراكب تقطع في جميع جهات القطر المصري ويؤتى بها الى الورش التي اقيمت في بولاق فتجهز فيها ثم تنقل على ظهور الجمال الى السويس فتركب بكل سهولة

ولما استعدت المراكب وجمعت الجيوش والكتائب خاف محمد علي ثورة المماليك عليه بعد مسير هذه الحملة وكان يضمر لهم الشر من زمن طويل ففكر الآن في كيفية ابادتهم قبل مبارحة العساكر القاهرة وكان نتيجة ذلك ان ابادهم بالكيفية الآتية . عين محمد علي يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ هـ الموافق اول مارس سنة ١٨١١ م للاحتفال بتسليم ولده طوسون باشا الفرمان المؤذن بتقليده قيادة الجيش المزمع ارساله الى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين . ونادى مناديه يوم الخميس ٤ صفر في الاسواق يدعو كبار العسكر والامراء المصرية الآفاقية وغيرهم

ليحضروا الى القلعة بافخر حللهم للحضور في الاحتفال المذكور . فلما اصبح يوم الجمعة ركب الجميع وصعدوا الى القلعة وصعد المماليك كلهم باتباعهم وجنودهم ودخل امراؤهم على محمد علي باشا وحيوه وجلسوا معه حصة وشربوا القهوة فباسطهم في الكلام ثم سار الموكب بكيفية رتبها محمد علي باشا حصر بها المماليك بين عساكره . ولما صار المماليك في المضيق المنحصر بين باب العزب والباب الاوسط امر محمد علي باشا لعساكره فاغلقوا باب العزب في وجوههم وكانت الجنود قد وقفت على جانبي الطريق على نقر الحيطان والحجر فصوبت عليهم البنادق فدهشوا واستلوا سيوفهم ولكن لم يمكنهم التقدم ولا التأخر فسلموا للقضاء وبقي الرصاص ينصب عليهم حتى قتلوا عن آخرهم . وفي الوقت نفسه نهبت جنود محمد علي باشا منازلهم بالمدينة وقتلت من تخلف منهم عن الحضور . ثم أرسل الى عماله في الاقاليم بقتل جميع المماليك القاطنين خارج العاصمة فقتلوهم وصاروا يتنافسون بارسال رؤوسهم اليه . وبذلك طهرت مصر من ادران هذه الفئة الباغية

وبعد ذلك سافر طوسون باشا بجيوشه الى بلاد العرب وحارب الوهابيين واستخلص المدينة المنورة بعد ان نسف اسوارها بالالغام ودخلها عنوة وكتب لوالده بذلك . ثم حصره الوهابيون في مدينة الطائف فسافر محمد علي باشا الى مكة في ٢٨ شعبان سنة ١٢٢٨ هـ وقبض على الشريف غالب شريف مكة وارسله الى مصر واقام مكانه الشريف يحيي بن مسرور واحتل عدة مراكز مهمة من مراكز الوهابيين فضعفت قوتهم خصوصاً بعد وفاة زعيمهم سعود في ١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٢٩هـ فساد الامن في طريق الحج . وبعد ان حج محمد علي باشا وجميع من معه سنة ١٢٢٩ هـ عاد الى مصر فوصلها في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠ هـ وقبل عودته كان قد سار طوسون باشا الى بلاد نجد لمناجزة الوهابيين في مدينة الدرعية عاصمة زعيمهم فاحتل مدينة الرس الواقعة على مقربة من الدرعية . ثم راسله عبد الله بن سعود الذي تولى زعامة الوهابيين بعد موت ابيه وارسل اليه رسولاً يدعى الشيخ احمد الحنبلي يطلب منه الكف عن القتال والخضوع لامير المؤمنين فاجابه طوسون باشا بعدم امكانه اجابة ملتمسه الا بعد اخذ

رأى والده واتفقا على مهادنة عشرين يوماً ربثما يخابر طوسون باشا والده . وعند ذلك اتى اليه خبر عودة والده الى مصر فاخذ على نفسه اتمام الصلح فاتفق مع عبد الله بن سعود الوهابي على ان يحتل طوسون باشا بجيوشه الدرعية ويرد الوهابيون ما أخذوه من الجوهرات والنفائس من الحجرة الشريفة النبوية خصوصاً الكوكب الدري الذي زنته ١٤٣ قيراطاً من الماس وكتب لوالده بذلك فاتي اليه الرد بتكليف عبدالله ابن سعود بالتوجه الى الاستانة وان لم يقبل يرسل اليه جيشاً جديداً لمحاربته . وفي هذه الاثناء بلغ طوسون باشا خبر تمرد الجنود على والده فرجع الى القاهرة بعد ان أناط قيادة الجيش لبعض قواده فوصلها غاية ذي القعدة سنة ١٢٣٠ ﻫ (نوفمبر سنة ١٨١٥ م) والسبب في ثورة العساكر على محمد علي باشا هو انه لما رجع من بلاد العرب في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠ ﻫ اهتم بتدريب الجند على النظام الفرنساوي المتبع في سائر اوروبا في ذلك الوقت فأصدر امراً عالياً في شعبان من السنة مؤداه ان الجنود المصرية ستدرّب على النظام الحديث . فعظم على الجهادية ولا سيما الارناوط الامتثال الى هذه الاوامر التي اعتبروها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . ولما شدد عليهم بضرورة اتباع هذا النظام ثاروا وتجمهروا الى القلعة وكاد يقع مالا تحمد عقباه لولا دراية محمد علي باشا وحسن تدبيره الذي لما رأى الشر يتفاقم اجاب الجنود الى طلبها والغى الامر الذي سبق واصدره فخلدوا الى السكينة . وفي هذه الاثناء قدم طوسون باشا كما تقدم فالتقاه المصريون باحتفال وأكرام زائدين ثم نزل الى الاسكندرية حيث كان ابوه مقيماً فوجد امرأته قد وضعت اثناء غيابه غلاماً دعته عباساً . وبعد يسير أصيب طوسون باشا بمرض لم يمهله الا بضع ساعات وتوفي فحزن عليه ابوه حزناً مفرطاً

وبعد قليل اخذ محمد علي باشا يهتم بامر الوهابيين خشية ان يعودوا الى ما كانوا عليه فكتب الى عبد الله بن سعود ان يأتي اليه بالاموال التي اخرجها الوهابيون من الكعبة فاجابه يعتذر عن عدم امكانه الشخوص وقال ان تلك الاموال قد تفرقت على عهد ابيه وارسل له هدايا فاخرة فارجع اليه محمد علي باشا تلك الهدايا واخذ في تجهيز حملة جديدة لمحاربة الوهابيين فجهزها وجعل قائدها بكر اولاده ابراهيم باشا فسار هذا البطل الى بلاد العرب من طريق قنا فالقصير فجدة والبحر في ١٢ شوال سنة ١٢٣١ ﻫ فوصل ينبع في ٩ ذي القعدة من السنة ومنها قصد المدينة لزيارة قبر الرسول (صلعم) ثم سار بجيوشه الى بلاد نجد بعد ان رتب النقط في خط رجعته الى فرضتي ينبع وجدة

لعدم انقطاع وصول المدد اليه فاحتل الرس ومدينـة عنيزة وغيرها وفي ٢٩ جمادي الاولى سنة ١٢٣٣ هـ (٦ ابريل سنة ١٨١٨ م) وصل امام مدينة الدرعية وكان بها عبد الله بن سعود ومعظم جنوده وبعد ان حاصر ابراهيم باشا المدينة عدة اشهر استولى في اثنائها على ضواحي المدينة ولم يبق امامه الا دخولها طلب اليه عبد الله بن سعود في ٧ ذي القعدة من السنة ايقاف القتال للمفاوضة في الصلح فأوقفه واتى عبد الله بن سعود الى ابراهيم باشا في معسكره فاكرمه واحسن وفادته وبعد اخذ ورد طويلين قبل الوهابي تسليم مدينة الدرعية الى ابراهيم باشا بشرط عـدم تعرضه للاهالي بسوء وبالسفر الى الاستانة كرغبة الحضرة السلطانية وبرد الكوكب الدري وما بقي من الجوهرات والتحف التي اخذها الوهابيون حين استيلائهم على المدينة

فتم الصلح على هـذه الكيفية ثم حضر عبد الله بن سعود الى مصر ليسير منها الى الاستانة فوصل القاهرة في ١٨ محرم سنة ١٢٣٤ هـ فقابله محمد علي باشا بالبشاشة وقام له اكراماً واجلسه الى جانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال . فسأله محمـد علي باشا : كيف رأيت ابراهيم باشا : فقال بذل الهمة وما قصر حتى كان ما قدره المولى

وفي ٢٠ محرم أرسل الى الاستانة فطافوا به في شوارعها ثلاثة ايام ثم قتلوه وزالت به شوكة الوهابيين

وبعد ان انتهى محمد علي باشا من حرب الوهابيين حول افكاره الى فتح السودان للانتفاع بخيراته الكثيرة من ذهب وعبيد . وكان جماعة من المماليك قد لجأوا الى دنقلة فاتخذ الباشا بقاءهم فيها حجة لتسيير الحملة . فبعث اليها حمـلة عقد لواءها لابنه الاصغر اسماعيل باشا وكان قد علم جنودها بعض الفنون الحربية بارشاد الكولونل سيف Seves الفرنساوي (وهو الذي سمي بعدئذ سليمان باشا الفرنساوي) فسهل عليها الفوز على السودانيين . وارسل حملة اخرى عقد لواءها لصهره محمد بك الدفتردار . اما اسماعيل باشا فتقدم محاذياً للنيل حتى وصل دنقلة واغار عليها وشتت من فيها من المماليك الى وادي وشطوط البحر الاحمر ثم خضعت له الشايقية ونظم منهم فرقة من الفرسان وبعد سير حثيث بلغ بربر فاخذها ثم وصل الى ملتقى النيلين الابيض والازرق في ٢٧ مايو سنة ١٨٢١ م فعسكر في المكان الذي انشأت فيه بعد ذلك مدينة ام درمان . وكان في سنار وزيران يتنازعان عليها فقتل احدهما الآخر فتقصـد الملك

وانصار القتيل المعسكر المصري وطلبوا من اسماعيل باشا احتلال سنار فاحتلها في ١٢ يونيو سنة ١٨٢١ م . ثم سار زاحفاً الى اعالي النيل ولكنه مر باقوام اعترضوه في طريقه واضطروه الى النكوص على عقبيه . ثم وقع المرض والدوسنطاريا في جيش اسماعيل باشا فمات اكثره وبلغ محمد علي باشا ذلك فبعث بابنه ابراهيم باشا لكي ينقذ البقية الباقية من جنود اسماعيل باشا وينظم البلاد ويتم فتحها الى منابع النيل . فلما وصل ابراهيم باشا السودان أصيب بالدوسنطاريا فعاد ادراجه الى مصر وتولى ياوره طوسون بك قيادة جيشه

اما محمد بك الدفتردار فحول شكيمة فتوحاته الى جهات كردفان ولكن مقاومة اهالي كردفان كانت أشد عنفاً منها في اي جهة اخرى بالسودان وافضت الى معركة هائلة فاز المصريون فيها ببنادقهم ومدافعهم وسقطت مدينة الابيض في ايديهم . و بعد ان استقر محمد بك الدفتردار في مدينة الابيض قليلاً بلغه ان الملك نمر ًا ملك شندي اغتال اسماعيل باشا فعاد الى المتمة واثخن في اهلها . وذلك ان اسماعيل باشا عاد الى شندي لانه بلغه ان ملكها جاهر بالعصيان فلما وصلها استحضره وعنفه وفرض عليه جزية فاحشة فاضمرها له ودعاه الى وليمة هو ورجاله وسقاهم كثيرًا من المسكر وكان قد جمع قشاً وهشيماً حول مكان الوليمة فاضرم فيها النار ووقف هو ورجاله بسيوفهم حول النار يقتلون من يحاول الفرار منها فمات اسماعيل باشا محروقاً ومات كل الذين معه . وانتشر الخبر في السودان فجاهر امراؤه بالعصيان . وعاد محمد بك الدفتردار الى شندي كما تقدم فقتل اهل المتمة ووجد ان الملك نمرًا هرب من وجهه فاحرق شندي وضرب في البلاد يقتص من الخارجين عن الطاعة ويحرق المدن ويقتل السكان الى ان وصله الامر من محمد علي باشا بالرجوع الى مصر فرجع اليها وقد دوخ بلاد السودان ومهدها للولاة الذين جاؤها بعده . ولم يحسن ولاة محمد علي باشا ادارة السودان فبقي اسم الترك عند السودانيين مرادفاً للظلم والقسوة الى الان

وبعد ان خضع السودان للقطر المصرى خضوعاً تاماً وجه محمد على باشا التفاته الى ما يجول في خاطره من امر اصلاح البلاد وترقيتها وتنظيم الجند وتدريبه فاسس مدرسة عسكرية في الخانكاه وجعل سراية مراد بك في الجيزه مدرسة للفرسان واقام فيها اساتذة من الافرنج وأنشأ مدرسة للطبجية وجعل في القاهرة معامل لسكب المدافع ولاصطناع جميع حاجيات الجند تحت مناظرة عملة من الفرنج . وجعل في الاسكندرية ترسخانة

اتي اليها بالسفن والدوارع من مرسيليا وفينيسيا ثم اقام فيها مدرسة اتي اليها بالاساتذة الماهرين من فرنسا وانكلترا وبنى حول الاسكندرية حصناً منيعاً قد هدم الآن اغلبه ثم حول التفاته الى تحسين حالة البلاد الزراعية فأتي ببذار القطن الاميركاني وجاء بنبات النيلة من بلاد الهند واستحضر من يحسن زرعه منهم ومثل ذلك فعل بالافيون فأتي به وبمن يزرعه من اسيا الصغرى . وبعد ان اكثر محصولات البلاد اخذ في تمهيد سبل التجارة فنظر في امر انشاء مينا أمنية تأوى اليها السفن التجارية فلم تعجبه رشيد ولا دمياط فاختار الاسكندرية فاحتفر الترعه الموصلة بينها وبين النيل ودعاها المحمودية نسبة الى السلطان محمود الثانى . وكان افتتاح تلك الترعة في ٤ ربيع الثانى سنة ١٢٣٥ هـ (٢٠ يناير سنة ١٨٢٠ م) وكانت كثيرة الاستعمال لنقل البضائع الواردة بحرًا الى الدلتا فاكتسبت الاسكندرية بذلك اهمية كبرى فتقاطر اليها التجار من اماكن مختلفة من اوروبا وغيرها وأقيمت فيها البنايات الكبيرة على النمط الاوروبي ووجدت فيها الفنادق والنزل للغرباء والمسافرين . ثم وجه محمد علي باشا انظاره الى تحسين الصناعة فانشأ معامل للقطن والنيلة وغيرهما من محصولات البلاد في اماكن مختلفة لكن لم ينجح منها الا معمل الطرابيش الحمراء التونسية لرواج هذه البضاعة في الشرق عموماً

ثم التفت الى الصحة العمومية ووجه همه في اصلاح طرقها وكان القطر المصري في غاية الاحتياج لمثل هذا الاصلاح لانتشار التدجيل والتطبيب بالكتابة والحجابة وما شاكل فعهد الى الدكتور كلوت (ثم صار كلوت بك واليه ينسب شارع كلوت بك في القاهرة) امر هذا الاصلاح فقام بما عهد اليه خير قيام وانشأ مستشفيات عديدة في سائر القطر المصري وانشأ مدرسة طبية وصيدلية مع مستشفي في ابي زعبل وراء الخانكاه ومدرسة اخرى في فن القوابل في القاهرة

ثم اهتم بالحالة العلمية فأنشأ نظارة المعارف العمومية والمدارس الابتدائية والتجهيزية الخصوصية وانفذ الى باريس في سنة ١٨٢٦ م ارسالية مصرية مؤلفة من ٤٠ طالباً وبلغ عدد الطلاب في المدارس المصرية ٩٠٠٠ طالب . اما طلاب الارسالية فقد حصلوا في اوروبا على معارف غزيرة كل فيما تفرغ اليه ولكنهم كانوا اذا عادوا الى مصر استخدموا في غير الوظائف التي تناسب معلوماتهم فالبحري كان يعين ضابطاً في الجيش البري والطبيب كاتباً والمهندس مفتشاً وهكذا

وفي ايام محمد علي باشا اكتشف شامبوليون حجر رشيد الذي عرفت بواسطته الحروف الهيروغليفية . وقسم محمد على باشا القطر المصري الى مديريات جعل على كل منها مديرًا وقسم المديرية الى اقسام جعل في كل منها مأمورًا مع بعض القوة العسكرية لمساعدته في جمع الضرائب التي كانوا يستخدمون الكرباج في تحصيلها

ثم عزم محمد على باشا على انشاء القناطر الخيرية عند فرعي النيل فاوعز الى المهندس موجل الفرنسوي بالابتداء في هذا العمل الخطير فوضع التصميم لها وحشد الوف الفلاحين للعمل فيها ولكن الطاعون فشاء بينهم وتحيف الالوف منهم وكان بدء العمل فيها سنة ١٨٣٤ م ومضت عشر سنوات بعدها بدون ان ينتهي بعد ان أنفقت أموال طائلة وحرم الموظفون والجنود بسببه من استلام رواتبهم وقد ابلغه ابنه ابراهيم باشا بانه من الضروري ايقاف العمل حتى تروج المالية فحنق عليه وقطع راتبه ورواتب كبار الموظفين الذين شاركوه في رأيه وظل العمل دائرًا ولكن ببطء بعد وقوفًا في الحقيقة .

ومن آثار محمد على باشا ايضًا مطبعة بولاق الاميرية الموجودة الى الآن . وبعد ان فرغ محمد على باشا من هذه الاصلاحات العمومية بنى لنفسه عدة قصور وسرايات في القاهرة والاسكندرية . وفي سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) كانت ثورة اليونان على الدولة العلية لطلب الاستقلال فاوعز الباب العالي الى محمد علي باشا بتسيير حملة لردع الثائرين فلبي رحمه الله الدعوى وجهز جيشًا من ١٢٠٠٠ راجل و٢٠٠٠ من الارنؤود و٢٠٠٠ فارس و٧٠٠ طبجي و ١٤ مدفعًا و٥٤ سفينة حربية وسير هذا الجيش بقيادة ابنه ابراهيم باشا الى المورة فاخضع الشطر الاكبر منها واحتل تريبولتزا ولما رأت دول اوربا ان ابراهيم باشا قارب ان يطفي نار الثائرين وكان يهمهم استقلال اليونان لما فيه من تجزئة املاك الدولة اهتمت بالامر واتفقت روسيا وانكلترا وفرنسا على اجبار الدولة العلية على منح اليونان الاستقلال الاداري وامهلت الدول المذكورة الباب العالي شهرًا واحدًا ان لم يجبها بما طلبت في اثنائه اضطرت الى اعلان الحرب ولما لم يجب الباب العالي بمطالب الدول لما فيه من الاجحاف بحقوق الدولة اصدرت الدول الثلاث اوامرها الى قواد اساطيلها ان يسيروا الى سواحل اليونان فاجتمعت هذه الاساطيل خارج ميناء نافارين التي كان الاسطول العثماني والمصري بها . ولسبب واهٍ سلطت اساطيل الدول في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م مدافعها على الاسطولين العثماني والمصري فدمرتهما ولم يبق منهما الا ١٥ مركبًا معوهة . ولما رأى ابراهيم باشا تألب

الدول على الدولة العلية وان فرنسا امرت بارسال جيش لمحاربته واتمام استقلال اليونان اتفق بامر والده مع مندوبي الدول المتحدة على اخلاء المورة والعود الى مصر واخذ يسحب عساكره وكانت كلما جلت عن محل دخله الفرنساويون . ولما تم جلاء المصريين عن بلاد اليونان اهتم محمد علي باشا بانشاء عدة سفن حربية بدل التي دمرها اساطيل الدول المتحدة في واقعة نافارين المتقدم ذكرها والتزم بضرب ضرائب جديدة على الاهالي للقيام بمصاريف بناء هذه السفن وغيرها من المشروعات المفيدة فضاق الاهالي ذرعاً لكثرة الضرائب واتخذ ارباب الغايات هذه الفرصة للافساد على محمد علي باشا فاستمالوا الاهالي للمهاجرة الى الشام فهاجر منهم خلق كثير والتجأوا الى عبد الله باشا والي عكا المشهور بالجزار . وطلب منه محمد علي باشا ارجاعهم فلم يجبه الى ماطلب . فاغتاظ محمد علي باشا وامر في سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) باعداد الجيوش والتأهب للسفر الى بلاد الشام عن طريق العريش براً وعن طريق البحر في آن واحد لمحاصرة عكا من الجهتين . وعين ولده ابراهيم باشا قائداً عاماً للجيوش المزمع ارسالها للشام وسليمان بك الفرنساوي قائمقام له . فسار هذا الشبل بحراً في ٢٦ جمادى الاول سنة ١٢٤٧ هـ (٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ م) الى مدينة حيفا وكانت الجيوش البرية سبقته من طريق العريش وفتحت في مسيرها مدائن غزة ويافا وبيت المقدس ونابلس . وجعل ابراهيم باشا مدينة حيفا مقراً لاعماله ومركزاً لاركان حربه ومستودعاً للمؤن والذخائر ثم ارتحل عنها لمحاصرة عكا فحاصرها براً وبحراً في ٢٠ جمادى آخرة من السنة . فلما علم الباب العالي بدخول العساكر المصرية الى بلاد الشام وحصارهم مدينة عكا اعتبر ذلك عصياناً من محمد علي باشا واوعز الى والي حلب المدعو عثمان باشا بالسير لمحاربة المصريين وردهم الى حدود مصر . فجمع هذا الوالي نحو ٢٠ الف جندي وقصد مدينة عكا وعلم ابراهيم باشا بقدوم هذا الجيش لقتاله فلم يمهله حتى يصل الى عكا بل ترك حول عكا عدداً قليلاً من الجنود لاستمرار الحصار وسار هو بمعظم الجيش لملاقاة الجيش العثماني فالتقى الجمعان بالقرب من مدينة حمص وبعد قتال شديد انتصر المصريون انتصاراً باهراً ثم عاد ابراهيم باشا الى عكا وشدد عليها الحصار ودخلها عنوة في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ هـ (٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ م) وقبض على عبد الله باشا الجزار وسيره الى مصر

ولما علم السلطان محمود بسقوط مدينة عكا في ايدي المصريين امر حالاً بجمع كل ما يمكن جمعه من الجيوش المنتظمة فجمع في اقرب وقت نحو ٦٠ الفاً ارسلهم

الى الشام بقيادة حسين باشا . وعلم ابراهيم باشا بذلك فاستعد لمقابلة هذه الجيوش بقدر ما في امكانه و برز ابراهيم باشا متقدماً نحو الاناطول فالتقى في ١٠ صفر سنة ١٢٤٨ هـ بمقدمة جيوش حسين باشا فاشتبك معها في قتال كان النصر فيه حليفه ففر العثمانيون امامه واقتفى هو اثرهم حتى دخل مدينة حلب الشهباء في ١٨ صفر من السنة

ولما علم حسين باشا بانهزام مقدمته تقهقر بمن معه من الجيوش وتحصن في أهم مضائق جبال طوروس الفاصلة بين الشام والاناطول ويسمى هذا المضيق بمضيق بيلان . فلحقه ابراهيم باشا هناك وفاز عليه فوزاً عظيماً وفرق شمل جيوشه وذلك في غرة ربيع اول سنة ١٢٤٨ هـ (٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢ م) وقطع ابراهيم باشا جبال طوروس ودخل بلاد الاناطول فاتحاً فاستولى على عدة مدن حتى انتهى الى مدينة قونية وهناك التقى بجيش عثماني جديد ارسله السلطان محمود بقيادة رشيد باشا لصد هجمات المصريين فحصلت بين الفريقين معركة هائلة انتصر فيها المصريون انتصاراً عجيباً ووقع رشيد باشا اسيراً في يد ابراهيم باشا وذلك في ٢٧ رجب سنة ١٢٤٨ هـ (٢١ دسمبر سنة ١٨٣٢ م وتقدم ابراهيم باشا بجيشه الظافر الى مدينة بورصة فعظم القلق في الاستانة وخيف من مهاجمة ابراهيم باشا لها

ولما تواترت اخبار انتصار المصريين على العثمانيين خشيت دول اوربا ان يكون قصد محمد علي باشا احتلال الاستانة واسقاط عائلة بني عثمان والاستئثار بالخلافة الاسلامية فيحصل اضطراب عمومي في التوازن الاوربي وكانت الروسيا اشد قلقاً من غيرها لخوفها من سقوط الاستانة في قبضة من يمكنه الذب عنها اكثر من الملوك العثمانيين فلا يمكنها تنفيذ وصية بطرس الاكبر ولذلك عرضت على الدولة العلية مساعدتها بالرجال وانزلت فعلاً على شواطىء الاناطول خمسة عشر الف جندي لحماية الاستانة فاضطربت فرنسا وانكلترا وخشيتا سوء عاقبة تداخل الروسيا بصفة عسكرية والحتا على الباب العالي بسرعة الاتفاق مع محمد علي باشا قبل ان يتفاقم الخطب . وبعد مخابرات ومداولات طويلة اتفق الطرفان على ان

يخلي المصريون اقليم الاناطول وترجع جيوشهم الى ما وراء جبال طوروس وتعطى لمحمد علي باشا ولاية مصر مدة حياته و يعين هو والياً على ولايات الشام الاربع عكا وطرابلس وحلب ودمشق . وعلى جزيرة كريت . وان يعين ابنه ابراهيم باشا والياً على اقليم اطنه . وصدرت بذلك ارادة سنية في ٥ مايو سنة ١٨٣٣ م . ودعيت هذه المعاهدة بمعاهدة كوتاهية نسبة الى المدينة التي كان بها ابراهيم باشا عند اتمامها . على ان السلطان لم يقبل هذه التسوية الا ليكون له وقت للاستعداد للحرب واسترداد ما اخذ من مملكته قهرًا . ولم يسرّ محمد علي باشا بهذه الشروط ايضاً لانها تخالف مقاصده

وبعد اتمام هذه المعاهدة اهتم ابراهيم باشا بتدبير احكام سورية وجعل مقامه مدينة انطاكية وولى على ولايات الشام بعض خواصه واظهر من حسن التدبير ما كان ينتظر منه

الاان ارباب الغايات لم يشاؤا ان يسكتوا امام نجاح ابراهيم باشا والمصريين بالشام فدسوا الى اهل الشام عموماً والدروز خصوصاً بالثورة على الحكومة المصرية فثاروا في اماكن مختلفة وساعدت انكلترا الثائرين سرًا واما ابراهيم باشا فاستعمل الصرامة الزائدة في معاقبه الثائرين لاخضاعهم لسلطانه . وعلم محمد علي باشا بثورة الشاميين فسار الى يافا بحرًا واتحد مع ابنه في اخضاع الثائرين فلم يمض وقت طويل حتى اخضع اهل الشام جميعاً وجردهم من السلاح ثم عاد محمد علي باشا الى مصر . وكأنه قد سئم طول القتال فاراد ان يثبت ما فتحه من البلاد له ولنسله من بعده ففاتح بعض وكلاء الدول بمصر بانه يرغب ان تكون مصر والشام و بلاد العرب له ولاولاده من بعده فأبلغ الوكلاء ذلك لدولهم وهي خابرت الدولة العلية بذلك . وعضدت فرنسا مطالب محمد علي باشا اما باقي الدول فحسنت للباب العالي محاربته بكل شدة واخضاعه خوفاً من تطامه الى غير ما في يده من الاقاليم . ولكن لما لسفير فرنسا من النفوذ في الباب العالي قبل جلالة السلطان ارسال مندوب من طرفه للاتفاق على حل مرض للطرفين وارسل

الى مصر من يدعى سارين افندي احد موظفي الخارجية فاتى هذا المندوب الى مصر سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) وبعد مداولات طويلة بينه وبين محمد علي باشا اتفقا على ان تعطي الدولة لمحمد علي باشا ولايتي مصر والعرب ارثاً لاولاده وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته . وعاد سارين افندي الى الاستانة بهذا الوفاق فلم يقبله الباب العالي واصر على ان تكون جبال طوروس ومفاوزها بيد العثمانيين وصمم محمد علي باشا على عكس ذلك بدعوى ان هذه المفاوز بمثابة ابواب لبلاد الشام باجمعها فلو احتلتها الدولة العلية امكنها الاغارة على الشام متى شاءت . وبذلك عاد الخلاف الى ما كان عليه واوعز الباب العالي الى حافظ باشا الذي عين سر عسكر الجيوش المجتمعة في سيواس بارمينية بالزحف الى الشام . فتقدم اليها اوائل سنة ١٢٥٥ هـ (سنة ١٨٣٩ م) وعلم محمد علي باشا بتقدم هذا الجيش فارسل الى ابنه ابراهيم باشا بالزحف ايضاً فالتقى الجيشان عند بلدة نصيبين في ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ (٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ م) وبعد قتال شديد انتصر المصريون وغنموا من العثمانيين ١٦٦ مدفعاً وعشرين الف بندقية وغير ذلك من الزخائر الحربية

وكان السلطان محمود قد ارسل الاسطول العثماني لضرب الاسكندرية بقيادة احمد باشا . ولان المذكور كان حاقداً على الباب العالي لعدم توليته الصدارة العظمى كما كان ينتظر قبل الان فحال وصوله الى الاسكندرية سلم مراكبه بلا قتال يذكر الى محمد علي باشا

وفي اثناء هذه الارتباكات والهزائم المتوالية على العثمانيين توفي السلطان محمود الثاني في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ (اول يوليو سنة ١٨٣٩ م) وجلس مكانه على كرسي الخلافة العظمى السلطان عبد المجيد خان

ولما علمت دول اوربا بانتصار المصريين في واقعة نصيبين وبأخذهم الاسطول العثماني بخيانة احمد باشا المتقدم ذكره خشيت تقدم ابراهيم باشا الى الاستانة فترسل روسيا جيشها لمحاربته اعتماداً على اتفاقها السابق ذكره . فارسل سفراء

الدول الى الباب العالي لائحة في ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٩ م طلبوا بها منه ان لا يقرر شيئاً في المسئلة المصرية الا باطلاعهم فقبل الباب العالي هذه اللائحة فاجتمع سفراء الدول مراراً بلا فائدة واخيراً قرروا عقد موئتمر بلندن لتقرير المسئلة المصرية فاجتمع الموئتمر سنة ١٨٤٠م وطلبت فرنسا ابقاء سورية كلها تحت ولاية محمد علي باشا فعارضتها انكلترا واصرت على انه لا يعطى الا نصف سورية الجنوبي بشرط أن يكون له مدة حياته فقط ولا ينتقل لذريته بل يعود بعد موته الى الدولة العلية وعضدتها روسيا و بروسيا والنمسا فلم يحصل وفاق بين الدول وكادت الحرب تقع بين فرنسا وانكلترا لانتصار الاولى للمصريين ولما كسة الثانية لهم وفعلاً أمرت فرنسا مراكبها وعساكرها بالاستعداد للحرب . لكن بالمرستون وزير انكلترا تمكن بدهائه من عقد اتفاق مع روسيا والنمسا و بروسيا على ارجاع محمد علي الى حدود مصر واجباره بالقوة على ذلك و تم مندوبو هذه الدول مع مندوب الدولة العلية على معاهدة في ١٥ يونيو سنة ١٨٤٠ وأخص مواد هذه انه يلزم محمد علي باشا على ان يرد البلاد التي فتحها الى الدولة العلية و يبقي لنفسه القسم الجنوبي من سورية ماعدا عكا وان يكون لانكلترا والنمسا الحق ان تحاصر وتفتح مواني سورية بمساعدة كل من أراد من سكان سورية خلع طاعة المصريين والرجوع الى الدولة العلية . وان يكون لمراكب روسيا والنمسا وانكلترا حق الدخول معاً الى البوسفور لوقاية الاستانة اذا تقدمت اليها العساكر المصرية واعلم سفير فرنسا محمد علي باشا بهذه المعاهدة سراً فارسل محمد علي باشا الى ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوي بالاستعداد للحرب ودفع القوة بالقوة . أما فرنسا فلانها رأت انها لا تقدر على مساعدة محمد علي باشا لتألب أعظم دول اوربا ضده سحبت مراكبها من البحر الابيض المتوسط تاركة السلطة فيه بيد الانكليز يفعلون ما يشاؤن

اما انكلترا ففرقت في اهالي سورية صورة المعاهدة التي تمت بين الدول ودعتهم الى الثورة والعصيان على الحكومة المصرية هذا من جهة وأمرت اسطولها

الذي يقوده الاميرال نابير ان يسير الى الشام ويضرب موانيها و يجلي المصر بين عنها ففعل ووصل الى بيروت في ١٤ اغسطس سنة ١٨٠٠ م · وفي النهار نفسه حضر قناصل الدول المتحدة الى محمد علي باشا وابلغوه قرار الدول فحنق عليهم وطردهم · وفي ١٠ سبتمبر سنة ١٨٤٠ م وصلت مراكب النمسا والدولة العلية الى بيروت تنقل نحو عشرة آلاف جندي عثمانيين وانكليز وفي ١١ سبتمبر أنزلت هذه العساكر الى البر · وفي ظهر ذلك اليوم ارسل اميرال الاسطول الانكليزي واميرال الاسطول النمساوي بلاغاً الى سليمان باشا بان يخلي مدينة بيروت حالاً فطلب منهم مهلة ٢٤ ساعة كي يتداول مع ابراهيم باشا في الامر فلم يقبلوا طلبه · وفي فجر ١٢ سبتمبر اطلقوا مدافعهم على المدينة فهدمت واحرقت دوراً كثيرة وفرّ سليمان باشا بعساكره الى الحازمية · واحرقت اساطيل الدول المتحدة كل الثغور الشامية قصد استخلاصها من محمد علي باشا · و بعد عدة وقائع انهزم فيها العسكر المصري أمام عساكر الدول المتحدة لم ير محمد علي باشا بداً من الاذعان الى مطالب الدول فاصدر اوامره الى ولده ابراهيم باشا بتوقيف القتال والجلاء عن الشام · فأجاب ابراهيم باشا طائعاً وانسحب بعساكره من الشام في شوال سنة ١٢٥٦ هـ ولم يصل الى مصر الا بعد ان هلك اكثر من معه

وفي هذه الاثناء عرض الكومودور نابير على محمد علي باشا ان الحكومة الانكليزية تسعى لدى الباب العالي في اعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشام ورد الاسطول العثماني الذي سلمه اليه احمد باشا الى الدولة العلية فقبل محمد علي هذه الشروط وتم الاتفاق في ٢ شوال سنة ١٢٥٦ هـ الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ م

و بعد مخابرات ومداولات بين الدول والدولة العلية تم الاتفاق بين جلالة السلطان و محمد علي باشا بأن تكون ولاية مصر وراثية لنسل محمد علي باشا بشرط ان يكون لجلالة السلطان الحق المطلق ان يختار من عائلة محمد علي باشا من يريد لتوليتها · واذا انقرض الذكور من ذريته لايكون لاولاد نساء اسرته حق

في الولاية الى غير ذلك من الشروط وصدر بذلك خط شريف بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ م . ثم صدر فرمان آخر بتاريخ ١٩ ابريل من السنة بتثبيت ولايته على نوبيا ودارفور وكردفان وسنار . فاصبحت حكومة محمد علي بمقتضى ذينك الفرمانين محصورة في مصر والسودان . فقنع محمد علي باشا بذلك وارسل ولده سعيداً لتقديم فروض العبودية لجلالة السلطان . وهكذا انتهت هذه المشكلة وعادت المياه الى مجاريها . وفي سنة ١٨٤٥ م سافر ابراهيم باشا الى اوروبا لانحراف ألم بصحته فأصاب ترحاباً عظيماً في سائر الممالك الاوروبية ولا سيما في فرنسا وانكلترا وعاد الى مصر في اواخر صيف سنة ١٨٤٦ م وفيها سار محمد علي باشا الى الاستانة بدعوى رسمية من جلالة السلطان فوصلها في ١٩ يوليو سنة ١٨٤٦ م فترحب به جلالة السلطان ترحيباً عظيماً . وفي ١٧ اغسطس من السنة برح محمد علي باشا الاستانة قاصداً قواله مسقط رأسه فأقام فيها عدة ابنية لتعليم الفقراء واعانة الضعفاء والمساكين ثم بارحها قادماً الى الاسكندرية فقابله الاهالي بكل تبجيل وتعظيم ثم سار الى القاهرة فدخلها بين اصوات الدعاء والتكبير

وفي سنة ١٨٤٨ م توعك مزاج محمد علي باشا وازدادت فيه ظواهر الخرف فصار يهذي في القول فسافر الى اوربا طالباً للاستشفاء فلما وصل الى نابلي اتصل به خبر سقوط صديقه لويس فيليب ملك فرنسا فاستشاط غضباً وحادث من حوله بان في عزمه ارسال جيش الى مرسيليا لاعادة هذا الملك الى عرشه . وكان قد تولى الحكم في غيابه بمصادقة من الباب العالي ابنه ابراهيم باشا الا ان مدته لم تطل فتوفي في نوفمبر سنة ١٨٤٨ م وولي الامر بعده عباس باشا الاول ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا . أما محمد علي باشا فلم يزل على حالته يهزل جسماً وعقلاً حتى أدركته الوفاة في ١٢ اغسطس سنة ١٨٤٩ م . فنقلت جثته من الاسكندرية حيث توفي ودفن في جامع القلعة الذي كان قد شرع في بنائه ولم يكن تام البناء

٧٦٧ — ابراهيم باشا بن محمد علي

سنة ١٢٦٤ هـ أو سنة ١٨٤٨ م



« ش ١١ ابراهيم باشا »

لما مرض محمد علي باشا على ما تقدم تولى الامر عوضاً عنه ابنه ابراهيم باشا وتوجه الى الاستانة في اغسطس من السنة لاجل تثبيته على ولاية مصر خلفاً لابيه فثبته جلالة السلطان بنفسه فعاد الى مصر لمعاطاة الاحكام . الا ان مدة حكمه لم تطل لانه توفي في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ م

٧٦٨ — عباس باشا الاول ابن طوسون

من سنة ١٢٦٥ — ١٢٧ هـ او من سنة ١٨٤٨ — ١٨٥٤ م



(ش ١٢　عباس باشا الاول)

هو عباس باشا ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٣ م) وكان يوم وفاة عمه ابراهيم باشا في مكة فاستقدم حالاً لاستلام زمام الاحكام لانه كان اكبر ابناء العائلة فوصل القاهرة في ٢٤ دسمبر سنة ١٨٤٨ م بعد ان قضى فروض الحج واستلم زمام الاحكام . ومن اعماله انه استبدل الجيش الذي شكله جده من المصريين بستة الاف من الارنؤد الذين اذ اطلق لهم العنان عاثوا في الارض فساداً . وانشأ لهم الثكنات الواسعة في ضاحية القاهرة وسفر

في تشييدها البنائين والنجارين والنحاتين قهرًا . وسار في خطة على عكس ما رسمه جده انفسه فنقم على كافة اكابر الرجال الذين كان يستعين بهم في ادارة شؤون الحكومة . وبلغ من الامر ان اضطر الكثيرون من الامراء الى الاقامة بالاستانة ليأمنوا على حياتهم . وكان مدبر الشؤون الخارجية وقتئذٍ ارتين بك فاضطره الخوف من بطش عباس باشا ان يلجا الى قنصلية فرنسا وان يفر منها الى الشام . ثم امر عباس باشا باقفال الملجأ الذي نيط بكاوت بك امر تأسيسه للفقراء من الاهالي طلبًا للاقتصاد بينما كان ينشيء القصور الباذخة في الخلوات بالاموال الطائلة

وكان عباس باشا شديد الاحترام للدولة العلية والتملق بجلالة السلطان . وكان يقول في ذلك « كان جدي يظن نفسه انه ملك مطلق نعم قد كان كذلك نحونا ونحو اتباعه وابنائه ولكنه كان مقيدًا بارادة قناصل الدول واذا كان من المحتم ان اكون خاضعاً لاحد فاحب اليّ ان يكون خضوعي لامير كافة المؤمنين لا للمسيحيين الذين اكرههم كرهًا شديدًا »

وبالرغم عن كره عباس باشا للاوروبيين وفتور العلائق بينه وبين حكومات اوروبا فقد اعطى امتياز مد السكة الحديد بين الاسكندرية والقاهرة لشركة انكليزية التي قامت باتمام هذا المشروع المفيد خير قيام

وفي سنة ١٨٥١ م وردت اليه الاوامر من الباب العالي بادخال التنظيمات في مصر مثل الغاء السخرة والضرب بالكرباج والخدمة العسكرية لمدة طويلة . فعارض عباس باشا في ذلك . فاجاب الباب العالي بان محمد علي باشا كان قد تعهد بان يحكم مصر بمقتضى القوانين العامة للدولة العلية وارسلت الحكومة العثمانية فواد افندي مبعوثاً فوق العادة لتنفيذ اوامرها وقد نفذت وكافأ السلطان عباس باشا بحق العفو

وبعد ذلك بقليل شبت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وهي المعروفة بحرب القرم فارسل عباس باشا لنجدة الدولة حملة مؤلفة من ١٥٠٠٠ مقاتل وقد

اتت هذه الجنود بايات البسالة والاقدام فانها صدمت جيش الجنرال باسكيفتش في سلسترة ومنعته من الزحف على الاستانة واضطرته بعد حصار ٣٩ يوماً الى القتال منسحباً

وكان لعباس باشا غلام يدعى البرنس ابراهيم الهامي باشا وكان على جانب عظيم من الجمال والذكاء واللطف والمعرفة زار الاستانة سنة ١٢٧٠ هـ وتشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد المجيد خان فاحبه وازوجه بابنته وغمره بنعمه فرجع الى مصر شاكراً حامداً . والمرحوم الهامي باشا هو والد ذات العفاف والعصمة حرم المرحوم الخديوي السابق محمد توفيق باشا ووالدة خديونا الحالي . وعباس باشا هو الذي وضع الحجر الاول لمسجد السيدة زينب بيده باحتفال عظيم ذبحت فيه الذبائح وفرقت الصدقات على الفقراء بكثرة . وفي عهده الغيت الاحتكارات التجارية فبدأ التجار الاجانب بالايغال في البلاد لشراء المحصولات من الفلاحين مباشرة

وتوفي عباس باشا في شوال سنة ١٢٧٠ هـ (يوليو سنة ١٨٥٤ م) في سرايته في مدينة بنها العسل وقيل في سبب وفاته انه توفي اثر اصابة شديدة بالنقطة وقيل بل مات قتيلاً بيد اثنين من المماليك الجركس انتقاماً اوخوفاً من عقاب والله اعلم . وبعد موته نقل ودفن بمدفن العائلة الخديوية بالقاهرة

٧٦٩ – سعيد باشا بن محمد علي باشا

من سنة ١٢٧٠ – ١٢٧٩ ﻫ او من سنة ١٨٥٤ – ١٨٦٣ م



« ش ١٣ سعيد باشا » نقلا عن الهلال

ولد سعيد باشا بالاسكندرية سنة ١٢٣٧ ﻫ (١٨٢٢) وتلقى العلوم على اساتذة من الفرنساويين فبرع في علوم كثيرة . وتولى زمام الاحكام بعد وفاة ابن اخيه عباس باشا . وكان شهما كريما كثير التسامح اذ عهد بابنائه الى مربية انكليزية وعين على السودان حاكما مسيحيا . وفي سنة ١٨٥٦ م منع الاتجار بالرقيق وحرر الموجودين منهم بمصر . وفي سنة ١٨٦١ م الغى العقوبات البدنية

وكانت حكومة مصر في ابان ولايته على اختلال تام فاجتهد في اصلاح الخلل

بان النى وظائف المديرين لسيرهم بالظلم بين الفلاح وضرب على ايدي مشائخ البلاد الذين كانوا عوناً للمديرين في مظالمهم . ونظم لوائح الاطيان واسترجعها من المتعهدين الى اربابها وانشأ مجلساً خول له حق المناقشة في المشاريع العمومية قبل مصادقته عليها وثلاث نظارات للداخلية والحربية والمالية و باشر تعيين القضاة بنفسه بعد ان كان يعينهم قاضي القضاة وطرد الالبانيين الذين احضرهم عباس باشا الاول وجعل الخدمة العسكرية الزامية على كافة الناس لامد قصير . وتمم الخطوط الحديدية والتلغرافية بين الاسكندرية والقاهرة وشرع في مد غيرها . وطهر ترعة المحمودية في ٢٢ يوماً بواسطة ١١٥٠٠٠ عامل . وساد السلم في ايام سعيد باشا فاغتنم هو هذه الفرصة لاتمام اصلاحات عادت على مصر بالنفع العميم على ان اتمام تلك الاصلاحات اقتضى مالاً كثيراً بتعاقب السنين و بما اظهره سعيد باشا من الرفق بالفلاح حتى انه احرق بيده ذات يوم سندات تبلغ ٨٠ مليون غرش اضطر الى الاقتراض الذي كان مشئوم العاقبة على مصر في عهد خلفه فان اول قرض اقترضته الحكومة المصرية كان في سنة ١٨٥٨ م ثم تلاه قرضان في سنتي ١٨٦١ م و ١٨٦٢ م وقام بتغطية الثاني جماعة من اصحاب الاموال الانكليز وقدره ٧٢ مليون فرنك بسعر ٧ في المائة . ولما توفي سعيد باشا كان مجموع ديون مصر ٢٥٠ مليون فرنك

وفي ايامه ثارت مديرية الفيوم على الحكومة فبعث اليها واخمد الثورة فهدأت الاحوال

وفي سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) توجه سعيد باشا لزيارة سورية فمكث في بيروت مدة ثلاثة ايام ونزل ضيفا كريما على وجهاء المدينة وكان اثناء مروره في الطرقات ينثر الذهب على الناس

واهم ما تم في عهد سعيد باشا الشروع في حفر قنال السويس . وتاريخ هذه المسألة ان شركة شكلت سنة ١٨٤٦ م بمعرفة المسيو انفنتان للبحث في هـذا المشروع . وجاء الى مصر المهندس الانكليزي ستفنسن لمثل هذا

البحث فقرر ان انشاءه مستحيل . واتفق ان وصل الى الاسكندرية في سنة ١٨٣٠ م المسيو فردنندي لسبس معينا من حكومته بصفة مساعد في قنصلية فرنسا فقضى مدة الحجر القورنتيني في تلاوة مذكرة كان المهندس لوبير كتبها في تلك المسئلة ايام الحملة الفرنسوية فعول في نفسه على التعلق بهذا المشروع وفي مدة وجوده بالاسكندرية تعرف على سعيد باشا (قبل ولايته) فوثقت بينهما علائق المحبة . وبعد قليل تخلى المسيو فردينندي لسبس عن الوظائف القنصلية بعد ان تقلب فيها كثيراً وسافر الى بلدة بري بفرنسا واقام بها . وبينما هو جالس يقرأ الجرائد في احد ايام سنة ١٨٥٤ م وجد فيها نبأ وفاة عباس وتولية صديقه سعيد باشا فلم يتردد بالاسراع في السفر الى الاسكندرية ومنها الى صحراء ليبيا حيثما كان سعيد باشا مطنبا بجيشه والتقى به في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ م وقدم اليه مشروعه فطلب منه سعيد باشا ان يحرر له بمضمونه تقريراً . فلم تكن الا هنيهة حتى وافاه بهذا التقرير في صحيفة ونصف . وترجمه سعيد باشا بالتركية لمن حوله من رجال حاشيته ثم منح دي لسبس الامتياز في الوقت بانشا القنال ولما عاد الى القاهرة اصدر اليه فرمانا بتشكيل شركة مالية لحفره . ولما لهذا المشروع من المساس بصوالح متضادة واراء مختلفة فلا غرابة اذا لاقى صعوبات جمة وقد حصل فعلاً فان المسيو دي لسبس بعد ان ابان التصميمات الهندسية التي وضعها بمساعدة لينان وموجل بامكان انشاء القنال خلافا لما زعمه المهندس الانكليزي وغيره قصد الاستانة فاستصدر الارادة السنية بالموافقة موقتا على الفرمان المعطى اليه من سعيد باشا بالرغم عن معارضة السفير الانكليزي ثم اجتهد دي لسبس في استمالة الرأي العام الاوروبي اليه لا سيما في انكلترا فزارها ثلاث مرات من سنة ١٧٥٥ م الى سنة ١٨٥٨ م فكان يستقبل فيها بالفتور لا سيما من بالمرستون رئيس الوزارة وقد عقد في ٤٥ يوما ٢٢ اجتماعا ليقنع فيه مماثليه والمعترضين عليه بامكان حفر القنال . اما اللورد بالمرستون فكان اكبر المعارضين في هذا المشروع فجاهر بعداء دي لسبس والقى الخطب في البرلمان محذراً من عاقبة مشروعه قائلا « ان هذا المشروع مضاد للسياسة

التي اتبعتها انكلترا في كل زمان مع مصر وتركيا » على ان دي لسبس انتصر على اعدائه وتحولت الاميال اليه مع الزمن حتى ان اللورد دربي قال في البرلمان انه غير معارض لهذا المشروع وعلى اثر هذا عقد قرض من ٢٠٠ مليون فرنك وقسم ٤٠٠٠٠٠ سهم قيمة كل سهم ٥٠٠ فرنك وصدرت الاسهم المذكورة في نوفمبر سنة ١٨٥٨ م وخص فرنسا منها ٢٠٧١١١ والدولة العلية ٩٦٥١٧ وسعيد باشا ٨٥٥٦ ولم يحصل اكتتاب في انكلترا ولا النمسا ولا الروسيا ولا الولايات المتحدة

وفي ٧ مارس سنة ١٨٥٩ م استأذن دي لسبس من سعيد باشا بالبدء في العمل فاذن له بذلك فشرع في العمل من يوم ٢٥ ابريل سنة ١٨٥٩ م

وفي يوم السبت ٢٦ رجب سنة ١٢٧٩ هـ الموافق ١٧ يناير سنة ١٨٦٣ م توفي سعيد باشا بالاسكندرية ودفن فيها



« ش ١٤ اسماعيل باشا نقلا عن الهلال

٧٧٠ — اسماعيل باشا بن ابراهيم

من سنة ١٢٧٩ — ١٢٩٦ هـ أو من سنة ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م

هو اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) و بعد تربيته الاولى تلقى العلوم العسكرية في مدرسة سان سير و بفرنسا وحينما عاد الى مصر وجد عباس باشا حانقاً عليه فقضى مدة ولايته بعيداً عن مخالطته . ولما تولى سعيد باشا اكرمه وقربه اليه وعهد اليه بمهمة في فرنسا سنة ١٨٥٤ م فلما وصل الى رومة استقبله البابا بيوس التاسع واكرمه واتحفه بالهدايا النفيسة . وفي سنة ١٨٦٠ م تقلد أعمال الحكومة مدة سياحة سعيد باشا باوربا ولما توفي سعيد باشا سنة ١٨٦٣ م تولى اسماعيل باشا بعده لانه كان ارشد العائلة . وفي سنة توليته شرف هذه الديار بحلول اعتابه الشريفة جلالة المغفور له السلطان عبد العزيز خان فلاقى ترحاباً عظيماً . ولما كان بين اسماعيل باشا وبين جلالة السلطان من الروابط الخصوصية وما كان له بين حاشية السلطان ووزرائه من المساعدين جعلت ولاية مصر خديوية تنحصر في ذرية اسماعيل باشا بموجب فرمان مؤرخ ١٣ ربيع آخر سنة ١٢٩٠ هـ الموافق سنة ١٨٧٣ م وأهم ما جاء في الفرمان المذكور ان يعطى لاسمعيل باشا لقب خديو مصر (خديو كلمة فارسية معناها المولى او الرب وكان يعطى سابقاً في فارس وتركيا الى بعض حكام الاقاليم المستقلة) ومنحه الاستقلال بالاحكام الادارية وحق اقامة المعاهدات مع الدول الاجنبية واستقراض القروض بدون أخذ تصريح من الباب العالي وحقوق الوراثة لاول ابنائه وابلاغ الجزية التي تدفع للدولة العلية ١٥٠٠٠٠ كيس بدلاً عن ٨٠٠٠٠ كيس

وفي سنة ١٨٦٩ م تم حفر قنال السويس الذي تقدم ذكر البدء فيه في عهد سعيد باشا فسافر اسماعيل باشا في شهر مارس من السنة المذكورة الى اوربا لدعوة ملوكها لحضور الاحتفال بافتتاحه ثم عاد الى مصر وأخذ في الاستعداد لاستقبال

الزائرين بما يليق بمقامهم ولما لم يكن بمصر تياترو وكان وجوده أمرًا لا بد منه لتمام النظام امر المهندس فرنس النمساوي ببناء تياترو الاوبرا ولضيق الوقت استمر العمل ليلاً ونهارًا حتى تم بناؤه في أقل من خمسة اشهر ولا تسل عما تكلفه من المصاريف الباهظة لاتمامه في مثل هذه السرعة . وأخذ يجهز ما يلزم لاقامة الملوك والوزراء من السرايات اللائقة بمقامهم وانشأ لهم سراية بمدينة الاسماعيلية انشأتها الشركة على نفقة الحكومة بمليونين من الفرنكات

وفي ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٩ م قدم الوافدون على البرزخ وفي مقدمتهم الامبراطورة اوجيني امبراطورة فرنسا وامبراطور النمسا ووليا عهد المانيا وايطاليا فقضوا الليلة في مدينة بورسعيد في غاية السرور وفي صباح اليوم التالي قام الجميع على الوابورات البحرية التي أعدت لذلك ونزلوا في مدينة الاسماعيلية حيث قضوا الليلة في الملاهي والمراقص . وفي اليوم الثالث ساروا جميعاً الى السويس ثم اتوا الى القاهرة ومنها رجع كل منهم الى بلاده الا من اراد السياحة الى الجهات القبلية لمشاهدة آثار مصر القديمة . وقد وجه الخديو كل همة الى اكرام امبراطورة فرنسا وتوفير اسباب الراحة لها أثناء سياحتها في صعيد مصر فاصحبها بنجله حسين باشا والوزير الخطير رياض باشا وعين لخدمتها ستة عشر وابورًا بحريًا اختص بعضها لركوبها ومعيتها والبعض الآخر لاحضار كل ما يلزمها من المأكل والمشرب والفواكه وغير ذلك من القاهرة يوميًا . واستمرت مشمولة بالتفات الحضرة الخديوية مدة الاثنين وعشرين يومًا التي قضتها في هذا السفر ولم تزل كذلك حتى عادت الى بلادها مسرورة شاكرة . وبالاختصار ان ما تضمنه هذا الاحتفال من مظاهر البذخ والترف التي يتعذر على القارىء التصديق بها احيانًا فاق ما تضمنه كتاب الف ليلة وليلة بوصف الاوربيين انفسهم وما من أوروبي شاهد الاحتفال وقدر ما صرف فيه الا وبرح ضفاف القنال معتقدًا ان مصر دولة عظمى وان خديويها اسماعيل باشا من الملوك الذين لا يعد ولا يحصى ما عندهم من الاموال

وفي سنة ١٨٧٢ م تعدى الحبشة على حدود مصر مما يلي بلادهم وأسروا بعضاً من رعايا مصر فبعثت الحكومة المصرية تطالب ردهم فجرت المخابرات فآل ذلك الى حرب جرد فيها اسماعيل باشا حملة لاخضاع الحبشة الا انها لم تنجح واضطرت بعقد الصلح مع الاحباش بعد هزمات متوالية وعادت الى مصر بخفي حنين

وكان اسماعيل باشا كثير الميل الى تحسين المدن الى ما يقربها من زي مدن اوربا فشرع في ذلك من بدء ولايته فنظم طرق القاهرة ووسعها واكثر من فتح الشوارع الجديدة وبناء الابنية الفاخرة كالاوبرا الخديوية والقصور الباذخة في القاهرة والاسكندرية . وبنى سراي الجيزة وانشأ المتحف المصري في بولاق والمكتبة الخديوية وهما من اجل الآثار وانفعها . وجر الماء بالانابيب الى بيوت القاهرة وعمم زرع الاشجار في المدن وضواحيها وأنار القاهرة بالغاز واستجلب لها آلات اطفاء الحريق

وهو الذي نظم فروع الادارة على ما هي عليه الان فقسم القطر المصري الى ١٤ مديرية وعين لها المراكز واسس مجلس نواب ونظمه ونظم مجالس القضاء الاهلي والقضاء الشرعي وجعل لكل روابط وحدوداً . ووضع نظام المجالس الحسبية وانشأ مجلس حسبي القاهرة . وانشأ مصلحة البوستة المصرية وجعلها مصلحة اميرية بعد ان كانت في يد شركات اجنبية . وحسن مطبعة بولاق وزاد فيها وامر بترجمة الكتب المفيدة وطبعها ونشرها . واسس معملاً للورق ونشط المطبوعات . وتكاثرت على عهده المطابع والجرائد العربية . وانشأ كثيراً من الخطوط الحديدية في جميع انحاء القطر المصري ومد اسلاك التلغراف حتى اوصلها الى السودان . وبنى مدينة الاسماعيلية على قنال السويس وسماها باسمه وجعل فيها الحدائق والقصور . وانشأ المنارات في البحرين الابيض والاحمر وبنى ليمان الاسكندرية والحمامات المعدنية في حلوان وبنى المرصد بالعباسية وكثيراً من معامل السكر في سائر انحاء القطر فضلاً عن الترع الكثيرة والجسور الهائلة كترعة

الابراهيمية بالصعيد والاسماعيلية بين القاهرة والسويس وكوبري قصر النيل بين القاهرة والجيزة

ومن الاعمال العظيمة التي تمت على يده ابطال تجارة الرقيق واتمام فتح السودان واخضاعها فافتتح مملكة دارفور وبحر الغزال سنة ١٢٩١ هـ وما بعدها فتحها باسم مصر زبير باشا رحمت وكان قبل ذلك يتجر في العبيد فاستمالته الحكومة الى العدول عن هذه التجارة بمنحه الباشوية . وبعد فتحه الاقليمين المذكورين جاء الى مصر لاداء واجب الشكر فاستقبل بالحفاوة ولكن لم يؤذن له بالعودة الى بلاده . وبلغت العساكر المصرية الدرجة الرابعة من العرض وراء خط الاستواء وعني اسماعيل باشا بتحسين احوال السودان فهد شلال عبكة وفتح سداً كبيراً جنوبي مدينة فاشودة طوله ستون ميلا كان يعيق مسير السفن في النيل الابيض فتسهلت طرق التجارة كثيرًا ومن مآثره تسهيل اكتشاف ما غمض من قارة افريقية بعد اصحاب الخبرة

وبالجملة فاسماعيل باشا لم يترك شيئاً الا وأصلحه فنشط العلم والعلماء وبنى المدارس الكثيرة وسهل التجارة واصلح الزراعة ومهد الصناعة حتى صارت مصر في ايامه زاهرة زاهية والناس في رغد ورخاء . وقد اتفق ان وقعت في عهده بامريكا حرب الانشقاق فارتفعت اثمان القطن المصري حتى بيع القنطار بستة عشر جنيهاً فزادت ثروة مصر الزراعية زيادة فائقة

على ان كل ما اتاه اسماعيل باشا من الاصلاحات في هذا القطر السعيد لم يوازِ الخسائر التي نتجت من تراكم الديون على مصر بسبب زيادة المصاريف . وكأن سعيد باشا نبه اسماعيل باشا الى طرق باب الاقتراض فبلغ ما اقترضه من سنة ١٨٦٣ — ١٨٦٧ مبلغ ٥٦٧ مليون فرنك . وفي سنة ١٨٦٨م اقترض مبلغ ٢٩٦ مليون فرنك قابلة السداد في ٣٠ عاما بسعر ٧ في المائة وكان عجز المالية يزداد في كل عام استفحالا حتى ان بونات نظارة المالية كانت تباع في اسواق الاسكندرية بحطيطة ١٤ في المائة فتشكل بباريس بنك فرنسوي مصري قام باقراض الخديو

في ابريل سنة ١٨٧٠ م مبلغ ١٧٦ مليون فرنك على حساب الدائرة

واتفق ان شبت في هذه السنة نار الحرب بين فرنسا والمانيا وأغلقت لهذا السبب بورصة باريس فاضطرت حكومة مصر ان تعقد قروضاً اخرى لمدد قصيرة و بلغت حطيطة البون ٣٠ في المائة على ان سوء الاحوال المالية لهذا الحد لم يثبط عزيمة الخديوي فعقد في سنة ١٨٧٣ م قرضاً قدره ٨٠٠ مليون فرنك بسعر ٧ المائة قابلاً للسداد في مدة ٣٠ عاماً ومضموناً بايرادات السكة الحديد واستهلاك الديون الاخرى والمقابلة وهي اقتضاء ضريبة ست سنوات مقدماً من الفلاحين في مقابل التنازل لهم عن الاراضي التي لم يكونوا لهذا العهد الا منتفعين بها . على ان اوربا هبت من نومها وادركت ان ما بهرها من مصر انما كان طلاء زائلاً اذ سقطت سندات ذلك الدين من ٤٢١,٨٥ فرنكاً الى ٣٢٦ فرنكاً . ولما شعر اسماعيل باشا بشدة الحاجة المال عزم على اقتراض ١٢٥ مليوناً من اهالي القطر واستعمل لنوال مرغوبه كل طرق العسف

و بلغ مجموع الدين العمومي ٩٥٠ مليون فرنك ودين الدائرة ٣٢٣ مليوناً والديون الاخرى ١٠٠ مليون . ومنذ سنة ١٨٧٤ م لم يستبق من املاك الدائرة باسمه سوى معامل السكر . وفي سنة ١٨٧٥ م هبطت اسعار الاوراق المصرية هبوطاً اضطر الخديوي الى بيع اسهم قنال السويس الخاصة بالحكومة المصرية وعددها ١٧٦٦٠٢ الى انكلترا بمبلغ ١٠٠ مليون فرنك اي بسعر ٥٦٨ فرنكاً السهم الواحد (مع ان سعر السهم منها في السنوات الاخيرة بلغ ٣٥٦٠ فرنكاً) فعلت اسعار السندات الى ٧١ ولكنها لم تلبث ان هبطت الى ٦١ في يناير سنة ١٨٧٦ م فهاجت خواطر الدائنين واحس اسماعيل باشا بضرورة تهدئة خواطرهم فاصدر امراً عاليا في ٢ مايو سنة ١٨٧٦ م بانشاء صندوق للدين العمومي يعين فيه مندوبون عن فرنسا وانكلترا والمانيا والنمسا وايطاليا والروسيا وسن قانون التصفية الذي تعهدت الحكومة فيه ان لا تعدل الضرائب ولا تصدر قرضا قبل مراجعتهم

وفي ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ م عين الخديوي مراقبين احدهما انكليزي والآخر فرنساوي لمراقبة جباية الضرائب وحسابات الحكومة ومشاركتها في وضع الميزانية ولما لم يأت هذا النظام بالنتيجة المطلوبة شكلت في ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ م لجنة للبحث عن اسباب العجز المستمر في الميزانية فثبت لها ان اعمال الحكومة لم تكن قائمة على اساس الاستقامة والصدق وان موظفي الحكومة لم يتناولوا منذ ١٦ شهرا شيئا من مرتباتهم التي كان مخصصا لها ١٢٠ الف جنيه شهريا وانه يكفي صدور ارادة شفاهية لوضع ضريبة جديدة والشروع في جبايتها وان السخرة لا تزال موجودة بالرغم عن ابطالها . فلما قرأ الخديوي تقرير تلك اللجنة عول على الحكم بواسطة مجلس النظار . وبالفعل شكل هذا المجلس من ريفرس ولسن وزيرا للمالية ودي بلنيير للاشغال العمومية ورياض باشا للداخلية ونوبار باشا للخارجية . وخذ هذا المجلس يوالي عقد جلساته فقرر دفع مرتبات الموظفين ؛ ثم سافر الى باريس ولوندرا حيث عقد مع بيت روتشلد قرضا مضمونا باملاك العائلة الخديوية فنجحوا في عقده (٨ ملايين من الجنيهات)

ولكن الاحوال كانت ازدادت سوءاً لتعذر جباية الاموال ولاضطراب خواطر الاهلين بسبب مداخلة الاجانب فرأى مجلس النظار وجوب توفير شيء من نفقات الجيش فرفت عدداً كبيرا من العساكر والضباط ولم يدفع لهم المتأخر لهم . فثار المرفوتون في ٢٥ صفر سنة ١٢٩٦ هـ (١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ م) وجاء نحو من الفي نفر وار بعمائة ضابط منهم الى نظارة المالية وامسكوا بنوبار باشا والمستر ويلسن وطلبوا اليهما ما كان متأخراً ثم علت الضوضاء بما اوجب تداخل الخديو حيث امر حرسه الخاص بالحملة على المتجمهرين وتبديد شملهم فانصرفوا . وحينما سئل الخديوي من القناصل : هل الاوروبيون في امن على حياتهم : اجاب : كلاً ما دام نوبار بالوزارة ؛ وعليه فصل نوبار باشا من الوزارة ثم استعفى منها بعد قليل رياض باشا وعلي باشا مبارك . فشكل اسماعيل باشا وزارة ثانية برئاسة ابنه المغفور له توفيق باشا

وفي ١٤ ربيع آخر سنة ١٢٩٦ هـ (٧ ابريل سنة ١٨٧٩ م) قلب اسماعيل باشا هيئة مجلس النظار وعزل كل من كان فيه من الاجانب وجعل بدلاً عنهم نظاراً وطنيين تحت رئاسة المرحوم شريف باشا وامر ان تزاد القوة العسكرية ٦٠ الفاً فشق ذلك على دولتي انكلترا وفرنسا لانهما اعتبرتا عزله للناظرين الانكليزي والفرنساوي لغير علة من الاعمال العدوانية وطلبتا منه ان يتقاعد فرفض فاستعانتا بالدولة العلية التي اضطرته الى التنازل بارادة شاهانية صدرت في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ م · فتنازل عن الحكم لاكبر انجاله

٧٧١ — توفيق باشا بن اسماعيل

من سنة ١٢٩٦ — ١٣٠٩ هـ او من سنة ١٨٧٩ — ١٨٩٢ م



(ش ١٥) توفيق باشا نقلا عن الهلال

تولى المرحوم توفيق باشا خديوية مصر يوم الخميس ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ وكان مشهورًا بحبه للوطن المصري فشمر باحتياجه الى الحرية والرفق بالرعية فخفف الضرائب . ونظر في تأمين اصحاب الديون فصادق على قانون التصفية الذي قدمته اللجنة التي انتدبت لانشائه . ثم طاف القطر المصري ليتفقد الرعية واستطلاع احوالهم فدرس في اثناء تلك الرحلة مايحتاج اليه القطر من الاصلاح وحالما عاد عمل على اصلاح حال الفلاّح من حيث ما عليه من الضرائب فأمر بتقسيط الاموال والعشور على اشهر معلومة وان تقتضى من الكبير والصغير على السواء مع اتخاذ الرفق في تحصيلها ومن تأخر عن السداد تباع ارضه . فانتظمت الاحوال احسن نظام . ثم وجه عنايته الى اصلاح شؤون المعارف فامر بانشاء المدارس العالية والابتدائية ووسع دوائر المدارس التي انشأها آباؤه ونظم شؤونها وجعل للبلاد نظامات شورية وشكل مجالس المديريات ومجلس شوري القوانين والجمعيات العمومية وانتشرت الحرية بمصر انتشارًا زائدًا ولان البلاد لم تكن قد استعدت لقبول هذه الحرية بعد انعكست الحال وآلت الى الضرر وكانت السبب في حدوث الثورة العرابية

(الثورة العرابية) ولد احمد عرابي في ٧ صفر سنة ١٢٥٨ هـ في قرية هرية رزنة من مديرية الشرقية فلما بلغ اشده سلمه والده الى شخص قبطي يدعي ميخائيل غطاس علمه مبادئ القرأة والكتابة . وفي سنة ١٢٦٥ هـ ادخله والده الى الجامع الازهر و بعد ان مكث فيه اربع سنوات حفظ في اثنائها القرآن الشريف وتلقي بعض الدروس النحوية والفقة خرج منه . وفي صفر سنة ١٢٧١ هـ الحق بالجهادية بصفة عسكري ثم رقي الى درجة بلوك امين . وفي سنة ١٢٧٣ هـ ترقي الى رتبة الملازم . وفي سنة ١٢٧٤ هـ ترقى الى رتبة اليوز باشي ولم يأت عام ١٢٧٦ هـ الا وقد رقي الى رتبة البكباشي . وفي سنة ١٢٧٧ هـ رقي الى رتبة القائمقام . ثم اعتزل الخدمة قليلاً واعيد اليها من ابتدأ ولاية اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩ هـ واستمر في الخدمة الى ان وقعت بينه وبين خسرو باشا الشركسي خصومة انتهت بـ فث احمد عرابي

وفي غضون تلك المدة اقترن بابنة مرضعة المرحوم الهامى باشا التي هي اخت حرم الخديو المرحوم توفيق باشا من الرضاع . وبعد قليل أرسل خسرو باشا الى السودان فعرض احمد عرابي على الخديوي الاسبق اسماعيل باشا بما كان من ظلم خسرو باشا له فقبل الخديوي طلبه واعاده الى وظيفته في احد الالايات سنة ١٢٩٢ هـ وفي سنة ١٢٩٦ هـ أقيل اسماعيل باشا من خديوية مصر وتولاها اكبر انجاله توفيق باشا فرقى احمد عرابي الى رتبة الميرالاي . وكان عثمان باشا رفقي الجركسي ناظر الجهادية في ذلك الوقت قد سن قانوناً يقضي بعدم ترقي احد المصريين من العسكر العامل في الالايات والاكتفاء بمن يستخرج من المدارس الحربية وباحالة عبد العال حلمي بك اميرالاي السودان على ديوان الجهادية بصفة معاون وبتعيين خورشد نعمان بك الشركسي بدلاً عنه . وبرفت احمد بك عبد الغفار قائمقام السواري وتعيين شاكر بك الشركسي بدلاً عنه

فصعبت هذه الاوامر على المصريين واتحد معظمهم على تأليف حزب وطني يقاوم هذا التيار الجركسي فذهبوا الى احمد عرابي بمنزله وعرضوا عليه واقعة الحال وما عن لهم من تأليف حزب وطني تحت رئاسته فقبل احمد عرابي ان يترأس هذا الحزب بعد ان استحلف المجتمعين على الطاعة له طاعة عمياء . وبعد ان حلفوا له على السيف والمصحف اجمع رأيهم على كتابة تقرير وقع عليه احمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال حلمي واحمد عبد الغفار ورفعوه الى مجلس النظار يطلبون تنزيل ناظر الجهادية وتنصيب غيره من الوطنيين . فلما وصل هذا التقرير الى مجلس النظار احاله علي ناظر الجهادية وامره بسجن الموقعين على هذا التقرير وتشكيل مجلس عسكري لمحاكمتهم . فبلغهم ذلك الخبر فاحترسوا غاية الاحتراس واعطوا التعاليم اللازمة لالاياتهم بما يفعلونه اذا وقعوا في شدة . ثم وردت عليهم الاوامر بطلبهم الى ديوان الحربية فامتثلوا للامر وتوجهوا ووراءهم بعض الضباط ليبلغوا اخوانهم ما يحصل لهم . ولدى وصولهم الى قصر النيل كان الديوان غاصاً بكثير من امراء العسكرية ولما تمثلوا امام ناظر الجهادية تلي عليهم الامر القاضي بسجنهم

وفي الحال نزعت سيوفهم واخذوا الى السجن وتعين من يقوم مقامهم . فعندذلك اسرع الضباط الذين كانوا خلفهم واخبروا ضباط الاي عابدين بما تم على رؤسائهم وفي الحال دخل الاي عابدين تحت السلاح وسار بقيادة محمد افندي عبيد البكباشي الى قصر النيل وهجم على السجن حيثما سجن احمد عرابي ورفاقه واخرجوهم منه قوة واقتدارًا . ثم اصدر الضباط اوامرهم الى الاي طره والاي العباسية بانتظارهم في ساحة عابدين باسلحتهم . و بعد يسير اجتمعت الالايات امام سراي عابدين ولما تم اجتماعهم وقف احمد عرابي خطيباً فيهم فشكرهم على ما ابدوه من الهمة في انقاذهم . ثم تقدم احمد عرابي امام سمو الخديوي توفيق باشا وطلب منه العفو عما فرط منهم وان يعزل عثمان باشا رفقي حالاً . فاجاب الخديوي طلبه حسماً للنزاع فعزل رفقي باشا وجعل مكانه محمود سامي . ورجع عرابي واخوانه الى مناصبهم وتوجهوا الى الاياتهم وقد وقع في قلوبهم الرعب الشديد فاكثروا من التحفظ على انفسهم وصاروا يسهرون كل ليلة في منزل عرابي و يعقدون المجالس السرية . ثم قويت شوكة عرابي واستمال قلوب الضباط والعساكر اليه وصار يبث افكاره بين الاهالي وعمد ومشائخ البلاد وطلب منهم ان يساعدوه على رغبته في استخلاص البلاد من التداخل الاجنبي التي كانت الوزارة الرياضية سببته بزعمه

وفي ٢٨ شعبان سنة ١٢٩٨ هـ كان الجناب العالي الخديوي بالاسكندرية فاتفق ان عربة احد تجار الاسكندرية صدمت عسكرياً من الطبجية صدمة قضت عليه فحمله رفقاؤه الى سراي رأس التين وطلبوا من الخديوي النظر في الامر فوعدهم خيرًا . و بعد بضعة ايام تشكل مجلس حربي اصدر حكماً على النفر الذي حمل رفقاءه على المسير الى رأس التين بالاشغال الشاقة مؤبداً اما رفقاؤه وعددهم ثمانية فحكم عليهم بالسجن ٣ سنوات في الليمان ثم يرسلون للسودان انفارًا للجهادية فبعث عبد العال امير الفرقة السودانية الى ناظر الجهادية محمود سامي يشكو من ظلم هذا الحكم . فرفع سامي تلك الشكوى الى الخديو فتكدر جدًا واستدعى للحال الوزراء تلغرافياً الى الاسكندرية فوصلوها في ٧ رمضان وعقدوا برئاسته

مجلساً تقرر فيه استعفاء ناظر الجهادية محمود سامي وعـين بدله دواد باشا يكن واستلم الاعمال وعاد النظار الى العاصمة وهدأت الاحوال . ولما علم عرابي بما كان استنشاط غيظا . واستمرت الحال على هذا المنوال لغاية شوال (اغسطس) ثم صدر امر من نظارة الجهادية الى الاي القلعة بالتوجه الى الاسكندرية وامر اخر الى الاي الاسكندرية بالقدوم الى العاصمة فاضطرب عرابى ورفقاؤه وزعموا ان الحكومة لم تقصد بهذه الاجراآت الا تفريق كلمتهم فاتفقوا على نبذ تلك الاوامر وفعلاً تم . وفي هذه الاثناء اوعز عرابي الى جميع الالايات بأمرهم بالاستعداد للحضور الى سراي عابدين في اول سبتمبر سنة ١٨٨١ م . وكتب عرابي الى الحضرة الخديوية والنظار بان الجيش سيحضر لعابدين لاجل طلبات عادلة . وكتب ايضاً الى قناصل الدول بان لاخوف على رعاياهم من هذه الحركة فلما علم الخديوي بذلك ارسل وفداً الى رؤساء الثورة وهم عرابي وعبد العال واحمد عبد الغفار ينصحهم ان يكفوا عن اجراآتهم ولما لم تجد نصائحه لهم نفعاً توجه سموه بنفسه الى الاي عابدين واخذ ينصحهم ولكن بلا فائدة

وفي يوم الجمعة ١٥ شوال (سبتمبر سنة ١٨٨١ م) حضر الى عابدين الالاي الاول السواري قيادة احمد بيك عبد الغفار وحضر بعده الاي احمد عرابي ثم الاي الطبجية وتكامل الجيش في ساحة عابدين وكانت غاصة بجماهير المتفرجين من اناث وذكور وقناصل الدول داخل السراي . فاشرف الجناب العالي من السلملك وامر باحضار احمد عرابي فحضر راكباً جواداً سالاً سيفه وحوله عشرة من الضباط السواري راكبين خيولهم . فأمره الخديوي برد سيفه الى غمده ونزوله من على جواده وابعاد الضباط عنه ففعل . فقال له الخديوي الم لك سيدك ومولاك : فاجاب عرابي : نعم : فقال الخديوي : الم ارقك الى رتبة الميرالاي : فاجابه : نعم ولكن بعد ترقية الاربعمائة : فقال الخديوي : وما هي اسباب حضورك بالعساكر الى هنا : فاجاب عرابي : لنيل طلبات عادلة : فقال الخديوي : وما هي هذه الطلبات : فاجاب عرابي : هي اسقاط الوزارة وتشكيل



ش ١٦ ــ احمد عرابي نقلا عن الهلال

مجلس النواب وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام : فقال له الخديوي : كل هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية فسكت عرابي : واشارت قناصل الدول على الخديوي بالدخول الى السراي ففعل ثم تقدم قنصل انكلترا وقال لعرابي بالنيابة عن الجناب العالي : ان اسقاط الوزارة من متعلقات خصائص الخديو وطلب تشكيل مجلس النواب من متعلقات الامة ولا وجه لزيادة الجيش بما ان البلاد في امان وهدو فضلاً عن ان مالية البلاد لا تساعد على ذلك اما التصديق على القانون العسكري فينفذ بعد اطلاع الوزارة عليه اما عزل شيخ الاسلام فلا بد من اسناده الى اسباب : فقال له عرابي : اعلم يا حضرة القنصل ان طلباتي المتعلقة بالاهالي لم اقدم عليها الا لانهم انابوني في تنفيذها بواسطة هؤلاء الجنود لانهم اخوانهم واولادهم واعلم اننا لا نتنازل عن هذه الطلبات ولا نبارح هذا المكان

ما لم تنفذ : فقال له القنصل : اذاً تريد تنفيذ اقتراحاتك بالقوة الامر الذي يخشى معه ضياع بلادكم : فقال عرابي : ذلك لا يكون ومن الذي ينازعنا في اصلاح داخليتنا فاعلم اننا نقاومه اشد المقاومة الى ان نفنى عن آخرنا : فقال له القنصل : واين هذه القوة التي ستقاوم بها : فقال عرابي : في وسعي اجمع في وقت قليل مليوناً من العساكر طوع ارادتي : وماذا تفعل اذا لم تنل طلباتك : فقال عرابي : اقول كلمة ثانية : . فقال القنصل : ما هي : فقال عرابي : لا اقولها الا عند القنوط : . ثم انقطعت المخابرات بين الفريقين نحواً من ثلاث ساعات تداول القناصل والخديوي في خلالها واستقر الرأي على اجابة طلبات عرابي وتنفيذها شيئاً فشيئاً . فاصر عرابي على تنزيل الوزارة قبل انصرافه فأجيب طلبه ثم تعين شريف باشا للوزارة الجديدة ومحمود سامي ناظراً للجهادية . ثم امرت الوزارة ان يتوجه عرابي بآلاثه الى رأس الوادي وعبد العال يتوجه بالالاثه الى دمياط فامتثلا الامر وسافرا بمحفل عظيم كل منهما الى محل مأموريته . ولما استقر عرابي في رأس الوادي صار يتجول في انحاء المديرية بضباطه ويبث افكاره بين العمد ومشايخ العربان فاستدعته الحكومة الى العاصمة وعرضت عليه رتبة لواء ووظيفة وكيل نظارة الجهادية فقبل الثانية ورفض الاولى ليبقى الالاي في عهدته ولما استوى عرابي على منصبه الجديد صار يعقد المحافل في منزله علناً وتوسط بالعفو عن حسن موسى العقاد احد تجار المحروسة لانه كان منفياً في السودان واجابه الجناب العالي الى ذلك . ثم سعى في عزل الشيخ العباسي من مشيخة الاسلام واستبداله بالشيخ الامبابي

وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ م) صدقت الحكومة المصرية على القوانين العسكرية الجديدة وهي من ضمن طلبات عرابي يوم حادثة عابدين . وفي ١١ ذي القعدة من السنة صدر الامر العالي باعتماد اللائحة في في انتخاب النواب بناء على تقرير رفع الى شريف باشا مزيلاً بالف وستماية توقيع يتضمن طلب تشكيل المجلس النيابي . ثم توجهت عناية شريف الى تنظيم

المحاكم الاهلية فانصرفت الانظار الى مشروع تنظيمها وفي ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٨ هـ صدر الامر العالي مؤذناً بذلك مع لائحة ترتيب المحاكم . وفي يوم الثلاثاء ١١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ هـ سقطت وزارة شريف باشا وتعين محمود سامي رئيساً للنظار واحمد عرابي ناظراً للجهادية وعلي صادق للمالية ومصطفى باشا فهمي للخارجية وعبد الله باشا فكري للمعارف وحسن باشا الشريعي للاوقاف ومحمود باشا فهمي للاشغال . وقد اجتمع عقيب ذلك ضباط الجهادية في سراي قصر النيل واظهروا الفرح والسرور للوزارة الجديدة وشكروا الخديوي على ذلك وهنوا محمود سامي برئاسة النظار واحمد عرابي بوزارة الجهادية ولما جلس عرابي على مسند الجهادية احسن عليه وعلى عبد العال برتبة لواء (باشا) . ثم طلب عرابي من الحضرة الخديوية ترقية كثيرين من رفقائه الضباط فأجيب طلبه . وفي هذه الاثناء بلغ عرابي ان بعض الضباط الجراكسة المتأهبين للسفر الى السودان يتكلمون في شأنه بما لا يليق وانهم عزموا على الكيد به . فأمر بالقاء القبض عليهم وعلى غيرهم فقبض على اربعين شخصاً بينهم عثمان باشا رفقي ناظر الجهادية سابقاً واودعهم السجن في قصر النيل وعاملهم بالقسوة والغلظ ثم شكل مجلساً حربياً لمحاكمتهم تحت رئاسة راشد باشا الجركسي فصدر حكم المجلس عليهم بالنفي الى اقصى السودان ومراحم الخديوي خففت هذا الحكم بابعادهم عن القطر المصري فقط فمنذ ذلك وقع خلاف بين الخديوي والنظار في هذا الشأن فأجتمع مجلس النظار في ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م على اثر الخلاف واستمرت جلسته ثماني ساعات وفي اثناء الجلسة حضر وكلاء الدول وسألوا النظار عن حال الاوروباويين في مصر فاخبروهم بان لا بأس عليهم . ثم بعث النظار الى النواب للاجتماع فصدرت الاوامر الى جميع المديريات بشأن ذلك فلما اجتمعوا ارادوا اصلاح الخلاف فلم ينجحوا وسار وفد منهم الى الجناب الخديوي يرجون اجابة طلبهم فاجابهم اسفاً لعدم امكان ذلك . فتشكلت لجنة ثانية في ٢٥ جمادى الاخرى سنة ١٢٩٩ هـ لتعرض على سموه قبول الاقتراح بشرط تنزيل رئيس النظار فقط وان يجعل مكانه مصطفى

باشا فهمي فتوجهوا وعرضوا ذلك على الحضرة الخديوية فقبل سموه بذلك بعد التردد ثم توجهوا الى مصطفى باشا فهمي للاستفهام منه اذا كان يقبل تلك الرئاسة ام لا فابى فعادت المسألة الى مركزها الاول بل زادت تجسماً فوقفت حركة الاعمال . واجتهد سلطان باشا في ازالة الخلاف فلم يمكنه ذلك . وكل ذلك ناشيء من عدم تصديق الحضرة الخديوية على حكم المجلس الصادر على الشراكسة . وما زال النواب يسعون في حل ذلك المشكل عبثاً فاستدعوا العلماء والوجهاء وعقدوا اجتماعاً عمومياً تخابروا فيه وتشاوروا في كيفية حل المشكل فلم يمكنهم فضه . فشاع انه سيحضر الى الاسكندرية اسطول مؤلف من سفن انكليزية وفرنساوية وان خمس دوارع خرجت من الاستانة قاصدة مصر بعساكر عثمانية لاجل تسوية هذا الخلاف وبينما هم في ذلك وقد تعاظم الخلاف اذ ورد تلغراف من باريس ينبيء بان الاسطولين الانكليزي والفرنساوي قادمان لمصر . وفي عصر يوم الجمعة ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ م (غرة رجب سنة ١٢٩٩ هـ) وفد على الاسكندرية دارعة انكليزية وفي صباح السبت وصل اليها دارعتان انكليزيتان وثلاث دوارع فرنساوية ثم جعلت البواخر ترد الى ذلك الثغر حتى تكامل الاسطولان ولم يكن معها اسطول عثماني كما شاع فكثر القيل والقال . ثم اشيع ان قدومها كان بوفاق مع الباب العالي وبارتياح باقي الدول

وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ هـ (٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ م) كتب قنصلا انكلترا وفرنسا للنظار يتطلبان سقوط الوزارة وابعاد عرابي من القطر مع حفظ راتبه والقابه ونياشينه واقامة عبد العال حلمي وعلي فهمي بالارياف في جهات لا يخرجان منها مع حفظ راتبهما ايضاً . فلما تلقى النظار هذه الكتابة ابوا التصديق عليها واظهروا الاستعداد للمقاومة بايعاز عرابي ومحمود سامي . ورأى المرحوم فقيد الوطن سلطان باشا ان هذا التعنت وخيم العاقبة واخذ يسعى في التوفيق فلم ينجح . وفي ٨ رجب استعفت الوزارة محتجة على بلاغ الدولتين وطلباتهما فكلف شريف بتشكيل وزارة جديدة فأبى ذلك مالم تنفذ الجهادية مآل طلبات الدولتين . فعقدت لذلك جلسة



« ش ١٧ عرابي في سيلان »

عند الخديوي للنظر في هذا الامر وكان من ضمن الحضور طلبة عصمت وهذا لما علم بان شريف باشا لايقبل تشكيل وزارة جديدة الا بعد تنفيذ طلبات انكلترا وفرنسا وقف وقال متهورًا : يستحيل علينا تنفيذها : وخرج من الجلسة بدون استئذان وتبعه الضباط جميعاً . وفي هذه الاثناء ورد تلغراف من الضباط الموجودين بالاسكندرية يقولون فيه انهم لا يقبلون سوى احمد عرابي ناظرًا للجهادية وانه ان لم يرجع لمنصبه في اثناء ١٢ ساعة فهم غير مسؤولين عما يحدث . فازداد الاضطراب . ثم صرح شريف باشا وغيره من الوزراء انهم لايقبلون تشكيل مجلس النظار . وعند الغروب اجتمع النواب عند رئيسهم ووفد عليهم اكابر العلماء فعقدوا مجلساً ثم جاءهم عرابي فاخذ يخطب فيهم بحالة تهور وتبعه عبد العال حلمي وعلي فهمي ومحمد عبيد وغيرهم . وكان الخديوي قد ارسل بالتلغراف الى الحضرة السلطانية ينبئها باستعفاء الوزارة فورد من لدنها جواب بالتلغراف ايضاً تهنئة على

صرف المشكل فارسل اليها في اليوم التالى يخبرها بان الجند غير راض بما حصل فورد الرد من الباب العالى مفاده ان الحضرة السلطانية أمرت بتشكيل لجنة عثمانية تأتي مصر بعد ثلاثة ايام للنظر في هذه المسألة . وبقى الجند في هذين اليومين متظاهرين بعدم الرضاء وثبت ان انكلترا وفرنسا ارسلتا للباب العالى لائحة تطلبان بها استقدام عرابي وحزبه الى الاستانة . وان دولة انكلترا كتبت للباب العالى انها تريد فقط نشر العلم العثماني في القطر المصري وتأييد الراحة العمومية به . وفي هذه الاثناء سعي العرابيون في خلع الخديوي توفيق باشا وتولية حليم باشا وصرحوا بذلك في مجالسهم وعزموا على التأهب والتحصين وحينئذ صرح غلادستون وزير انكلترا ان مراكب الانكليز لم تحضر للاسكندرية الا لتأييد مركز الخديوي توفيق باشا لما اظهره من الصداقة والاخلاص . وفي ٢٠ رجب الموافق ٧ يونيو وصل الى ثغر الاسكندرية اليخت الشاهاني يقل درويش باشا المعتمد العثماني فسار توًّا الى العاصمة للنظر في ما هو واقع بين الخديوي وجنده . وكان الاضطراب والقلق قد بلغ بالاهالى مبلغاً عظيماً وزادت بواعث الخوف فنزع الاجانب الى الجلاء ومن بقي صاروا يتأهبون للدفاع بما امكنهم من اقتناء الاسلحة وغيره وزاد تهور سفلة الاهالى زيادة اوجبت مذبحة ١١ يونيو بالاسكندرية . وابتدأت هذه المذبحة بخصام بسيط بين احد الحمارة ومالطي ثم اتسع الخرق وتجمعت الجماهير وانتهز الاوباش هذه الفرصة للقتل والنهب والسلب فطفقوا في شوارع الاسكندرية يقتلون كل من يلاقونه من الاجانب ويهجمون على المنازل ويهتكون الاعراض وينهبون الاموال بحالة تقشعر منها الابدان وجرح قنصل اليونان وقنصل انكلترا في الاسكندرية وقنصل ايطاليا وقنصل الروسيا وكثيرون غيرهم ولما امر عمر باشا لطفي محافظ الاسكندرية سليمان داود الاميرالاى ان يرسل العساكر لاخماد الفتنة وقمع الثائرين اجاب انه لا يستطيع ذلك ان بعد الا يأتيه امر من عرابي وتمارض مأمور الضبطية السيد قنديل ولم ينزل ذلك اليوم . واستمرت هذه المذبحة طول النهار وعند غروب الشمس هدأت الفتنة نوعاً وحملت الجرحى الى الاسبتالية ودفنت

القتلى . وهاجر الاهالي الى بلاد الريف وأغلقت الدكاكين والحوانيت حتى خيل للناس انه لم يبق بالمدينة احد . ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالعاصمة اضطرب اهلها وفي صباح ١٢ يونيو خاطبت قناصل الدول درويش باشا معتمد الحضرة السلطانية بكلام شديد وطلبوا منه ان يتخذ التدابير اللازمة لصيانة الاوروباويين واموالهم فعقد مجلساً في عابدين حضره الخديو وشريف باشا ووكلاء الدول العظمى وبعد المذاكرة اقروا ان تعطي للقناصل ضمانات قوية تكفل اعادة الامن والمحافظة على ارواح الاوروباويين واموالهم ومن اخص تلك الضمانات ان يمتثل عرابي للاوامر التي تصدر له من الخديوي . فاستحضر عرابي وسئل فاجاب بالقبول وتعهد باستتباب الامن . ثم تعين اسماعيل باشا راغب ناظر النظار فكتب اليه الخديوي بتحقيق هذه المسألة المشؤومة ومعرفة السبب والمتسبب فيها والمسؤول عن عدم تلافيها وفي هذه الاثناء انعم جلالة السلطان على احمد عرابي بنيشان فظن الناس ان هذا النيشان لم يأت عرابي الا لرضا الحضرة السلطانية عنه وانتهز هو هذه الفرصة لتأييد مركزه وصار يوهم الناس ان كل الدول تساعده على حرب انكلترا اذا مست الحاجة . وبناء عليه اخذ العرابيون يتأهبون للحرب لالجاء المراكب الانكليزية الراسية في مينا الاسكندرية على تركها قوة واقتداراً فشرعوا في تحصين الطوابي وتركيب المدافع وغير ذلك من الاستعدادات اللازمة في مثل هذه الاحوال . فلما رأى الاميرال سيمور الانكليزي ذلك وتحقق استبداد عرابي ارسل مذكرة الى الحكومة المصرية يطلب فيها الكف عن اجراء الاستعدادات الحربية . فلم يجد اذناً صاغية فكرر الكتابة وقال : ان لم يرجع عرابي عن استعداداته فانه يضطر الى اطلاق مدافعه على الاسكندرية : فسعي عرابي ومحمود سامي الى كاتب سر مجلس النظار وطلبوا اليه ان يكتب تقريرا في المسألة مفاده : ان الاميرال تجاوز الحدود فيما يطالب وانه لابد من مقاومته وان عرابي وقومه مفوضون في أمر الدفاع عن البلاد : فاخذوا هذا التقرير وداروا به على منازل النظار وطلبوا التوقيع عليه فوقع بعضهم اختيارا وبعضهم اضطراراً ويقال ان الخديوي نفسه صدق عليه أو ألجيء للتصديق . ثم ارسلوه الى الاميرال سيمور . وارسل عرابي منشوراً

الى المدراء يطلب اليهم ان يكونوا مستعدين للامداد بالجند والمال . وفي مساء ٢٢ شعبان (٩ يوليو) جاء المستر كارترايت الى الخديو واعلنه رسمياً عن عزم الاميرال سيمور على مباشرة القتال صباح ١١ يوليو وألح عليه ان يترك سراي راس التين و يلجأ الى سراى الرمل ففعل . وفي ٢٣ شعبان (١٠ يوليو) رسل الاميرال سيمور كتابات رسمية الى كل من درويش باشا وراغب باشا رئيس الوزارة باعلان الحرب وقطع العلائق الودية . وفي مساء ذلك اليوم سافر الاسطول الفرنساوى متقهقراً تاركا سفينتين من سفنه فقط

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ٢٤ شعبان اطلقت العمارة الانكليزية مدافعها على حصون الاسكندرية فاجابتها الطوابي المصرية واستمر القتال الى الساعة واحدة ونصف بعد الظهر حتى تهدمت معظم الطوابى وانفجر مستودع البارود في قلعة أطه . ولما علم الخديوي بذلك ارسل طلبة عصمت الى الاميرال ثم عاد طلبة باشا من عند الاميرال واخبر جناب الخديو ان الاميرال يطلب احتلال ثلاث قلاع والافانه يعود الى القتال الساعة ٢ بعد الظهر فعقد الخديو مجلساً تشاوروا فيه فلم يبدوا فكرًا صائباً . وفي تلك الاثناء توجهت قوة عسكرية الى سراى الخديو وحاصروها زاعمين ان الخديو ربما ينحاز الى الدولة الانكليزية . ولما تحقق الخديو خيانة رؤساء الجهادية توجه الى الاميرال سيمور فقابله بالترحيب والتعظيم اللائقين بمقامه . ثم تحقق العرابيون انه لابد من وقوع الاسكندرية في قبضة الانكليز فانتشر سليمان سامي (سليمان داود) احد رؤساء الثورة بعساكرة ونهبوا المدينة واشعلوا النيران فيها واحرقوا بعضاً منها . فلما رأى الانكليز هذا الفعل الشنيع هرعت الجنود الانكليزية وبذلت جهدها في اطفاء تلك الحريقة

ثم تقهقرت العساكر المصرية من الاسكندرية الى كفر الدوار . وفي اليوم التالى احتل الانكليز مدينة الاسكندرية ونظفوا شوارعها من جثث الموتى

وفي ٤ رمضان سنة ١٢٩٩ اصدر الخديو امرًا بعزل احمد عرابي من

وظيفته . فلما وصل امر العزل الى عرابي اغتاظ جدًّا وارسل الامر الى المجلس العرفي الذى جمله العصاة آلة صماء في ايديهم لينظر فيه . فقر رأى المجلس على عدم سماع اوامر الخديو والمداومة على الحرب وبقاء عرابي في نظارة الجهادية

اما عرابي فلم ينكف عن الاستعداد للحرب والتحصين بمساعدة رفقائه وحاول سد ترعة المحمودية بجهة كفر الدوار فلم يفلح وصار يشيع في البلاد كذبًا وبهتانًا ان الخديو مشترك مع الانكليز . وكتب للمديريات بتاريخ ١٢ اغسطس ان ان يجمعوا جندًا يبلغ مجموعه ٢٥ الف مقاتل وفرض ايضا على المديرين اموالا يجمعونها من الاهالي امدادا للحرب ولا تسل عن الطرق التي استعملت لجمع تلك الاموال . واخذ عرابي في تقوية الاستحكامات وتشييد الطوابي فمدها فيما بين فوق الرملة باربعة كيلو مترات الى كفر الدوار . وأنشأ في كفر الدوار سدًّا عرضه ٣٠ مترا وخندقا عرضه اربعة امتار وعمل جملة خطوط نارية

ولما رأى الانكليز الذين في الاسكندرية هذا التحصين وذلك الاستعداد طلبوا من دولتهم الامداد فارسلت لهم الدولة جملة قوات كانت تأتي من طريق السويس وفي اواسط شهر اغسطس بلغت القوات الانكليزية ٢٥ الفًا وحضر الجنرال ولسلي الى الاسكندرية واستلم قيادة الجيش فتحقق الناس انتصار الانكليز وقرب فوزهم لشجاعة وحسن تدبير ولسلي المذكور . وأعلن الجنرال ولسلي انه لم يحضر الا للضرب على ايدى البغاة وتأييد سلطة الجناب العالى الخديو

وفي ٥ شوال سنة ١٢٩٩ هـ حصلت بين الانكليز والعرابيين معركة مهمة في كفر الدوار استمرت نحو الساعتين وكان فيها عدد العرابيين ضعفي عدد الانكليز ولكن انتصر الانكليز انتصارا مبينا وشتتوا شمل العرابيين بعد ان قتلوا منهم ١٦٨ واسروا ٦٢ وحصلت مقتلة اخرى في اليوم التالي لم يفز فيها احد الطرفين . وفي اليوم الثالث اقتتل الفريقان قتالا شديدا فانهزم العرابيون

وفي ٩ شوال سنة ١٢٩٩ هـ اشتبك العرابيون مع الانكليز القادمين عن طريق الاسماعيلية في معركة هائلة بين المسخوطة والاسماعيلية انتصر فيها الانكليز

واستولوا على المحسمة . وفي ١٤ شوال (٢٨ اغسطس سنة ١٨٨٢م) هجم العرابيون على مراكز الانكليز في القصاصين بقصد الاستيلاء على سدود الترعة التي كانت في حوزة فرقة من الجيش الانكليزي ولكنهم ردوا خاسرين . فاتخذ العرابيون التل الكبير حصناً لهم تحصنوا فيه بكل قواتهم وبلغ جيشهم فيه ٣٠ الف مقاتل معهم ٧٠ مدفعاً فهجم الانكليز عليهم بقيادة الجنرال ولسلي بقوة ١٣ الف مقاتل و ٦٠ مدفعاً فلم يلبث العرابيون امام الانكليز طويلاً حتى ولوا مدبرين تاركين ذخائرهم الحربية غنيمة للانكليز ولم يجد عرابي مناصا من الفرار فامتطى صهوة جواده وفر هاربا والانكليز يتعقبونه ولم يدركوه حتى وصل الى محطة ابي حماد فوجد قطاراً بها فنزل فيه وأمر سائقه بالمسير الى القاهرة حالاً ولما توقف السائق تهدده عرابي بالقتل ان لم يفعل فامتثل الامر . ووصل القاهرة في ١٣ سبتمبر وذهب تواً الى قصر النيل وعقد مجلسا من امراء العسكرية والملكية واخبرهم بما كان واستشارهم فاختلفت الاراء فوقف البرنس ابراهيم باشا (ابن عم الجناب الخديوي) وخطب خطبة حرض فيها الحضور بوجوب الدفاع فوافقوه بحسب الظاهر واستقر الرأي على انشاء خط دفاعي في ضواحي القاهرة . فتوجه عرابي ومعه بعض الضباط المهندسين الى العباسية ليتخذوا محلاً مناسبا للدفاع . وبينما هم في البحث عن ضالتهم المشودة اذ وقف احد الضباط وخاطب عرابي بكلام شديد قائلاً له : انك بجهلك وسوء تدبيرك قد احرقت الاسكندرية وتريد ان تحرق مصر أيضا فاذا لم يكن لك فيها ما يهمك فاعلم ان لنا فيها نساء واطفالاً واملاكاً لا نسلم بضياعها تنفيذاً لاغراضك الشخصية الا تدري انك تعرض مصر للخطر العظيم بانشاء الاستحكامات وتجعل منازلها عرضة لكرات المدافع فنحن لا نوافقك على على ذلك واني اقول لك ذلك بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع اخواني الضباط الحاضرين فلا ترج منا مساعدة وقد كفى ما جرى : . فلما سمع عرابي مقال ذلك الضابط اسقط في يده خصوصا لما رأى الباقين مستحسنين ما قاله رفيقهم فأنكفأ رجعا الى قصر النيل واجتمع باصدقائه ثانية ودعاهم الى النظر في

الامر . فلم يجدوا احسن من رفع عريضة الى الجناب الخديوي يعتذرون فيها عن افعالهم وانهم ممتثلون خاضعون وفعلاً كتبوا عريضتهم وارسلوها بوفد الى الجناب العالي فلم يقبل منهم كلاما بل امر بالقبض على رئيس وفدهم

اما الجنود الانكليزية فبعد استيلائها على التل الكبير سارت فمرت ببلبيس فالزقازيق واستولت عليها حتى اتت العباسية في مساء الخميس ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢م واحتلت قشلاقات العباسية والقلعة وقصر النيل . وكان الناس يظنون ان الجنود الانكليزية سيدخلون فاتحين فيقتلون وينهبون ولكن الامر جاء بالعكس لان الجنود الانكليزية دخلت القاهرة بحالة سلمية في يوم الجمعة ١٥ منه والقت القبض على عرابي وباقي زعماء هذه الثورة . ثم تسلم الانكليز القلاع والحصون في بور سعيد ورشيد واخيرا دمياط فانها لم تسلم الا في ٢١ منه

وهكذا انتهت هذه الثورة التي كانت سببا في خراب البلاد وقتل الالوف بدون وجه حق ولا تسل عن التهاني التلغرافية التي وردت للجناب العالي الخديوي وللجنرال ولسلي بما اتاهما الله من النصر والظفر

ثم حوكم عرابي وزملاؤه امام مجلس عسكري فحكم عليه بالاعدام لكن خفف هذا الحكم بالنفي الى سيلان فنفي اليها وما زال بها حتى انعم عليه سمو خديوينا عباس حلمي باشا بالعودة لهذه الديار سنة ١٩٠١ م فعاد اليها

ولم تكد الحكومة المصرية تستريح من الثورة العرابية حتى كانت الحوادث السودانية المشهورة التي كان من خبرها ان احد السودانيين المدعو محمد احمد ادعى انه المهدي المنتظر فالتف حوله عصابة قوية من السودانيين فنبذ طاعة الحكومة المصرية وناوشها القتال وانتصر على رجالها مرارا حتى استولى على الابيض عاصمة كردفان واتخذها قاعدة لملكه . فرأت الحكومة المصرية ان تكسر شوكة هذا المتمهدي قبل فوات الفرصة فارسلت له حملة لهذا الغرض مؤلفة من ١١ الف مقاتل بقيادة هيكس باشا فأفناها المهدي واتباعه عن آخرها . وازدادت قوة المهدي بهذا الانتصار فرأت الحكومة الانكليزية بضرورة اخلاء السودان فاشارت

على الحكومة المصرية بذلك وهذه قبلت هذا الاقتراح وارسلت غوردون باشا ليرى الطريقة المناسبة لانسحاب العساكر المصرية بكيفية ملائمة لشرف الحكومة المصرية . وكان غوردون باشا عالما باحوال السودان فلما اتى الخرطوم رأى ضرورة كبح جماح المهدي قبل الانسحاب من السودان خوفا من تطاوله فيما بعد لمهاجمة الحدود المصرية فارسل يطلب النجدات لهذا الغرض فارسلت اليه الحكومة الانكليزية نجدة عن طريق النيل لكن المهدي ودراويشه لم ينتظروا حتى تأتي غوردون باشا النجدات بل حاصروه بالخرطوم وضيقوا عليه واخيرا دخلوا الخرطوم فاتحين بخيانة احد المصريين المدعو فرج باشا فلما رأى غوردون باشا ان الاعداء دخلوا الخرطوم تقلد سيفه ونزل قاصدا المهدي فالتقاه على سلالم القصر ثلاثة دراويش فقال لهم اين سيدكم المهدي فاجابه احدهم بضربة كانت القاضية عليه ثم احتزوا رأسه وارسلوها للمهدي كل هذا والحملة التي كانت آتية لانقاذ غوردون باشا لم تصل فلما علم قائدها بسقوط الخرطوم وقتل غوردون انكفأ راجعا من حيث أتى بامر دولته . وهكذا استولى المهدي على الاقطار السودانية وانحصرت مصر بين الاسكندرية ووادى حلفا . والحوادث السودانية هذه ستذكر اكثر تفصيلا في ذكر دولة الدراويش بالسودان فان شئت الزيادة فراجعها هناك .

وفي ١٤ يونيو سنة ١٨٨٣ م صدر الامر الخديوي بترتيب المحاكم ولائحتها وترتيب القوانين الجارى العمل بمقتضاها الآن . وفي سنة ١٨٨٣ م حصلت بمصر كوليرا افنت نحو ٦٠ الف نسمة . وفي ليلة الاثنين ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م توفي سمو الخديوى توفيق باشا بمدينة حلوان ونقل نعشه الى العاصمة . وأسف الناس عليه اسفا عظيما للين عريكته وحسن طويته

٧٧٢ ـ سمو الخديوي المعظم عباس حلمي باشا الثاني
(أيد الله سلطانه)



« ش ١٨ سمو الخديوي عباس حلمي باشا الثاني نقلا عن الهلال

ولد أعزه الله في ١٤ يوليو ١٨٧٤ م وبعد ان ثقف في مدرسة عابدين التي شادها والده ولدولة شقيقه البرنس محمد علي واتما دروسهما فيها ارسلهما والدهما الى مدرسة

جنيف بسويسرة فمكثا فيها مدة مجدان في تحصيل العلوم ثم برحاها الى فينا وانتظما في مدرستها الملوكية العليا . وفي اثناء اقامتهما في هذه المدرسة استأذنا والدهما بالتجول في انحاء اوروبا لاستطلاع احوال تلك المدنية من مصادرها فزارا المانيا وانكلترا وروسيا وايطاليا وفرنسا والممالك الاخرى واقيا حيثما حلا ترحاباً حسناً .

وفي سنة ١٨٩١ م عادا الى مصر في اثناء الراحة المدرسية ثم رجعا الى المدرسة في فينا . وفي ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م جاءهما النبأ البرقي بوفاة والدهما الخديوي فاصبح سمو اكبرهما مولانا الامير خديوياً على مصر من ذلك اليوم . ثم جاءته رسالة الصدر الاعظم بتثبيته على ذلك العرش فاسرع الى مقر حكومته فوصل الاسكندرية في ١٦ يناير المذكور فاحتفل القطر بقدومه احتفالاً يليق بمقامه الكريم

وحالما جلس حفظه الله على عرش اجداده اخذ في الاهتمام بما يؤول الى راحة ورفاهية الاهالى فرفع عن عاتقهم كثيراً من الضرائب فبعد ان كان يخص الفرد الواحد من اهالى القطر المصري ١٠٤ غروش من الضرائب السنوية تنازل هذا المبلغ الى ٨٢ غرشاً سنة ١٨٩٨ م . وفي السنة التالية من جلوسه أنشئت المحاكم بالوجه القبلي وافتتحت السكة الحديد بين اسيوط وجرجا

وفي سنة ١٨٩٦ م اتحدت حكومتا مصر وانكلترا على تسيير حملة لاستخلاص السودان من ايدي الدراويش وبعد وقائع متعددة وحروب يطول شرحها سقطت الخرطوم في ايدي المصريين والانكليز في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ م . وما زال الجيش المصري الانكليزي يطارد التعايشي خليفة المهدى حتى ظفر به سنة ١٩٠٠ م وقتله وبه انقرضت دولة الدراويش وصار السودان حكومة مصرية انكليزية مشتركة

ومن حسنات الحكم العباسي الزاهر اتساع نطاق الصحافة واطلاق الحرية للمطبوعات وتكاثر المطابع والجرائد والمجلات والمكاتب وسائر النهضة العلمية

ولما كانت مصر بلاداً زراعية وجهت الحكومة المصرية في هذا العصر السعيد همها لاصلاح طرق الري فانشأت خزان اصوان وقناطر اسيوط وشرعت منذ سنة ١٩٠٢ م بتحويل ري الاراضي من نيلي الى صيفي فابتدأت من شمالي اسيوط

وانتهت في هذه السنة الى مديرية الجيزه وقد شرعت الان في انشاء خزان باسنا لتتمكن من تحويل ري قبلي اسيوط لصيفي اذ ثبت لها منافع هذا التحويل ومما يجب ذكره وتدوينه في بطون الدفاتر المهمة التي أبدأها سعادة اسماعيل سري باشا مفتش مشروعات الرى الجديدة لانه قام بما عهد اليه خير قيام

وفي سنة ١٩٠٢ م انتشر بمصر الوباء المعروف بالهواء الاصفر (الكولرا) فاهلك من اهلها ٦٠ الفاً حسب تقرير الصحة

وفي سنة ١٩٠٦ م فترت العلائق بين مصر والدولة العلية بسبب الاختلاف على الحدود بين مصر والشام وكاد الامر يقضى الى ما لاتحمد عقباه لكن انحسمت هذه النازلة بسلام

وفي يونيه سنة ١٩٠٦ م سارت فرقة من جيش الاحتلال قاصدة الاسكندرية فلما وصلت الى ناحية قريبة من بلدة دنشواى قام قائدها واربعة من ضباطها الى مزارع دنشواى لصيد الحمام فعارضهم الاهالى في الامر وتعدوا عليهم بالضرب واللكم حتى مات احد الضباط المدعو الكبتن بول وأصيب الاخرون فهاج الاحتلاليون لهذا العمل حتى تشكلت المحكمة المخصوصة لمحاكمة المعتدين فحكمت على بعضهم بالاعدام وعلى بعضهم بالجلد وعلى بعضهم بالحبس لمدات مختلفة واستصعب المصريون هذا الحكم ولم يهدأ روعهم حتى اصدر الخديوى المعظم العفو عن المسجونين في هذا العام

وفي ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٠٦ تعين صاحب السعادة سعد باشا زغلول ناظراً لنظارة المعارف العمومية فجاء تعيينه دليلاً على رغبة الحكومة في تعميم ونشر العلوم لان سعادته ممن يشار اليهم بالبنان في هذا المضمار ومنذ أقيم لهذا المنصب الخطير طفق يجوب البلاد محثاً الاهالى على اقامة الكتاتيب فكان من وراء ذلك نهضة علمية لا يستهان بها

ومن حوادث سنة ١٩٠٧ م استعفاء جناب ارل اف كرومر لانحراف صحته وتعيين جناب السرالدن غورست بدلاً عنه . وحدوث الأزمة المالية . وقيام الجرائد لتأليف احزاب مختلفة المآرب والاغراض فبعضها يؤيد الاحتلال و يطلب

الاستقلال الآجل بترقية مصر علمياً وأدبياً و بعضها يرى افضلية الاستقلال العاجل وان مصر قادرة ان تحكم نفسها بنفسها وفق الله الجميع الى ما فيه خير البلاد والعباد .

الدولة البارکزائية بافغانستان

(تمهيد) تنسب هذه الدولة الى العائلة البارکزائية التي هي احدى عمائر قبيلة عبدل من قبائل افغانستان المشهورة · وسبب اتصال الملك الى هذه العائلة هو انه لما كان محمود خان العبدالي حاكماً على افغانستان استوزر فتح خان البارکزائي وهذا استعمل اخوته الكثيري العدد على البلاد · وكان فتح خان الوزير المذكور بطلاً شجاعاً فسعى في توسيع نطاق المملكة الافغانية وجمع جيشاً وسار قاصداً فتح خراسان وهي وقتئذ من ضمن المملكة الايرانية فارسل شاه ايران جيشاً لصد هجمات الافغانيين فانتصروا عليهم وتشتت شمل الافغانيين وحينئذ ارسل شاه ايران الى محمود خان العبدالي صاحب افغانستان وابنه كامران يخيرهما بين امرين اما ان يسلما اليه فتح خان او يسملوا عينيه والاّ اضطر لمهاجمة افغانستان وافتتاحها فخاف كامران بن محمود العاقبة وسمل عيني فتح خان فقام اخوته عظيم خان ودوست محمد خان (والمذكور هو رأس هذه الدولة) و ياور محمد خان وغيرهم البالغ عددهم ٣٢ وثاروا في البلاد طولاً وعرضاً وقلبوا ملك محمود اخذاً بثار عيني اخيهم حتى انحصرت مملكة محمود في هرات ونواحيها · واقتسم اخوة فتح خان البلاد بينهم فكانت مدينة كابل عاصمة المملكة واعمالها من حصة دوست محمد خان الذي هو رأس هذه العائلة التي نحن بصددها · وانتهز الايرانيون فرصة وقوع هذه الفتن بافغانستان للاستيلاء عليها وضمها الى املاك الدولة الايرانية فعزم عباس ميرزا (ابن شاه ايران في ذلك الحين) على فتح هرات وارسل لهذا القصد جيشاً بقيادة ابنه محمد ميرزا فقامت دولة انكلترا وقعدت لهذه النبأ وعوّلت على معارضة دولة ايران بدعوى ان هرات مفتاح الهند حتى اضطرتها الى تركها بعد ان كادت تفتحها

وكان عند حكومة الهند الانكليزية شاه شجاع العبدالي هارباً من وجه اخيه شاه محمود فانتهزت هذه الفرصة لسوق عساكرها الى افغانستان بدعوى اعادة شاه شجاع الى كرسيه وفعلاً تم ذلك وانتصر الانكليز على اخوة فتح خان المتغلبين على افغانستان

وأسروا دوست محمـد خان وارسلوه الى كلكتا واجلسوا شاه شجاع على كرسي كابل . فصارت بلاد افغانستان بالاسم تحت حكم شاه شجاع و بالفعل تحت حكم الانكليز الاّ ان الانكليز وشاه شجاع لم يهنأوا بلذة الحكم في افغانستان لان الشجاع محمـد اكبر خان بن دوست محمد خان صار يجول في البلاد الافغانية مذ اسر أبوه ليجمع لنفسه الاحزاب لاستخلاص افغانستان من الانكليز وشاه شجاع فنجح لما اراد وانتصر بمعاضدة الافغانيين له على الانكليز في عدة وقائع مشهورة حتى اضطرهم الى الانسحاب من افغانستان بخفي حنين بعد ان اخذ عليهم تعهداً برد والده دوست محمد خان من الاسر . فانسحب الانكليز من افغانستان راجعين الى الهند ثم اطلقوا دوست محمد خان من الاسر فرجع الي كابل واستولى عليها وعلى جلال آباد وما يجاورهما من البلاد وذلك في آكتوبر سنة ١٨٤٢م — ١٢٥٨ هـ

٧٧٤ دوست محمد خان

من سنة ١٢٥٨ — ١٢٧٩ هـ او من سنة ١٨٤٢ — ١٨٦٣ م

ولما قدم دوست محمد خان من بلاد الهند بعد فكاكه من الاسر واستولى على كابل وجلال آباد واعمالها كان اخوه كهندل خان قد استولى على مدينة قندهار بمساعدة شاه ايران فوقعت بين الاخوين عدة حروب كان النصر فيها للامير دوست محمد خان

وبعد بضع سنين تعدى رنجيت سنك الوثني على الحدود الافغانية فجند الامير دوست محمد خان جنداً وقادهم الى بيشاور حيث وقع بينه وبين رنجيت سنك المذكور محاربة مهولة . ولما رأى الانكليز ان مدينة بيشاور ستقع بيد الافغانيين وهذا مما يوجب زيادة نفوذ الامير ويورث الخلل في الممالك الانكليزية الهندية اسرعت الى التوسط بعقد الصلح بينهما على ان تكون مدينة بيشاور بيد رنجيت سنك فتم الصلح على هذه الكيفية ولا يستغرب القارىء الكريم اذا علم ان الانكليز استولوا على مدينة بيشاور بعد ذلك بقليل بتنازل رنجيت سنك لهم عنها فانهم انما كانوا يجرون النار لقرصهم

و بعد قليل توفي كهندل خان (اخو الامير دوست محمـد خان) صاحب مدينة قندهار ووقعت المنازعة بين اخوته وابنائه في الملك وآل الامر الى الطعن والضرب حتى وقع الهرج والمرج في المدينة فاتفقوا جميعاً على جعل دوست محمد خان حكماً بينهم

فسار الى قندهار بعسكره حين بلغه ذلك واستولى عليها وعين لكل من المحكمين مرتباً شهرياً سداً لمطامعهم وتمت له بذلك السلطة في غالب البلاد الافغانية . وكانت مدينة هرات في ذلك الوقت تحت سلطنة كامران شاه بن محمود شاه العبدالي وبعد ان تمكن من حفظها من الاعداء مدة انهمك في السكر واللعب فقام عليه وزيره ياور محمد خان الباني زائي وقتله واستولى على هرات وراسل شاه ايران وهاداه واحتمى به صيانة لبلاده من سلطة سائر الامراء الافغانيين . وبعد موته خلفه ابنه صيد محمد خان باعانة الشاه الا ان هذا الخلف كان سيئ السيرة سفيهاً فامتلأت قلوب الاهالي منه غيظاً واثاروا الفتنة عليه وطلبوا شاه زاده يوسف السدوزائي (الذي كان ولتئذٍ في مدينة مشهد) والتمسوا من الشاه ان يجهزه و يرسله ففعل ودخل مدينة هرات بلا مانع وقتل صيد محمد خان . ثم وقع في هرات بعض الفتن فاغتنم ناصر الدين شاه فرصة للاستيلاء عليها فارسل جيشاً جراراً سنة ١٢٧٤ هـ بقيادة سلطان مراد ميرزا و بعد محاصرتها اياماً تم له فتحها ودخل قطر هرات تحت حكم ايران

فاستشاطت انكلترا غيظاً من هذا الفتح بدعوى ان هرات مفتاح الهند فارسلت مراكبها الى خليج فارس واستولت على بندر ابي شهر وجزيرة خارق و بلدة محمرة ارهاباً للشاه وتسكيناً للثورة التي فشت في الهند عند ماشاع فيها توجه العساكر الايرانية نحو افغانستان و بعد سنة من هذه الواقعة تم الصلح بينهما وترك الانكليز الفرض الايرانية على شرط ان يقيم الشاه رجلاً افغانياً حاكماً على هرات و يسحب عساكره منها . فعين الشاه سلطان احمد خان ابن عم الامير دوست محمد خان وصهره والياً على هرات باستصواب انكلترا بعد ان شرط عليه ان يضرب السكة و يقرأ الخطبة باسمه . ومع ذلك لم يسكن روع الانكليز بل اغروا الامير دوست محمد خان بعد بضع سنين باخذ مدينة هرات وتعهدوا بان يعطوه مرتباً سنوياً كافياً لتجنيد العساكر وتحصين القلاع لتكون الامارة الافغانية سداً منيعاً بين الهند و بين الممالك الروسية في آسية الوسطى من جهة وايران من جهة اخرى . فجند الامير جيشاً وسار به الى هرات وحاصرها زمناً طويلاً مات في اثنائه سلطان احمد صاحب هرات داخل القلعه . وتوفي ايضاً الامير دوست محمد خان سنة ١٢٧٩ هـ (٢٩ مايو ١٨٦٣) في معسكره ؛ وبعد موته اتحد رؤساء العساكر وهجموا على هرات وافتتحوها عنوةً في ذات السنة

٧٧٥ شير علي خان بن دوست محمد خان

من سنة ١٢٧٩ — ١٢٨٥ هـ او من سنة ١٨٦٣ — ١٨٦٨ م

كان للامير دوست محمد خان عدة ابناء اشهرهم اربعة محمد اكبر خان وافضل خان واعظم خان وشير علي خان وكان اكبرهم محمد اكبر خان وهو الذي تمكن من اعادة الملك لابيه بعد ان اسره الانكليز كما تقدم فاحبه ابوه حبًّا مفرطاً وجعله ولي عهده لكن اتفق ان توفي محمد اكبر خان المذكور قبل ابيه واذ كان شير علي خان اصغر اولاد الامير دوست محمد خان شقيق محمد اكبر خان فعهد اليه الامير بولاية العهد . فلما توفي الامير اثناء محاصرته لهرات كما تقدم بايع الناس لابنه شير علي خان حسب وصيته . وكان لشير علي خان وزير من طائفة الغلجائي يدعى محمد رفيق فاشار على الامير بقتل اخوته بدعوى انه لايتم امره الا بقتلهم فعزم الامير علي ذلك من ذلك الوقت ولكن شاع الخبر في المعسكر قبل تنفيذه فهرب اخوة شير علي خان خوفاً منه وذهب كل منهم الى الجهة التي كان والياً عليها في حياة ابيه واستولى عليها

ولما علم شير علي خان بهروب اخوته وكان قد افتتح هرات اسرع في تنظيمها وبعد ان استخلف عليها ابنه محمد يعقوب خان اسرع قاصداً بلخ بدون ان يتعرض للبلاد التي استولى عليها اخوته الذين هربوا من المعسكر أو يظهر لهم غضباً . قصد بذلك ان يخدع اخاه الاكبر محمد افضل خان صاحب بلخ الذي كان محبوباً من الناس وكانت قوته العسكرية اشد من سائر الاخوة ويقبض عليه . فلما وصل الى حدود بلخ ارسل الى اخيه كتاباً يقول له فيه : « انك انت الاخ الاكبر فيجب عليك ان تجتهد في اصلاح البلاد ورفع الفساد وجمع كلمة الاخوة وأما انا فاتعهد ان لا انبذ لك امرًا وان لا اخالف لك نصحاً وان لااخرج من ربقة طاعتك» فلما قرأ محمد افضل خان ذلك الكتاب انخدع وسار بنفسه الى اخيه شير علي خان الذي لما تمكن منه قبض عليه . وهرب ابنه عبد الرحمن خان وقتئذ الى بخارى . ودخلت بلخ تحت طاعة شير علي خان وبعد ان أقام عليها احد اخوته المدعو فيض محمد خان والياً عليها عاد الى كابل . وكثرت بعد ذلك الحروب بين شير علي خان واخوته وطالت الفتن واخيرًا اتحد محمد اعظم خان وعبد الرحمن خان بن افضل الذي كان قد رجع من بخارى وجمع جيشاً لابأس به وحاربا شير علي وانتصرا عليه في عدة وقائع واخيرًا استوليا على مدينة كابل عاصمة ملكه بخيانة وزيره محمد رفيق الغلجاني ودخلاها بلا معارضة وفرّ شير علي منها الى قندهار

٧٧٦ — محمد اعظم خان بن دوست محمد خان

من سنة ١٢٨٥ — ١٢٨٦ ﻫ او من سنة ١٨٦٨ — ١٨٦٩ م

ولما استولى محمد اعظم خان وعبد الرحمن خان على كابل نودي باولها اميرًا على البلاد الافغانية فاستقر امره . وبعد قليل قتل محمد رفيق الوزير الغلجائي الخائن المتقدم ذكره فنال جزاء خيانته . ثم جمع محمد اعظم خان العساكر وسار قاصدًا قندهار لاستخلاصها من اخيه شير علي خان وبرز شير علي خان لقتاله فالتقى الجمعان في كلات الغلجائي وبعد قتال شديد انهزم شيرعلي وفرّ الى هرات واستولى محمداعظم خان على قندهار . ثم حاول شير علي خان ان ينتزع الامر من يد اخيه ولكنه لم ينجح

فلما استتب الامر لمحمداعظم خان ولى الامير عبدالرحمن خان ابن اخيه محمدافضل خان على بلخ ونصب ابنه (ابن محمد اعظم خان) محمد سرور واليًا على قندهار وجعل ابنه الآخر المسمى بعبد العزيز خان الذي كان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة رئيسًا على العساكر الموجودة فيها . وهذا الرئيس الشاب ساقه الغرور وحب الظهور الى جمع العساكر وسوقها الى هرات بدون علم ابيه وعند وصوله الى قرية كرشك صادمه محمد يعقوب خان بن شيرعلي خان بعساكره فهزمه وشتت شمل عساكره واسرع بمن معه الى مدينة قندهار واستولى عليها اذ لم يكن من يدافع عنها . فقوي عزم شير علي خان بهذا الانتصار وجد فيه العزم على استرجاع ملكه فجمع جيشًا قويًا وسار قاصدًا كابل فلما علم محمد اعظم خان بتقدم اخيه شيرعلي خان بالعساكر لقتاله استمد أحد الخوانين المدعو اسماعيل خان فتقدم اسماعيل هذا بجيش جرار ولكنه عوضًا عن ان يقاتل شير علي خان اتحد معه على قتال محمد اعظم خان على ان يوليه قندهار اذا تم امره . فهجم العسكران على كابل واستولوا عليها وفرّ محمد اعظم خان الى بلخ عند ابن اخيه عبد الرحمن خان وبذلوا غاية الجهد في جمع عساكر من الازبك والافغان وذهبا الى غزنة من طريق هزاره فبارزهما شير علي خان وبعد حروب شديدة انهزمت عساكر محمد اعظم خان وعبد الرحمن خان وهربا الى مدينة مشهد (طوس القديمة) من بلاد ايران وهناك انفصلا فذهب عبد الرحمن خان الى بخارى واقام بمدينة سمرقند . وتوفي محمد اعظم خان بمدينة نيسابور حين ذهابه الى طهران . وكان محمد اعظم خان عاقلاً مدبرًا محبًا للعدل الا انه كان سيء البخت

٧٧٧ - شير علي خان بن دوست محمد خان (ثانية)

وابنه يعقوب خان

من سنة ١٢٨٦ - ١٢٩٨ هـ او من سنة ١٨٦٩ - ١٨٨٠ م

أما شير علي خان فدخل مدينة كابل واستقر بها ونفى اسماعيل خان الخائن واخوته الى الهند . و بعد قليل جدد مع الانكليز المعاهدة التي كان قد عقدها ابوه معهم

وكان لشير علي خان ابنان هما محمد يعقوب خان وهو الاكبر وعبدالله خان وهو الاصغر . وكان محمد يعقوب خان ولي عهد ابيه وكان بطلاً شجاعاً وهو الذي اعاد الملك لابيه كما تقدم . الاّ ان شير علي خان لم يراع حقه ولحبه لوالدة عبد الله خان الاصغر جعل ابنها هذا ولي عهده فصعب ذلك على محمد يعقوب خان وفر الى مدينة هرات واظهر العصيان . فارسل اليه والده عساكرًا لقتاله فشتت محمد يعقوب خان شملهم ومع ذلك لما دعاه والده للحضور الى كابل لبي دعوته والامير عوضاً عن ان يجامله اودعه الحبس . ومع كل ذلك لم ينل الامير بغيته لان الموت قد اسرع الى ولي عهده الجديد

وفي سنة ١٢٩٥ هـ شعر الانكليز بزيادة النفوذ الروسي في بلاد انغانستان فخافوا العاقبة وارسلوا سفارة مؤلفة من عدة مهندسين والف خيال فمنعها الامير شير علي خان بدعوي ان انكلترا قطعت المرتب الذي تعهدت بدفعه كل شهر من عدة سنين بلا سبب . فاغتاظ الانكليز لذلك وارسلوا عساكرهم بقيادة السير روبرتسن الى الامارة الافغانية لتنزيل شير علي من كرسي الامارة فاحتل قندهار سنة ١٨٧٩ م . ولكن اتفق ان مات شير علي في تلك الاثناء فقام ابنه يعقوب خان يحارب الانكليز مما اضطرّ هؤلاء للتوغل في بلاد الافغان واحتلوا كابل العاصمة فعقد معهم يعقوب خان حينذاك الصلح وقبل الحماية الانكليزية . ولكن لم يمض شهران حتى ثارت عليه البلاد فهرب الامير يعقوب خان الى معسكر الانكليز فاعاد الانكليز الكرة على بلاد الافغان واحتلوا كابل ثانية ومع ذلك لم تهدأ الاحوال بها الاّ بعد تنصيب عبد الرحمن خان بن افضل خان بن دوست محمد خان الآتي ذكره

٧٧٨ عبد الرحمن خان بن محمد افضل خان

من سنة ١٢٩٨ — ١٣١٩ ه او من سنة ١٨٨٠ — ١٩٠١ م



« ش ١٩ الامير عبد الرحمن » نقلا عن الهلال

هو عبد الرحمن خان بن محمد افضل خان بن دوست محمد خان وقد تقدم ذكره مرارًا . ولما خلا كرسي الملك في كابل سنة ١٨٨٠ م اقامه الانكليز عليها على ان يراعي جانبهم

ثم أخذوا يناصره وعضدوه وبالغوا في تقريبه بالهدايا والرواتب ومن جملة ذلك راتب مقداره ١٨٠٠٠ جنيه في العام فضلاً عن النياشين والرتب ولقبوه السير

عبد الرحمن خان . وجهزوه بكثير من الاسلحة والمدافع وعقدوا معه معاهدة هجومية دفاعية وانشأوا له في كابل ترسانة للاسلحة وامدوه بالعملة والمهندسين . حتى صاروا يعتقدون انهُ صنيعتهم وخادم مصالحهم . اما هو فلم يكن يعترف بذلك ولا يريد ان يعترف به بل كان يعتبر نفسه محالفاً لانكلترا ويؤيد ذلك انهُ اراد ان يرسل سفيرًا من قبله يقيم في لندن كما تفعل سائر الممالك المستقلة . على انهُ كثيرًا ما صرح بصداقة انكلترا جهارًا ومن ذلك انه التقى باللورد دوفرين في بندي ربيع عام ١٨٨٥ م فاعرب الامير عما في نفسه من الاحترام لجلالة الملكة فيكتوريا ورجال حكومتها . وكانوا في وليمة جمعت جمًا غفيرًا من رجال الدولتين فاستل الامير عبد الرحمن سيفه ولفظ خطابًا قال في ختامه انهُ سيقتل عدو انكلترا بحد ذلك السيف . ولم يكن جلوس الامير عبد الرحمن خان على كرسي الملك كافيًا لتأييد سلطانه بل حارب حروبًا كثيرة قبل ان استتبَّ الامر لهُ من جملتها ان ايوب خان احد منازعيه ثار في قندهار فارسل اليه الامير جيشًا شتت ايوب خان شمله . فجمع عبد الرحمن خان جيشًا آخر وسار بنفسه وحمل على ايوب خان وقهره . ففر ايوب الى بلاد ايران

واستعمل الامير عبد الرحمن خان القسوة في معاملة رعاياه حتى قتل كل من يخشى منه على نفوذه فازداد الناس كرهًا له ورعبًا منه . على ان ذلك لم يمنع ظهور ثورات اخرى بل ربما كان داعياً لها فان الغلزية حاربوه مرارًا ولم ينج من مطامعهم الا بسفك الدماء

وفي سنة ١٨٨٨ م حاربه ابن عمه اسحق خان وكان حاكماً في افغانستان تركستان وسبب حربه ان الامير عبد الرحمن دعاه الى كابل دعوة ظاهرها حبي فخاف اسحق خان تلك الدعوة لما يعلمه من عاقبة المدعوين قبله فاعتذر عن القدوم فاعاد الامير الدعوة وتفنن باساليب التجمل فلم ينخدع اسحق خان وظل على عزمه . فاتهمه الامير عبد الرحمن بالعصيان وانفذ اليه جيشاً للقبض عليه فشتت اسحق خان شمله وطمع بكابل فحمل عليها . فاسرع عبد الرحمن لملاقاته وحاربه ففر اسحق الى بلاد الروس واقام في سمرقند هو وانصاره تحت رعاية روسيا وحمايتها وهي تنفق عليهم وتبالغ في اكرامهم

ثم ثار عليه الهزارية بين كابل وهرات وهم شيعة (بخلاف باقي الافغانيين لانهم من اهل السنة) فحاربوه واتعبوه ولكنه تغلب عليهم واستتب له الملك ثم أصيب بمرض النقرس ولا يزال يتردد عليه العام بعد العام حتى ذهب بحياته في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠١ م

٧٧٩ ـ حبيب الله خان بن عبد الرحمن خان

(حفظه الله)



ش ٢٠ حبيب الله خان نقلا عن الهلال

ولد الامير حبيب الله خان سنة ١٨٤٥ م وقد تولى نيابة حكومة كابل في

حياة ابيه وهو يحارب اسحق خان سنة ١٨٨٨ م ٠ ورأى الامير بعد رجوعه ما حقق ظنه في ولده حتى عهد اليه مراجعة ما يرد من كتب الولايات فلا يقرأها هو الا بعد ان ينظر فيها ابنه ثم ولاه بيت المال سنة ١٨٩٧ م وعهد اليه القضاء الاعلى ٠ ثم تولى في حياة ابيه ايضا نظارة الخارجية فكانت المخابرات مع الدول الاوروبية على يده

ولما توفي والده الامير عبد الرحمن خان في اكتوبر سنة ١٩٠١ م جلس هو على كرسي سلطنة كابل ويقال ان والده أطلعه على اسرار السياسة التي كانت محتجبة في صدره واهمها ان يكون مواليًا لانكلترا حليفًا لها ٠ وفقه الله الى ما فيه خير بلاده

٧٨٠ - دولة الدراويش بالسودان

(تمهيد) ابتدأت هذه الدولة بظهور محمد احمد المهدي السوداني الذي هو من قبيلة الدناقلة ٠ ولد في جزيرة أسمها نبت مقابل دنقلة سنة ١٨٤٨ م ويقال ان نسبه ينتهي الى الشيخ القرفي صاحب كتاب الفروق ٠ اشتهرت عائلته باصطناع سفن سودانية يضرب المثل بدقتها ٠ هاجر والده عبد الله الى شندي باولاده كلهم ومحمد احمد هذا لا يزال طفلاً ٠ فقضى محمد احمد حداثته في صناعة السفن ولم يكن ميالاً اليها على انه كان يتردد في اثناء ذلك الى المدرسة فحفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره ٠ ويقال انهم عهدوا بتربيته وتدريبه في اتقان صناعة السفن الى عمه شريف الدين في جزيرة شبكة بالقرب من سنار ٠ فاتفق ان عمه هذا ضربه مرة ففر الى الخرطوم وانتظم في سلك طلبة طريقة الفقراء وهي من الطرق الشهيرة في السودان بمدرسة خوجلي بالقرب من الخرطوم ٠ فقضى في هذه المدرسة بضع سنين ثم انتقل الى بربر فدخل مدرستها ثم انتقل منها الى

قرية ارداب وتناول العلم فيها على الشيخ نور الدائم وعنه تناول سر طريقة الفقراء سنة ١٨٧١ م وقال بعضهم انه اخذها عن القرشي

وكان استبداد جباة الاموال ضارباً اطنابه في السودان والقلاقل والاضطرابات غير منقطعة فكان محمد احمد هذا اذا ذكر الضيق الذي اصابهم من ظلم الجباة نسب ذلك الى خطية بني الانسان وان العالم قد فسد والناس قد ضلوا عن سواء السبيل فنالهم مانالهم من غضب الله . وان الله سيبعث رجلاً يصلح ما فسد ويملأ الارض قسطاً وعدلاً هو المهدي المنتظر . وقد كان ذلك حديث الناس في سائر انحاء السودان . فحيثما اجتمعوا تحدثوا في ما يقاسونه من ظلم الجباة ومايتنظرونه من الفرج على يد ذلك المنتظر حتى اصبح لفظ « المهدي » يدوي في مجتمعاتهم حيثما حلوا

فلما رأى محمد احمد ذلك وآنس من الناس ارتياحاً الى اقواله واصغاء الى مواعظه خطر له ان يكون هو صاحب ذلك الامر . على انه لم ينطق به حتى سألوه : « العلك المهدي المنتظر » فقال : « اجل انا هو » ثم أخذ يبث تعاليمه في الناس شيئاً فشيئاً والناس يتقاطرون عليه رويداً رويداً حتى آمن به جمع كثير بينهم قبيلة البقارة ورئيسها علي ولد الحلو فقويت شوكة المهدي من ذلك الحين وكان في جملة الذين يجتمعون عليه عبد الله التعايشي من قبيلة التعايشة وكان يشتغل بالتنجيم وكتابة الاحجبة وله شأن كبير في قبيلته فقال له محمد احمد « انت وزير المهدي » فقال عبد الله « اني في انتظار مجيئه فاذا كنت اياه فاظهر وانا ناصرك » فقال محمد احمد « نعم انا هو » فآمن به فاستوزره فكان هو وقبيلته انصاراً له . واتفق ظهور نجم ذي ذنب سنة ظهوره فاعتقد اهل السودان ان ذلك انما هو راية المهدي تحملها الملائكة . هكذا كان مبدأ ظهور المتمهدي الذي به قامت دولة الدراويش وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٠ م

٧٨١ — محمد احمد المهدى

من سنة ١٢٩٧ — ١٣٠٢ هـ او من سنة ١٨٨٠ — ١٨٨٥ م



س ٢١ احمد محمد المهدي　(نقلا عن الهلال)

ولم يمض زمن طويل حتى رن صدى دعوة المهدي بجميع مديرية الخرطوم وعلم رؤوف باشا حكمدار الخرطوم بذلك سنة ١٨٨١ م فانفذ اليه رجلاً من خاصته اسمه ابو السعود يستقدمه الى الخرطوم · فسار في اربعة من العلماء على باخرة حتى اتوا جزيرة ابا · فلما نزلوا الشاطئ نادوا باعلى صوتهم « اين المهدي » فجاء محمد احمد وجلس

على عنقريب (مقعد سوداني) بجانب ابي السعود . فقال له ابو السعود « ما هـذا الذي قمت به » فاجابه محمد احمد بلطف « انا المهدي » فقال ابو السعود « ولكن يجب ان تذهب » فنهض محمد مغضباً ويده على قبضة حسامه وصاح به « لا لا اذهب » فخاف ابو السعود وترك الرجل للحال واخذ علماءه وعاد بباخرته الى الخرطوم فوصلها ليلاً فايقظ رؤوف باشا من فراشه وانبأه بما كان وقال له « اعطني خمسين رجلاً وانا آتيك بهذا المنافق » فاذن له فسار بهم حتى اتوا الجزيرة فنزلوا اليها وبقي ابو السعود في الباخرة وفيما هم يفكرون في كيفية الهجوم على المهدي هجم رجاله عليهم بغتة وقتلوهم عن آخرهم فاشتد ازر المهدي وتمكن اعتقاد اتباعه بدعوته . على انه خاف ان يؤخذ بغتةً وهو قريب من مركز الحكومة فغادر ابا بعد ان استخلف عليها احد اتباعه المدعو احمد المكاشف قاصداً جبال كوردفان وسمي انتقاله هذا « الهجرة »

وكان في كاوا على النيل الابيض على مسافة ٥٠ ميلاً من ابا شمالاً قوة عسكرية مصرية مؤلفة من ١٤٠٠ رجل تحت قيادة محمد سعيد باشا فتابعت آثار محمد احمد فاوغل هو في جنوبي كوردفان فتعقبته شهراً حتى هلكت ولم تدرك منه وطراً . ثم انتقل محمد احمد الى جبل قدير فحارب رشيد بك حكمدار فاشودة وتغلب عليه في ٩ دسمبر سنة ١٨٨١ م وكتب الى القبائل يدعوهم الى الاعتقاد بدعوته والاخذ بناصره فامتدت الثورة في اغلب نواحي السودان

وفي مارس سنة ١٨٨٢ م أقيل رؤوف باشا فقام مقامه موقتاً جيكلر باشا فانفذ يوسف باشا الشلالي لمحاربة المتمهدي فجنحت به السفينة عند كاوا فتركه رجاله وفرّوا فلما علم احمد المكاشف بذلك خرج برجاله على سنار ومديرها حسين بك شكري فدخلها وقتل بعض حاميتها وتجارها وحاصر المدير ورجاله في المديرية فبلغ ذلك جيكلر باشا فارسل لانقاذهم ٥٠٠ جندي بقيادة صالح بك فجاءوا المدينة ودخلوها ورفعوا الحصار عن المديرية فتقهقر الدراويش الى كركوح وراء سنار فخرجت عليهم الجنود المصرية من ابي حراز ومعهم ٥٠٠ مقاتل من الشكرية بقيادة اميرهم عوض الكريم باشا ابي سن فلاقيهم الدراويش في المسلمية وارجعوهم على اعقابهم بعد ان قتلوا منهم جمعاً كثيراً . فخرج جيكلر باشا على الدراويش بنفسه فغلبهم في ابي حراز وفي موقعة بالقرب من سنار ثم عاد الى الخرطوم . وكان قد وصلها عبد القادر باشا حكمداراً بدلاً عن رؤوف باشا في ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م

وكان الشلالي باشا قد اعد حملة في كاوا للخروج على المهدي في جبل قدير فسار بحرًا في ستة آلاف مقاتل حتى اتى فاشودة في مايو ومنها سار برًّا حتى دنا من العدو في ٧ يونيو ولكنه استخف بمهمته ولم يحسن التحصن فهاجمه المهدي واتباعه وكسروه شرّ كسرة واخذوا كل ما كان معه من المؤن والذخائر . وانتشر ذكر المهدي بعد هذا الانتصار ودخل الناس في دعوته افواجًا بعد ما رأوا ما ناله من النصر مع قلة مَن معه وكثرة عدوّه

واهتم عبد القادر باشا بالامر واخذ في تحصين الخرطوم وفرض لمن يقتل الدراويش جنيهين عن كل درويش و ١٨ جنيهًا عن كل امير . واخذ يجمع الجند حتى اجتمع لديه ١٢ الف مقاتل . كل هذا والمهدى لا يزال في جبل قدير لا يبدى حراكًا اما قواده فكانوا يسيرون برجالهم يفتحون البلاد في جهات كوردفان . ثم سار المهدي برجاله الى الابيض عاصمة كوردفان وفيها محمد سعيد باشا . وهذا لما علم بقدوم الدراويش جمع جنده من الجهات وحصن المدينة

وفي اوائل سبتمبر سنة ١٨٨٢ م أطلت مقدمة المهدي على الابيض ثم تكامل الجيش وهجم على المدينة فردتهم حاميتها خائبين بعد ان قتل من قواد المهدي عدد ليس بقليل . فعول المهدي من ذلك الوقت على المطاولة في الحصار حتى تسلم المدينة جوعًا . وكان كما اراد فانه حاصر المدينة من جميع جهاتها واخذت سراياه تفتح ما حولها حتى تم فتح كوردفان واخيرًا اضطرت حامية الابيض الى التسليم من الجوع في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ م فدخلت كوردفان جميعها في حوزة الدراويش وغنموا منها شيئًا كثيرًا . وبعد دخول المهدي الابيض قبض على محمد سعيد باشا وقتله

وكان عبد القادر باشا حكمدار الخرطوم قد سار بنفسه وجنده لقمع العصاة في جهات سنار فوشي به بعضهم في مصر فاستقدمته الحكومة اليها على حين غفلة وعينت مكانه علاء الدين باشا الذي كان قبلاً في مصوّع . وعهدت بقيادة الجند الذي كان في سنار الى حسين باشا وعزمت على ارسال حملة جديدة لاستخلاص الابيض من يد المهدي

وكان الكولونيل هيكس (هيكس باشا) الانكليزي قد جاء الى الخرطوم وبعد أن اقام بها مدة بلغه ان جيشًا من الدراويش من قبيلة البقارة بقيادة الامير احمد المكاشف



ش ٢٢ هيكس باشا

معسكرٌ بالقرب من جزيرة ابا فخرج اليهم هيكس وحاربهم وقتل المكاشف رئيسهم وكثيرين من رجاله وفرّ الباقون . فلما علمت الحكومة المصرية بانتصار هيكس طمعت في استرجاع الابيض من يد المهدى وصممت على ارسال حملة لهذا الغرض بعد ان كانت تتردد في هذا الامر وأوعزت الى علاء الدين باشا حكمدار الخرطوم بجمع العساكر فكتب هيكس باشا الى الحكومة المصرية انهُ لا يتحمل تبعة هذه الحملة الاّ اذا كانت قيادتها لهُ وحده فسلمت لهُ الحكومة بذلك . وبعد ان اتم اعداد الجنود اللازمة للحملة وجميع ادواتها خرجت من الخرطوم قاصدة الابيض وسلكت طريقاً وعرًا حتى اخذ الجهد والتعب من الجنود مأخذًا عظيماً . وكان المهدي قد علم بخروج حملة هيكس لقتاله فاستعد لمقابلتها استعدادًا تاما . اما الحملة فسارت سيرًا بطيئاً حتي وصلت عقيلة (ايجلاّ) في ١١ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م . وفى ١٤ منه وصلت بحيرة شركلا ثم استمرت

في مسيرها وقبل ان تصل الى الرهد فرّ منها رجل الماني اسمه كاوتس من صف الضابطان والتجأ الى الدراويش واخبر المهدي عن الضيق المحدق بالحملة وما هي فيه من اليأس فكانت خيانة هذا الالماني سببًا في هلاك هذه الحملة لان المهدي حمل بعسا كره عليها وقد اضنى رجالها التعب فقتل هيكس باشا وكل قواده وجنوده البالغ عددهم ١١ الفًا ولم ينج منهم الا نحو ٣٠٠ شخص فقط · اما كاوتس الالماني فاسلم وتسمى مصطفى وكان لهذا الانتصار الباهر الذي ناله المهدي ودراويشه رنة في جميع اقطار السودان وكان الضربة القاضية على البقية الباقية من نفوذ الحكومة المصرية فيه

وكان سلاتين بك (سلاتين باشا الآن) في ذلك الحين حكمدارًا على دار فور وقد قاسى مشقات جسيمة في مناوأة العصاة وتمردهم وكان يرجو الفرج على يد حملة هيكس باشا فلما علم بفشلها لم يرَ بدًا من التسليم فبعث الى المهدي بذلك وان ينفذ اليه بعض اقاربه ليسلم البلاد له فارسل اليه الامير محمد خالد ويكنى زقل اميرًا على دارفور واوصاه بسلاتين خيرًا · فوصلت الدراويش دارا ونهبوها · وجاء سلاتين مخفورًا الى الابيض وبايع المهدي واظهر الاسلام وسمي عبد القادر



ش ٢٣ سلاتين باشا

وفي هذه الاوقات بعينها كان عثمان دقنه ينشر دعوة محمد احمد المهدي في السودان الشرقي وكان السودانيون في تلك الجهات قد نبذوا طاعة الحكومة المصرية لسوء سيرة توفيق بك محافظ سواكن . فلما جاء عثمان دقنه بدعوة المهدي دخلوا جميعاً فيها فاشتد ازره بهم فسار لمناواة الحكومة في سواكن وضواحيها . فهاجموا سنكات في ٥ اغسطس سنة ١٨٨٣ م ولكنهم عادوا خاسرين فساروا الى طوكر وحاصروها فارسلت الحكومة محمود طاهر باشا قائد حامية السودان الشرقي لانقاذها فباغته الدراويش وكسروه شر كسرة . وما زالت سنكات وطوكر محاصرتين تطلبان المدد فاعدت الحكومة المصرية في اوائل سنة ١٨٨٤ م حملة تحت قيادة باكر باشا سارت الى سواكن لفتح الطريق بين سواكن وبربر وطرد العصاة من البلاد الواقعة بينهما . فسارت ومعها نجدة من مصوع وكسلا فلاقاها الدراويش في التب بغتة في ٢ فبراير فحاربوها وهزموها فعادت بخفي حنين . كل ذلك وحامية سنكات لا تزال محاصرة وفيها توفيق بك محافظ سواكن المتقدم ذكره وكان رجلاً شجاعاً مقداماً وقد اظهر في حصاره شجاعة غريبة خلدت له ذكراً مجيداً . وكان قد جاء سنكات عرضاً وحاميتها لا تزيد عن ستين رجلاً وقد ضيق عثمان دقنه السبل عليها وقطع المؤن عنها حتى كاد اهلها ان يهلكوا . ولما رأى توفيق بك ان المؤن قد فقدت والجند جاعت واهل البلد ماتت جمع اليه رجاله واهل سنكات وشاورهم في الامر وحثهم على الثبات وعلى ولاء الحكومة فقالوا له نحن على ما تريد . فقال لهم اذ قد نفذ زادنا والطريق مقطوع بيننا وبين المدد فلنخرج مستقتلين فاما ان نسير الى سواكن واما ان يلاقينا العدو فندافع عن انفسنا حتى الموت فخرجوا في اوائل فبرايل سنة ١٨٨٤ م بعد ان هدموا الطوابي واخربوا المنازل وما ساروا ميلاين حتى لاقاهم عثمان دقنه برجاله . وهاجموهم فقاتل توفيق بك حتى قتل شهيد الامانة والشهامة ولم ينج من رجاله واهل القرية الا نفر قليلون . فلما رأت الحكومة المصرية ان الفتنة قد امتدت في جميع اطراف السودان وان ناموس المهدي قد تمكن من قلوب الاهالي حتى صار يصعب عليها

اعادة نفوذها مرة اخرى عولت باشارة انكلترا على سحب جنودها من السودان وتركه للدراويش . واصدرت بذلك امرًا بتاريخ ٨ يناير سنة ١٨٨٤م وانفذت الحكومة الانكليزية الجنرال غوردون باشا الى السودان للنظر في افضل الوسائل لسحب حامية السودان وسكانها من الافرنج وغيرهم

وبعد ان وصل غوردون باشا الى الخرطوم رأى امتداد سطوة المهدي امتدادًا هائلا ورأى ان سحب العساكر المصرية قبل سحق قوة هذا المتمهدي مما ربما يطمع المهدي في مهاجمة الحدود المصرية فنصح الى الحكومة المصرية بان ترسل جيشا لقمع ثورة المهدي حتى تأمن غوائله في المستقبل ثم تسحب عساكرها فيما بعد

وترددت الحكومة طويلاً في امر ارسال هذه الحملة فكتب غوردون باشا الى دولته يطلب المدد وهي لم تقر على ارسالها حتى كانت جنود المهدي قد حاصرت الخرطوم وضيقت عليها واحاطت بها احاطة السوار بالمعصم وقل الزاد بين اهلها وجاعوا وغوردون باشا يصبرهم ويعدهم بقرب وصول الحملة الانكليزية لانقاذهم . ولكنها تأخرت كثيرًا فمل الناس الانتظار واشتد الجوع حتى اكلوا لحوم القطط والكلاب ومضغوا سعف النخل وجذور الذرة

اما الحملة الانكليزية التي اقروا على ارسالها لانقاذ غوردون فبرحت مصر في اوائل الخريف وعدد رجالها ستة الاف من نخبة الجند الانكليزي واكثر قوادها من الاشراف لان الانكليز قد تسابقوا الى الانتظام في سلك هذه الحملة لزعمهم انها عبارة عن فسحة على النيل فلم يصل من رجالها الى كورتي الا بعضهم وتفرق الباقون في نقط خط الاتصال : ومن كورتي سارت حملة في عطمور صحراء بيوضة الى المتمة بقيادة الجنرال ستيوارث والقصد بها سرعة الوصول الى الخرطوم وسارت حملة اخرى على النيل الى بربر بقيادة الجنرال أرل نقطعت الحملة جكدول فابا طليح فلاقاها العرب على الآبار

فحصلت بين الفريقين واقعة شفت عن انهزام الدراويش فتعقبهم الانكليز الى المتمة وهناك حصلت واقعة اخرى انهزم بها الدراويش ايضا وعادوا على اعقابهم وقبيل هذه الواقعة اصيب الجنرال ستوارت برصاصة كانت القاضية عليه وأحيلت القيادة الى السير شارلس ولسن . فنزلت الجنود الانكليزية على ضفاف النيل في مساء ١٨ يناير سنة ١٨٨٥ م وكان غوردون باشا قد انفذ اليهم اربع بواخركانت في مياه الخرطوم يستعينون بها في الوصول اليه وبعث يقول لهم اذا لم تصلوا الينا في بضعة ايام ذهبنا هباء منثورًا . فغادر السير شارلس المتمة في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥م على باخرتين ولكنه لم يصل الخرطوم الا في ٢٨ منه وكانت قد سقطت وقتل غوردون باشا في ٢٦ منه فعاد السير شارلس كاسف البال ولم يصل المتمة الا بعد شق الانفس



(ش ٢٤)　غوردون باشا

اما كيفية محاصرة المهدي للخرطوم وسقوطها فعلى ما يأتي . لما انتصر المهدي على حملة هيكس باشا انتقل الى الرهد في أواسط ابريل سنة ١٨٨٤ م ومن هناك ارسل الشيخ محمد الخير الى بربر فافتتحها وارسل مديرها حسين باشا خليفة أسيرا الى معسكر المهدي في كوردفان . وأقام محمد احمد المهدي في مكانه بالرهد حتى حتى انقضا رمضان من السنة فقال لاتباعه أنه أوحي اليه في الرؤيا (الحضرة) ان ينزل لمحاصرة الخرطوم . ثم جمع رجاله وزحف بهم من الرهد في ٢٢ أغسطس سنة ١٨٨٤ م فوصلوا الى جوار الخرطوم في أواسط أكتوبر من السنة فعسكروا على مسافة يوم منها . ومن هناك أمر المهدي سلاتين (عبد القادر) بكتابة رسالة الى غوردون باشا يعني التسليم . فكتب اليه سلاتين تقريرا مطولا بالنمساوية وارسله المهدي مع أحد أتباعه (ظنا منه انه كتب حسب مقصده) ولكن لما عادالرسول بجواب مقتضب لم يشف غليلا ارتاب المهدى بنية سلاتين وثقله بالحديد

ثم تقدم الى الخرطوم وحاصرها وضيق عليها تضييقا شديداً . ثم علم بقدوم حملة انكليزية لانقاذ الخرطوم واخراج غوردون منها فاستحث رجاله على الهجوم وحضهم على الاستماتة في سبيل الجهاد فهجموا في صباح ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ م الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل ودخلوا السور من ثقوب كانت فيه من جهة البحر . وكان قائد الحراس يدعي فرج باشا فلما رأى الدراويش اقتحموا المدينة فتح لهم الابواب وادخلهم منها . فانهال الدراويش على المدينة كالصواعق وامعنوا في الاهالي المساكين قتلاً ونهبا ولم يبقوا ولم يذروا . وسار بضعة منهم الى السراي حيث يقيم غوردون باشا وكان قد يئس من قدوم الحملة وبات تلك الليلة حوالى نصف الليل ولم يغمض جفنه حتى سمع اطلاق النار قصدالى سطح السراي واشرف على الاسوار فرأي الدراويش قد دخلوا السور ولم يعد باليدحيلة . فلبس ثيابه وتقلد سلاحه وهم بالنزول فلاقاه ثلاثة من الدراويش عند أعلى السلم فسأل اولهم قائلاً : اين سيدك المهدي : فاجابه بطعنة قاضية وضربه اخر بالسيف فخر قتيلاً لم يبد دفاعاً . ثم قدم ولد النجومي ورأي غوردون قتيلاً فساءه قتله ولكنه

امرهم بجر جثته الى ساحة السراي وأن يقطع رأسه ويحمل الى المهدي الذي كان مقيما في ام درمان . فحملوه اليه في منديل كبير في الساعة الاولى من النهار فاظهر كدره لمقتل غوردون باشا كثيرًا . هكذا سقطت الخرطوم عاصمة السودان في ايدي الدراويش ولم يتخذها المهدي عاصمة لملكه بل جعل عاصمته ام درمان

اما الحملة الانكليزية فانها انسحبت من المتمة الى كورتي فاقامت هناك مدة ثم عادت الى دنقلة فمصر وسحبت معها كل من اراد مرافقتها من سكان السودان شمالي كورتي . وخلص السودان للمهدي من ذلك الحين . وازدادت ثقة السودانيين بالمهدي بعد هذا الفتح المبين وازداد هو اعجاباً بنفسه وكثيرًا ما صرح انه لن يموت حتى يفتح الحرمين و بيت المقدس ثم ينزل الكوفة و يموت فيها ولكن سأفأله فانه لم يكد يؤيد سلطته ويقيم في عاصمة ام درمان بضعة اشهر حتى داهمته الوفاة في ٢١ يونيو سنة ١٨٨٥ م على اثر اصابة شديدة بالحمى التيفوس . وكان لموته ضجة عظيمة بين السودانيين ولكنهم لم يبكوا عليه اذا أوعز اليهم ان البكاء والندب على المهدي حرام فغسلوا جثته ولفوها بالاكفان واحتفروا لها حفرة في ذات الغرفة التي توفي فيها ودفنوها وجعلوا فوقها بعد ذلك مقاماً سموه . قبة المهدي . وقام بامر الدولة بعده عبد الله التعايشي بعهد منه

٧٨٢ — عبد الله التعايشي .

من سنة ١٣٠٢ — ١٣١٨ هـ او من ١٨٨٥ — ١٩٠٠ م

هو السيد عبد بن السيد محمد التقي و يتصل نسبهُ بعشيرة الجبيرات من قبيلة التعايشة والتعايشة من قبائل البقّارة . والبقّارة اسم يطلق على القبائل القاطنة غربي النيل الابيض وهم بدو اكثر اشتغالهم برعاية البقر والنخاسة وتجارة الرقيق . ويقيم التعايشة في الغرب الجنوبي من دارفور

وكان السيد محمد التقي (والد عبد الله) مشهورًا في قبيلتـه بالتقوى والكرامة والاستقامة وقد وُلد له اربعة اولاد ذكور وانثى وهم عبد الله و يعقوب و يوسف وسماني

وفاطمة . وكان عبد الله ويوسف اقلهم ميلاً الى العلم لم يحفظا القرآن الا بعد الجهد الجهيد وكثرة المزاولة وكانا اكثر ميلاً الى النخاسة (اقتناص العبيد) . اما يعقوب وسماني فكانا اقرب الى الهدء والسكينة فحفظا القرآن سريعاً ولازما اباهما يساعدانه في صلاته وسائر اعماله



ش ٢٥ عبد الله التعايشي

واتفق في اثناء حرب الزبير باشا لدار فور ان عائلة السيد التقي هذا كانت في جملة القائمين على الزبير فوقع عبد الله اسيراً في بعض المواقع واراد الزبير قتله فتوسط بعض العلماء في العفو عنه فابقى عليه . فلما فتحت دار فور نزح التقي وعائلته من وطنهم الى شكا وبعد ان اقاموا فيها سنتين ساروا الى دار الحُمر فالابيض فدار القمر ونزلوا اضيافاً على شيخه عساكر ابي كلام بضعة اشهر وهناك توفي السيد محمد التقي ودُفن في شركلة . وقبل مماته اوصى عبد الله ابنه الاكبر ان يلازم بعض مشائخ الدين في وادي النيل مدة ثم يهاجر الى مكة فيقيم فيها ولا يعود الى السودان . فترك عبد الله اخوته عند الشيخ عساكر وسار قاصداً وادي النيل فسمع في اثناء طريقه بمحمد احمد المتمهدي وما يتحدث به الناس من كرامته فذهب اليه وبايعه واتحد معه وكان ساعده اليمين في جميع حروبه ومغازيه ولحب المهدي بعبد الله التعايشي عهد اليه بولاية العهد من

بعده . فلما توفي المهدي في التاريخ المتقدم اجتمع الدراويش وبايعوا لعبد الله التعايشي واستقر امره . ثم ثار عليه بعض الطامعين في الملك ولكنه تمكن من قهر اعدائه . ثم ابتدأ يفكر في توسيع تخوم مملكته

واتفق في هذه الاثناء ان تعدي بعض السودانيين على الاحباش في بلاد الحبشة واخربوا كنيسة والتجأ المعتدون الى قلابات وهى في بلاد الدراويش مما يلي حدود الحبشة فحماهم حاكم المدينة فجاء الاحباش بجند كبير تحت قيادة الراس عادل واخربوا البلدة واحرقوها حتى صارت قاعاً صفصفاً . فبلغ عبدالله التعايشي ذلك فاغتاظ جدًّا وكتب الى يوحنا نجاشي الحبشة في ذلك الوقت ان يطلق الاسري ويعين الفدية التي يريدها عنهم . ومع ذلك لم ينتظر حتى يأتيه جواب النجاشي بل ارسل جيشاً بقيادة ابي عنقر للاغارة على بلاد الاحباش . فسار ابو عنقر بجيشه وحارب رأس عادل وهزمه وأسر امرأة رأس عادل وابنته وتقدم الى غندر واحرقها ثم كر راجعاً سائقاً امامه جيشاً عظيما من الاسرى معظمهم من النساء والاطفال ولم يصل الى قلابات حتى كان قد مات من هؤلاء المساكين عدد كبير بينهم ابنة عادل وابنه . وعلم التعايشي ان الاحباش لا يسكتون عن الانتقام فأوعز الى ابي عنقر بتحصين قلابات لكن المنية عاجلت ابا عنقر قبل اتمام مايريد

وبعد قليل جند النجاشي يوحنا ملك الحبشة جيشاً كثيفاً للانتقام من الدراويش على خراب غندر فحمل على قلابات وكانت جنود ابى عنقر لا تزال هناك ولم تفقد الا قائدها فتأهبوا للدفاع . فوصل النجاشي وعسكر بالقرب من قلابات وقسم جنده فرقتين هاجمت المدينة من ناحيتين فدخلت احداها المدينة من اثلام في السور واشتغلت بالنهب والقتل وبقيت الاخرى تهاجم السور من الخارج وفيها النجاشي نفسه واقفاً يستحث رجاله ويحرضهم على القتال فاصابته رصاصة قتلته فبعد ان كان النصر للاحباش عادت العائدة عليهم فخافوا وتقهقروا في اثناء الليل . فاصبح الدراويش وهم يحسبون لهجمة الاحباش الف حساب فاذا بالارض خالية من الخيم فبثوا الجواسيس فعلموا ان النجاشي قتل فتعقبوهم . وكان

الاحباش قد عسكروا على مسافة نصف يوم من قلابات فباغتهم الدراويش ففروا وتركوا المعسكر غنيمة باردة للدراويش فوجدوا في جملة الغنائم تاج النجاشي يوحنا مصنوعاً من الفضة ومحلى بالذهب وسيفه وكتاباً مرسلاً اليه من جلالة الملكة فكتوريا ملكة الانكليز فحملوا ذلك الى ام درمان

ومن اغرب اوهام التعايشي عزمه على فتح مصر وضمها الى سلطنته فانه حالما جلس على عرش ام درمان أرسل كتاباً الى جلالة السلطان وآخر الى سمو الخديوي (المرحوم توفيق باشا) وآخر الى ملكة الانكليز يطلب اليهم جميعاً ان يذعنوا لسلطانه ويخطبوا له على اعمالهم وارسل الكتب مع رسل خصوصيين الى مصر فعاد الرسل ولم ينالوا جواباً غير الاحتقار والازدراء فشق ذلك على التعايشي وحقد عليهم

فلما انتصر على النجاشي كما تقدم سمت همته لافتتاح مصر واستشار ارباب شوراه في هذا الامر فحسنوا له فتحها وشوقوا اليه سكناها ووصفوا له قصورها وغياضها واموالها ونساءها فتاقت نفس التعايشي الى فتحها وجمع جيشاً من قبائل الجعاليين والاتاتلة وغيرهم ممن جاوروا حدود مصر العليا وارسلهم بقيادة اشهر قواده عبد الرحمن ولد النجومي ٠ فسار هذا بجيشه الى دنقلة سنة ١٨٨٩ م وجعلها قاعدة لاعماله الحربية ٠ ثم ارسل التعايشي كتاباً آخر الى مصر وفيه الانذار الاخير فبقي الرسل مدة في اصوان ثم أعيدوا بلا جواب فبعث التعايشي رأس النجاشي يوحنا الى امير دنقلة على ان يرسله الى وادي حلفا تهديداً للمصريين وامر ولد النجومي ان يسير بجملته الى مصر فلا يحرك ساكناً في حلفا بل يتقدم الى اصوان ويهاجمها فاذا فتحها يقيم فيها حتى تأتيه اوامر أخرى ٠ فخرج ولد النجومي من دنقلة في شهر مايو سنة ١٨٨٩ م قاصداً بلاد الفراعنة ولم تكن الحكومة المصرية غافلة عن حركاته بل كانت عالمة بكل حركة من حله وترحاله وكان سردار الجيش المصري اذ ذاك الجنرال غرانفل باشا فحصن حلفا واصوان وسائر الحدود فلما دنت حملة الدراويش من ارجين بجوار حلفا تقدمت شرذمة منهم بدون علم ولد النجومي فخرجت اليها الحامية المصرية بقيادة وود هاوس باشا وكسرتها شر كسرة

وكان غرانفل باشا قد خرج من اصوان فبعث الى ولد النجومي يبين له خطر موقفه وينصح له ان يسلم فيسلم فابى ٠ فسار السردار بجيش معظمه على البر الغربي للنيل

وبعضه على البر الشرقي فحصلت بينهم وبين الدراويش مناوشات ليست بذات بال حتى وصلوا الى توشكي (توشكي قرية صغيرة على البر الشرقي وبعضها على البر الغربي للنيل بين كروسكو وحلفا على بضعة اميال من هيكل ابي سمبل شمالاً) فعسكر السردار في هذه القرية

وفي صباح ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩ م ارسل السردار طلائعه باكرًا لاستكشاف معسكر العدو فعادوا واخبروا بان العرب يستعدون للسير فخرج السردار بنفسه ليستكشف الحقيقة فلم يكد يشرف على معسكرهم حتى رآهم هاجمين كالجراد المنتشر . فبعث الى الجند في توشكي وكان بعضهم لم يتناول طعامًا ولا تهيأ للمسير ومع ذلك ساروا باسرع من لمح البصر وحملوا على الدراويش حملة شتتت شملهم وفرقت جموعهم شذر مذر . وبلغ عدد قتلى الدراويش ١٢٠٠ قتيل وزاد عدد اسراهم على اربعة آلاف ولم يقتل من الجيش المصري الاَّ ٢٥ وجرح ١٤٠ . وفي هذه الواقعة قتل عبد الرحمن ولد النجومي قائد الحملة وكثيرون من امراء الدراويش

فكان ذلك النصر نصرًا مبينًا سرّ به المغفور لهُ الخديو السابق توفيق باشا فبعث الى السردار يهنئه به لعلمه انه امثولة علّمت التعايشي مالم يكن يعلم . اما الذين قتلوا من الجنود المصرية فابتنوا لهم مقامًا قرب مكان الواقعة ضموهم اليهِ وبنوا فوقه قبرًا نقشوا فوقه باللغة العربية تاريخ الواقعة وسببها

وبعيد الواقعة سار الخديو المغفور له توفيق باشا في بعض رجال معيته لتفقد احوال الحدود فركب الى مكان تلك الواقعة ووقف امام قبر شهدائها يتأمل ما اظهره جنده من البسالة في ذلك القتال

اما الدراويش بام درمان فحزنوا جدًّا لهذه الهزيمة وصغرت نفوسهم . ولم يكادوا يتخلصون من عواقب تلك الكسرة حتى دهمهم قحط عظيم حتى اضطر الاهالي الى اكل الميتة ولم يتركوا شيئًا لم يأكلوه الاَّ التراب

وتراكمت البلايا على عبد الله التعايشي فلم ينج من ذلك القحط العظيم حتى اكتشف مؤامرة اعدها ابناء المهدي محمد احمد لاغتياله ولكنهُ تمكن من التغلب عليهم والزامهم الى طاعة اوامره

ثم توالت النحوس على مملكته فجندت الحكومتان الانكليزية والمصرية حملة سنة ١٨٩٦ م ارسلتها بقيادة الجنرال كتشنر باشا (اللورد كتشنر) لفتح السودان فسارت

ش ٢٦ محمد توفيق باشا امام مدافن واقعة توشكي

هذه الحملة ولم تزل تفتح مدائن السودان مدينة مدينة ومقاطعة مقاطعة حتى فتحت ام درمان سنة ١٨٩٨ م وفرّ التعايشي ورجاله الى جبال كوردفان فتعقبه الجيش الانكليزي المصري حتى ظفر به سنة ١٩٠٠ م وقتله وبموته انقرضت دولة الدراويش والملك لله يؤتيه من يشاء وهو العزيز الحكيم

تم الجزء الثالث من كتاب تاريخ دول الاسلام

وبه تم الكتاب

والحمد لله في المبدإ والختام

ورجائي من المطلعين عليه ان يسبلوا ذيل المعذرة على ما

فيه من الخطأ والغلط لان العصمة

لله وحده